بسم الله الرحمن الرحيم

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتعنى بالدراسات الدينية

تصدر عن

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

قسم الشؤون الفكرية والثقافية / العتبة الحسينية المقدسة

العدد الرابع عشر

السنة الرابعة (١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٦م)

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتعنى بالدراسات الدينية

الهيئة الاستشارية

آية الله الشيخ محمد السند
آية الله الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني
آية الله السيّد رياض الحكيم

آية الله السيّد عادل العلوي
آية الله السيّد منير الخباز
العلّامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقدسي

العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الإصلاح الحسيني

رئيس التحرير: .....*

الشيخ قيصر التميمي

مدير التحرير: .....*

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

هيئة التحرير: .....*

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

د. الشيخ محمد الكروي القيسي

الشيخ أسعد التميمي

الشيخ ميثم الربيعي

المقابلة وتقويم النص: .....*

الشيخ عدنان الطائي

الشيخ عصام السعيد

الشيخ مصطفى الدالي

التصميم والإخراج الفنّي: .....*

السيّد صادق الحيدري

الشيخ حسين المالكي

عبد الزهرة الطائي

معتمد الترجمة الإنجليزية: ...*

بدر شاهين

الإشراف العام: .....*

سماحة الشيخ علي الفتلاوي

التنسيق العام: .....*

السيّد صالح التنكابني

السيد مالك البطاط

د. علي البديري

زيد فرج اللّه الأسدي

مريم هادي الياسري

إدارة المؤسّسة: .....*

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قم المقدّسة)

معاونية المؤسّسة: .....*

الشيخ عبّاس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قم المقدّسة)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: ISSN: 978-964-984-240-7

هوية المجلّة

مجلّة علمية فصلية تخصّصية تُعنى بالبحوث المتخصّصة في مجال النهضة الحسينية، وكذا الدراسات العلمية في حقول المعرفة الدينيّة. تصدر عن مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

اهتمام المجلّة

تهتمُّ المجلّة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

كما تهتمُّ المجلّة أيضاً باستقطاب ونشر البحوث والدراسات الدينية التخصّصية ذات الجوانب التجديدية والإبداعية، وذلك في كافّة الحقول والمجالات، فتمتدّ لتشمل الدراسات القرآنية والعقدية والفكرية والتاريخية والفقهية، وكذا ما يرتبط بالتراث الديني من الأدعية والزيارات والنصوص الدينيّة بشكلٍ عام.

فالمجلّة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في أبواب العلوم والمعارف الدينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحداثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

أهداف المجلّة

١ـ إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينية من خلال البحوث والدراسات.

٢ ـ نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينية.

٣ ـ إحياء التراث الديني والحسيني.

٤ ـ فتح نافذة علمية لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافة حقول المعرفة الدينية.

٥ ـ الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكِّرين.

٦ـ استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلمية القيّمة لنشرها تعميماً للفائدة.

٧ ـ فسح المجال أمام الباحثين والمفكِّرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلّة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.

٨ ـ التصدّي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول الدين بصورة عامّة والنهضة الحسينية بصورة خاصّة.

ضوابط النشر

تدعـو المجلّة العلماء والأسـاتذة والباحثـين وكل مَن لديه اهتـمام في مجال الكتابة والتحقيق إلى رفدها بنتاجاتهم القيّمة، على أمل ملاحظة الأُمور التالية:

- أن تكون البحوث مرتبطة باختصاص الـمجلّة وأركانها.
- ألّا تكون منشورة أو بصدد النشر في كتاب أو مجلّة.
- أن تكون ضمن المناهج العلميّة المتَّبعة.
- أن تكون بحوثاً مبتكرة وبلغة معاصرة.
- أن يكون البحث على قرص ليزري فيما لو كان منضداً.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبِّر بالضرورة عن رأي الـمجلّة.
- لا تعاد البحوث لأصحابها نُشِرَت أم لم تُنشَر.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنيّة.
- إجراء التعديلات والتلخيصات اللازمة من صلاحيات الـمجلّة.
- للمجلّة حق إعادة نشر البحث أو المقال في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصه الأصلي.
- كل ٢٥٠ كلمة تحسب صفحة واحدة.
- تتّبع الـمجلّة نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- تعتبر الأولوية في الـمجلّة للمقالات والبحوث الحسينيّة.
- الـمجلّة غير ملزمة بنشر ما يقل عن ١٥ صفحة أو يزيد عن ٣٠ صفحة.

مراكز النشر

* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ المكتبة العلمية.

* النجف الأشرف: شارع الرسول صلى الله عليه وآله ـ مكتبة دار الهلال.

* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ دار الغدير.

* كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينيّة المقدّسة.

* بغداد: شارع المتنبّي ـ مكتبة العين.

* البصرة: العشّار ـ مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.

* إيران / قم المقدّسة: شارع معلم ـ سوق ناشران ـ معرض العتبة الحسينية المقدّسة.

* إيران / قم المقدّسة: صفائية ـ سوق الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ مكتبة فدك.

* إيران / قم المقدّسة: سوق كذرخان ـ مكتبة الهاشمي.

المحتويات

كلمة التحرير

كلمةُ التّحرير

رئيس التحرير ١٣

ملف العدد
دراسات في الفكر الحسيني

المقاييس الفلسفية في تقويم ثورة الإمام الحسين عليه السلام من منظور نظرية علم النقطة

أ. م. د. تومان غازي الخفاجي/ أ. م. د. خالد حميدي ٢٣

لاهوتية الموقف في فاجعة الطف

د. طالب حسين ٥٧

المبادئ والأُسس القرآنية للقضية الحسينيّة

أ. م. د. خولة مهدي الجراح ٩٣

نظريات النهضة الحسينيّة.. نظرية ذات الأهداف المتعددة أُنموذجاً

أ. م. د. بلاسم عزيز شبيب/ الباحث: صلاح عوده عبد الأمير الدعمي ١١٧

البناء الفكري والتربوي عند الإمام الحسين عليه السلام.. دراسة في التأثير والتأثر

أ. م. د. نعمة عبد الصمد الأسدي/ أ.م. د. محمد كاظم الفتلاوي ١٣١

الضبط النفسي للإمام الحسين عليه السلام في معركة الطف

أ. د. حاتم جاسم عزيز/ م. مريم خالد مهدي ١٦١

كربلاء والتفاعل المجتمعي وفق متباينة المعرفة والعاطفة.. قراءة في المواقف ومسارات التقييم

م. د. شهيد كريم محمد ١٨٣

المنظومة القيمية للنهضة الحسينية

أ. م. د. راغدة محمد المصري ٢١٩

ثقافة الثورة عند الإمام الحسين عليه السلام

د. نابلس صلال التميمي ٢٢٥

ثورة المثقف.. دراسة ثقافية تحليلية في سيرة زهير بن القين ومواقفه مع الحسين عليه السلام

د. وسام حسين جاسم..... ٢٥٧

أبو مخنف ومحاولات الرواة والمصنّفين والمتكلّمين تزييف النهضة الحسينية

أ. م. د. كفاية طارش العلي ٣٠٥

أثر شعائر عاشوراء في نشر الفكر الحسيني في أُوروبا.. دول شمال أُوروبا أُنموذجاً

م. د. حيدر عبد الجليل عبد الحسين الحربية ٣٢٥

خلاصة المقالات باللغة العربيّة والإنجليزية ٣٥١

كلمة التحرير

تعزية

(إنّا لله وإنّا إليه راجعون)

تنعى مجلّة الإصلاح الحسيني فقيدها الغالي المرحوم الأُستاذ الدكتور **(باسم باقر جريو)** عميد كلّية التربية المختلطة/ جامعة الكوفة. تغمّده الله بوافر رحمته، وحشره مع محمد وآل محمد.

كلمةُ التّحرير

رئيس التحرير

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصيّة في النهضة الحسينيّة، هي مؤسسة فكريّة علميّة تخصّصيّة تابعة للعتبة الحسينيّة المقدّسة، ذات فروع متعدّدة، ينحصر اهتمامها في المجال العلمي والتخصّصي للنهضة الحسينيّة المباركة، تعمل على التأسيس لبناءٍ علميّ مختصّ رصين في كافّة أبعاد النهضة الحسينيّة وآفاقها الواسعة، الفكريّة والتاريخية والاجتماعية والأخلاقيّة؛ لما لها من عمق إنساني، وتستند في منهجها العام إلى ركائز الأصالة والعمق المعرفي وقداسة التراث الديني من جهة، وتحمل بالمستوى ذاته روح الحداثة والتجديد والإبداع من جهة أُخرى.

وقد حملت مؤسستنا على عاتقها لواء الإصلاح الذي حمله الإمام الحسين عليه السلام لهداية الأُمّة، وكانت ثمرة تحمّل تلك المسؤولية الثقيلة العمل على تأسيس مجموعة واسعة من المشاريع الحسينيّة العلميّة التخصّصيّة المهمّة والحسّاسة والمؤثرة في المجالات العلميّة والاجتماعيّة، وقد أنتجت تلك المشاريع المباركة نتاجات كبيرة يتطلبها واقعنا الفكري والاجتماعي، ومن تلك المشاريع المهمّة والمحوريّة مشروع (المؤتمرات والندوات العلميّة والتخصصيّة) في مجال النهضة الحسينيّة ودورها الرائد في إصلاح الأُمّة، ويمثّل هذا المشروع المبارك أحد الأقسام المهمّة في المؤسسة، وقد بذل الإخوة الأعزاء الأفاضل في هذا القسم جهوداً استثنائية ومتواصلة، حيث عملوا وفي فترة قياسيّة على عقد ملتقيات وندوات علمية متنوّعة وفي أماكن مختلفة، في داخل العراق وخارجه، أثمرت جملة من البحوث المهمّة المختصّة بنهضة الإمام

الحسين عليه السلام ومكانتها في المجتمع، كما أثمرت وأثّرت أيضاً في تحريك الأساتذة والنخب والباحثين للإنتاج المعرفي في هذا المجال بالخصوص.

وأما بالنسبة إلى إقامة المؤتمرات، فبعد الجلسات العلميّة المتواصلة والتخطيط المدروس والمتواصل مع الجامعات والكليّات ذات الصلة بالعلوم الدينيّة والإنسانيّة، التقينا بثلة طيّبة من الأساتذة الأكفاء في كلّية التربية المختلطة التابعة لجامعة الكوفة الموقّرة، وقد وجدنا فيهم روح التفاني والإخلاص لدينهم ومبادئهم ومجتمعهم ووطنهم، وهم الذين بادرونا مشكورين بإمكانية عقد مؤتمر للإصلاح الحسيني في كلّيتهم الموقّرة، وكان ذلك بمباركة وتشجيع لهم من عميد الكليّة الدكتور باسم باقر جريو (رحمه الله)، وبعد مفاتحة المتولّي الشرعي للعتبة الحسينيّة المقدّسة (دامت بركاته) وتشجيعه لنا بالقيام بأعباء هذا المؤتمر المبارك، باشرت المؤسسة بالتخطيط لإقامته مع كادر الكليّة الموقّر، وقد تمّ تشكيل مجاميع من اللجان المختصّة والمشتركة، وبعد الجهود المتواصلة والمتابعات الميدانية الفاعلة، تمّ اختيار عنوان المؤتمر الدولي السنوي الأوّل، وكان عنوانه: (الإصلاح الحسيني)، وقد تلاه العمل الجادّ والمتواصل لتحديد محاوره وموضوعاته المهمّة ذات الانعكاس المباشر على واقعنا الفكري والاجتماعي، ومن ثمّ المباشرة في الإعلان عنه والتواصل مع الكتّاب والباحثين وأهل القلم والإبداع الفكري في كافّة أنحاء العالم وإبلاغهم بمحتواه بغية استكتابهم، والذي أذهلنا وأسعدنا كثيراً وفي فترة قياسيّة أيضاً التفاعل الكبير مع عنوان المؤتمر ومحاوره وعناوينه التي دارت حول مبدأ الإصلاح الحسيني، وقد تلقّت اللجان المشتركة كمّاً كبيراً من البحوث والدراسات العلميّة الحسينيّة القيّمة، أكاديميّة وحوزويّة، من داخل العراق وخارجه، ما جعلنا نستشرف النجاح المتميّز للمؤتمر، وأعطانا جرعة معنويّة كبيرة في المواصلة لبذل جهود أكبر وأوسع، وكان الواقع بحمد الله كما استشرفناه، حيث كان المؤتمر مؤتمراً ناجحاً بكلّ المقاييس، وحاز صدىً علمياً وإعلاميّاً واسعاً، محليّاً وعالمياً.

وكان المغنم الأكبر الذي تعتزّ وتفتخر به مؤسستنا هو انفتاحها الكبير والمتميّز على أقلام جديدة رائدة وواعدة في المجال الحسيني، وسوف نحرص على الاستمراريّة في التواصل مع تلك النخب والطاقات العلميّة المختصّة، والتي نسعى جاهدين لإشراكها في مشاريعنا الحسينيّة المباركة؛ لأننا بحاجة ماسّة إلى هذه الأقلام المسؤولة في بناء وتنمية المسيرة العلميّة والتخصصيّة في المؤسسة، سواء على مستوى المجلّات التخصصيّة أم في الموسوعات العلميّة أم في المؤتمرات والندوات والملتقيات والفعاليات الصوتيّة والمرئية أم في غيرها من المجالات الحسينيّة الأُخرى.

وانطلاقاً من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**جمال العلم نشره**»[1]، وتثميناً للجهود العلمية التي بذلها الأساتذة والباحثون في هذا المؤتمر المبارك، واعتزازاً بما تضمّنه المؤتمر من معطيات فكرية قيّمة ورائدة، ارتأت رئاسة وإدارة تحرير مجلّة الإصلاح الحسيني نشر بحوثه ووقائعه في سلسلة أعدادها الفصلية، فانتظمت في أعداد أربعة، هي الأعداد: الرابع عشر، والخامس عشر، والسادس عشر، والسابع عشر.

وقد احتوى هذا العدد الماثل بين يديك عزيزي القارئ جوانب مهمّة من جنبات وقائع مؤتمر (الإصلاح الحسيني) الأوّل، حيث اختصّت وانتظمت بحوثه تحت محور وعنوان: (دراسات في الفكر الحسيني)، وهي مجموعة من البحوث العلمية القيّمة والرصينة، والتي أشرف على تقويمها العلمي أساتذة أكفاء، مشهود لهم بخبرتهم العالية في مجال التحكيم والتقويم العلمي.

ولا يفوتنا التنبيه على أن الوقت قد ضاق بنا ذرعاً؛ لضخامة المؤتمر وضخامة موضوعه وكثرة البحوث التي توافدت إلينا من دون انقطاع، وهذا ما اضطرّنا لطباعة قسم من البحوث المحكّمة والمقبولة في ضوء الموازين العلميّة للمؤتمر، ونشرها في هذا العدد وفي الأعداد الثلاثة اللّاحقة لمجلّة الإصلاح الحسيني إن شاء الله تعالى.

(١) الواسطي الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٢٢٢.

كـما لا يفوتنـا أيضاً التنبيـه على أننا حاولنـا أن نغض الطرف عـن بعض ما قد لا يتـواءم والضوابط العلمية والفنيّـة العامّة في المجلّة، لمراعاة الأمانـة العلمية، ونؤكّد عـلى أن الآراء الواردة في هـذه البحوث لا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلّة وتوجّهاتها العامّة.

وفي نهاية المطاف نتقدّم بوافر الشـكر والامتنان إلى الأمانة العامّة للعتبة الحسـينيّة المقدّسـة، التـي أولت عنايتهـا الخاصّة بهذا المؤتمـر، ولولا ذلك ما خـرج مؤتمرنا إلى نـور التألق والنجاح، كما نتقدّم بالشـكر الجزيـل أيضاً للأمانة العامّـة للعتبة العلوية المقدّسـة على تعاونها المتميّز مع المؤسسـة، كما نشكر أيضاً أمانة مسجد الكوفة المعظّم على استقبالها الطيب للباحثين وكرم ضيافتها لهم، وكذلك شكرنا الموصول وامتناننا الوفير إلى رئاسـة جامعـة الكوفة الموقرّة وعمادة كليّة التربية المختلطة وأسـاتذتها على احتضانهـا لوقائـع المؤتمر والجهـود العلميّة والميدانيّـة الكبيرة التي بذلوها في سـبيل إنجاحه، كما نشكر أيضاً اللجان المشتركة التي أشرفت مباشرة وبصورة تفصيلية على متطلّبات المؤتمر العلميّة والتحضيريّة والتنفيذية إلى حين انعقاده.

ونسـأل الله تعالى لمؤسسـتنا المباركة ولكليّة التربية المختلطة الموقّرة ولكلّ مَن بذل جهداً مشكوراً لإنجاح المؤتمر دوام التوفيق والسداد، والسير على هدى وخطى سيد الشهداء ونهضته العالميّة المباركة، إنه قريب مجيب سميع الدعاء.

Editorial

Editor-in-chief

The Wārith al-Anbiyā' Institution of Specialized Studies on Imam al-Ḥusayn's Reformative Uprising, one of the multi-branch Imam al-Ḥusayn Holy Shrine Foundation, is dedicated to scientific and academic studies on the blessed reformative uprising of Imam al-Ḥusayn. Its main concern is to found a well-compacted scientific structure focused on all the wide-ranging domains and horizons of Imam al-Ḥusayn's reformative revolution, including the intellectual, historical, social, and ethical fields, given that this blessed reformative revolution enjoys a human profundity, basing its general course on the pillars of epistemic genuineness and insight as well as the holiness of the religious heritage and, at the same level, holding the spirits of modernism, rebirth, and creativity.

The Institution has taken upon itself the responsibility of raising the banner of reformation that was raised by Imam al-Ḥusayn for purpose of guiding the masses to the right path. The fruit of the Institution's having undertaken this precious responsibility has come in the form of establishing a big set of projects, all of which have been dedicated to presenting scientifically specialized studies of Imam al-Ḥusayn's reformative revolution; and all these studies have been greatly effective, valuable, and helpful in academic and social fields. As a result, these efforts have come with serious products desperately required by the intellectual and social state of affairs.

One of these important and essential products, however, was the project of holding academic and scientific conferences and forums, the main topic of all of which has been the pioneering role played by Imam al-Ḥusayn's revolutionary movement in reforming the affairs of the masses. In fact, this blessed project represents one of the major departments of the Institution, since our dear colleagues, running this department, have continuous exerted exceptional efforts and, in a very short time, succeeded to hold various academic and scientific conferences and symposiums in different areas of the world that resulted in producing

a big set of highly valued researches on the topic of Imam al-Ḥusayn's reformative uprising and its impacts on societies. These conferences have also motivated many professors and researchers on writing and researching in the different fields of the topic related.

As a result of these conferences that contained continuous academic sessions based on well-organized planning and contact with universities and colleges of human and religious studies, we have met a good company of competent professors from the Faculty of Education in Kufa University and found them enjoying such a high spirit of sincerity and devoutness to their religion, religious principles, society, and homeland that they suggested to us the holding of a conference on Imam al-Ḥusayn's reformative uprising inside the building of their faculty. It is worth noting that Professor Baqir Jrew, the dean of the faculty, blessed and encouraged the holding of such a conference. After receiving this appreciated suggestion, we discussed the matter with the legal manager of the Imam al-Ḥusayn Holy Shrine who also welcome the idea and encouraged us to take upon ourselves all the issues related to holding such a conference. Hence, the Institution, with the help of the staff of the Faculty of Education, started planning for holding the conference through forming a set of shared and specialized committees.

Continuous efforts were exerted and active field visits were paid and the result was that the first annual international conference was given the title: Imam al-Ḥusayn's Reformative Uprising. That was the initial step, which was followed by other steps of incessant and serious efforts for identifying the key topics to be discussed in that conference as well as the most important issues that directly reflect on the intellectual and social state of affairs of the community. As soon as promulgations for holding such a conference were made and contacts were made with writers, researchers, and men-of-letters known for their intellectual creativity from in and outside Iraq in order to encourage them on writing essays and researches on this topic, we were astonished at the startling reaction to the idea and the huge quantity of studies, essays, and researches presented to us, all of which were written on the topic of Imam al-Ḥusayn's reformative uprising by academics as well as teachers and scholars of the Religious Seminary. In fact, this fact delighted us very much, made us look forward to an outstanding success of the conference, and granted us a big push to exert greater and wider efforts. Thanks to God, the result was as expected, since the conference achieved great

success from all aspects and gained a local and worldwide scientific reaction and was covered by different mass media.

Besides, the greatest of all the achievements of the conference is the fact that it made our Institution open remarkably to contacting with new pioneering and promising writers who would write notable essays on the topic of Imam al-Ḥusayn's reformative uprising. The Institution will continuously keep contact with such writers and scientific powers in order to give them parts in its coming blessed projects, due to the urgent need of the Institution for such writers whom are hoped to contribute to building and developing the scientific course of the Institution through writing essays in the magazines and periodicals issued by the Institution, participating in writing encyclopedias on Imam al-Ḥusayn's reformative uprising, and participating in the conferences, forums, and audio and video activities that speak of Imam al-Ḥusayn and his blessed reformative revolution.

Putting into practice out Imam 'Alī's golden maxim, "The beauty of knowledge lies in spreading it, " and evaluating the precious scientific efforts exerted by scholars and professors in the blessed conference, and in order to highlight the importance of the intellectual, valuable, and pioneering results of the conference, the editorship-in-chief and the management of the al-Islah al-Husayni Magazine have decided to publish the essays and researches presented in the conference in the Magazine's issues; namely, Issues 14, 15, 16, and 17. Accordingly, the current issue of the Magazine comprises major aspects of the events of the 1st Conference of Imam al-Ḥusayn's Reformative Uprising; therefore, the essays in this issue have been dedicated to a general title; namely, Studies in Imam al-Ḥusayn's Reformative Uprising, containing a set of constructive and well-compacted scientific researches, methodologically revised by a number of proficient professors and scholars known for their sustained expert in the field of scientific judgment and assessment.

It is important to draw attentions to the point that because of the vastness of the conference and the multitude of its topics and researches, we could not have enough time to cover all the researches; therefore, we have had to print a small part of the researches, picking out only some of the essays that were characterized by precision and acceptability in light of the scientific criteria of the conference; therefore, only this little amount of the essays and papers will be published in the current issue of the Magazine as well as the coming three issues.

It is also noteworthy that we have tried to overlook some papers that might seem to be incompatible with the technical and scholastic lines of the Magazine in order to observe scientific honesty. We are here to assure that the opinions contained in these essays do not necessarily express the general view of the Magazine.

Finally, we would cordially like to express our gratitude to the General Secretariat of the Imam al-Ḥusayn Holy Shrine for its special care for the conference, without which the conference would not have achieved such brilliance and accomplishment. Out acknowledgement is also extended to the General Secretariat of Imam 'Alī Holy Shrine whose staff cooperated remarkably with us and contributed to the success of the conference. Acknowledgement is also extended to the General Secretariat of the al-Kūfah Great Mosque for the kind reception of the guests and for the hospitality shown. Very much acknowledgement is also shown to the headship of the Kufa University and the deanship of the Faculty of Education for embracing the events of the conference and for the big field and academic efforts exerted by the professors and lecturers who contributed greatly to the success of the conference. Similar acknowledgment is extended to the shared committees that directly and exhaustively supervised and met the scientific and executive requirements and preparations for the conference.

Seizing this opportunity, we pray to the Almighty God to grant incessant success and prosperity to our Institution, the Faculty of Education in the Kufa University, and all those who contributed to making successful the conference. We also pray Him to keep their steps fixed on the true path represented by the guidance and the course of Imam al-Ḥusayn, Chief of Martyrs and leader of the blessed international reformative uprising. Verily, God is Ever-Nigh and Responsive to prayers.

ملف العدد

دراسات في الفكر الحسيني

المقاييس الفلسفية في تقويم ثورة الإمام الحسين عليه السلام من منظور نظرية علم النقطة

أ. م. د. تومان غـازي الخفاجي*

أ. م. د. خالد كاظم حميدي**

مقدّمة

إنَّ استشـهاد الإمـام الحسـين عليه السلام ومجموعة من ذويـه وأصحابه الذيـن لم يتجاوز مجموعهم الاثنين والسبعين شخصاً، شكَّل قضية اختلف في الحكم عليها الدارسون قديـماً وحديثـاً، ولمّا كان عُمْر هـذه الواقعة تجاوز الألف والثلاثمائة عـام، فإنّنا نتوقّع اسـتمرار الخلاف إلى يوم القيامة، ما لم يتصدَّ بحثٌ فكري هدفه الرئيس هو الكشف عن التصوّرات المغلوطة، التي سـبّبت كثرة الجـدل العقيم، الذي أوضح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بأنّه يدلُّ على الجهل، بقوله: «**العلمُ نقطةٌ كثّرها الجاهلون**»[1].

مـن هنا جاء النظر إلى هذا الموضوع تحت اسـم (علـم النقطة)، كمنهجية مقترحة لحـلّ مشـكلة كثرة الجدل حـول القضية الواحـدة، وقوام هذه المنهجيـة أنّها تفترض عمـل ملـكات الإدراك الثـلاث: (العقـل، والحس، والقلـب) معـاً؛ لتكوين مثلث سـمّيناه مثلث الإدراك السـليم، الذي يحصـر الحقيقة بنقطة وسط هذا الحيّز، والذي يقلّـل الجدل إلى أدنى حـدّ؛ نظراً لحصـر الحقيقة في حيّز ضيّق، بحسـب ما يتّضح في

---

* الجامعة الإسلامية الجامعة/ النجف الأشرف/ قسم الدارسات القرآنية واللغوية.

** كلية الشيخ الطوسي/ النجف الأشرف/ قسم علوم القرآن.

(١) كاشف الغطاء، الهادي، مستدرك نهج البلاغة: ص١٦٣.

المخطّط الآتي[1]:

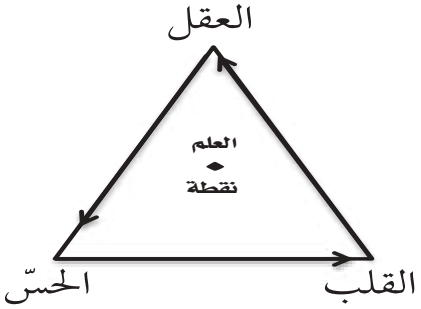

وعلى وفق هذا الأُنموذج المعرفي يصبح للحقيقة ثلاثة وجوه: (وجه عقلي) صوري مجرّد من المادة (مفهوم)، وآخر حسّي مملوء بالمادة القابلة للرصد والتجريب الذي تتملّك الحواس تفصيلاته، ووجه ثالث قلبي يمثّل أخلاق البحث الموضوعي يحدّ من مبدأ الحرية الذي يعمل بموجبه القلب بوصفه ملكة تعقّل وجداني عاطفي تُهذِّب أهواءه منظومة القيم العليا التي يدين لها الإنسان بالولاء، وهي قيم: (الحق، والخير، والجمال)؛ وبهذا يكون القلب ملكة تعقّل تنطق بالحق، وليست ملكة أهواء متقلّبة كما كان يُظنّ.

لقد أُقيم هذا الأُنموذج المعرفي، الذي اتّخذناه منهج بحث لحلّ مشكلة الجدل العقيم، على قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام في معرفة كيفية (إحياء الموتى)، وهي قضية غيبية: ﴿... رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ...﴾[2]، ما يدلّ على أنّ طمأنة القلب لا تقوم على أساس عقلي نظري مجرّد منفصم عن الواقع المحسوس، ما لم تُشفع بتجريب حسيّ مكرّر بأكثر من صيغة الجمع العربية وهي (ثلاثة)، والأكثر منها هو (أربعة)، كاستقراء (مرة + ٣ مرات)، ثمّ نفترض اطّراد طبيعة الظاهرة المُستقرأة.

---

(١) أُنظر: الخفاجي، تومان غازي، وحميدي، خالد كاظم، نظرية علم النقطة في تجديد الفكر العربي (مفاهيم أساسية)، بحث مشترك: ص٣٠.

(٢) البقرة: آية ٢٦٠.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسّم على مقدّمة ومبحثين، تليهما خاتمة للنتائج، فقائمة بمصادر البحث ومراجعه، وأمّا المبحثان فهما:

المبحث الأوّل: مفهوم المقياس في نظرية علم النقطة.

المبحث الثاني: مقياس شهادة الإمام الحسين عليه السلام.

نأمل من الله تعالى أن يوفّقنا في حلِّ المشكلات المعرفية المحتدمة في المجتمع العربي الإسلامي، بتطوير منهج يحسم الجدل العقيم الطويل، الذي أهدر جهوداً فكرية ومادّية ومعنوية كبيرة، ولم يلُح في الأُفق القريب بأنّها سترسي على برِّ أمان؛ لأنَّ المتجادلين إنّما ينطلق فريقٌ منهم من حقيقة عقلية مجرّدة، في حين ينطلق الفريق الثاني من حقيقة حسّية تجريبية، وفريقٌ ثالث ينطلق من حقيقة قلبية أخلاقية إيمانية، وكلّ المنطلقات واضحة المعالم لها أدلّتها الخاصة، وكلّ فريقٍ كأنّه يرتدي نظّارات مختلفاً ألوانُها، فيرى كلٌّ منهم لوناً للحقيقة مختلفاً عن اللون الذي يراه الآخر؛ لذلك يعتقد البحث أنَّ النقطة في حلِّ الخلاف تكمن في تبادل النظّارات أو خلعها جميعاً، وارتداء نظّارة مثلثِ الإدراك في علم النقطة، التي تُريك ثلاثة وجوه للحقيقة في وقتٍ واحد، لا أفضلية لأحدها على الآخر.

المبحث الأوّل: مفهوم المقياس في نظرية علم النقطة

المقياس مقولة فلسفية منطقية[1]، ونظراً لشمولها يُطلق عليها اسم (قانون)، يصطنعها العقل بتركيب مقولتين متلازمتين، نحو (الكم × الكيف)، (السبب× النتيجة)، (الخالق × المخلوق)، إلى غير ذلك، مما يَجمعها مقياس أشمل يُسمّى قانون العقل الثالث، الذي يكشف عن أنّ العقل يعمل عمل الحاسوب بلغة (صفر، واحد)، ويعني الصفر أنّ تياراً كهربائياً لا يمرّ، أمّا الواحد فهو يمرّ؛ لذلك تسمّى هذه الدائرة المنطقية لكهربائية المخ بدائرة (إمّا/ أو، ولا ثالث بينهما).

(١) أُنظر: لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، الموسوعة الفلسفية: ص٤٩١، (مقياس).

يفيد هذا القانون في إنشاء شبكة لُغوية فكرية تقسّم الوجود على كيفيتين متنافرتين تُستعملان لقياس مدلولات الحقيقة قياساً صورياً مجرّداً من المادة، كما يقاس مدلول (مَفْعِل) بأنّه يعني تشكيلاً صورياً ظرفياً مجرّداً، أو (معنىً ظرفياً) مستلاً من كثرة متلبّسة بمادتها، نحو: (منطق، ومنزل، ومورد، و...)، وهذا هو المقصود بالصورية التي تعني التجريد العالي الذي يُتيح للعقل أن يُقيم تجاربه بمعزل عن الواقع الحسّي المستلّ منه بوساطة الصور المتشكّلة في حيز التصوّر المدرك بتخيّل صورة مكانية ثابتة بمعزل عن عبث الصيرورة الزمانية، ما يدلّ على أنّ معرفة الحقائق لها سبيلان[1]:

أوّلهما: معرفة حدسية مباشرة بوساطة الحقائق نفسها، ويُطلق عليها معرفة عقلية فطرية، أي ممنوحة للمخلوق من الخالق.

ثانيهما: معرفة حقيقة بوساطة حقيقة أُخرى عن طريق اكتشاف علاقة بين الاثنين، علاقة تضاد، أو علاقة حدٍّ يسمّى الحدّ الأوسط.

ومثال ذلك حين يُسأل الإنسان: القتلُ خيرٌ أم شر؟ فيقول: شرّ. وهذه معرفة قبلية؛ لأنّها تُشعِر بالألم، ومنها نستنتج أنّ السلم خير، وعليه يكون مقياس (إمّا/ أو) ولا ثالث بينهما مقياس يكشف لنا عن علاقة بين شيئين متضادين تجعلنا إذا عرفنا أحدهما نعرف الآخر بالضرورة، وكلّ ذلك يحصل بطريقة صورية لا تُطمئِن القلب ما لم تستند إلى أساس حسّي واقعي تجريبي، على الأقلّ لأحد طرفي المقياس الذي نحكم به على الحقائق: (إمّا حق × أو باطل)، أو (صحّ × خطأ)، أو (يقين × شك)، أو (صادقة × كاذبة)، ولا ثالث بينهما.

وفائدة هذا المقياس أنّه يختصر نصف الجهد في الاستدلال، أمّا رسوّ مماثلِهِ على الواقع المحسوس، فيعتقد البحث أنّه يستند إلى الغريزة التي أودعها الله في مخلوقاته، التي تحسّ بهيئة: (لذّة × ألم)، إذ تعمل الحواس على إدخال إشارات يفسّرها المخ بأنّها غذاء، أو رزق، وعليه تتقدّم نحوها المخلوقات الحساسة بدافع (اللذة)، وما يُفسّر

(١) أُنظر: الحداوي، طائع، سيميائيات التأويل الإنتاج ومنطق الدلائل: ص١٥٨.

على أنّه غير غذاء، ويسبّب ضرراً للحياة، فإنّها تنفر منه بدافع (الألم)، وما يُفسّر على أنّه غير غذاء ويُسبب ضرراً للحياة فإنّها تنفر منه بدافع الألم، كذلك حال التناسل فيه لذّة تُفيد في تجديد حياة النوع الهالك بمرور الزمن عليه لا محالة، وترك التناسل يُسبّب ألماً؛ لأنّه يؤدّي إلى موت النوع، ولو استجابت المخلوقات بعكس أوامر هذا القانون الإلهي فإنّها ستهلك وتنقرض سريعاً وتضمحلّ الحياة.

إنَّ تصوّر منطق (اللذّة × الألم)، ذي الكيفيتين المتنافرتين، تصوّرٌ قريب إلى التجريد، والواقع أنّ هذا المنطق حين يمارس فعاليته في الحياة يكون له مقياس آخر هو المقياس الكمّي كالذي نستعمله في قياس درجة الطلاب، مقسّمٌ على وحدات تبدأ من (الصفر) وتنتهي بـ(١٠٠)، من دون إهمال المقياس ذي الكيفيتين المتنافرتين، الذي يظهر في (٠ ـ ٤٩/ ٥٠ ـ ١٠٠)، ويتخذّهما العقل مقياساً يظهر بلغة الحاسوب: (إمّا راسب = صفر لا يمرّ تيار، أو ناجح= +١ يمرّ تيار) ولا ثالث بينهما، بإهمال كلّ الكيفيات الكمية التي تقول بوجود ثالث ورابع وخامس كتدريجات فئوية: (راسب، مقبول، متوسّط، جيّد، جيّد جداً، امتياز) إلى غير ذلك، ثمّ تُدرج الكيفيات الفئوية إلى درجات كمّية كالآتي:

العقل مقولة المكان

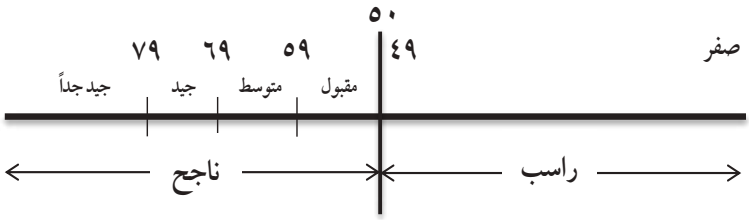

وخلاصة القول: إنَّ مقياس العقل، مقياس مجرّد مثالي ذو الكيفيتين المتنافرتين ولا ثالث بينهما الذي يزوّدنا بمعرفة حدسية تختزل الجهد إلى النصف؛ لأنّ معرفة كيفية واحدة نستدلّ منها على الأُخرى استدلالاً منطقياً برياضيات العقل المجرّد، وهذا وحده لا يُطمئن القلب ما لم نعرف تفصيلات واقعية أُخرى يتكفّل في معرفتها

مقيـاس رياضيات الحسّ، التي تُبيّن التفصيلات التي تأخذ بالحسـبان حركة الزمن، التـي تُغيّر الأشـياء أو الوقائـع تغييراً حتمياً، وهنـا ينتج نظام دقيق مـن تعاضد أدلّة العقـل والحس، فيطمئنّ القلب كملكـة حُكم عقلية تحكم باليقين العلمي النسـبي؛ نظراً لأخذها بالحسـبان التغيّر المستمرّ عبر الزمن، الذي يمكن أن يحدث في المستقبل للظاهرة الواحدة.

نلحـظ أنّ القلـب منقادٌ لنظـام مثلّث الإدراك، الذي يعمل كنظام مسـتقرّ تسـير عليه الطبيعة المسـتقرّة على دستور عقلي غريزي ثابت لا يعبأ بحركة الزمن، تعاضده قوانين تأخذ بالحسـبان حركة الزمن، حتى يحصل التوازن في التغيرات بعلاقة (الكم بالكيف)، أي التغيرات الكمّية تؤدّي إلى تغيرات كيفية، ولا يموت النوع إلّا ويكون تناسلَ عنه مثلُه وأكثر من الأوّل، ومن ثمّ يصبح الميت رزقاً لكائن آخر يحلّله ويعيده إلى ما بدأ منه.

لمثل هذا النظام يخضع الحسّيون، ويُؤازرهم العقل، الذي يُثبت ببرود بأنّ الإنسان ميّـت لا محالـة مـن اسـتقراء تاريخ الإنسـان الذي حـوّل شـخصياته العظيمة وغير العظيمة إلى كلمات مجرّدة، ويلحظ الآن أنّ الزمن يجري ويحوّل الحاضر إلى تاريخ.

يُمثّـل هؤلاء النظـرة الواقعيـة المتطرّفة، التي تحكـم على ثورة الإنسـان على وفق هذه النظرة العبثية بأنّها تُمثل جنوناً يُخرّب النظام الاجتماعي المسـتقرّ بدوافع غريزية، التـي تهمل مقيـاس القلب الذي يعمل مبـدأ الحرية، برفض آلية الطبيعـة التي يراها التعقّـل القلبـي أنّها آلية رياضية دقيقة، تكشـف عن وجهين قويـين للحقيقة: (عقلي وحـسيّ)، ولكن ثمّة وجهاً قلبياً ثالثاً، من دونه يرى الإنسـان وجوده مثيراً للريبة في نهاية المطاف، ومن ثمّ ينقسم بإزائها موقف الإنسان على قسمين:

القسم الأول: قسمٌ له طموحٌ نبيل، يسعى إلى معرفة كلّ شيء، وهنا تكمن الحقيقة التي تميّز الفكر النيّر من الغريزة العمياء، أي يُميّز الإنسان الحر من الحيوان، الذي يعمل شيئاً

واحداً بشكلٍ يُثير الإعجاب، ولكنّه يعجز عن ابتكار شيءٍ آخر يخرق حدود الغريزة[1] ومنطقها الرياضي، الذي يعمل بلغة حاسوب العقل: (إما / أو، ولا ثالث بينهما).

صحيحٌ أنّ المتميّزين قليلون، ولكنّهم أفرادٌ يعدلون الجميع، ما يؤدّي إلى قلب المنطق الرياضي، إذ يصبح الجزء أكبر من الكلّ، يقول أفلاطون (*Platon*) (٤٢٧ ـ ٣٤٧ق.م): «**إنّ الشعب لا يمكن أن يكون قويّاً ما لم يؤمن بالله، وهو إلهٌ حيّ يستطيع أن يحرّك الخوف في القلوب التي استولت عليها الأثرة والأنانية الفردية، ويحملها على الاعتدال في نهمها وشرهها وبعض السيطرة على عواطفها، وفوق ذلك إذا أُضيف على الإيمان بالله الإيمان بوجود حياة أبدية في الآخرة؛ لأنّ الإيمان بالحياة الأُخرى يمدّنا بالشجاعة في مواجهة الموت، على فرض استحالة إثبات هذا الإيمان**»[2].

يقول السيد المسيح عليه السلام: «**مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلّ كلمة تخرج من فم الله**»[3]، في حين يقول المادّيون عكس ذلك: «**بالخبز وحده يحيا الإنسان**»، وكلّ قولٍ يمثّل وجهاً للحقيقة التي لا تكتمل إلّا بجمع ثلاثة وجوه: (عقلي وحسّي وقلبي).

والقلبي الذي يستعمل كلمة الربّ: (كن فيكون)، وهو الذي يُنقذ العقل المجرّد من البحث عن أرض صلبة يستند إليها بناؤه الفكري المجرد من المادة؛ إذ يعجز العقل عن التراجع إلى ما لا نهاية له من أسباب، ما يجعل كلّ استنباط جديدٍ خالياً من المعنى، فإذا كان العقل يستند إلى استقراء الواقع ويستخلص منه بديهياته التي لا تحتاج إلى برهان، فإلى أيّ شيءٍ يستند الواقع؟!

هذا العجز في التراجع السببي إلى ما لا نهاية يجعل العقل إمّا أنْ ينقض مبادئه التي بنى عليها أفكاره، أي ينقض نفسه بنفسه، ما يحطّم الضرورة المنطقية في رياضياته،

(١) أُنظر: بري، رالف بارتون، إنسانية الإنسان: ص٤١ـ٤٢.

(٢) ديورانت، وِل، قصّة الفلسفة: ص٣٨.

(٣) إنجيل متّى: إصحاح٤، آية٤.

التـي لا تحتمل هذا النقض في بحثه عن اليقين المطلق. أو الوقوف عند نقطة تعسّـفية كما نجدها عند ديكارت الذي لو تابع «**شكوكه وتجريداته إلى أبعد مدى ممكن بدلاً من إيقافهـا عند نقطة معيّنة اختارها بشـكلٍ تعسّـفي؛ لتبيّن له كيـف يتوجّب عليه بالمثل أن يشكّ في ملكاته وفي مقدرته على التفكير، وأخيراً في مقدرته على الشك**»[1].

وبدلاً من التعسّـف العقل يُنقذ العقل ينقض نفسـه بنفسه، تأتي مَلَكة القلب التي تسـتعمل (الكلمة) وسـيطاً لتقـول: إنّ العالم المحسـوس المتحرّك عـبر الزمن حرّكه «**المحـرّك الأوّل الـذي لا يتحرّك هـو واحد وواحد فقط**»[2] بكلمـة (كن فيكون)، ولا تناقض هناك؛ لأنّ تصوّر المؤمن بالله يسمح أن تجتمع النقائض فيه (مُحرِّك لا يتحرّك)، فإذا قيل: لكلّ مخلوقٍ خالق فمَن خلق الخالق؟ يقول القلب: هو خلق نفسَه بنفسه.

قال الحكيم الصيني (لاوتسي) مصوراً منطق القلب أو قانونه أو (مقياسه):

الإنسانُ يتَّخذ الأرضَ قانوناً له.

والأرضُ تتَّخذ السماءَ قانوناً لها.

والسماءُ تتَّخذ الطريقَ (الله) قانوناً لها.

والطريقُ يتَّخذُ قانونَه من نفسهِ [3].

وباسـتعمال المقيـاس القلبي سـنحكم على صحّـة ثورات الشـهداء ومنهم الإمام الحسـين عليه السلام، الـذي واجـه بإيمانـه أعتـى إمبراطوريات الظلـم التي صـادرت حريّة الإنسـان، وأهانت كرامته باسـتعبادها إيّاه، فلم يقِف بوجهها، إلّا اثنان: الحسين بن عـلي بالتعقّـل القلبي، وعبد الله بن الزبير بالتعقّل القلبي المشـوب بالعاطفة. والأوّل أشـمل يسـتوعب الثاني ويتجاوزه، بحسبان العاطفة وسـيلة تُعيق الحرية، ولا يصحّ العكس حتى تثبت العاطفة سُمُوها إلى مستوى التعقّل القلبي.

---

(١) أُنظر: العظم، صادق جلال، دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة: ص٧٨.

(٢) أُنظر: تايلور، إلفرد إدوارد، أرسطو: ص٧٣.

(٣) لاوتسي، الطريق والفضيلة: ص٥٨.

القسم الثاني: قسمٌ من الناس مادّي ليس طَموحاً في معرفة كلّ شيء، وإنّما يكتفي بما تدركه حواسّه وعقله من دون قلبه، بأنّه أفضل من الحيوان؛ لذلك من حقّه أن يسخّر الحيوانات لمصالحه. وهؤلاء هم الكثرة الذين يُهيمنون على المجتمع كقوّة عددية، ويُمثّلون وجهين للحقيقة (العقلية والحسّية) من دون حراك قلبي أخلاقي، وهم ينظّمون الحياة بالصناعة والفنون والعمران؛ إلّا أنّهم لا يتطاولون على الأقوياء؛ ليُشعروهم بأنّهم متساوون معهم كعبيد لإله واحد؛ لذلك ينساقون لحياة الدعة والجاه وكلّ مصادر القوّة (السلطة والمال والسلاح)، وهي حياة لا فكرَ حرّاً فيها؛ لأنّ الناس لا تتجه إلى التفكير حتى تكتنفها الصعاب، وتواجهها العقبات في أُمور لا مناص للخروج منها، وكذلك هي حياة التجار والعبيد فإنّهم يكتفون بإشباع أساسهم الحيواني الغريزي، وقد وصفهم الإمام علي عليه السلام بوصفٍ نفاه عن نفسه بقوله: «**فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلافِهَا، وتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا**»[1].

يُنشئ هؤلاء حكوماتٍ ودولاً قوية مستقرّة ولكنّها من دون أخلاق سامية، ويسنّون القوانين التي تخدم مصالحهم أوّلاً، ومن ثَمّ تخدم رعاياهم، ولا بأس عندهم في الفتك بأيّ معارضة لسياستهم، والناس تؤيّدهم؛ لأنّها تحبّ الاستقرار الاجتماعي وتُعجب بالقوي الجبّار؛ لذلك هم يُمثّلون حقائق اجتماعية ونفسية، ولكنّهم عاجزون عن مطاولة المُثُل الأخلاقية العليا، التي يتغاضى عن ذكرها كثيرٌ من المؤرّخين وعلماء الاجتماع قديماً وحديثاً، فيصدرون أحكاماً يدَّعون أنّها تُمثّل حقائق كلّية مطلقة، ومنهم ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) الذي يُسوِّغ بنظرية العصبية عودة النظام الاجتماعي والسياسي الجاهلي، الذي لا ننكر أنّه يُمثّل الحقيقة التي أثبتت سطوتها بعد الخلافة الراشدة، ولكنّها حقيقة ناقصة ما لم تُقوَّم بمقياس الأخلاق الإسلامية، وإلّا حدث جدلٌ طويلٌ عقيم، ينمّ على الجهل الناتج من انفتاح

(١) نهج البلاغة، ضبطه صبحي الصالح: ص٥٧٥.

مثلث الإدراك الذي يحصر نقطة الحقيقة في حيّزٍ ضيّق، يلزمنا أن لا نصدر حُكماً ما لم نكتشف ثلاثة وجوه للحقيقة: (الوجه العقلي، والحسي، والقلبي الأخلاقي)، فنكون موضوعيين لا نميل إلى الماديين فَنُتَّهم بالواقعية المتطرِّفة، ولا نميل إلى المثاليين فنُتَّهم بالانفصام عن الواقع، ونكلّف الناس بما لا يطيقون حين نُكرههم على السلوك ضدّ طبائعهم؛ لذلك يُصبح حُكم المثالية الأخلاقية، التي تجسّدت في الشخصيات كمُثُل واقعية، مفيداً لمعرفة نسبة سلوك معظم الناس بالقياس إلى أعلى درجة يمكن أن يُحقّقها الإنسان ٩٩٪، لنعرف الدرجة الناجحة من الراسبة؛ لنحثّهم على تحسين حالهم من دون تعنيفهم؛ لأنَّ العنف يجعلهم منافقين يقولون ما لا يفعلون.

بهذا تُفنِّد مقاييس نظرية علم النقطة مزاعم المدارس والمذاهب والاتجاهات المتنافسة التي تدّعي اليقين المطلق في المعرفة، سواء المادية منها أم المثالية، وتحفظ في الوقت نفسه لكلّ مدرسة حقوقها المعرفية النسبية في النظر إلى الحقيقة، التي تتجلّى فيها أحد الوجوه الثلاثة، بمعنى أنّ نظرية علم النقطة تعلو فوق المشاحنات[1]؛ لأنها تجتهد في التأليف بين معارف الملكات الثلاث: (العقل، والحس، والقلب) لمقاربة الحقيقة وحصرها في حيّزٍ ضيق يقلّل الجدل العقيم حولها، الذي يدلّ على الجهل، مختاراً من كلّ مدرسة ما أتت بهِ من نتائج إيجابية، متجاهلةً منها ما كان صدوداً عقيماً عن الاتجاهات الأُخرى؛ لأنّ الصدود ينمّ على عدم فَهم الآخرين، بل قد ينمّ أحياناً على عدم فهم المدرسة لآرائها نفسها، ولو فهمت المدرسة الواحدة آراءها لما خاضت في جدلٍ عقيم طويل لا نهاية له، فمثل هؤلاء يسمّون مثابرين، ولا يسمّون أحراراً يصلح عليهم قول الشاعر:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها ... فلم يضرُّها وأوهى قرَنه الوعلُ[2]

(١) أُنظر: لالو، شارل، مبادئ علم الجمال: ص٢.

(٢) البيت للأعشى ميمون بن قيس، من لاميّته المشهورة، وهو من شواهد ابن عقيل رقم (٢٥٧): ج٣، ص٩٠، وشواهد الأشموني برقم (٦٩٨).

أو يسمّون جهلة؛ لكثرة ما خاضوا من جدلٍ طويل في القضية الواحدة، على وفق مقياس الإمام علي عليه السلام: «**العلمُ نقطة كثّرها الجاهلون**». المذكور سابقاً.

المبحث الثاني: مقياس شهادة الإمام الحسين عليه السلام

١ـ اتّساع مجال القيم في مقياس الحسين عليه السلام

إنّ المقياس الذي يتّخذه الثائر أو الشهيد مقياساً قلبياً، يربط مبدأ الحرية القلبية باعتقاد فكري راسخ، يرى صاحبه أنّه يُرضي الله، ويُثبت تلك الفكرة الاعتقادية بتجربة حسّية ملموسة بالسلوك منزّهة عن الميول العاطفية والشخصية الضيقة التي تحكم معظم قلوب الناس، وبهذا يُصبح القلب ملكة تعقّل، ترفض تقريرات العقل ومنطقه الرياضي الثنائي: (خير × شرّ، ولا ثالث بينهما) إذا استبدّ العقل بمفرده بالحُكم.

وتُفكِّر ملكة القلب على طريقتها غير المألوفة، التي تجعل معظم الناس يَتّهمون صاحبها بالجنون، كما اتُّهم النبي صلى الله عليه وآله بذلك، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾[1]، وهذا يجُبر العقل على الإقرار بصدق الفكرة الأخلاقية القلبية التي تعزّزها الشواهد والتضحية التجريبية، فيقترح العقل فرضية أو نظرية تفسّر اتساق السلوك بنسق منطقي، فينغلق مثلث الإدراك على مقاربة الحقيقة.

والنسق البرهاني المُعزَّز بالشواهد التاريخية الحسّية هو الذي يكشف عن وجه الحقيقة العقلي المنطقي عن طريق النظام الاستدلالي المنضبط، الذي يكشف بدوره عن تناقض بعض النصوص التاريخية المزيفة في العصر العباسي، المُبغض للثوار العلويين أكثر من بغض بني أُمية لهم؛ لأنّ العباسيين ثاروا باسم العلويين، ثمّ انقلبوا عليهم فواجهوهم بقلوبٍ لا تختلف عن قلوب جميع الثوار بوعيهم الثوري الاستشهادي، الذي يُفكِّر بمنهجٍ غير مألوف، يلائم ظروفاً غير مألوفة لقيم الإسلام، فسلكت منطقاً يُخالف منطق العقل المبني على غريزة: (لذة × ألم).

---

(١) المؤمنون: آية ٧٠.

ومثـال التفكير غـير المألوف في الظروف غير المألوفة: تصـرّف أُنثى الدب، التي لا تجـد طعامـاً لها ولِدَيسـميها، فتعمـد إلى أكل أحدهما؛ للحفاظ عـلى حياتها وحياة دَيسمها الآخر.

وكذلك يخالف الإنسـان المنطـق المألوف ولكنّ بحكم تمايز أخلاق الإنسـان من الحيوان، فإنّه يبتكر منهج التضحية بنفسه من أجل حياة الآخرين. وقد يسلك معظم بنـي البشر طريقـاً أخسّ من طرائـق الحيوان مُسـخّرين عقولهم للشر؛ إذ يسـرقون ويفتكون ويغدرون بإخوانهم الذين يمرّون بالظروف الصعبة نفسـها، إلّا أنّ قلّة من بني البشر تكتشـف في مثـل هذه الظروف وجود إمكانـات في قوانين العالم المعروف وفي الطبيعة، وفي مناهج المعرفة لم تُكتَشف من قبل، فتزوِّد العقل بأنواع من الخيارات التي تعدّ صادقة كإمكانات للحقيقة، يداعبها الخيال بطلاقة على الرغم من أنّها كانت من قبل مسـتحيلة وغير معقولة، فالخيال هو الوساطة التي تمكّن العقل الإنساني من التحرّر من تحكّم العادات، وهو لا يعترف بالمستحيل، وإنّما يعترف بالقدرة المرنة على الإبداع الذي يستهوي الإرادة، ليصبح الإبداع متاحاً للاختيار الحرّ الذي يُطلق عنان العاطفة من محبسـها الأناني الضيّق، لتشـمل الآخرين بعلاقة تُسـمّى (التعاطف)[1]؛ لذلك قيل: (مَن يشعر بآلامه فهو حيّ، ومَن يشعر بآلام الآخرين فهو إنسان).

هكـذا تعاطفَ الحسـينُ عليه السلام مع أهل الكوفـة حين دعاه بعضهم لحـربٍ يعلم أنّها خـاسرة مسـبقاً، لعلمه بأخـلاق معظم أهـل الكوفة، بأنّها غـير مهيّأة لثقافة شـهادة الأحرار، وقد حذّر ابنُ عباس الحسـينَ[2] ـ وغيره كثيرون ـ من غدر أهل الكوفة[3]،

(١) اُنظر: بري، رالف بارتون، إنسانية الإنسان: ص٤٤ـ٤٥.

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، صحابيّ جليل، وُلد بمكة ولازم الرسول صلى الله عليه وآله وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع علي عليه السلام معركة الجمل وصفّين، توفّي في الطائف سنة (٦٨هـ). اُنظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج٤، ص٩٥.

(٣) قال ابن خلدون: «ولقد عذله ابن عباس وابن الزبير، وابن عمر، وابن الحنفية أخوه وغيره في مسيره إلى الكوفة». ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدّمة: ص٢١٧.

ووضعوا بين يديه بدائل كثيرة، ولكنّها لا تطابق المقياس الشهيد القلبي؛ لأنّها تحكّم رياضيات العقل والحسّ التجريبي الواقعي فحسب، وتهمل منطق القلب. وقد عرف هو وابن الزبير أنّهما مقتولان لا محالة[1]؛ لأنهّما الوحيدان اللذان رفضا تحويل الخلافة الإسلامية إلى ملكية وراثية تورّث للصبيان الفاسقين، وأبرز الأفكار التي عُرضت على الحسين كتدابير تؤمّن حياته ورفضها جميعاً، وهي:

أ) قال ابنُ عباس: «**وإنْ أبيت إلّا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكّة فاشخص إلى اليمن، فإنّها في عزلة**»[2].

لقد رأى الحسينُ في هذا المقترح معوّقاً للحرّية؛ لأنّ العزلة تجعل الإنسان مشغولاً بذاتيّته وبنفسه، فيعيش في «**عالم إقليمي صغير، وقد اعتنق جزءاً ضئيلاً جداً من قيم العالم الأكبر. إنّ العلاج الوحيد لهذا التعامي هو التعاطف، أي: قوّة الشعور التي تتغلغل إلى أعماق الآخرين وتشارك في اتجاه حياتهم العاطفية**»[3]. وهم أهل الكوفة الذين دعوه للشهادة، ولم يدعُه أهلُ اليمن ليشاركهم هذا الشعور، فضلاً عن علمه أنّه مستهدف في أي مكان: «**وأيم الله، لو كنت في حجر هامّة من هذه الهوامّ لاستخرجوني... ليعتدُنّ عليَّ كما اعتدتْ اليهود في السبت**»[4]. فلا حاجة بعد ذلك إلى البحث عن العزلة وطلب الأمان، ما دام قرّر أنْ لا يبايع فاسقاً، وقرّر الفاسق أنْ يقتله أينما كان.

ب) قال ابن عباس: «**فإن عصيتني وأبيت إلّا الخروج إلى الكوفة، فلا تُخرجنّ نساءك**

---

(١) قال مروان بن الحكم لوالي المدينة الذي ورده كتاب فيه نعي معاوية وتولية ابنه يزيد بشأن الحسين وابن الزبير: «إنّهما والله إنْ خرجا لم ترَهما، فخذهما بأن يبايعا وإلّا فاضرب أعناقهما». اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج١، ص٢٢٨.

(٢) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج٣، ص٦٤. أُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٠.

(٣) بري، رالف بارتون، إنسانية الإنسان: ص٤٦.

(٤) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٠.

وولدك معك، فوالله إنّي لخائف أن تُقتل كما قُتل عثمان ونساؤه ووُلده ينظرون إليه»[1].

لقد التفت ابن عباس إلى إحدى الوسائل التي تضيّق مجال القيم، وهي ميل الوسائل إلى أن تكون معوّقة للأهداف، لكن هل اصطحب الحسين النساء والأطفال والصبيان لغرض استدرار عطف الناس لينصروه أو يخفّفوا عنه وطأة الموت؟! الجواب: كلا؛ لأنّه أبلغ أهل بيته وذويه بمصيره وخيَّرهم، فاختاروا أن يشاركوا برحلة الوعي الحرّ بعالم القيم، ولم يُكره أحداً من إخوته وغيرهم على اختيار عالم القيم، ويدلُّ على ذلك نصيحة مَن صاحبوه في أوّل خطوة خطاها من المدينة إلى مكة بقولهم: «**لو تنكّبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير... قال: لا والله، لا أُفارقه حتى يقضي الله ما هو أحبّ إليه**»[2]. ما يدلّ على علمهم بمصيره الذي جعله رهناً بيد القدر كخيار حرّ اختاره بنفسه. وفي هذا الردّ علَّمَ مَنْ معه معنى الحريّة كوعي عملي ضروري مُلزم مشحون بالإرادة الحرّة، وليس فكرة نظرية تحتمل الضرورة والإمكان.

ج) حين أُشير عليه أن اكتب: «**إلى أهل الكوفة وأنصارك بالعراق فيخرجوا أميرهم [الأُموي]، فإنْ قووا على ذلك ونفوه عنها، ولم يكن بها أحد يعاديك أتيتهم...**»[3].

رفض هذه الفكرة؛ لأنّها تعيق رحابة مجال القيم بالفتور[4]، فيسبقه غيره ممَّن كتبوا إليه، فينالوا السبق في شرف الشهادة[5]، ويصبح هو وأهل بيته تالين متهمّين بفتور الإرادة. ويظهر ذلك في ردّه على اعتذار رسوله إلى الكوفة، وهو مسلم بن عقيل الذي كتب إليه أن يعفيه لتشائمه من ضلال الدليلين للطريق، فماتا ونجا مسلم

---

(١) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج٣، ص٦٥. أُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٦٠.

(٣) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج٣، ص٦٤. أُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٤.

(٤) أُنظر: بري، رالف بارتون، إنسانية الإنسان: ص٤٦.

(٥) أُنظر: جاء بالله، حمادي، دراسات فلسفية (العلم في الفلسفة): ص١١٨.

بحشاشة نفس، فكتب إليه الحسين عليه السلام: «**أمّا بعدُ، فقد خشيتُ أنْ لا يكون حَملك على الكتاب إليَّ إلّا الجبن، فامضِ لوجهكَ والسلام**»[1].

وحين رقَّ قلب أُخته زينب عليها السلام لحاله وبكت في ليلة مقتله، بيّن لها أنّ موقف الشهادة موقف فخرٍ وعزٍّ، وليس موقف ضعفٍ وفتورٍ بالإرادة؛ لذلك قال لها: «**اتقي الله، فإنّ الموت نازلٌ لا محالة... إنيّ أُقسمُ عليك فأبرّي قسمي: لا تشقِّي عليَّ جيباً، ولا تخمشي عليَّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور**»[2].

د) حين أشار عليه فريقٌ من الناصحين غير الأحرار أنْ يستدرّ عطف الناس بإقامته بمكة، ومنهم ابن الزبير الذي قال له: «**فأقِم إنْ شئت وتولّيني أنا الأمرَ فتُطاع ولا تعصى. قال: لا أُريد هذا أيضاً**»[3]؛ لأنَّ استدرار عاطفة الناس بثأر أو بالدفاع عن انتهاك مقدّسات، أو تأميلهم بالفوز والعطاء ونحو ذلك، إنّما يُعدُّ من معوّقات توسيع حقل القيم، التي تشغل الذات الثائرة بالتفكير في الوسائل التي تؤدّي إلى غاية ضيّقة، قد تتحكّم قسراً بالإنسان من دون أن تكون قد اختيرت عن سابق قصد، وبعدها يصبح كلّ اختيارٍ مرهوناً بالوسائل التي تؤدّي إليها.

إنَّ ممارسة الاختيار الخالص تتطلّب ذوقاً مميزاً تبعد الحرّ عن لجاجة الشهوات، والحماسة الطائفية، وعن سَوْرَة الغوغاء، وأيّة قوّة أُخرى تُميت القلب وتَحُول دون توسيع مجال مملكة القيم[4].

هـ) إنَّ المُثُل الواقعية العليا التي يجسّدها الشهيد تمثِّل تصوّراً واسعاً وعميقاً[5] يتّسع للجميع، ولا ينقصه شيءٌ حين يخرج منه جميع مَن انضمّوا إليه باستثناء صانعه الأوّل، وتظهر تلك السعة والعمق فيما يأتي:

---

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٦.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٣٠.

(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٠.

(٤) أُنظر: بري، رالف بارتون، إنسانية الإنسان: ص٤٦ـ٤٧.

(٥) أُنظر: العظم، صادق جلال، دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة: ص١٧٧.

أوّلاً: أشار عددٌ من المصادر التاريخية إلى أنّ الحسين عليه السلام حين سمع بمقتل مسلم بن عقيل «**همَّ أن يرجع ومعه خمسة من بني عقيل، فقالوا له: أترجع وقد قُتل أخونا؟!**»[1].

ومصادرنا التاريخية التي ينقل بعضها من بعض لا تُفرِح كثرتُها، وكثرة ما تناقلته من قصص تعكس وعي المؤرِّخ الساذج، الذي تصوّر الحسين كأنّه شخصية خائفة متردّدة لا يمكنها إلّا أن تستسلم للبيعة من أوّل تهديد، ولا تزجّ بنفسها بهذا الموقف الذي تصوّره المؤرِّخون؛ لذلك نرجّح رواية ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) بأنَّ الإمام الحسين عليه السلام قال: «**يا بني عقيل، حسبكم من الفتك بمسلم، اذهبوا فقد أذنتُ لكم. فقالوا: لا والله، بل نفديك بأنفسنا وأهلينا**»[2].

وبهذا الاختبار ضَمنَ الحسين حرية اختيار أبناء عمِّه بعد مقتل أخيهم، بأنْ منحهم خيارين وسمح لهم أن يتّخذوا قراراً جديداً نابعاً عن سابق قصد وتصميم في الظروف الجديدة، إلى جانب التفكير بالنتائج التي جعلتهم يتبنّون موقفاً معيناً، ويستثنون البدائل الأُخرى المسموح لهم بها[3].

ثانياً: حين قدِمَ الحسين عليه السلام الكوفة ظنَّت الناس التي مرَّ بها أنّه قادمٌ على مغنم، فلحقوا بركبه فخاطبهم ليكتشفوا إمكانات حرّيتهم في الموازنة بين خياري الطمع والشهادة، قال: «**قد خذلتنا شيعتنا، فمَن أحبَّ أن ينصرفَ فلينصرف، ليس عليه مِنَّا ذِمام. فتفرّقوا يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من مكة**»[4].

ثالثاً: خيّر الحسين عليه السلام جميع مَن بقي معه في آخر ليلة من حياته بقوله: «**ليأخذ كلُّ رجلٌ منكم بيد صاحبه، أو رجل من إخوتي، وتفرّقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاءِ القوم، فإنّهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم... قالوا: يا بن بنت رسول الله، وماذا يقول الناس، وماذا نقول لهم إذا تركنا شيخنا وسيّدنا**

(١) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج٢، ص٥.
(٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج٤، ص١٥٤.
(٣) اُنظر: بري، رالف بارتون، إنسانية الإنسان: ص١٤٢ـ١٤٣.
(٤) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٤.

وابـن بنـت نبينا محمـدﷺ، لم نـرمِ معه بسـهم، ولا نطعن عنـه برمـح، ولا نضرب معه بسـيف؟! لا والله... لا نفارقـك أبداً، ولكنّنا نفديك بأنفسـنا، ونُقتل بـين يديك، ونَرِدُ موردك، فقبّح الله العيش بعدك»[1].

المشـكلة في حرّيـة الاختيار ليسـت فيما يقول النـاس، وإنّما في (مـاذا نقول لهم؟) لو سـألونا عن أسـباب تركـكم مَن جئتم معه وأنتم تعلمـون الموت مصير صحبتكم لـه؟! عند ذاك يكون أمامنا خياران لإجابتهم، همـا: (الجبن، أو هو أذِن لنا). وهذان الخياران يمثّلان قيوداً للحرية؛ لأنّهما محدودان بضيق الأُفق؛ لوجود خيار مثالي واسع جداً هو الفداء بالنفس عمَّن يريد أن يفدينا بنفسه.

هـذه الصورة من ابتكارات الخيال الملائمة للفكر الحرّ، التي أراد الحسـينعليه السلام أن يملأها بمضمونها الحسّي وحده، فكان الردّ: أنّ صورة الشـهادة لا تكتمل بمعاناتك التـي يفرضهـا العـدو عليك كقيـد خارجـي، وإنّما بمعانتـك وأنت تـرى الأحباب يموتون دونك.

و)يفسّر بعضهم أنّ الخيارات التي عرضها الحسين في أشدِّ المواجهات احتداماً في طريـق الحرية، أنّها تمثّل ضعفاً، والصحيـح عكس ذلك، ومثال ذلك ما فاوض عليه عمر بن سـعد بثلاثة خيارات كتبها لابن زياد بقوله: «**هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن نسـيرّه إلى أيّ ثغرٍ من ثغور المسـلمين شئنا، فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده**»[2].

هذه الخيارات الثلاثة تمثّل شروط الحرية التي اختارها الحسـين بنفسـه، ولا تلبّي شرط السلطة المقيّدة لحرّيته، وهو الإكراه على بيعة يزيد، وهو المطلوب، وقد كتبه ابن زياد إلى عمر بن سـعد: «**أن يعرض على الحسـين بيعة يزيد**»[3]. ما يجعل عبارة: (يضع يده بيد يزيد) فهي لا تعني البيعة التي تُعدّ وثيقة قانونية يحقّ لَمن يملكها القضاء على

(١) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٦٩ـ١٧٠.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٧٥.
(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤١٢.

الناكث بالعقوبة أو السقوط في أعين الناس، وإنّما تعني توسيع شروط الحرية التي أصبحت بها ثلاثة خيارات؛ لذلك يمكن تأويل العبارة بأنّها وسيلة لنقل المناجزة من كربلاء إلى الشام، ليتسع أُفق المعارضة إعلامياً من دون نزع السلاح، وهو ما أدّته النساء والأطفال، حين تسأل الناس مَن هؤلاء السبايا؟! فيظهر تناقض يأباه منطق الناس المبني على الغرائز، إذ يأتيهم جوابان متنافران:

الأوّل: هؤلاء شرّ الأشرار.

والثاني: هؤلاء خير الأخيار.

فيشتغل مقياس العقل الذي يقول: (إمّا أشرار× أو أخيار) ولا ثالث بينهما، وحين يسألون عن نَسَبِ هؤلاء يجدونهم من خيار الناس قاطبةً في عصرهم.

ز) لقد كُتِبَ تاريخ هذه الواقعة وغيرها بطريقة الرواية المسموعة، لا بطريقة المشاهدة التي اشتُهر بها (هيروديت *Herodotus*)[1] (٤٨٤ ـ ٤٦٥ ق.م) الذي استحقّ بسبب هذا المنهج اسم (أبو التاريخ)، وقد دُوِّن أكثر تاريخنا العربي الإسلامي في العصر العباسي الذي عادى العلويين أكثر من معاداة الأُمويين لهم؛ لذلك تواجهنا قصص تقلّل من أخلاق شهداء معركة الطف بأنّها تنمّ على الجبن والضعف في التخطيط، ولا سيما التي تدور حول سفير الحسين إلى الكوفة، وهو مسلم بن عقيل، الذي يروي التاريخ له أنّه لم يُنفذّ اغتيال ابن زياد والي يزيد على الكوفة، بعد أن وافق عليه في بيت هانئ بن عروة، بحجّة أنّ الاغتيال يتعارض مع القيم الأخلاقية الدينية[2] لقول النبي صلى الله عليه وآله: «**الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن**»[3]، وكراهية هانئ أن يُقتل في منزله، في الوقت الذي يقول فيه هانئ له: «**لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً**»[4]

(١) أُنظر: هيروديت، بحث متاح على موقع الموسوعة الحرّة: *www.wikipedia.org*.

(٢) أُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٩٠.

(٣) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج١، ص٩٦.

(٤) المصدر السابق: ج٣، ص٣٩٠.

تُكرَّر هذه القصّة مرّتين، وفي كلتيهما يوافق مسلم على الاغتيال مرّة في بيت هانئ وأُخرى في بيت شريك بن الأعور[1]، ثمّ يتراجع عن التنفيذ تحت نفس الأسباب ما يجعل القصّة مصطنعة بهدف إثبات جبن مسلم بن عقيل.

والصحيح أنّها قصّة واحدة كما وردت في تاريخ الطبري[2]، بأنّ شريك بن الأعور الذي وفد من البصرة مع ابن زياد وهو من الشيعة قد مرض في الطريق أو تمارض؛ لتأخير ابن زياد حتى يسبقه الحسين، فتركه ابن زياد مع جماعة، وحين وصل شريك الكوفة بعدَ ابن زياد نزل دار هانئ، وتداول مع مسلم على اغتيال ابن زياد الذي عزم على زيارة ابن الأعور في بيت هانئ للاطمئنان على صحّته، فرفض مسلم فكرة الاغتيال، مُحتجّاً بالحديث النبوي كقيمة دينية، وعزّز هانئ الرفض محتجّاً بقيمة أخلاقية اجتماعية، فاجتمعت لدى مسلم حجّتان، أدلى بهما حين عاتبه ابن الأعور على عدم اغتنام الفرصة، ما يدلّ على أنّ هانئاً ومسلماً كانا من الأحرار مع اختلاف الوسائل التي تلتقي بمنهج واحد هو منهج الحسين، وهو أن لا يبدأ القوم بقتال[3]؛ فيكون مطلوباً بثأر، بل كان يريد العكس، الذي يسلب أي شرط يقيّد حرّيته ويجعله سلاحاً منطقياً أخلاقياً بيد الأعداء، ويظهر ذلك في قوله: «**أتطالبوني بقتيلٍ منكم قتلته؟! أو مالٍ لكم أخذته؟! فلم يكلّموه**»[4].

هكذا تطابق شرف وسائل الحرية مع غاياتها؛ لأنَّ الوسيلة القبيحة لا تسوِّغ الغاية الشريفة في أخلاق الشهيد، وعلى هذا الأساس أخطأ ابن الأعور في إدراك أخلاق الشهادة التي أدركها مسلم بن عقيل خيرَ إدراك، حتى أنّه لم يستنفر مَن بايعه

(١) أُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص١٥٥.
(٢) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٧١.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ج٤، ص٣٠٩. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج٤، ص١٥٥.
(٤) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج٤، ص١٥٥.

ـ الذين قدّرتهم كتب التاريخ [1] بأكثر من ٣٠ ألف مقاتل ـ في منع ابن زياد من دخول الكوفة حتى يسبقه الحسين، علماً أنّ ابن زياد قدِم إلى الكوفة بثلّة من النساء والأطفال والعبيد، وحين أراد مسلم الانتصار بهذا الجيش الجرار لهانئ بن عروة الذي ضُربَ وحُبسَ، تصرّف هذا الجيش تصرّفاً حيوانياً يقوم على مبدأ: (اللذة × الألم) الغريزي، فتفرَّق عنه فبقي وحيداً، فضاقت به بيوت الكوفة بما رحبت، فآوته امرأة فاطّلع ابنها على مكانه، فسلَّمه ليقُتلَ ويُرمى من أعلى قصر الإمارة، وتُجرّ جثّته وجثّة هانئ في الأسواق.

وخلاصة القول: إنّ مبادئ أو قوانين التعقّل القلبي تُبنى على نماذج فردية تثبت أنَّ (الجزء أكبر من الكلّ)، وهي تخالف رياضيات العقل وحسابات الحسّ القائمة على (مساواة الكل للأجزاء)؛ لذلك تكون هذه النماذج قليلة في التاريخ، ولكنّها موجودة ومثيرة للتنبّه، فلا يعاب عليها قلّتها؛ لأنَّ القلّة خصيصة جوهرية فيها، كذلك قال الشاعر:

تعيرّنا أنّا قليلٌ عديدُنا ... فقلت لها إنَّ الكرامَ قليل [2]

بمعنى أنّ أخلاق القلب الطامح لتحقيق واقعية المُثُل مبنية على نظرية الإنسان الفرد، الذي يثور وهو مؤمن بمبادئ كلّية تنتصر على الجميع، وتعرِّي أخلاقهم الحيوانية المبنية على غريزة: (اللذة × الألم)، وقد أعادت نظرية الفرد تصحيح تعريف الإنسان العقلي النظري بالجنس (حيوان)، والنوع (عاقل)، إلى تعريفه تعريفاً قلبياً عملياً بالجنس (حيوان)، والنوع (أخلاقي)، إذ ظهر في مجتمع أهل الكوفة من الذين لم يبايعوا الحسين فرداً واحداً جسَّد هذا التعريف منتصراً على المبدأ الغريزي، اسمه (الحر) ـ الذي أصبح هذا الاسم الاعتباطي سمةً له، وليس دلالة عليه، أي أنّ الألفاظ التي نبرهن

(١) أُنظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج١، ص٤. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٥٨. ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج٢، ص٤، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص١٥٤.

(٢) ديوانا عروة بن الورد والسموأل: ص٩٠.

على صدقها تمثل حقائق ـ إذ «**أقبل يدنو نحو الحسين قليلاً قليلاً، وأخذته رعدة، فقال له رجل من قومه ـ يُقال له: المهاجر بن أوس ـ: والله، إنّ أمرك لمريب... ولو قِيل: مَنْ أشجع أهل الكوفة؟ لما عدوتُك. فقال له: إنّي والله أخيّرُ نفسي بين الجَنّة والنار... ثمّ ضرب فرسه فلحق بالحسين، فقال له: جعلني الله فداك يا بن رسول الله، أنا صاحِبُك الذي حبستُك عن الرجوع، وسايرتُك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان، ووالله، ما ظننتُ أنّ القوم يردُّون عليك ما عرضت عليهم أبداً...**»[1] ـ من شروط تمثّل حقوق الإنسان في الحرية.

ثمّ عرّى علي بن الحسين عليهما السلام ـ الشخص الناجي الوحيد من بين الشهداء[2] بسبب مرضه ـ نساءَ أهل الكوفة بما أنجبن من رجال لا أخلاق ولا إنسانية لهم، حين حُمِلتِ السبايا إلى ابن زياد «**فخرجت نساء الكوفة يصرخنَ ويبكينَ، فقال علي بن الحسين: هؤلاء يبكون علينا فمَن قتلنا؟!**»[3].

٢ـ ضيق مجال القيم في مقاييس الدارسين

حين أثبتنا صحّة نظرية الفرد الثائر المُطالِب بالحقوق التي تحفظ كرامة الإنسان، كشخص يجسّد أو يحقّق المُثُل النظرية الصعبة المنال، بما أسميناه بـ(المُثُل الواقعية) القلبية في نظرية علم النقطة، فإنّنا يجب أنْ نحذّر من استعمال مقياس المُثُل غير القابلة للتجسيد ذي الكيفيتين المتنافرتين (أسود × أبيض) ولا ثالث بينهما، فنحكم حكماً مطلقاً (دوغمائياً) بأنَّ كلّ مَن لم يُقتل إلى جانب الشهيد المثالي بأنّه كافر وفي النار، ونديـن ٩٩٪ من المسلمين في ذلك العصر، متّهمين مَن لو كنّا مكانهم لكنّا مثلهم، علماً أننّا لم نعِش في عصر ذهبي يصون حرّياتنا ويحفظ كرامتنا، فالظلم موجود الآن، والشهداء الرافضون لهم موجودون أيضاً نحبّهم بقلوبنا، ولكنّنا نُسهم في قتلهم

(١) اُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٢١. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج٤، ص١٥٥.

(٢) اُنظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٣٠.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج٢، ص٥. اُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٣. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج٣، ص٧١.

بعـدم نصرتنـا لهم، ومن ثَمّ نبكيهم بعد مقتلهم. فمثل هـذا الحُكم غير العلمي يدينه الشاعر بقوله:

لا تنهَ عـن خُـلُـقٍ وتـأتيَ مثلَه ... عـارٌ عليـك إذا فعلـت عظيـمُ[1]

إنّنا بهذا الحُكم الفاسد نطالب الناس أن يغادروا طبيعتهم التي جبلهم الله عليها، ويرتقوا بطرفة عين إلى ملائكة، غير منتبهين إلى أنّ الفرد نفسه يتغيّر وعيُه من حينٍ إلى آخـر؛ لذلك يكون مقيـاس العقل الصارم (إمّا/ أو) ولا ثالث بينهما، مضلِّلاً يضرب عرض الحائط مسألة التوبة الإلهية التي لا يمكنها أن تساوي بين مثال الشر الذي نال درجة (٩٩٪) بغيره ممَّن اعتزل القتال؛ لأنّ الأوّل مندفع إلى أقصى حدّ بمنطق غرائزه الحيوانية، ومثاله مَن حزَّ رأس الحسين وجاء بهِ مرتجزاً طالباً الثمن:

أوقـــر ركـــابي فـضـةً وَذَهَـبـا ... فقـد قتلـتُ المَلِـكَ المُحجّبـا

قتلت خـيرَ الـنـاس أُمّـــاً وأبـا ... وخيرَهـم إذ يُنسـبون نسَـباً[2]

فهذا لا يتسـاوى مع مَن ندم وبكى وتاب واسـتغفر وعمل صالحاً، لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[3]؛ لأنّ تنـوّع أخلاق النـاس بين ما جُبلوا عليه غريزياً من جهة، والمسـتوى الأخلاقـي المثالي الواقعي من جهةٍ أُخرى، يجعل أخلاقهم كسائر الظواهر الحسّية المتغيّرة عبر مرور الزمن، متنوِّعة تنوعـاً لا نهائيـاً، لا يصحّ قياسـها إلّا بالقياس الحسّـي العملي، الـذي يضم كيفيتي (إمّـا/ أو) ولا ثالـث، فضلاً عـن كيفيات ثوالث وروابع وخوامس تُسـهِّل تقسـيم الواقـع إلى فئـات واضحة، ومثال ذلك مقياس رسـول الله صلى الله عليه وآله الثلاثـي العملي: «**مَن رأى منكـم منكـراً فليغـيّره بيده، فإن لم يسـتطع فبلسـانه، فـإنْ لم يسـتطع فبقلبه، وذلك**

(١) البيت لأبي الأسود الدؤلي، شرح ابن عقيل: ج٤، ص١٣، ونسبه ياقوت الحموي في معجم البلدان: ج٧، ص٣٨٤، وأبو الفرج الإصفهاني في الأغاني: ج١١، ص٣٩، للمتوكّل الكناني.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص١٩٩.

(٣) الزمر: آية٥٣.

أضعف الإيمان»[1].

هـذه الكيفيات العملية الحسّـية يمكن تقسـيمها على مقيـاس تدرُّجي مئوي أدق (٠، ١، ٢، ...، ١٠٠)، وهـو يضـمّ المقيـاس العقـلي (إمّا/ أو) ولا ثالـث بينهما عند درجة (٥٠٪)، حين نستعمل الميزان ذي الكفّتين كما سيأتي ذلك لاحقاً.

إنَّ التقسـيم التدريجي الرقمي يمثِّل منطق الحـسّ الرياضي، الذي يجعل مفردات اللغـة الاعتيادية الغامضة واضحة، يمكنها أن تحمل كمّية الحقيقة المطلوب قياسـها؛ لنعرف درجة نجاحنا ودرجة فشلنا في مكافحة المنكر في قول الرسول صلى الله عليه وآله كالآتي:

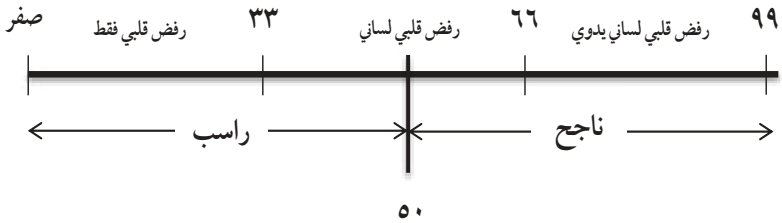

وهنـا تتّضـح أهمّيـة تعليق الرسـول صلى الله عليه وآله على رفـض القلب وحـده للمنكـر، بأنّه «**أضعـف الإيمان**»؛ لأنّه يمثّل درجة فاشـلة لا تتجـاوز (٣٣٪)؛ ولكنّها على أيّة حال تمثّـل بعضاً من الحـق والخير الذي يفيد فرداً واحداً يبعدها عن (الصفر) الفاصل بين الخير (السلوك الإيجابي) باتجاه اليمين، والشـرّ (السلوك السلبي) باتجاه الشمال، الذي يمكن تقسـيمه بمقابل السـلوك الإيجابي بثلاثة تقسيمات سلبية: (رضًا قلبيّ للمنكر، ورضًا قلبيّ لسـانيّ، ورضًا قلبيّ لسـانيّ ويدوي)، ونعطي للتقسيمات الكيفية الثلاثة درجات رقمية مئوية كالسابقة، ولكنّها سالبة تدلّ على الشرّ.

وبهـذا الأُسـلوب المنطقـي يمكننـا أنْ نلحـظ بـأنّ التقسـيمات الحسـية اللُّغويـة والرياضيـة الرقميـة لا تلغي المقياس العقـلي ذي الكيفيتين المتنافرتـين (إمّا/ أو) ولا ثالث بينهما؛ إذ نلحظه ظاهراً في درجة (٥٠٪) في حقل الخير في جهة اليمين، أو حقل

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٨، ص٥٠.

الشر في الشمال، فصاحب اللسان الناطق بالحقّ قد يكون فاشلاً حين يستعمله فقط بينه وبين صديقٍ يثِق به، وقد يكون ناجحاً في الخطابة على جمهور علنيّ مباشرةً على الهواء، وأعلى درجة يأخذها صاحب اللسان هي ٦٦٪ حين ينطق بالحقّ في حضرة سلطان جائرٍ مطمئناً للموت.

والمهم هنا أنّ درجة (٥٠٪) في حقل الخير تحدّد أنَّ ما فوقها ناجح، وما دونها فاشل، أمّا هي بالذات فتمثّل (ناجح/ فاشل) في وقتٍ واحد، كأن يلقي المرء خطبة حقّ ويفرّ؛ لأنّه غير مستعد للمواجهة اليدوية أبداً، فلا يحرّك جمهوره باتجاه الخير. ومثل هذا الخطيب والجمهور إنّما يمثّلان تصوراً (تشكيلاً مكانياً يُقيمهُ العقل)، بمعنى أنّ المقياس الكيفي إذا كان صورياً أو رياضياً مجرّداً يمنع وجود الثالث بين كفّتي الميزان، المتصوَّر أنّه يشير إلى الصفر المنطقي عندما تتوازن كفّتاه بحسبان مثقال الذرات.

أمّا إذا كان الميزان غير صوري، أي: تطبيقي، فإنّه يجيز وجود الثالث الذي يسمّى بالمصطلح القرآني درجة (أصحاب الأعراف) [1]، المستعارة من عُرف الفرس والديك للسُور المضروب بين الجنة والنار، الذي يحجب من المسلمين آخرهم دخولاً في الجنة؛ نظراً لمساواة حسناتهم لسيئاتهم، في الميزان الذي لا تميل إحدى كفّتيه إلى جهة الخير ولا إلى جهة الشر.

وعلى هذا الأساس لا ينكر منطق نظرية علم النقطة منطق أو مقياس الحسّ الذي يقيس الحقيقة من منظور واقعي، ولكنّه ينكر الأحكام التي تدّعي اليقين المطلق، والتي وقع بها كثيرٌ من المؤرِّخين وعلماء الاجتماع القدماء منهم والمحدثون؛ وسنأخذ مثالين على ذلك:

أ ـ نظرية ابن خلدون الحسّية التجريبية التي سمّاها نظرية (عصبية قريش) الذي يرى فيها أنَّ الحقّ من غير سلطة تسانده لا خير فيه ولا جمال، والواجب على

(١) أُنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف: ج٢، ص١٠٢.

صاحب الحقّ أنْ ينظر في قوّته وعصبيته، فإذا وجدها كافية نهض بها، وبخلاف ذلك فالسكوت واجبٌ عليه [١].

إنَّ منطق ابن خلدون الذي ينطلق من أهمية الاستقرار الاجتماعي، الذي هو مطلب معظم أفراد المجتمع المستند إلى أساس نفسي: (لذة × ألم) منطقٌ صحيح؛ إذ يميل هذا الأساس إلى مقاومة أيّ تغيير للقديم، ويناهض حقّ العوامل الجديدة التي تزعزع استقرار الكائن الحي [٢].

وحسابات هذا المنطق تتعاضد فيها الأدلّة العقلية والحسّية في نظرية علم النقطة، ما يطمئِن القلب لهذا التعاضد في الظروف الطبيعية المستقرّة، ولكنّ منطق ابن خلدون يُهمل أحد مبادئ القلب المهمّة التي لا تجعله يسلِّم أمره لملكتيّ: (العقل والحس)، اللتين تصحّ أحكامهما في الظروف الطبيعية المستقرّة، وإنّما يفرض منطقه الخاصّ في الظروف غير الطبيعية، اعتماداً على المبدأ النفسي المسمَّى (ما وراء مبدأ اللذة)، الذي وصفه بعض علماء النفس [٣] بأنّه أكثر تغلغلاً وقِدَماً في النفس، ويفرض تكرار الخبرات والمواقف القديمة من دون النظر إلى نفعها (لذّتها)، ومن دون إلغاء منطق العقل (إمّا، أو، ولا ثالث بينهما)، المبني على مبدأ (لذة × ألم)؛ لذلك يجمع منطق القلب بين (اللذة والألم) في وقتٍ واحد؛ أي يجمع المتناقضات كثالث عملي يُزاد على مبدأ العقل، لكنّ الذين لا يعرفون هذا الثالث يحكمون على مَن يُجسّدونه بمُثُل واقعية تقف بوجه إمبراطوريات ظالمة بأنّهم مجانين، كما حكم جبروت قريش الجاهلي على رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه مجنون، كذلك حكم ابن خلدون على الإمام الحسين عليه السلام أنّه من المجانين الذين «**لا يحسبون ما ينالهم من التهلكة، فيُسرع إليهم القتل بما يُحدثونه من الفتنة وسوء عاقبة مكرهم**» [٤].

---

(١) أُنظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقّدمة: ص٢١٤.

(٢) أُنظر: فرويد، سيجموند، ما فوق مبدأ اللذة: ص١٥.

(٣) أُنظر: المصدر السابق.

(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقّدمة: ص٢١٥. أُنظر: الوردي، علي، وعّاظ السلاطين: ص٢٢٦.

إنَّ حكـم ابـن خلـدون معقول في نظـره إلى طبيعة بَـداوة العرب، ويكشـف عن تعاضـد أدلّة العقـل والحس في نظرية علم النقطة؛ ما يـؤدّي إلى طمأنة القلب طمأنةً عقليةً وعلمية حسّـية تجريبية في الظروف الاعتيادية، ولكنّه يهمل حكم مَلَكَةِ القلب الأخلاقيـة في الظـروف الظالمـة غـير الاعتياديـة، التي يفرضها الإنسـان عـلى أخيه الإنسـان بإرادتـه، وإذا أخذنا هذا الحكم بالحسـبان ينغلق مثلـث الإدراك على نقطة الحقيقـة التي تنحـصر في حيّزٍ ضيّق يقلّ حولها الجدل، ومـن دون أخذ مقياس ملكة القلب الأخلاقية ينفتح مثلـث الإدراك وتضيع نقطة الحقيقة في الفضاء اللامتناهي، ما يكثر حولها الجدل العقيم الذي يدلّ على الجهل؛ لأنَّ الحكم على الأنبياء والشهداء بالجنون المطلق لا يسـلِّم له المثاليـون، فيردّون على الحكم (الدوغمائي) المطلق بحكم مضـاد (دوغمائـي) مطلق مثله، بحسـب بديهية: (الفعل يسـاوي ردّ الفعـل بالمقدار ويعاكسـه بالاتجـاه)، ما يؤدّي إلى كثرة الجدل العقيم بـين الطرفين الذي لا ينتهي إلى يـوم القيامـة، وهذا حال الجدل الذي لا يـرسي على برٍّ أمان الـدالّ على الجهل، وهو مغزى قول الإمام عليعليه السلام: «**العلم نقطة كثّرها الجاهلون**»، المذكور آنفاً.

وعلى هذا الأسـاس يكون حكم ابن خلدون صحيحاً، ولكنّ تعميمه هو الخطأ؛ لأنَّ التعميم والقول باليقين المطلق على كلّ معرفة بشرية محدودة بمدركات بسـيطة، إنّما يُدعى علم الله.

وفي قضية شهادة الحسين ساوى ابن خلدون الأخيار ومنهم (الحسين)، بالأشرار ومنهم (يزيد)، الذي يؤكّد ابن خلدون فسقه، وعليه يضرب ابن خلدون قيم الإسلام عرض الحائط، والإقرار بأحقّية عودة العصبية الجاهلية التي ناضل الإسلام من أجل دحرهـا ـ أو تهذيبهـا على الأقلّ ـ بالأخلاق المثالية (ما ينبغي أن يكون)، فما ينبغي أن تكون عليه الأخلاق المثالية المتجسّـدة بالفعل بشـخصية الشهداء لا يصحّ ضربها بما هـو كائن أو موجود بالفعل؛ لأنّ المثال الواقعـي المتحضّر موجود بالفعل أيضاً وهو يثـير الإعجـاب، وذلك قول ابن خلدون: «**رأى الحسـين أنّ الخروج عـلى يزيد متعيّن**

من أجل فسقه، لاسيما مَن لـه القدرة على ذلـك، وظنّها بأهليته وشـوكته، فأمّا الأهلية فكانت كما يُظَنّ وزيادة، وأمّا الشـوكة فغلط ـ يرحمه الله فيها ـ؛ لأنَّ عصبية مُضـر كانت في قريش، وعصبية عبد مناف إنّما كانت في بني أُميّة... وإنّما نُسِـيَ ذلك أوّل الإسـلام، لمّا شُـغِلَ الناسُ من الذهول بالخوارق وأمر الوحي، وتردّد الملائكة لنصـرة المسـلمين... حتـى إذا انقطع أمر النبوّة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد، فعادت العصبية...»[1].

والسـؤال: هل من الحقّ أنْ يستسـلم المسـلمون كلّهم لعودة العصبيـة الجاهلية، ولا ينهـض منهم واحدٌ عـلى الأقلّ يقول بإصلاح هذا الانحـراف؟! يجيب الدكتور عـلي الـوردي[2] بأنّ ابن خلـدون قد تطـرّف بـ(الواقعية الحسّـية) التـي تابعه عليها كثـيرون إلى اليوم، وهذه النظرة الحسّـية لا يستسـيغها أصحاب المُثُـل العليا، فالثوار يثورون ولو رأوا السـيف مسـلّطاً على رقابهم، وهم نادرون في تاريخ العالم، ولكنّهم عـلى أيّـة حال موجـودون، لا يمكن غضّ الطـرف عن حقيقتهم التـي يواجهون بها أعتى السـلاطين وجلاوزتهم الغلاظ وجيوشـهم الجرّارة، وهم يعلمون مسبقاً أنّهم يُقتلون لا محالة، لكن لو اتّبع الناسُ كلُّهم نظرية ابن خلدون لما استطاع أحد أن يثورَ ويعترض على سـلطانٍ جائر، ولبقي الطغاة يعيثون في الأرض فَسـاداً من دون رادع؛ لأنّ منطـق الثـوار مختلـفٌ عن منطـق الواقع المحسـوس الذي يؤيّـده العقل، ولكن ينقصـه الجانب الأخلاقي القائم على منطق القلب الإيماني، الذي يميّز الإنسـان الحرّ المبدع من الإنسان المبرمج المطيع لطبيعته الغريزية.

٣ـ نظرية النكوص الغريزي

تدغـدغُ هذهِ النظرية منطق النكوص الغريزي للحيوانات التي لا تشـعر بالأمان إلّا في ضمن قطيعٍ كبير، بسـبب شـعورها بالضعف، كذلك يشعر الإنسان المستكين

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقّدمة: ص٢١٦.

(٢) اُنظر: الوردي، علي، وعّاظ السلاطين: ص٢٢٦.

لاستقرار النظام الاجتماعي، ويطأطئ رأسه لأيّ قائد قويّ بغضّ النظر عن قيم الحقّ والخير والجمال، لذلك لا تمانع هذه النظرية الثورة على الأنظمة المستقرّة، شريطة أن تكون حسابات الثائر دقيقة كحسابات التاجر الذي يخطّط للنجاح بكلِّ الوسائل النزيهة أو الخسيسة.

وعلى هذا الأساس، تتّهِم هذه النظرية الشهداء بأنّهم ضعفاء وليس لديهم خبرة في التخطيط، وهو ما يفسّر انقلاب أهل الكوفة على الحسين بعد أنْ دعوه وبايعوا رسوله، ثمّ انقلبوا عليه حال وصول ابن زياد إلى الكوفة قبل الحسين بقليل، الذي هدَّدهم وطمَّعهم، فمالوا على الحسين وقتلوه تحت تهمة زعزعة الاستقرار الاجتماعي القائم، ولم يأتِ ببديل أفضل.

وهذه التهمة هي نفسها التي أدان بها ابن زياد مسلم بن عقيل بقوله: «**أتيتَ الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتّتهم... قال: كلا، لست أتيتُ، ولكنّ أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارَهم، وسفك دماءهم، وعَمِلَ فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل**»[1].

إنّنا لا نُنكر أنّ غريزة القطيع تكشف عن وجهٍ من وجوه الحقيقة الاجتماعية لأخلاق الشعوب، لكنّ تعميمها واتّهام مَن يخالفها يمثّل خطأً كبيراً، لقد شجب ابن كثير (ت٧٧٤هـ) هذه النظرية ونسبها إلى جهلة أهل الكوفة، وذلك بقوله: «**وقد تأوّل عليه مَن قتله أنّه جاء ليفرّق كلمة المسلمين بعد اجتماعها، وليخلع مَن بايعه من الناس واجتمعوا عليه... وبتقدير أن تكون طائفة من الجهلة قد تأوّلوا عليه وقتلوه، ولم يكن لهم قتْله، بل كان يجب عليهم إجابته إلى ما سأل من تلك الخصال الثلاث المتقدّم ذكرها**»[2]، أي التي تمثّل شروط حرّية الشهيد.

ومن أخطاء نظرية النكوص الغريزي أنّها تحمّل الشهداء مسؤولية الاضطراب

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٨٢.
(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٠٤.

الاجتماعي، وتبرّئ الظالم لأنّه قويّ، فتجعل الضحية والجلاد في ميزانٍ واحد، والمفروض أنْ يسأل أصحاب هذه النظرية عن أسباب الثورات التي أجمع العالم كلّه على أنّها نتيجة للظلم والصراع الطبقي الكبير، الذي يخضع لقوانين المنطق الجدلي، الذي يرى أنّ الأشياء ـ ومنها الدول ـ تخضع للصيرورة والتحوّل عبر الزمن كالكائن الحيّ، تولد وتشبّ وتشيخ وتموت، ولا سيما الدول التسلّطية القمعية منها، التي تتابعت عليها الثورات الداخلية؛ لذلك لا يستغرب الدكتور علي الوردي من رجلٍ «**يشجب الثورات عاش في القرون الوسطى، وإنّما الغريب كلّ الغرابة، يشجبها رجلٌ يعيش في القرن العشرين!**»[1]، وهو موقف الشيخ محمد الخضري الذي يقول: «**فإنَّ الحسين أخطأ خطأً عظيماً في خروجه هذا الذي جرَّ على الأُمّة وبال الفرقة والاختلاف، وزعزع عوامل أُلْفَتها إلى يومنا هذا**»[2].

وكان من المفروض أن يسأل الخضري عن سبب استمرار هذه الفرقة والاختلاف أكثر من ألف وثلاثمائة عام، ليدين مناهج المختلفين في قضية واحدة كلَّ هذه المدّة، ولا يدين موضوع القضية نفسها، التي يجب أن يدرسها بموضوعية ليعرف خلل نظرية المعرفة العربية الإسلامية، والمناهج المستعملة التي ولَّدت هذا الجدل العقيم، الذي عزا الإمام علي عليه السلام كثرته إلى الجهل الذي يدفع الإنسان إلى إصدار أحكام يدّعي أنّ يقينها مطلق من دون تروٍّ.

وقد أطلق الغربيون على جماعة اليقين المطلق مصطلح (الدوغمائية)، ووصفوها بأنّها تمثّل طفولة العقل[3]، والتي ما زلنا نمارسها، لكن العقل البشري الحديث تجاوزها بخطوتين:

أولاهما: المرحلة الشكّية التي تشهد بفطنة ملكة الحُكم التي حنَّكتها التجارب،

(١) أُنظر: الوردي، علي، وعّاظ السلاطين: ص٢٢٨.

(٢) الخضري، محمد، محاضرات تاريخ الأُمم الإسلامية: ج٢، ص١٢١ـ١٣٠.

(٣) أُنظر: بدوي، عبد الرحمن، إمانويل كنت: ص٣٥٦ـ٣٥٧.

وقد لحظت أنّ مَا تلقته من آبائها ظهر أنّ أكثره مجرّد أوهام وخرافات، أي أسماء سمّيناها نحن وآباؤنا ما أنزل الله بهِا من سلطان، فهي تمثّل موضوعاً للجدل العقيم، وقد حذّرنا الله تعالى ممّا تنقله اللغة الاعتيادية إلينا من دون عرضه على محكّ التجريب، وذلك قوله: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖ﴾[1].

ثانيتهما: المرحلة النقدية التي تقضي بأنّ لملكات العقل البشري حدوداً، لذلك تكون معرفتها نسبية، بسبب تغيّر الظواهر المستمرّ عبر الزمن، ومنها ظاهرة الإدراك نفسه وملكاته التي تتطوّر وتتّسع مدركاتها بتراكم المعرفة وتقدّم العلم التجريبي المتسارع.

لهذا لم تقل نظرية علم النقطة بأنّها قادرة على إدراك الحقائق في ذاتها، وإنّما تحصرها في مثلث يقلّل الجدل حولها، ذلك أنّ مثلث الإدراك يقتضي أنْ يُرصد للحقيقة ثلاثة وجوه: (وجه عقلي مجرّد رياضي، ووجه حسّي تجريبي، ووجه قلبي أخلاقي)، وهي ما اجتمعت في تقويم ثورة الحسين عليه السلام التي بيّنت طبيعة الشهيد.

الخاتمة

توصّل البحث إلى جملة من النتائج، أهمّها:

١ـ كان للإمام الحسين عليه السلام منطق خاصّ يختلف عن المنطق المألوف، وهو منطق أخلاق القلب الثائر بالحق، الذي يظهر حين تتدخّل إرادة الشرّ لتغيّر وجهة التطلّع بالقيم العليا، بأنّ ما ضحّى من أجله الإسلام لا يمكن السماح له بالعودة إلى الوراء مُسوَّغاً بالعصبية الجاهلية، وهي نظرية ابن خلدون وغيره، الذين تعاملوا مع قضية الشهادة على وفق منطق طبيعة البدو، فكانت للشهيد حساباته الأخلاقية الخاصّة، التي لا تنظر إلى الربح والخسارة واللذة والألم كتعقّل حسّي واقعي، إنّها تمثّل الحقيقة بوجوهها الثلاثة: (العقل، والحس التجريبي، والقلب الأخلاقي) الثائر في الظروف

(١) الأعراف: آية ٧١.

غـير الطبيعية بمنطـق غير طبيعي يلائم تلـك الظروف، وقد تبيّن في أخلاق شـهادة الحسـين العمليـة المثاليـة مع ذويه وهم (٧٢ رجـلاً) أنّ ذلك قـضّ مضاجع الطغاة، فكان لهذه الواقعة آثارٌ كبيرة في سـقوط دولة بني أُميّة في شـقّها السـفياني، وقد قدّمنا فرضية مبرهنةً برهاناً نسـقياً يدعمـه التجريب، الذي يطمئن القلـب بتعاضد الأدلّة العقليـة والتجريبية الحسّـية، وهذا هو منطق علم النقطة الـذي يغلق مثلث الإدراك على الحقيقة فيقلّ الجدل العقيم حولها؛ لحصرها الحقيقة في حيّز هذا المثلث.

٢ـ إنَّ اختلاف المؤرّخين من القدماء والمحدثين في تقويم ثورة الإمام الحسين عليه السلام بـين مؤيـدٍ لها وآخـر رافض سـببه اختلاف المنهـج المتبـع في النظر؛ لذلك انقسـموا متطرّفـين إلى: متّهِمٍ للحسـين وثورته بالخطأ الجسـيم، وآخر محـبّ مبالغ يصوِّر لك الأشـياء مفسَّرة بأسـباب غيبية غير علميـة. والصحيح ما قدّمتـه نظرية علم النقطة، بعـد أن قاربـت حقيقـة الشـهيد وثورته في حيّـز مثلـث الإدراك (العقـل، والقلب، والحس)؛ لأنّها ترى أنّ اعتماد أحد المدركات أو مدركين فحسب يضيع الحقيقة ويثير الجـدل الطويل الذي يكثّر نقطة الحقيقة بما يدلّ على الجهل، اعتماداً على مقولة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «**العلم نقطة كثّرها الجاهلون**».

٣ـ نهى الإمام الحسـين عليه السلام عن اعتبار الموقف العاطفي ممثّلاً للحقيقة، وعليه فهو لا يليق بمبدأ مُثُل الشهادة الأخلاقي، الذي جسَّده بالارتقاء بالقلب ابتداءً مِنْ وصفه ملكـة عاطفيـة متقلّبة تتقاذفها الأهـواء وتهيمن على عقول البسـطاء، إلى ملكة تعقّلٍ أخلاقي اتّخذها أساسـاً للشـهادة، وقد اتّخذ ابن الزبير وغيره العاطفة سـلاحاً يستدرّ بـهِ عواطف الناس تجاه مقدّسـاتهم فلاذَ بالكعبة، ولم يعِ وعي الحسـين بأنّ الطغاة لا يتورّعون عن انتهاك كلّ مقدس في سـبيل البقاء على رأس السـلطة؛ لأنّها تضمن لهم مبدأ (اللذة) الحيواني، ولقد عدَّ الحسـين عليه السلام ومَن وعى وعيه أنّ مبدأ العاطفة إنّما هو مـن مقيّـدات الحرّية وليس العكس، وأثبـت لنا ذلك بانقلاب مَن دعـوه إلى الكوفة وبلغ عددهم أكثر من ثلاثين ألفاً عليه وهم الذين قتلوه.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١ ـ الكتاب المقدّس، العهد القديم، دار المشرق، ١٩٨٦م، بيروت ـ لبنان.

٢ ـ أرسطو، ألفرد إدوارد تايلور، ترجمة: د.عزت قريتي، دار الطليعة، ط١، ١٩٩٢م، بيروت.

٣ ـ الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدين الزركلي ت(١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢م، بيروت ـ لبنان.

٤ ـ الأغاني، أبو الفرج الإصفهاني (ت٣٥٦هـ)، شرحه وكتب هوامشه: الأُستاذ عبد أ. علي مهنا، الأستاذ سمير جابر، دار الكتب العلمية، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، بيروت ـ لبنان.

٥ ـ الإمامة والسياسة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: د. طه محمد الزيني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.

٦ ـ إمانويل كنت، د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، ط١، ١٩٧٧م، الكويت.

٧ ـ إنسانية الإنسان، رالف بارتون بري، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي، منشورات مكتبة المعارف في بيروت بالاشتراك مع مؤسّسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦١م، بيروت/ نيويورك.

٨ ـ البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: د. أحمد أبو محلم وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٩ ـ تاريخ الأُمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، منشورات الأعلمي للمطبوعات، ط٥، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، بيروت ـ لبنان.

١٠ ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ)، المكتبة المرتضوية في النجف، مطبعة الغري، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

١١ ـ دراسات فلسفية (العلم في الفلسفة)، د. حمادي بن جاء بالله، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، الدار التونسية للنشر.

١٢ ـ دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة، صادق جلال العظم، جداول للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م، بيروت ـ لبنان.
١٣ ـ ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
١٤ ـ سيميائيات التأويل (الإنتاج ومنطق الدلائل)، طائع الحداوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م، المغرب/ بيروت ـ لبنان.
١٥ ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق ابن عقيل، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الغدير للطباعة والنشر والتجليد، ط١، ١٤٢٩هـ، قم.
١٦ ـ صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، حقّق نصوصه وصحّحه ورقمه وعدّ كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلّق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.
١٧ ـ الطريق والفضيلة، للحكيم الصيني لاوتسي، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، دار المعارف، ١٩٤٥م، القاهرة.
١٨ ـ الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آبادي، الهند، دار الندوة الجديدة، بيروت ـ لبنان.
١٩ ـ قصة الفلسفة، وِل ديورانت، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، ط١، ١٩٧٠م، بيروت.
٢٠ ـ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: أبي عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، بيروت ـ لبنان.
٢١ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، حققها على نسخة خطية: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسّسة التاريخ العربي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، بيروت ـ لبنان.
٢٢ ـ ما فوق مبدأ اللذة، سيجموند فرويد، ترجمة: أسحاق رمزي، دار المعارف، مصر.
٢٣ ـ مبادئ علم الجمال، شارل لالو، ترجمة: مصطفى ماهر، ميراث للترجمة، ٢٠١٠م، القاهرة.

٢٤ ـ مجمع الزوائد، الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، بيروت ـ لبنان.
٢٥ ـ محاضرات تاريخ الأُمم الإسلامية، الشيخ محمد الخضري بك، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط٧، ١٣٧٦هـ.
٢٦ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت٣٤٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط٢، ١٩٦٤م، مصر.
٢٧ ـ مستدرك نهج البلاغة، جمع هادي كاشف الغطاء، منشورات مكتبة الأندلس.
٢٨ ـ معجم البلدان، شهاب الدين بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ)، دار صادر، ١٩٧٧م، بيروت.
٢٩ ـ المقدمة، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ)، ضبط وشرح وتقديم: د. محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، بيروت.
٣٠ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت٥٩٧هـ)، حقّقه وقدّم له: د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، بيروت ـ لبنان.
٣١ ـ الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفاتيين، بأشراف م. روزنتال، وي. يودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، ط٥، ١٩٨٥م، بيروت.
٣٢ ـ نظرية علم النقطة، مفاهيم أساسية، د. تومان غازي الخفاجي، د. خالد كاظم حميدي، بحث منشور في مجلّة كلّية الشيخ الطوسي الجامعة، السنة الأُولى، العدد الثاني، ٢٠١٦م.
٣٣ ـ نهج البلاغة، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلمية: د. صبحي الصالح، مطبعة رسول، ط١، ١٤٢٦هـ، قم ـ إيران.
٣٤ ـ هيروديت، بحث متاح على الموقع الموسوعة الحرّة: *www.wikipedia.org*.
٣٥ ـ وعّاظ السلاطين، د. علي الوردي، دار ومكتبة دجلة والفرات، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، بيروت ـ لبنان.

لاهوتية الموقف في فاجعة الطف

د. طالب حسين*

مقدّمة

مـن طبيعة الأحداث الكبرى في التاريخ أنّها تكـون مكتنزة الدلالات؛ مما يجعلها تملك طاقة تأويلية تتيح للباحثين تقديم عديد قراءات لها، حسب المرتكزات الفكرية والإيديولوجيـة التـي ينطلق منها الباحث، وواقعة يـوم الطف وفاجعتها واحدة من هـذه الأحـداث التي زيـادة على اكتنازهـا الألم والحسرة الروحية، فإنّهـا تقبل عديد قـراءات، لا سـيما أنّ القائـم بها شـخصية تمثِّل الكـمال الديني والبـشري؛ مما يؤهلها الاتصـاف بصفـات الكمال، ومن ثمّة إمكانية قراءتها حسـب ما يعكس ذلك الكمال من الأبعاد العقائدية والاجتماعية والسياسية.

غير أنّ هذه القابلية لا تعني أنّها في أصل وجودها انطلقت من هذه الأبعاد كلّها، إذ وإن احتملـت ذلـك، إلّا أنّ مـن الممكن بوضوح أن تكون قـد انطلقت من واحد مـن هذه الأبعـاد هو الذي كان مقصوداً بهـا، وبقية الأبعاد تمثِّل دلالات يسـتوحيها الباحث من هذا البُعد.

كـما أنّ تحديـد البُعـد الـذي انطلـق منـه الإمـام عليه السلام، ليس أمـراً يقتضيـه البحث الموضوعـي البعيـد عـن الأدلجـة والتوظيف الخاص فحسـب، بـل إنّه أمـر تقتضيه العقيـدة الدينية، لا سـيما عنـد الاثني عشرية؛ إذ إنّه لا يجوز نسـبة حكم أو موقف له بُعـد دينـي إلى المعصوم من دون أُسـس فنيّة علمية، ولهذا تمّ تأسـيس عديد علوم في

---

* ديوان الوقف الشيعي/ كلية الإمام الكاظم عليه السلام.

تاريـخ المسـلمين من العربية إلى أُصول الفقه التي من خـلال أداوتها الفنّية يتمّ تحديد الموقف الديني بحيث تكون له شرعية النسبة.

ومن هنا كان اختيار هذا البحث؛ إذ إنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام نظر إليها بعضٌ أنّهـا ثـورة سياسـية، بل نجد أنّهـا في الثقافة التي تتبنّاها حركات الإسـلام السـياسي أصبحـت أداة تعبئـة وتجييش للأتباع، إلى درجة أصبحت المجالس الحسـينية مجالس سياسـية، وهو أمر يهدّد الهدف الذي يرى الباحث أنّ الإمام عليه السلام قد انطلق منه، وهو أنّ الإمـام (صلـوات الله عليـه) كان في حركته منفِّذاً لأمر إلهـي غيبي من أجل أن لا تضيع جهود النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام سدىً، بعد الانحراف الذي حصل في الإسلام نتيجة الممارسـة السياسـية التي أعقبت وفـاة النبي صلى الله عليه وآله. وهذا ما مثّـل فرضية البحث التـي عبّر عنهـا العنوان بـ (لاهوتية الموقـف في فاجعة الطف)، فإنّـه يتبنّى أنّ حركة الإمـام الحسـين عليه السلام هي حركة دينيّة لها خصوصية لاهوتيّـة، أي لها بُعد غيبي مأخوذ من خصوصية شخصية الإمام الحسين عليه السلام، فهي موقف ديني خاص بالإمام عليه السلام.

وهنا أُشـير إلى سـبب اسـتعمال تعبير (فاجعة الطف) في العنوان مع أنّه ذو حمولة نفسـية تراجيدية، الأنسب ابتعاد اللغة العلمية عنها. فنقول: إنّ سبب اختياره يرجع إلى أمـر يرتبـط بمنهجية البحث، فإنّ البحث يقوم على منهجية قراءة نصوص الإمام الحسـين عليه السلام وفق آليـات التحليـل التراثي والمعـاصر للخطـاب لتكاملهما ووجوب التزامهـا بحـدود القراءة، حتـى لا تنفلت لتقع في التأويـل المضاعف الذي لا يخضع للقيـود، وأحد هـذه القيود هـو: أنّ على القراءة التـي يطرحها القـارئ أن لا تتحرر من قراءة جماعة الخبرة التي تمثِّل معياراً مناسـباً للمراقبة والتحكّم في ما يُطرح خارج قـراءة هذه الجماعة، من دون أن يعني سـدّ الباب أمام تقديـم الجديد، وإنّما يعني عند تعـدد الاحتـمالات سـتكون قـراءة جماعة الخـبرة المعيـار في تحديد المناسـب من هذه الاحتـمالات، وهـي معياريّة ناتجة عن تجربة هذه الجماعة التي تمّ بناؤها في ظل تراكم معرفي، وإذا قارنّا هذا الطرح مع مجال بحثنا نجده ينطبق على فهم فقهائنا من السَلَف

الصالح وامتدادهم في الوقت الحاضر لأقوال وسلوك المعصوم عليه السلام، وهو ما يُعبّر عنه بالشهرة الفتوائية في المصطلح الأُصولي ولا سيما الشهرة القدمائية.

وحيث إنّ القراءة الدينية هي القراءة التي يتبنّاها البحث مقابل القراءة السياسية، فإنّنا أمام قراءتين محتملتين نظرياً، وهنا يأتي دور جماعة الخبرة، فقد صدر في عام (٢٠٠٨م) كتاب للمرجع الكبير السيّد محمد سعيد الحكيم بعنوان (فاجعة الطف)، يُثبت القراءة الدينيّة وينفي القراءة السياسية، وهي قراءة يمكن القول: إنّها تمثِّل قراءة السلف الصالح من علماء المذهب الاثني عشري؛ إذ إنّ السيّد الحكيم يمثِّل الامتداد لخطّهم المعرفي و منهجهم في التحليل.

ومن ثمّة فإنّ العنوان يشير إلى أنّ دينيّة الموقف هي ما يُستخلص من (فاجعة الطف) بما هي عنوان لحدث تاريخي، وبما هي عنوان لكتاب، وهذا لا يمثِّل غلطاً في الاستعمال؛ لجواز استعمال اللفظ المشترك في معانيه المختلفة في استعمال واحد، كما هو عند العلماء كالسيّد الخوئي قدس سره، كما أنّ السيّد الحكيم نفسه له موقف في هذا الموضوع، أرى أنه يفتح الباب أمام صحة هذا الاستعمال.

وفيما يتعلّق بهيكلية البحث، فإنّه سيتكوّن من ثلاثة مباحث وخاتمة:

الأول: بحث في تنقيح ماهوي لمقولتي اللاهوتي والسياسي، لتكون المعيار في قبول القراءة السياسية أو اللاهوتية لحركة الإمام الحسين عليه السلام.

الثاني: بيان أنّ هذه الحركة تهدف إلى ما هو ديني لا سياسي.

الثالث: بيان أنّها كانت بتخطيط إلهي تمّ إبلاغ الإمام به نصّاً وبطرق الإلهام اللاهوتية، وهي التنبؤ والرؤية.

وخاتمة: تتمثّل بأهمّ نتائج البحث وما يترتّب عليها من تحديد طبيعة الإصلاح الذي سندعو له.

فحسب القراءة اللاهوتية سيترتب علينا الدعوة إلى الوقوف أمام كلّ المحاولات التي أخذت تحول الدين إلى سياسة، بحيث أصبح ما هو ديني تابع لما هو سياسي،

فنجد بحجة الدفاع عن الحاكمية السياسية للدين تنتهك المقدّسات من نفوس وأموال ومستقبل أجيال، فإذا تصبح فاجعة الطف من موقف إصلاحي إلى أداة سياسية ويصبح السياسي معيار الديني، كما نجده الآن ممّن يحمل اسم الإسلام السياسي.

إذن؛ تكمن أهمّية نتيجة البحث في كونه يمثّل البُنية التحتية الفكرية للإصلاح الذي يُطرح باسم موقف الإمام الحسين عليه السلام.

المبحث الأول: اللاهوتي والسياسي

تعد العلاقة بين ما هو سياسي وما هو ديني من العلاقات الإشكالية في الفكر الإسلامي المعاصر؛ الأمر الذي جعل التمييز بينهما على قدر من الصعوبة، فأصبحت بعض الممارسات الدينية تندرج فيما هو السياسي عند بعض، في حين أنّها تبقى في إطارها الديني عند آخر، ويبدو أنّ سبب هذا التداخل والإشكالية هو كون السياسة من الناحية النظرية لها جهتان، فهي «**من جهة أُولى صراع ومعركة بين الأفراد والجماعات من أجل الوصول إلى السلطة التي يستخدمها المنتصرون لمصلحتهم وعلى حساب المهزومين، ومن جهة ثانية وفي نفس الوقت هي جهد لتحقيق نظام مفيد للجميع**»[1]، ومن هذه الجهة تتولّد الإشكالية؛ إذ إنّ هناك اتجاهاً ـ وقد يكون هو السائد في الثقافة الإسلامية العامة ـ يرى أنّ الإسلام قد نزل لتحقيق دولة الرفاهية والنظام السياسي الأمثل، فيلتقي مع السياسة والملك ـ بتعبير ابن خلدون ـ الذي هدفهما تحقيق المدينة الفاضلة[2].

ومن هنا، وقبل البحث في حقيقة حركة الإمام الحسين عليه السلام من حيث اندراجها في أحدهما أو كليهما، لا بدّ أن نتوقّف عند حقيقة ما هو لاهوتي وما هو سياسي؛ ليكون

(١) عبد أسعيد، د. محمد فايز، الأُسس النظرية لعلم الاجتماع السياسي: ص٤٤.
(٢) أُنظر: الطحان، د. عبد الرضا، والأسود، د. صادق، مدخل إلى علم السياسة: ص٢٨٥.

عندنـا المعيـار العلمي في الحكم؛ إذ هو ضرورة منطقية، لأنّ التصديق ولازمه الحكم مسـبوق بالتصـور، والمتقـدم طبعاً متقـدِّم وضعاً، كـما إنّه ضرورة مـن حيث الحكم الديني، لأنّ الألفاظ ليسـت مجرّد ألفاظ يمكننا التصرّف في مفاهيمها ونسبتها إلى ما هو ديني بلا محذور، فـ«**إنّما يُحِلّ الكلام ويُحَرِّم الكلام**» كما قال الإمام الصادق عليه السلام[1].

أولاً: اللاهوتي والبُعد الغيبي

ابتداءً قد ينظر إلى اسـتعمال تعبير اللاهوتي في مجال البحث الإسـلامي نظرة تحفّظ إن لم تكـن رفـض، لكون هذا التعبـير يكاد يكون في الثقافة المعـاصرة مختصاً بعلم في مجال العقيدة المسـيحية، فهو المصطلح الذي يستعمله الباحثون والكتّاب المسيحيون العـرب مقابلاً لـ(*Theology*) الذي يناظر علم الكلام عند المسـلمين، غير أنّ هذا الموقـف يمكـن التراجع عنه إذا علمنا أنّه لفظ إسـلامي أصيل اسـتعمله علماء كبار، وفي دلالـة ذات بُعـد عرفـاني ـ كـما سـيتضح بعـد قليل ـ هـذا من جهـة، ومن جهة أُخرى إنّ كثرة اسـتعماله في مجال العقيدة المسـيحية لا يسلبه الدلالة الإسلامية؛ إذ إنّ الانصراف إلى الدلالة إلى المجال المسيحي هو «**انصراف غير ناشئ من اللفظ، بل كان من سـبب خارجي** [وهو] **تعارف الممارسة الخارجية له**»[2]، فهو «**انصراف بدوي يزول عند التأمل**»[3].

فكلمـة لاهـوت مصاغـة عـلى وزن (فاعـول)، وهي إحـدى صيـغ المبالغة عند النحـاة[4]، وحيث إنّ هذه المـادّة تدلّ في معناها المركزي عـلى (التعبد)[5]، فإنّ معنى الكلمـة سـتكون مـا هو منسـوب إلى العبوديـة لله عزّ وجلّ في «**دلالة عـلى الكثـرة والمبالغة**

(١) العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٨، ص٥٠، وأُنظر: ج١٩، ص٤١-٤٣.
(٢) المظفر، محمد رضا، أُصول الفقه: ص٢٠٠.
(٣) المصدر السابق: ص٢٠١.
(٤) أُنظر: السامرائي، د. فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية: ص١١٦.
(٥) أُنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ص٦٩.

في **الحدث**»[1]، الذي هو الانقياد والعبودية لله عز وجل، والتاء فيه محل نظر عند بعض اللغويين[2]، دون أن يضرّ في انتمائها إلى اللغة العربية وتداولها في التراث الإسلامي، فهي تُقال لـ«**الله كما يقال ناسوت للإنسان**»[3]، كما أنهّا تُطلق على معنى «**الخالق و... ربما على الروح... والعالم العلوي**»[4] وغيرها.

وهذه الدلالة على العبودية والانقياد لله عز وجل تفسّر لنا استعمالها في التراث الإسلامي واستعمالها الاصطلاحي في كتابات العقيدة المسيحيّة، ففي التراث الإسلامي استعملها بعض علماء الكلام الاثني عشرية في عناوين بعض مؤلفاتهم، فنجد أنّ السيد عميد الدين الحسيني العبيدلي يصنِّف كتاباً نقدياً على شرح خاله العلّامة الحلي لكتاب الياقوت في علم الكلام، وكان عنوانه ـ حسب ما وصل إلينا ـ (إشراق اللاهوت في نقد شرح الياقوت)[5]، وصنّف المحقق الكركي رسالة في الجدل المذهبي سمّاها (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت)[6].

والعنوان بوصفه علامة وأحد مكوّنات النص الموازي[7] «**لا يأتي مجانياً أو اعتباطياً؛ لأنّ المُبدع يعطي لعنوانه ما يعطيه للعمل من عناية واهتمام**»[8]، وهي عناية يقتضيها كون العنوان أوّل مكونات النصّ والعتبة الرئيسة التي تحدد «**أين ينتهي العالم الموضوعي؟**

---

(١) الحملاوي، أحمد بن محمد، شذا العرف في فن الصرف: ص٧٨.

(٢) أُنظر: الزبيدي، محمد بن مرتضى، تاج العروس في جواهر القاموس: ج٥، ص٨٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) العكبري، أبو البقاء، الكليات: ص٦٧٣.

(٥) طُبع بتحقيق علي أكبر ضيائي، منشورات ميراث مكتب طهران، ويلاحظ أن المؤلف لم يذكر العنوان، ولم يبين المحقق كيف وضع العنوان، إلّا أنّ ذلك لا يضر؛ لأنه يبقى منتجاً في اللغة العربية.

(٦) أُنظر: المحقق الكركي، علي بن الحسين، مجموعة رسائل: ج٥، ص٣٤٥.

(٧) النص الموازي: هو كلّ ما يتضمنه الكتاب أو الرسالة مما هو خارج المتن، كالعنوان والإهداء والهوامش... إلخ.

(٨) مسكين حسنية، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر (أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجزائر ٢٠١٣-٢٠١٤م): ص٣٨.

وأين يبدأ النص؟»[1]، فهو «**الرسالة الأُولى والعلامة الأُولى التي تصلنا**»[2] من المؤلف الذي نتيجة إدراكه لأهمّية هذه الرسالة وسيميائيتها «**يعطيه الكثير من جهود الفكر والوقت ليختاره بشكل ينسجم مع النص**»[3]، بحيث يرتبط بالأبعاد الدلالية للنصّ في كليته، وليس مجرّد اسم على وجوده المادي، فيتم وضعه من قِبَل المؤلِّف بعد أن «**يتأوّل عمله، فيتعرّف منه على مقاصده، وعلى ضوء هذه المقاصد يضع عنواناً**»[4].

وفي ضوء ذلك وعندما نقف عند العنوان الأوّل نجده بدأ بمركب إضافي وهو (إشراق اللاهوت)، ومفهوم الإشراق يرتبط بنظرية المعرفة في الفلسفة الإشراقية، فحسب نظرية الفيض فإنّ المعرفة لدى الإنسان إنّما تتحقق نتيجة فيض من عقل مفارق هو العقل الفعّال بعد أن تكون النفس مستعدّة لهذا الفيض[5]؛ لذا نجد السهروردي يأخذ في تعريف الإشراق (الله) سبحانه وتعالى لأنه الموجد لهذا العقل في سلسلة الفيض في العالم العلوي، فالإشراق هو «**النور الفائض من لدنه**»[6]، لذلك؛ فإنّ «**الإشراقي يروم التجوهر بنور الأنوار المعبّر عنه بالحق، والاتصال به إمّا بواسطة من الحق أو من غير واسطة**»[7]، ومن ثمّة عندما نستنطق دلالة هذا المركب وبالتالي العنوان، فإنّنا نصل إلى نتيجة أنّ المؤلِّف يريد أن يوصل رسالة لنا بأنّ ما سيطرحه من نقد إنّما فيض إلهي، وليس مجرّد تعلم كسبي؛ مما يعني أنّ معنى اللاهوت تضمن معنى إشراقي، وهو المستفاد من النسبة التقييدية في المُركّب الإضافي؛ إذ حسب قاعدة تعدد الدال والمدلول التي هي إحدى تقنيات استنطاق النص، فإنّ كلاً من

---

(١) خمري، د. حسين، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدلالة: ص١١٥.

(٢) عامر رضا، سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ج٧، عدد٢، ٢٠١٤م: ص٩٠.

(٣) بخولة بن الدين، عتبات النص مقاربة سيميائية، مجلة سمات، ج١، عدد١، مايو ٢٠١٣م: ص١٠٥.

(٤) الجزار، د. محمد فكري، العنوان وسيميوطيقا العنوان الأدبي: ص١٩.

(٥) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، نهاية الحكمة: ص٣٠١ـ٣٠٧.

(٦) السهروردي، شهاب الدين، هياكل النور: ص٧٠.

(٧) السلماني، محمد بن عبد الله، روضة التعريف بالحب الشريف: ص٦٢١.

مكونـات التركيـب في النص يأخذ حصـة خاصة من دلالتـه الوضعية، وهي الحصة المرتبطة بحصة الدوالّ الأُخرى في النص، فيكون عندنا معنى التعبّد الذي هو المعنى الموضـوع لكلمة اللاهوت قـد تحصص بحصة التعبّد الناتج مـن الإشراق من العالم العلوي.

ويـكاد الأمر يتكرر في العنوان الثاني، فإنّ التركيب الإضافي (نفحات اللاهوت) قـد تضمّـن مفـردة تنتمي إلى عـالم العرفـان، وهي مفـردة (نفحات)، فهـي تعني في الخطاب الصوفي «**نسـمات وهبـات من عالم الغيب تعرض على القلب فيعيش الإنسـان بشـكل فجائي حالة من الإقبال على الله تعالى بشـكل لم يكن معهوداً من قبل**»[1]، وهذا المعنـى مأخـوذ من المعنـى اللغوي والاسـتعمال في السـنّة الشريفة فـ«**النفحة: دفعة الريـح... ونفحـتْ الريح: هبّت، وفي الحديـث: إنّ لربكم في أيـام دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها. وفي حديث آخر: تعرّضوا لنفحات رحمة الله**»[2]، وهي تسـتعمل في الخير وقد تستعار في الشر[3].

إنّ الوصـول إلى تلك النفحـات يعدّها الصوفي حالة فتح عرفـاني، فلكون الفتح يمثّـل «**ما يُكرم به الله سـبحانه العارفين من نفحات إلهيـة**»[4]، أصبحت هذه النفحات مسـاوقة للفيـض الإلهـي؛ إذ إنّ الفتوحات في لغـة «**أهل التصوف بشـكل خاص... يقصد بها ما يفيض الله به على عباده المخلصين من عطاءات الإحسان وثمار المجاهدة**»[5]، وزيادة على هذا المعنى، فإنّ للنفحات معنىً خاصّاً مأخوذاً منه يرتبط بعلم الإنسـان بالمغيبـات في المنـام كـما تطرحه الفلسـفة الإشراقية، وهي حالة إدراك الإنسـان ما لا

(١) *http:/www.alser.net/s/txt/pages.txt.64.htm*.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٢، ص٣٩٧٥.

(٣) أُنظر: الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ص٥٢١.

(٤) *http://sites.google.com/site/saidoboshaland*.

(٥) المصدر السابق.

يدركه غيره من الكليات الخاصة بالمشمومات، فهي تسمى بالنفحات الربانيّة[1].

ولهذا البعد الغيبي والاتصال بالعالم العلوي الذي يتضمّنه معنى النفحات، نجد أنّ كثيراً من المصنّفات العرفانية يحرص مؤلّفوها على البدء به في عناوينها، فنجد العناوين مثل: النفحات الإلهية لصدر الدين القونوي، والنفحات القدسية لبهاء الدين البيطار، ونفحات الأنس في حضرات القدس لعبد الرحمن الجامي، ونفحات الأنس في الأنفاس العلية لفاطمة اليشرطية، وهي عناوين ترسل رسالة إلى قارئها بأنّ ما سيطرحه المصنِّف إنما هو هبات من العالم العلوي، إمّا مباشرة أو من خلال عالم أنسي مرتبط به.

ويبدو أنّ المحقق الكركي وهو يكتب في إطار الجدل الكلامي المرتبط بالخلاف حول خلافة الرسول صلى الله عليه وآله أراد إرسال مثل هذه الرسالة في موقفه من هذا الخلاف، فتكون دلالة ما هو لاهوتي محدّد بكونه ناتج من نفحات، وليس مأخوذاً بالكسب التقليدي من العلوم، بالتحليل المتقدِّم في تعبير إشراق اللاهوت.

إذن؛ مقولة اللاهوت تتمحور في المجال المعرفي الذي تكون فيه العلاقة مع الله علاقة غير تقليدية تأخذ بعداً غيبياً لا يكون فيها الفهم وفق الموازين التي تستند على ما هو ظاهري وما هو السائد من قيم معيارية للسلوك في المجتمع قادراً على تقديم تفسير لها، وهو ما سنلاحظه في موقف بعض مَن حاول منع الإمام الحسين عليه السلام من القيام بحركته.

ومن هنا يظهر وجه المناسبة في نقل هذه المفردة من المجال الإسلامي إلى المجال المسيحي، وجعلها مقابلاً للعلم المناظر لعلم الكلام عند المسلمين، «**فهذا العلم** [المناظر] **يتكلّم فيه بالأصالة على الله... فالله... موضوعه**»[2]، وهذا الكلام يكون من حيث إنّ الله مصدر العقيدة وما يرتبط بها من سلوك، علم اللاهوت يُعرف بأنّه «**علم**

(١) أُنظر: السبزواري، الحاج هادي، شرح المنظومة في المنطق والحكمة: ج٢، ص٨٤٣.
(٢) توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية: ج١، ص١٦.

الديانـة»[1]، والبحـث في الديانة لا يكون من حيث كونها ظاهرة بشرية «**تنطوي تحت علـم الإنثروبولوجيا**»[2]، بل من حيث «**صورتها الموضوعيـة المبينة في النواميس الإلهية الملزمة للإنسان لأنّها صادرة من الله**»[3]، ولذلك فإنّ علم اللاهوت «**لا بدّ أن يبتني على إعلان ما فوق طبيعي**»[4]، وهو الوحي المقدّس.

ثانياً: السياسي والثوري

في إطار توصيف حركة الإمام الحسين عليه السلام في اللغة السائدة في الخطابة والإعلام، صار وصف الثورة من التوصيفات اللازمة والغالبة الأمر الذي يجعله يكاد أن يكون الوصف المنحصر.

وهذا الوصف إذا أخذناه بمعناه الحقيقي الذي هو مقتضى الأصالة في الاستعمال ورفض سـلبه عنها عند مسـتعمله، فإنّه يسـتبطن القراءة السياسـية لهـذه الحركة، ممّا يقتـضي التوقّف في حقيقة ما هو سـياسي ومـا هو ثوري قبل تحديـد الموقف من هذه القراءة:

١ـ السياسـة: إنّ تحديد مفهوم ما هو سـياسي، ينبغي أن ينطلق من المجال المعرفي الذي يتناول الممارسـة السياسـية بالبحث والتحليل، وهو علم السياسة، لا سيما وأنّ الممارسـة السياسـية يختلط معها ما هو غير سـياسي؛ الأمر الذي انعكس على الموقف مـن تحديد المقـوم الوجودي لما هو سـياسي، ونعني به الموضوع؛ إذ ظهـر اتجاه أُطلِق عليـه الاتجـاه السـلبي الذي مثلته «**المحـاولات التي تميـل إلى إنكار تمتّع علم السياسـة بوقائع اجتماعية خاصة به**»[5]، الذي يرجع عند مَن يتبنّاه إلى شمول الظاهرة السياسية وقائع اجتماعية تنتمي إلى علوم أُخرى مثل (التاريخ والاقتصاد والجغرافية والفلسفة

(١) جرهاردوس ثوس، علم اللاهوت الكتابي: ص١١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الطعان، د. عبد الرضا، والأسود، د. صادق، مدخل إلى علم السياسة: ص١٢.

والقانون)[1]، ولكن في المقابل هناك اتجاهاً إيجابياً في تحديد موضوع السياسة يختص به علمها، غير أنّه انقسم على موقفين: أحدهما يرى أنّه الدولة، والآخر يرى أنّه السلطة، وهذا الأخير «**يحظى... بتأييد العدد الأكبر من علماء السياسة**»[2]، وهو خلاف ليس بذات أهمّية كبيرة، فظهر اتّجاه يرى فيه أنّه خلاف على المستوى النظري فقط، وإلّا فالواقع واحد «**ذلك أنّ الذين يعرّفون السياسة بأنّها: علم السلطة العامّة يعترفون هم أنفسهم بأنّ السلطة تبلغ في الدولة أكمل صورها وأتمّ تنظيم، وإنّ من الواجب أن تُدرس في هذا الإطار خاصّة**»[3]، فالخلاف إنّما بين الشيء ومظهره، لأنّه بالنتيجة إنّ «**علم السياسة موضوعه الدولة ومظهرها هو السلطة**»[4].

إذن؛ ما هو سياسي لا يخرج عن موضوعه الدولة والسلطة، إلّا أنّه ـ وحذراً من الخلط مع المجالات التي تحيط بالظاهرة السياسية ـ يجب التأكّد أنّ الظاهرة لكي تكون سياسية لا بدّ أن تكون الدولة والسلطة قيداً فيها، بحيث القيد والتقييد داخل، وإلّا لو كان القيد خارجاً كما لوكان ظرفاً للظاهرة، فإنّها لا تكون سياسية لاستلزامه أن يكون كلّ ما هو اجتماعي سياسي؛ لأنّه لا وجود للسياسة مفهوماً ووجوداً خارج المجتمع؛ لذا كان مصدر الخلاف في التحديد الإيجابي لموضوع السياسة هو أنّ الفعل الاجتماعي يمكن أن يندرج في أكثر من مجال بتعدد جهات الظاهرة الاجتماعية، فالسلطة لها اعتبارات بعضها يجعلها سياسية والآخر ليس كذلك، فعدم التقييد سيعني الرجوع إلى الاتجاه السلبي المرجوح علمياً في موضوع السياسة.

٢ـ الثورة: (غربية المفهوم)، مفردة الثورة في مفهومها السياسي الحديث تختلف بالكامل عن مفهومها في التاريخ العربي الإسلامي، فمادة (ث.و.ر) في معناها المركزي

(١) المصدر السابق: ص١٩.
(٢) عبد أسعيد، د. محمد فايز، الأُسس النظرية لعلم الاجتماع السياسي: ص٣٠.
(٣) موريس دوفرجيه، مدخل إلى علم السياسة: ص٧.
(٤) د. بطرس بطرس غالي، د. محمود خيري، المدخل في علم السياسة: ص٨.

تـدل على «**انبعـاث الشيء**»[1]، وهذا مـا نجده حاضراً ضمناً في اسـتعمالاتها في عصر النصّ كالحديث «**صلّوا العشـاء إذا سـقط ثور الشفق، أي: انتشاره. وثوران حمرته: من ثـار الشيء يثور إذا انتشر وارتفع**»[2]، كما أنّ صيغة الفعل (ثار) التي هي مسـتعملة في اللغة السياسـية الحديثة لم تكن لها دلالة سياسـية، ففي «**الخبر ثارت قريش بالنبي**ﷺ، **فخـرج هاربـاً، أي: هيّجـوه مـن مكانـه**»[3]، ولهـذا المعنـى اللغـوي ـ أي: الهيجـان ـ سـمّى العرب الحيوان المعروف باسـم الثور بهذا الاسـم لأنّه «**يثير الأرض**»[4] ويهيج ترابها، وكذلك نجد اسم الفاعل من هذه المادة، أي (الثائر) لم يكن له دلالة سياسية، بـل كان تعبيراً عن حالة نفسـية وهي الغضب، إذ «**الثائر الغضبـان، ويقال للغضبان: أهيج ما يكون قد ثار ثائره**»[5].

إنّ المتتبّـع لصيـغ هذه المادة في لغة عصر النصّ ـ وهو عصر المعصوم ـ يجدها تكاد تكون خالية من الصيغة (ثورة)؛ إذ لا نجد هذه الصياغة إلّا في بيت من الشعر مروي بروايتين، أحدهما بهذه الصيغة، والأُخرى برواية (ثروة) بدل (ثورة)؛ مما يحتمل قوياً وجود تصحيف، ومع قطع النظر عنه، فإنّه على الروايتين المعنى المراد هو الكثرة[6].

إذن؛ لا يوجـد لمفـردة (الثورة) اسـتعمال شـائع حتى على المسـتوى اللغـوي، ممّا يجعـل عملية حمـل كلمة (ثورة) على حركة الإمام الحسـين عليه السلام حمـلاً حقيقياً بالدلالة السياسـية اسـتعمالاً تأويليـاً لا يجد مصححاً له على مسـتوى الاسـتعمال، وهو ما قد يفسِّر لنا حقيقة أنّنا لم نجدها مسـتعملة في مجموع أحاديث الأئمة الاثني عشر المروية في كتب بحار الأنوار ووسـائل الشـيعة ومسـتدركه، ولا في كتاب نهج البلاغة، فلا

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ص١٧٤.
(٢) ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج١، ص٢٢٩.
(٣) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٢، ص١٦١.
(٤) المصدر السابق: ج٢، ص١٦٢.
(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٥٠٩.
(٦) اُنظر: المصدر السابق: ج١، ص٥٠٩ـ٥١١.

نجـد رواية واحدة تصف حركـة الإمام بكلمة (ثورة)[1]، وكذلك لا نجد اسـتعمال كلمـة (ثورة) في كتب الآداب السـلطانية التي تمثِّل في التراث الإسـلامي «**الكتابات السياسـية... الواجب على الحاكم اتباعها**»[2]، وتمثِّل مصدر «**الثقافة السياسية الفلسفية والثقافة السياسـية الشرعية**»[3] للمسـلمين؛ إذ تشـمل النصوص السياسية منذ عصر الرسولﷺ وتنتهي في القرن العاشر الهجري[4].

وعند الانتقال إلى الثقافة السياسية الحديثة نجد كلمة (الثورة) أصبحت مصطلحاً لمفهوم الـ(*Revolution*) الذي تعرّفه القواميس الإنكليزية[5]:

An attempt, by large number of people, to change the government of country, especially by violent action[6].

An overthrow or repudiation and the thorough replacement at an established government or political system by the people governed[7].

من خلال هذين التعريفين يمكن القول: إنّ الثورة السياسية متقوِّمة بأمرين:

الأول: مـن ناحية الفاعل، وهو قيام أعداد كبيرة من الجماهير بهدف تغيير جذري راديـكالي لنظـام الحكـم القائـم، وليـس من قبـل مجموعة مـن رجال الجيـش كما في الانقلاب العسكري.

---

(١) أُنظر: المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث بحار الأنوار: ج٦، ص٣٥٩٤- ٣٥٩٧. المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث وسائل الشيعة: ج٢، ص٧١٢. المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث مستدرك الوسائل: ج١، ص٦٢٠. المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ص٧٨.

(٢) علام، د. عز الدين، الآداب السلطانية: ص٨.

(٣) المصدر السابق: ص٩.

(٤) أُنظر: موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي الإسلامي: ص١٢٨٩- ١٣٢٠.

(٥) نقلت النص كما هو حرصاً على بيان أصل الدلالة في اللغة الأُم، ودفعاً لإشكال الترجمة المتهمة بخيانة النص وتشويه الأصل. أُنظر: د. ميجان الرويلي، د. سعد الزغبي، دليل الناقد الأدبي: ص١٦١-١٦٦.

(٦) *Oxford dictionary, oxford university press, p1096*.

(٧) *www.dictionary.com*.

الثاني: من ناحية الهدف، وهو استلام السلطة وإنشاء نظام سياسي جديد، وليس مجرّد تغيير أشخاص السلطة كما هو في الانقلاب.

بالنتيجة، فإنّ ما هو سياسي وثوري يكون المنظور فيه والعلّة الغائية له سلطة جديدة، ومن دون هذين المقومين لن يكون نسبة السياسي والثوري لحركةٍ ما إلّا من باب المجاز في الإسناد؛ فيصح نفيها عنها.

المبحث الثاني: الطف (تصحيح ديني)

إنّ أوّل المواقف التي اقترنت بمواجهة مسلحة في تاريخ الأئمة الاثني عشر تجاه السلطة كان موقف الإمام الحسين عليه السلام، وقد قُرِئ هذا الموقف في ثقافة المسلمين عامّة والشيعة خاصّة على أنّه ثورة سياسية قام بها الإمام الحسين عليه السلام من أجل إسقاط السلطة الأُمويّة، إلّا أنّنا عند الرجوع إلى المراحل التوليدية لهذا الموقف ونصوص الإمام عليه السلام التي أنتجها في مراحل هذا الموقف سوف تنتج لنا قراءة أُخرى بعيدة عن الدلالة الثورية المسلحة.

لقد كان الموقف الأساس في حركة الإمام الحسين عليه السلام، هو عدم مبايعة السلطة[1]، «**متأبياً عن بيعة يزيد، آنفاً من الانخراط في زمرة رعيته**»[2]، وهو موقف يعود إلى عدم شرعية خلافة يزيد، إذ زيادة على عدم اتّصافه بالصفات الأساسية ليكون خليفة للمسلمين بعد ارتكابه الكبائر والفواحش كشرب الخمر[3]، فإنّ أخذ البيعة بولاية العهد كان بطريقة مسرحية متجاوزة لإرادة النخبة وإجبار مَن كان حاضراً منهم وتحت تهديد السيف[4]. والإمام الحسين عليه السلام لم يتجاوز هذا الموقف إلى موقف تصعيدي آخر بوجه سلطة يزيد، بل إنّه عندما أدرك أنّ السلطة سوف تجبره على

(١) أُنظر: العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج٣، ص١٧.

(٢) ابن الطقطقا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية: ص١١٤.

(٣) أُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٥٤.

(٤) أُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٥٠٧-٥١١. آل ياسين، مرتضى، صلح الحسن: ص٣١٢.

البيعة قرّر ترك المدينة إلى مكّة، وهو يتلو الآية الكريمة: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، وعندما دخل مكة قال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[2][3]، وهو نصّ قرآني يعبِّر عن الحالة النفسية لموسى عليه السلام عندما خرج من المدينة بسبب قتله القبطي وهو يتوقع اللحاق به وقتله[4]، فكان خائفاً من القتل، يسعى في خروجه من مصر لأنْ ينقذ نفسه من خلال عون إلهي بتوجيه إلى مخرج وسطي للنجاة، لأنّ الأخذ يميناً وشمالاً يباعد عن طريق الصواب[5]، ممّا يعني أنّنا أمام نصّ ذي فعل إنجازي تعبيري ينتج وظيفة اتصالية تعبِّر عن الحالة النفسية للإمام عليه السلام وموقف السلطة تجاهه، وهي حالة تكشف عن عدم وجود قرار لمواجهة السلطة عسكرياً، وأنّ الموقف الوسطي الذي اتّخذه هو تحاشي الصدام معها، لا سيما وأنّ سورة القصص تضمّنت في عتبتها نصوصاً (آيات) لها علاقة تجاور مكاني مع النص الذي استشهد به عليه السلام، دلالتها الإنجازية على وعد إلهي بنصر المستضعفين وتمكينهم في الأرض كقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾[6]، وهي دلالة تنطبق على الإمام عليه السلام الذي هو امتداد لأخيه الحسن عليه السلام الذي استُضعف بسبب الخيانات الكبيرة في جيشه[7]، الذي دفعه للصلح بدلاً من القتل، هو وبعض أتباعه المخلصين[8]، ممّا يجعل لها بُعد تعبوي واستثاري عندما يخاطب بها الجمهور.

---

(١) القصص: آية٢١.

(٢) القصص: آية٢٢.

(٣) أُنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، كتاب مقتل الحسين عليه السلام: ص١١.

(٤) أُنظر: الطبرسي، محمد بن الفضل، جوامع الجامع: ج٢، ص٧٣٦.

(٥) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٨، ص١٤٠-١٤١.

(٦) القصص: آية٥ـ٦.

(٧) أُنظر: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج٢، ص١١٣.

(٨) أُنظر: الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر: ج١، ص٥٢١ـ٥٢٢.

وقد كان الإمام عليه السلام صريحاً في أكثر من نصٍّ على أنّه مطارد من السلطة وأنّها حسمت قرارها في تصفيته الجسدية عندما يصرّ على موقفه على عدم الاعتراف بشرعيتها، ففي حوار مع عبد الله بن عمر الذي بَيَّن للإمام عليه السلام أنّ البيت الأُموي بعداوته وظلمه للبيت الهاشمي، سوف يستغل هذه الفرصة لقتله، ودعاه إلى الصبر على يزيد كما صبر على معاوية، فأجابه الإمام عليه السلام بفعل قولي استفهامي إنجازه الرفض الشديد لمحتواه، إذ قال: «**أنا أبايع يزيد وأدخل في صلحه؟!**»[1]، وهو «**رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرمة، مُعلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله**»[2].

ومع قراره النهائي بعدم مبايعة يزيد، ويقينه المطلق بأنّه مقتول لا محالة، إلّا أنّه رفض الاستفادة من الزمان والمكان في تعبئة الجمهور ضد السلطة، فهو لم يستثمر حالة الرفض التي كان يحملها المسلمون ليزيد وسلطته، ولم يوظف المسجد والبيت الحرام بما له من بُعد معنويّ في إثارة العاطفة الدينيّة للمسلمين، فعندما عرض عليه ابن الزبير البقاء في مكّة بعد وصول رسائل أهل الكوفة بمبايعته على الثورة وتسليمه السلطة، طالباً منه عدم السفر إلى العراق، قال له الإمام عليه السلام: «**والله، لأن أُقتل خارجاً منها بشبر أحبّ إليّ من أن أُقتل داخلاً منها بشبر**»[3]؛ لأنّ للمسجد حرمة «**لا نستحلّها ولا تُستَحل بنا، ولأن أُقتل في تل أعفر أحبّ إليّ من أن أُقتل بها**»[4] و«**لأن أُدفن بشاطئ الفرات أحبّ إليّ من أن أدفن بفناء الكعبة**»[5].

إذن؛ يمكن القول: إنّ استقراء نصوص الإمام في مكّة ينتج أنّه عليه السلام قد هيّأ نفسه إلى نتائج موقفه بعدم مبايعة يزيد، ولم يكن هناك نصوص طرح فيها الإمام نفسه كمنقذ

---

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢٦.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٤٤٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٥.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٨٩.

(٤) المصدر السابق: ج١٠، ص٤١٥.

(٥) المصدر السابق: ج١٠، ص٤١٥.

وثائر يريد قلب السلطة[1]، إلّا بعد أن جاءته رسائل أهل الكوفة التي كان أصحابها «**رجالاً بارزين من القبائل، ومن اليمانية على وجه الخصوص... أكبر القبائل عدداً وأهمّيةً**»[2]، وكانت نصوصها ذات صيغ أدائية في التعبير عن تعهّد بمبايعته وتسليمه السلطة، منتجة ببسط حجاجي للموضوع؛ إذ كان رفضهم سلطة يزيد بسبب أنّها كانت عن طريق «**تآمر على هذه الأُمّة، بلا مشورة ولا إجماع ولا علم من الأخبار**»[3]، ولذا اتّخذوا القرار في دعوته إلى قيادتهم، فأرسلوا له خطاباً بأنّ «**الناس منتظرون لا رأي لهم في غيرك، فالعجل العجل يا بن بنت رسول الله، قد اخضرّت الجنات وأينعت الثمار وأعشبت الأرض وأورقت الأشجار**»[4]، «**فأقبل... فرحاً مسروراً مأموناً مباركاً سديداً وسيداً وأميراً مطاعاً، إماماً وخليفة علينا مهدياً**»[5].

ومع هذه النصوص الأدائية التعبير عن موقفها، بحيث لا تترك للمتلقّي لها شكوك في دلالتها إلّا أنّ الإمام عليه السلام مع موافقته على العرض، ويقينه السياسي والغيبي أنّه سيُصفّى جسدياً ـ كما سيتبيَّن في المطلب الآتي ـ فإنّه بعث رسوله مسلم بن عقيل ليتأكّد من وصول الجماهير الكوفية إلى مرحلة أداء التزامها بالوقوف معه ضد سلطة يزيد، قائلاً له: «**امضِ على بركة الله حتى تدخل الكوفة... فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي، فعجّل لي بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى**»[6].

إذن؛ انتقال الإمام عليه السلام من مرحلة الموقف الشخصي غير المسلّح إلى الموقف الجماهيري الثوري كان بسبب العرض الكوفي ـ النخبوي والجماهيري ـ الذي يقترب كثيراً من موقف أبيه الإمام علي عليه السلام بعد مقتل عثمان، فيكون دافع موافقة الإمام عليه السلام

(١) أُنظر: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٧١ـ٤٠٠.
(٢) فلهاوزن، الخوارج والشيعة: ص١٠٥.
(٣) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢٨.
(٤) المصدر السابق: ص٢٩.
(٥) المصدر السابق: ص٢٨.
(٦) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ص٢٠٤.

الدافع نفسه عند أبيه، وهو قيام الحجّة، وتحول الموقف من موقف فردي اختياري إلى موقف ديني إلزامي، ولذا عندما حصل تغيّر في الموقف بعد أن تمّ اعتقال قسم من النخبة، وتغيّر موقف القسم الآخر[1]؛ ما أدّى إلى سيطرة والي الكوفة على الجمهور وتعبئته ضد الإمام عليه السلام، فعاد الإمام عليه السلام إلى موقفه الفردي من خلال خطابه لأهل الكوفة قائلاً: «**أيّها الناس، إنّها معذرة لله جلّ وعلا، إنّي لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم: أن أقدم علينا، فإنّه ليس لنا إمام، لعل الله يجمعنا بك على هدىً، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم؛ أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين؛ انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم**»[2].

فهذا النصّ بدأ في عتبته بوظيفة إخبارية، إن المواقف التي اتّخذها الإمام عليه السلام مستندها الواجب الشرعي بعد أن منحته الجماهير عهداً بالبيعة والالتزام بمضمونها، وهو ما مثّل نواة موضوع النص، فلكي يتحقق انسجام النصّ والاتّساق الموضوعي له، لا بدّ أن تكون العلاقة بين عتبة النص والمحتوى القضوي في تعليق مجيئه على دعوتهم هو السبب للموقفين الذي اقترحها الإمام عليه السلام عليهم، اللذين بدورهما يستندان إلى موقف الجماهير وإرادتهم، وليس لإرادة فوقية تجسدها إرادة الإمام عليه السلام، مع أنّ إرادته متطابقة مع الإرادة الإلهية في رفض السلطة الظالمة اللاشرعية.

وقد كان الإمام عليه السلام في مجموع نصوصه يؤكِّد على تبعية موقفه الثوري لموقف الجماهير التي طلبت منه قيادتها؛ لذا عندما علم إن أهل الكوفة قد تراجعوا عن موقفهم قرر الرجوع إلى مكّة، غير أنّ عبيد الله بن زياد رفض ذلك، واشترط عليه أن يبايع يزيد؛ الأمر الذي رفضه الإمام عليه السلام، راضياً بالموت ثمناً لهذا الرفض[3]، وهو عليه السلام لم يلمح بالثورة على السلطة، بل جعل موقفه غير محدّد مسبقاً، وإنّما يتحدّد في ضوء ما

(١) أُنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٤٣ـ٤٥.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ص٢٣٥.

(٣) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص١٥٣.

يكون عليه موقف الجماهير من سلطة يزيد[1].

وكما كان عليه السلام يؤكّد على تبعية إرادته الثورية المسلحة إلى إرادة الجماهير، فهو لم يمارس عليهم ضغطاً دينياً أو سياسياً أو أخلاقياً للالتحاق به والبقاء معه، ففي طريقه إلى الكوفة خاطب بعض المجموعة التي كانت معه بأنّي: «**لا أُكرِهُكم، مَن أحبّ أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسَنّا صحبته، ومَن أحبّ أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض**»[2]، وهو موقف لم يرتبط بظروفه وموقف أهل الكوفة؛ لذا كرره على مَن بقي معه بعد علمه بأنّ أهل الكوفة تراجعوا عن موقفهم، وقُتِل مسلم بن عقيل، إذ خاطبهم «**قد خذلتنا شيعتنا، فمَن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف، ليس عليه منّا ذِمام**»[3]؛ الأمر الذي أدّى إلى تفرّق معظم مَن كان معه، ولم يبقَ معه إلّا مَن جاء معه من المدينة.

إنّ هذين المبدئين اللذين سار عليهما الإمام عليه السلام في خطابه مع أتباعه، وهما: إنّ موقفه الثوري تابع لإرادة الجمهور، وأنّ أتباعه يملكون الحرّية الكاملة في تغيير موقفهم، وكان الإمام عليه السلام يبادر إلى الطلب إليهم بتركه عندما يجد أنّ المواجهة قد اقتربت مع السلطة، قد حافظ عليها الإمام إلى آخر لحظة، ففي ليلة عاشوراء خاطب أتباعه قائلاً: «**إنّي لا أحسب القوم إلّا مقاتلوكم غداً، وقد أذنت لكم جميعاً، فأنتم في حلٍّ منّي، وهذا الليل قد غشيكم، فمَن كانت له قوّة، فليضم رجلاً من أهل بيتي إليه وتفرقوا في سوادكم**»[4]، «**فأنتم في حلّ وسعة من بيعتي وعهدي الذي عاهدتموني**»[5]، وخاطب أهل الكوفة والجيش الذي يواجهه في صبيحة يوم عاشوراء «**أيّها الناس، إذ كرهتموني؛ فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض**»[6].

---

(١) أُنظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٤٥٩.

(٢) المصدر السابق: ج٣، ص٤٤٤.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ص٢٢٣.

(٤) الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج٥، ص١١.

(٥) البحراني، هاشم، مدينة المعاجز: ج٤، ص٢١٤.

(٦) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٤٦٥.

إذن؛ خطاب الإمام الحسين عليه السلام منذ مواجهته الأُولى مع والي المدينة إلى يوم عاشوراء لم يكن خطاباً تعبوياً ثورياً لتغيير السلطة، وإنّما اقتصر على مستوى موقفه في رفض البيعة، وقراره بقبول عرض أهل الكوفة الذي تراجع عنه بعد تراجعهم عنه، إلّا أنّ السلطة الأُمويّة لم تمنحه إلّا أحد الخيارين: إمّا القتل أو الاستسلام والبيعة، فكان الإمام عليه السلام ليس أمامه غير خيار القتل، وهو قرار لم يكن لأجل محاولة تغيير السلطة، بل لأنّه الموقف الإنساني والديني والشَرَفي الذي ينسجم مع شخصيته، وهو ما قدّمه الإمام عليه السلام من خلال النص الآتي في يوم عاشوراء: «**هيهات منّي الذلة، أبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وجدود طهرت، وحجور طابت، أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**»[1]. فهو نص بدا بتقرير وظيفته الكلية الإعلامية، وهي الرفض لخيار الاستسلام والبيعة، مقدم هذه الوظيفة باستراتيجية إقناعية تقوم على عرض سطح النص بتقنية الموازاة لزيادة الإعلامية وإحداث استقرار محتوى موقفه لجعل عالم النص محدداً لدى القارئ ما أمكن.

إذن؛ التعبير عن الموقف النهائي للإمام الحسين عليه السلام بأنّه ثورة مسلحة لإسقاط السلطة، تعبير إيديولوجي تأويلي لا ينسجم مع نص الإمام عليه السلام، الذي لم يتجاوز فعله الإنجازي، الموقف الأساس تجاه السلطة في عدم المبايعة وعدم إعطائها الشرعية بعد الانحراف الكامل في مركز السلطة في المجتمع الإسلامي، أي منصب الخلافة عن النبي صلى الله عليه وآله الذي بدأ يتحول إلى مَلَكيّة أُمويّة منذ تسلّم عثمان الخلافة، وهو تحوّل تدريجي بلغ قمّته في ملك معاوية[2]؛ الأمر الذي دفع أتباع الإمام الحسين عليه السلام بأن يطلبوا منه الثورة بعد اغتيال معاوية لأخيه الحسن عليه السلام، إلّا أنّ الإمام عليه السلام لم يتفق معهم، وطلب منهم السكوت والصمت الكامل تجاه سلطة معاوية، وأمرهم في نص مركّز: «**أمّا أنا، فليس رأيي اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض، وأكمنوا في**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٨٣.

(٢) أُنظر: الحسين، د. قصي، موسوعة الحضارة العربية: ص١٧ـ٢٢.

البيوت، واحترسوا من الظنّة ما دام معاوية حيّاً»[1]، وهو الموقف نفسه الذي اتخذه مع أخيه الحسن عليه السلام قبل اغتياله[2].

إنّ المنهج السلمي في معارضة السلطة من قِبَل الإمام الحسين عليه السلام حافظ عليه حتى في أكثر الفرص المتاحة لمباغتة السلطة وتحقيق نصرٍ أوّليّ عليها؛ إذ بعد استشهاد مسلم بن عقيل ومحاصرة الحرّ الرياحي للإمام عليه السلام، وإلزامه بالذهاب معه إلى الكوفة وابن زياد، قال له زهير بن القين: «**يا بن رسول الله، إنّ قتال هؤلاء القوم الساعة أهون علينا من قتال مَن يأتينا من بعدهم... فقال الحسين عليه السلام: ما كنت لأبدأهم بالقتال**»[3]. وهو موقف حافظ عليه حتى في يوم عاشوراء؛ إذ لم يأذن لأتباعه بالقتال إلّا بعد أن أعلن عمر بن سعد الحرب برمي الحسين عليه السلام وأصحابه بسهم، فقال لأتباعه: «**قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بدّ منه، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم**»[4].

إذن؛ إذا كان الإمام عليه السلام قد تبنّى موقفاً سلمياً يرى أنّه مسؤوليته وحده، ولم يعمل على تعبئة وإلزام الجماهير، فإنّنا سنكون أمام عناصر سياقية تحدد دلالة الموقف على وفق مبدأ التأويل المحلي، بأنّ الموقف أراد إنتاج رسالة غير سياسية، بل رسالة تصحيحية لواقع بلغ من الانحراف يهدد المحدد الفوقي الذي يحكم الموقف السياسي تجاه السلطة، وهو الحفاظ على المعالم والخطوط العامة للإسلام في المجتمع؛ ممّا جعل أمام الإمام عليه السلام واجباً تجاه المجتمع والتاريخ في بيان أنّ المرحلة بلغت ذروة الانحراف، فكان منهجه في ذلك «**الامتناع عن البيعة ليحول دون تمتّع يزيد بصفة المرجعية الدينيّة عند عامّة المسلمين، وليحتفظ بالقدرة على تصحيح وتقويم الانحراف على المستوى العقيدي والتشريعي، ولما واجه الخيار بين البيعة والقتل آثر الثورة** [الشخصية]

(١) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٢٢٢.
(٢) المصدر السابق: ص٢٢١.
(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ص٢٢٢.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٠، ص٣٧٨.

الانتحارية ليسجِّل هذا الموقف المبدئي»[1]، واختياره القتل لم يكن خياراً، بل كان واجباً؛ لأنّه الطريق الذي سيحقق «**الفصل التام في وعي الأُمّة بين منصب الخلافة وبين المرجعية الدينية للأُمّة**»[2]، بعد أن أخذ الوصل التام بينهما يستقر في المجتمع بوصفه امتداداً لمرحلة قيادة النبي صلى الله عليه وآله والخلافة الراشدة، وهو فصل إذا تمّت المحافظة عليه والإيمان به في المرحلة الأُمويّة، ستكون له مرجعيته الشرعية في النصّ السلوكي للأئمّة بعد الإمام الحسن عليه السلام الذي أعطاه شرعية شكلية بالصلح مع معاوية.

هذه القراءة الدينيّة الإصلاحية لحركة الإمام الحسين عليه السلام نجدها في قراءة المرجع الكبير السيد محمد سعيد الحكيم الذي تقدّم كونه يمثِّل جماعة الخبرة التي تكون قراءتهم مُرجِّحاً في حالة تقاطع القراءات لنصٍّ أو موقف ما.

ترى هذه القراءة أنّ «**المنظور الأوّل للإمام**» الحسين عليه السلام يتجسّد في «**ما جناه الدين من ثمرات**»[3]، وبهذا المنظور أخذ الإمام الحسين عليه السلام خصوصيته التاريخية الفريدة في تاريخ المصلحين؛ إذ «**هو الذي يرتفع به إلى منزلة القديسين، وبه صار ثأر الله عزّ وجلّ**»[4].

إن هذا المنظور هو نتيجة الحكمة الإلهية من وجود الأئمة الاثني عشر وخلافتهم المعرفية للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله، التي أناطت بهم وظيفة دينيّة وهي «**رعاية الدين والجهاد في سبيل صلاحه وحمايته**»[5]، فكان الإمام الحسين عليه السلام في موقفه من البيعة للسلطة الأُمويّة محكوماً بهذه الوظيفة، إذ بعد أن وجد أنّ الإسلام ونتيجة تحكُّم اللعبة السياسية الأُمويّة به «**قد تعرّض بسبب انحراف السلطة لخطر التحريف والتشويه بحيث تضيع معالمه، ولا يتيسّر الوصول والتعرّف إليه لمن يريد ذلك، كما حصل في الأديان السابقة**»[6]، وجد نفسه الشريفة أمام واجب أداء الوظيفة الإلهية

---

(١) شمس الدين، محمد مهدي، فقه العنف المسلح في الإسلام: ص١٣٠.

(٢) المصدر السابق: ص١٣٠.

(٣) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص١٣٥.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق: ص١٠.

(٦) المصدر السابق: ص١٤١.

بوصفه أحد الأئمّة الاثني عشر القيِّمين على حفظ رسالة الإسلام، فكان في موقفه «**صاحب رسالة قد حمّله الله سبحانه إياها وائتمنه عليها**»[1].

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام يدرك أنّ الظروف السياسية والاجتماعية «**التي أحاطت بنهضته المباركة... لا تناسب انتصاره عسكرياً**»[2]، ومع ذلك لم يتراجع صلوات الله عليه عن موقفه قيد أُنملة من حيث هدفه الديني، وهو إسقاط شرعية السلطة في بُعدها الشرعي وحيثيتها الدينية التي كانت تقتضيها ثقافة المسلمين السياسية، ولا سيما بعد أحداث سقيفة بني ساعدة، والتي تماهي بين السلطة وإسلامية أفعالها وأقوالها، ومن ثمّة تكون السلطة مرجعاً لتحيد ما هو إسلامي؛ لذلك حرص الإمام عليه السلام على أن يعلم المسلمين «**انحصار المرجع في الدين بالكتاب والسنّة**»[3]؛ الأمر الذي نتج عنه «**المكسب المهم للدين في فصله عن السلطة غير المعصومة وتحريره من أن تتحكّم به**»[4]، فكان صلوات الله عليه مُصرّاً أشدّ الإصرار في الاستمرار في موقفه ورسالته الدينية، فيجد «**الناظر في تفاصيل واقعة الطف بموضوعية وإنصاف... أنّ الإمام صلوات الله عليه منذ امتنع عن بيعة يزيد في أواخر شهر رجب... صمم على المضي في مشروعه وتحقيق هدفه، عالماً أنّ ذلك ينتهي بقتله وقتل أهل بيته... مع ما يترتّب على ذلك من... انتهاك حرمته وسبي عياله والتشهير بهم**»[5]، وهذا الإصرار لا يكون مقبولًا إلّا إذا كان الهدف دينياً؛ إذ من الناحية السياسية والاجتماعية لم يترتّب أيّ إصلاح على هذا الموقف وهذا الإصرار، فـ«**إنّ النهضة الشريفة لم تخفف من غلواء السلطات المتعاقبة باسم الإسلام في الظلم والطغيان والإثرة والتعدّي، وانتهاك الحرمات العظام،**

(١) المصدر السابق: ص١٣٦.
(٢) المصدر السابق: ص٣٦ـ٣٧.
(٣) المصدر السابق: ص٩.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق: ص٤٩.

والخروج عن أحكام الله عزّ وجلّ في مختلف المجالات»[1]، كما أنهّا لم تمسّ آلية استلام السلطة وانتقالها، فهي «**لم تمنع من استمرار العمل على نظام ولاية العهد في الخلافة من دون رعاية أهلية المعهود له**»[2]، بل لم يكن لها أثر اجتماعي من الناحية الدينيّة والأخلاقية، فهذه «**النهضة لم تقف حاجزاً دون تدهور المجتمع دينياً وخُلقياً بشرب الخمر وظهور الفجور واستعمال الملاهي وأكل الحرام والجرأة على الدماء... إلى غير ذلك**»[3].

إذن؛ لا يمكن أن يكون الجانب السياسي هدفاً للإمام عليه السلام، بل إنّ جعله هدفاً هو طعن بحكمة الإمام عليه السلام، فضلاً عن عصمته بعد عدم تأثّر الواقع السياسي بنهضته، بل نجد أنّ أركان الدولة الأُمويّة تمت بعدها واستمرت ويقارب ثمانين سنة، وهو ضمن العمر الطبيعي للدول في بعض نظريات فلسفة التاريخ، وعندما سقطت فإنّها سقطت بما يناظر الانقلاب العسكري في الوقت الحاضر، أي: إنّ روحها بقيت وإنّما تغيّر الأشخاص.

المبحث الثالث: الموقف والنفحة الغيبية

بالرغم من كون البُعد الغيبي يُمثّل بُعداً صوفياً في السلوك، ولا يُمثّل مؤشّراً منطقياً لتفسير الأحداث، إلّا أنّ إنتاجه بتقنية التكرار في الموقف، يدفع المتلقّي لخطاب هذا الموقف إلى عدم التجاهل الكامل له في محاولة قراءته تقنيّاً، لكون فاعله بتكراره إنتاج هذا البُعد وإصراره على عرضه بعبارة موازية، يكون قد أنتج دالاً في رسالته، لا بدّ أن يدخلها المتلقي في المعالجة، لأنّ تجاهلها هو تجاهل لأحد عناصر بنية النص في كلّيته حسب ما يطرحه المنتج؛ ممّا يعني إحداث خلل في الترابط الداخلي والتماسك الدلالي للنص، على مستوى السطح وعلى مستوى العمق، وتجاهل لأحد العناصر السياقية والذي يترك أثره السلبي على إنجازية النص ووظيفته للعلاقة التوليدية بين التماسك الداخلي للنص ووظيفته.

---

(١) المصدر السابق: ص١٣٨.

(٢) المصدر السابق: ص١٣٧.

(٣) المصدر السابق: ص١٣٩.

وعنـد مراجعـةٍ ثانية للنصـوص التي أنتجهـا الإمام الحسـين عليه السلام، وخصوصاً في المرحلـة المكّية وقبل تطوّر الأحداث وبروز موقف السـلطة منه، نجده عليه السلام في حواره مـع الرافضـين لقراره في عدم مبايعـة يزيد وقبول عرض أهل الكوفـة، يؤكّد على أنّ موقفه ونتائجه قد حُدِّدت له مسبقاً وغيبياً من قِبَل الرسول صلى الله عليه وآله.

وفيما يأتي نماذج لنصوص هذا البعد الغيبي:

١ ـ في حـواره عليه السلام في المدينة مع أخيه عمر الذي ألمح له بأنّ أخاه الحسـن عليه السلام نقل عن أبيه بأنه سـيُقتل، فأجابه الإمام عليه السلام: «**حدّثني أبي أنّ رسـول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقتله وقتلي، وأن تُربتي تكون بقرب تربته، فتظنّ أنّك علمت ما لم أعلمه!**»[١].

٢ ـ في حـواره عليه السلام مـع أُمّ سـلمة في المدينـة: «**يا أُمـاه، والله إنّي مقتـول، وإنّي لا أفرّ مـن القدر المقدور والقضاء المحتـوم، والأمر الواجب من الله تعالى... يا أُمّه، إن لم أذهـب اليـوم ذهبت غـداً، وإن لم أذهب غداً لذهبت بعد غـد، وما من الموت ـ والله يا أُمّه ـ بُدّ**»[٢].

٣ ـ عندما خرج الإمام عليه السلام إلى مكة، كتب الرسالة الآتية: «**بسم الله الرحم الرحيم، من الحسين بن علي إلى بني هاشم، أمّا بعد، فإنّه مَن لحق بي منكم استُشهد، ومَن تخلّف لم يبلغ الفتح، والسلام**»[٣].

٤ ـ بعد خروجه من المدينة إلى مكّة طلب منه ابن عمر أن يبايع، فأجابه الإمام عليه السلام أن أحد أسباب عدم مبايعته أنّ الرسول تنبّأ له بقتل يزيد له، وهو ما أكّده ابن عبـاس إذ قال: «**صدقت أبـا عبد الله، قال النبي صلى الله عليه وآله في حياتـه: ما لي وليزيد، لا بارك الله في يزيد، وإنّه يقتل ولدي وولد ابنتي الحسين**»[٤].

٥ ـ في خطابـه مـع ابن عباس الـذي حذّره من قتلـه في الطف، قـال: «**أنا أعرفُ**

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٢٠.
(٢) ابن حمزة، محمد بن علي، الثاقب في المناقب: ص٣٣١.
(٣) الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص٤٨١.
(٤) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢٦.

بمصرعي منك، وما وكدي من الدنيا إلّا فراقها»[1].

٦ ـ في خطابه مع رُسل أهل الكوفة: «**إنّي رأيت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي، وقد أمرني بأمر وأنا ماضٍ لأمره**»[2].

٧ ـ في جوابه لابن عباس عندما أراد منعه من الخروج من مكّة: «**يا بن عباس، أما علمت أنّ منيتي هناك، وأن مصارع أصحابي هناك؟!**»[3].

٨ ـ عندما أخبره بعض الناصحين له بأنّ أهل الكوفة ضعاف، وأنّ قلوبهم معه وسيوفهم عليه، قال: «**أعلم يقيناً أنّ هناك مصرعي ومصارع أصحابي**»[4].

٩ ـ بعد أن طلب منه ابن الزبير البقاء معه في مكّة وعدم الخروج للعراق، أجابه عليه السلام: «**وايمُ الله، لو كنتُ في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيَّ حاجتهم، والله، ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في السبت**»[5].

١٠ ـ بعد ما حذّره أخوه محمد بن الحنفية من غدر أهل الكوفة به، وسأله: لماذا هو في عجلةٍ من أمره في الخروج من مكّة إلى العراق؟ أجابه عليه السلام: «**أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله... فقال: يا حسين، اُخرج، فإنّ الله شاء أن يراك قتيلاً**»[6]. وبعد إصرار ابن الحنفية عليه بالبقاء؛ قال له: «**والله يا أخي، لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتى يقتلوني**»[7].

١١ ـ في طريقه إلى الكوفة، وضع الحسين عليه السلام رأسه فغفا، ثمّ انتبه باكياً، فسأله ابنه علي بن الحسين عليهما السلام عن سبب البكاء، فقال له عليه السلام: «**يا بُني، إنّي خفقت خفقة**

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٢، ص٣٦٢.
(٢) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٣.
(٣) الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة: ص١٨١.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٤.
(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٤٤٣.
(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٤.
(٧) المصدر السابق: ج٤٥، ص٩٩.

فعن لي فارسٌ على فرس وهو يقول: القوم يسيرون، والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نُعيت إلينا»[1].

١٢ ـ وفي صباح اليوم التالي أتاه، يسأله عن سبب تركه حرم الله وحرم جدّه صلى الله عليه وآله، فقال له: «... **إنّ بني أُميّة أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وايمُ الله، لتقتلني الفئة الباغية»**[2].

١٣ ـ في طريقه إلى الكوفة أيضاً في العقبة، رجاه أحد الشيوخ الرجوع؛ لأنّه عند تقدّمه لن يواجه إلّا السيوف والأسنّة، وأنّ أهل الكوفة لو كانوا صادقين لهيأوا لك الأمر بطرد واليها. فقال له عليه السلام: «**يا عبد الله، ليس يخفى عليَّ الرأي، وإنّ الله تعالى لا يُغلب على أمره... والله، لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة في جوفي»**[3].

هذه أهم النصوص ذي المرجعية الإخبارية الغيبية التي أنتجت في سياق النصوص التي أكّدت السبب في موقف الإمام عليه السلام في رفض سلطة يزيد، ونجد فيها نصوصاً كان مصدر مصداقية مضمونها الرؤية التي كانت في ثقافة المسلمين تمثّل أحد مصادر المعرفة؛ إذ إنّ القرآن الكريم قدّم أُنموذجاً لهذا المصدر، كقوله تعالى يخاطب النبي صلى الله عليه وآله: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾[4]، وكان سبب نزول هذه السورة هو أمر الله للرسول صلى الله عليه وآله في المنام أن يدخل المسجد الحرام. وكقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾[5][6].

وزيادة على هذا التداول القرآني للرؤية، فإنّ النصوص المؤسسة المنتَجة من قِبَل

---

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٨٢.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٨.
(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٧٦.
(٤) الفتح: آية١٣.
(٥) الإسراء: آية٦٠.
(٦) أُنظر: النوري الطبرسي، حسين، دار السلام: ج١، ص٧١ـ٧٢.

الأئمّة قد أعطت لهذا المصدر مصداقيّة عالية، فجعلت رؤية المسلم الصالح جزءاً من سبعين جزءٍ من النبوّة[1]، وهو ما جعل تحليل الرؤية في الثقافة العربية مكانة متقدمة، الـذي كان يربـط النص بصاحبه على جميع المسـتويات حتـى إن صحّته لا تكتمل إلّا بحضور جميع العناصر جنباً إلى جنب[2].

وبهذا سـتكون لهذه النصوص ذي المصدر الغيبي (الرؤيا) دلالة إخبارية حاسمة عنـد المتلقّي الذي كان ممّن يؤمن بالمصداقية الكاملة لنصِّ الإمام؛ لذا كان الإمام عليه السلام يستند عليه في عَرضه الحجاجي لموقفه الحاسم في عدم مبايعة يزيد.

غـير أنّ هذا الحسـم في الموقف ونتيجته المأسـاوية، تمثِّل عنصراً طـارداً للجماهير، وهو ما تحقّق بالفعل عندما وجد الإمام عليه السلام نفسـه في قلّة من أهل بيته وأتباعه الذين انطلقوا معه من مكّة، ممّا يؤكّد الانطلاقة الشخصية لحركة الإمام عليه السلام وعدم ارتباطها في دوافعها التأسيسـية بالمنطلق الاجتماعي السـياسي، وإنّما متولدة من وظيفته الدينية المعرفية في بيان الانحراف في مبادئ الإسلام.

إذن؛ عندما نقرأ نصوص الإمام عليه السلام الغيبية والحضورية التفسـيرية، سنكون أمام موقف أحد عناصر تكوينه هو العنصر الغيبي، وهو ما يترك دوراً تأويلياً لهذا الموقف في صالـح التأويل التقني الموجّه بعناصر السـياق في إطار المعرفـة المحليّة للمتلقِّي في كونه موقفاً تصحيحياً من خلاله «**تمّ إنقاذ الإسـلام من أن تكون السلطة السياسية هي القيِّمـة عليه**»[3]؛ لأنّ وجود هذا العنصر الغيبي المنسـجم مع موقف الإمام عليه السلام الذي كان يطرحه انطلاقاً من الواقع الحضوري للسـلطة وعدم شرعيتها، سيرسـل رسالة لمتلقّـي هـذا الخطاب الغيبي: إنّ موقف الإمام عليه السلام لا يمثِّل اجتهاداً شـخصياً، بل هو يمثِّل موقف السـماء، الذي سـيمنع من التعامل معه ـ لبعده الغيبي ـ على كونه موقفاً

(١) أُنظر: المصدر السابق: ج١، ص١٨. ابن سيرين، تفسير الأحلام: ص٢١.
(٢) أُنظر: الحمداني، د.حميد، القراءة وتوليد الدلالة: ص١٤٢.
(٣) شمس الدين، محمد مهدي، فقه العنف المسلح في الإسلام: ص١٣٠.

سياسياً، بل هو موقف تصحيحي خاصّ، ولا يمثّل موقفاً قياسياً يمكن تكراره، وهذا ما أكّده سلوك بقية الأئمّة الاثني عشر عندما اتّخذوا سلوك الانعزال عن الأحداث السياسية التي عاصرتهم، بالرغم من كلّ الاضطهاد الذي واجهوه.

وعندما ننتقل إلى قراءة السيِّد الحكيم في فاجعة الطف نجده يرى أنّ غيبيّة الموقف في حركة الإمام الحسين عليه السلام أمرٌ تقتضيه العقيدة الدينية وحقائق التاريخ، فمن حيث العقيدة، فإنّ مجريات الأحداث في أصل اتّخاذ الموقف إلى تطوراته المأساوية التي لا تجد لها تفسيراً مقبولاً في مقاييس التخطيط البشري، فيبقى تفسير التخطيط الإلهي «**هو التفسير المقبول، ولا سيما في المذهب الاثني عشري... حيث نؤمن بعصمة الإمام**»[1]؛ إذ كما تقدّم في المبحث الثاني أنّه لم ينتج هذا الموقف أيّ أثر إصلاحي سياسي أو اجتماعي، وهو ما يتناقض مع حقيقة العصمة التي تقتضي كمال السلوك زيادة على صحته، فأيّ كمال أو صحة في هذا الموقف، لا سيما مع الخسائر الكارثية التي ترتّبت عليه؟!

إذن؛ لا بدّ من الالتزام بأنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام «**كانت بعهد من الله سبحانه وتعالى... لمصالح هو أعلم بها**»[2]، وهو عهد وصل للإمام عليه السلام «**عن طريق النبي** صلى الله عليه وآله»[3]؛ ومن هنا يرى السيد الحكيم أنّه «**لا ينبغي إطالة الكلام في تقييم خصوصيات النهضة الشريفة**[4]**، مثل توقيتها... ومثل حمل العائلة الكريمة، واختيار العراق دون غيره من المناطق التي يشيع فيها الولاء لأهل البيت صلوات الله عليهم، وغير ذلك**»[5]، وهو التزام لا توجبه العلاقة المنطقية بين عقيدة العصمة للإمام عليه السلام ومجريات الأحداث،

(١) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص١٥.
(٢) المصدر السابق: ص٤٧.
(٣) المصدر السابق: ص١٤.
(٤) لا يُمثّل هذا تنافياً مع أصل كتاب فاجعة الطف، فهو نفى إطالة الكلام في تقييم التفاصيل، وليس في أصلها وفق المقاييس البشرية، ولأنّ الكتاب جاء ردّاً على مَن يرى سياسية الموقف وبشريته.
(٥) المصدر السابق: ص١٤.

بل تقتضيه حقائق التاريخ التي تتمثل بالآتي:

١ ـ نصوص النبي صلى الله عليه وآله ونصوص أمير المؤمنين عليه السلام بالواقعة وبعض تفاصيلها.

٢ ـ قناعة المسلمين بوقوع الفاجعة قبل حدوثها.

٣ ـ علم الإمام الحسين عليه السلام بأنّ عاقبة نهضته القتل.

٤ ـ النصوص من قِبَل النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام التي تأمر الإمام الحسين عليه السلام بالقيام بنهضته.

٥ ـ إخبار الإمام الحسين عليه السلام مَن اعترضوا على خروجه إلى العراق بأنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أمره بالخروج.

إلى غيرها من الحقائق[١]، وهي بمجموعها تمثّل «**الشواهد المؤكّدة لكون التخطيط للفاجعة إلهياً**»[٢]، بل نجد أنّ السيد الحكيم يرى أنّ إغفال هذه الشواهد وقراءة نهضة الإمام الحسين عليه السلام قراءة بشرية سياسية «**ظلم لسيد الشهداء (صلوات الله عليه) واستهوان بنهضته المقدسة**»[٣].

الخاتمة

ونحن ننتهي من قراءة فاجعة الطف من حيث اندراجها فيما هو سياسي أو فيما هو ديني يمكن أن نطرح الآتي بوصفها نتائج لهذه القراءة:

١ ـ إنّها كانت موقفاً دينياً وليس موقفاً سياسياً.

٢ ـ إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان فيها ممتثلاً لأمر إلهي بعد أن اختاره الله عز وجل لخصوصيته الشخصية والدينية.

٣ ـ إنّها كانت ذات أبعاد لاهوتيّة غيبية.

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص١٦ـ٤٢.

(٢) المصدر السابق: ص١٦.

(٣) المصدر السابق.

٤ ـ لبعدها الغيبي لا يجوز أخذها أساساً لشرعية تكرارها بخصوصياتها من أشخاص آخرين.

٥ ـ كانت موقفاً دينياً بحتاً يتعلّق بوضع معيار لمصدر الدين وليست ثورة سياسية.

٦ ـ إنّ إطلاق وصف الثورة هو إطلاق مجازي نحتاج لمؤونة تأويلية لتصحيحه؛ لغياب ما هو سياسي وثوري عن منظور الإمام عليه السلام، والأمر نفسه يصدق في إطلاق وصف الإصلاح الاجتماعي.

ولهذه النتائج يطرح الباحث مقترحاً هي توصيات في عرض الموقف الحسيني الذي انتهى بفاجعة الطف، وهو أن يتمّ التخلّي عن عرض الموقف على أنّه ثورة سياسية، ومن ثمّة عدم ربطه بالسياسة، وأن يتمّ التأكيد على أنّه موقف خاص بالإمام الحسين عليه السلام، وأنّ محاولة تكراره لا تحصل على شرعيتها منه؛ إذ كان ضرورة في زمانها ومكانها، لذا؛ لا نجد من بقية أئمّة أهل البيت محاولة تكراره مع أنّ الظرف السياسي والاجتماعي يكاد يكون واحداً، بل تحفّظهم الشديد ـ إن لم يكن رفضاً ـ على تكراره، وإن كان بأقل صورة منه؛ كمواقف الأئمّة المعاصرين لبعض حركات مَن هم من داخل البيت النبويّ، كثورة زيد بن علي عمّ الإمام الصادق عليه السلام.

وإنّما يجب عرضها في سياقها ومنظور الإمام عليه السلام، وهي إلزامية العمل على الحفاظ على الإسلام في صورته الواقعية، كما مارسها أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وكما وصّوا به، وفي مقدمة ذلك الاحتياط الشديد، وعدم الاقتراب مما يبيح الأنفس والأموال، وعدم تسليط إنسان على إنسان آخر، إلّا بحجّة قاطعة موافقة للاحتياط، وهي كلّها ممّا استخفّ به مَن تدخّل في السياسة من بعض رجال الدين أو غيرهم كما يشهده الواقع الفعلي.

كما يجب رفض كلّ مَن يقدم نفسه حامياً للدين؛ لأنّه بعد موقف الإمام الحسين عليه السلام وجهود أئمّة أهل البيت عليهم السلام في القول والفعل تمت الحجة البالغة على كل مسلم في الوصول إلى الإسلام الحقيقي، الذي لا يقبل التزييف عند عرضه على هذا الموقف، وهذه الجهود بصورة موضوعية بعيدة عن الأدلجة والتأويل.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١ ـ الأخبار الطوال: أحمد بن داود الدينوري، ط١، منشورات الشريف الرضي، النجف، د ت.

٢ ـ الآداب السلطانية: عز الدين علام، ط١، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت ٢٠٠٦م.

٣ ـ الأُسس النظرية لعلم الاجتماع السياسي، محمد فايز عبد أسعيد، ط١، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٣م.

٤ ـ أُصول الفقه: محمد رضا المظفر، ط٤، تحقيق: الشيخ علي الزارعي، مؤسسة بوستان، قم ١٤٢٧هـ.

٥ ـ بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت١٤٠٣هـ.

٦ ـ البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر، المعروف بابن كثير، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م.

٧ ـ بصائر الدرجات: محمد بن حسن الصفار، ط١، مكتبة المرعشي، قم ١٤٠٤هـ.

٨ ـ تاج العروس في جواهر القاموس: محمد بن مرتضى الزبيدي، ط١، سلسلة التراث العربي، الكويت ١٩٦٩م.

٩ ـ تاريخ الإسلام: محمد بن أحمد الذهبي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٧م.

١٠ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، ط١، دار الأمير، بيروت ٢٠٠٥م.

١١ ـ التبيان في تفسير القرآن: محمد بن حسن الطوسي، ط بلا، مكتبة الأمين، النجف ١٩٦٣م.

١٢ ـ جوامع الجامع: الفضل بن الحسن الطبرسي، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤٢٣هـ.

١٣ ـ حياة الإمام الحسين عليه السلام: باقر شريف القرشي، ط٤، المدرسة العلمية، قم ١٩٩٢م.

١٤ ـ الخلاصة اللاهوتية: توما الأكويني، ط١، ترجمة: الخوري بولس عواد، المطبعة

الأدبية، بيروت١٨٨١م.
١٥ ـ الخوارج والشيعة: فلهاوزن، ط٥، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الجيل، القاهرة ١٩٥٨م.
١٦ ـ دلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبري، ط١، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨٣هـ.
١٧ ـ دليل الناقد الأدبي: ميجان الرويلي، د. سعد الزغبي، ط٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء٢٠٠٢م.
١٨ ـ روضة التعريف بالحب الشريف: محمد بن عبد الله السلماني، ط١، تحقيق: عبد القادر أحمد، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٦م.
١٩ ـ سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي: عامر رضا، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج٧، عدد٢، ٢٠١٤م.
٢٠ ـ سيرة الأئمّة الاثني عشر: هاشم معروف الحسني، ط١، دار الكوخ، طهران ٢٠٠٦م.
٢١ ـ شذا العرف في فنّ الصرف: أحمد بن محمد الحملاوي، دون بيانات.
٢٢ ـ شرح المنظومة في المنطق والحكمة: هادي السبزواري، ط١، منشورات بيدار، قم ١٤٢٨هـ.
٢٣ ـ شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر: مسكين حسنية، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران ـ كلية الآداب، قسم اللغو العربية، الجزائر ٢٠١٣ ـ ٢٠١٤م.
٢٤ ـ صلح الحسن: مرتضى آل ياسين، ط٤، دار منشورات ناصر خسرو، بيروت ١٩٧٩م.
٢٥ ـ عتبات النص (مقاربة سيميائية): بخولة بن الدين، مجلة سمات، مجلد١، عدد١، مايو ٢٠١٣م.
٢٦ ـ علم اللاهوت الكتابي: جرهاردوس ثوس، ط١، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٢م.
٢٧ ـ العنوان وسيميوطيقا العنوان الأدبي: محمد فكري الجزار، ط١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م.
٢٨ ـ فاجعة الطف: محمد سعيد الحكيم، ط١، مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية، النجف الأشرف ٢٠٠٨م.

٢٩ ـ الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفي، ط١، دار الرسالة، بيروت ١٩٩١م.
٣٠ ـ الفخري في الآداب السلطانية، ابن الطقطقا، ط بلا، دار صادر، بيروت، د ت.
٣١ ـ فقه العنف المسلح في الإسلام: محمد مهدي شمس الدين، ط١، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد ٢٠٠٤م.
٣٢ ـ القراءة وتوليد الدلالة: حميد الحمداني، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ٢٠٠٣م.
٣٣ ـ الكامل في التاريخ: علي بن أبي الكرم، المعروف بابن الأثير، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م.
٣٤ ـ الكليات: أبو البقاء العكبري، ط١، منشورات ذوي القربى، قم ١٤٣٣هـ.
٣٥ ـ لسان العرب: محمد بن مكرم، المشهور بابن منظور، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ٢٠٠٥م.
٣٦ ـ اللهوف على قتلى الطفوف: علي بن موسى، المعروف بابن طاووس، ط١، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥هـ.
٣٧ ـ مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي، ط١، دار الأميرة، بيروت ٢٠١٠م.
٣٨ ـ مجموعة رسائل: المحقق الكركي، ط١، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، منشورات الاحتجاج، قم ١٤٢٣هـ.
٣٩ ـ مدخل إلى علم السياسة: موريس دوفرجيه، ط١، ترجمة سامي الدروبي، د. جمال الأتاسي، دار دمشق، د ت.
٤٠ ـ المدخل في علم السياسة: بطرس بطرس غالي، د. محمود خيري، ط١، مكتبة الأجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٩م.
٤١ ـ مدينة المعاجز: هاشم البحراني، ط٢، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم ١٤١٤هـ.
٤٢ ـ معالم المدرستين: مرتضى العسكري، ط٦، المجمع العلمي الإسلامي، قم ١٩٩٦م.
٤٣ ـ معاني الأبنية في العربية: فاضل صالح السامرائي، ط١، جامعة الكويت، كلية الآداب، الكويت ١٩٨١م.

٤٤ ـ شرح المنظومة في المنطق والحكمة: هادي السبزواري، ط١، منشورات بيدار، قم ١٤٢٨هـ.

٤٥ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الحسين بن محمد، المشهور بالراغب الإصفهاني، ط٢، دار مرتضوي، إيران، د ت.

٤٦ ـ المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث بحار الأنوار، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد، طهران ١٤١٥هـ.

٤٧ ـ معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م.

٤٨ ـ موسوعة الحضارة الإسلامية: قصي الحسين، ط١، دار الهلال، بيروت ٢٠٠٥م.

٤٩ ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين، ط١، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، دار المعروف، قم١٤٢٣هـ.

٥٠ ـ موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي الإسلامي، ط١، إعداد: د. سميح دغيم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ٢٠٠٠م.

٥١ ـ نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدلالة: حسين خمري، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر ٢٠٠٧م.

٥٢ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، ط١، دار التفسير، قم١٤٢٦هـ.

٥٣ ـ نهاية الحكمة: محمد حسين الطباطبائي، ط١٧، تحقيق: الشيخ علي الزارعي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤٣٤هـ.

٥٤ ـ هياكل النور: شهاب الدين السهروردي، ط بلا، تحقيق وتعليق: د. محمد علي أبو الريان، دار النهضة المصرية، الإسكندرية ١٩٥٦م.

٥٥ ـ وسائل الشيعة: محمد بن الحسن العاملي، ط٢، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت ٢٠٠٣م.

٥٦ – *Oxford dictionary, oxford university press, p1096.*

٥٧ – *http://sites.google.com/site/saidoboshaland.*

٥٨ – *http:/www.alser.net/s/txt/pages.txt.64.htm.*

٥٩ – *www.dictionary.com.*

المبادئ والأُسس القرآنية للقضية الحسينيّة

أ. م. د. خولة مهدي الجراح*

لا بدّ لكلّ قضية من مبادئ تُؤسّس عليها ـ على اختلاف تلك المبادئ في الأصالة والعلمية والأحقّية ـ كي تكون قضية بحقّ. ولا شكّ في أنّ القضية الإسلامية ذات مبادئ شرعية وعقلية لاعتماد الإسلام عليهما، ولا بدّ أن تكون هذه المبادئ من القرآن والسنّة الشريفة والمدركات العقلية.

لذلك كان اختيار بحثنا للمبادئ والأُسس القرآنية للقضية الحسينيّة موضوعاً له؛ حيث وجد البحث أنّ للقضية الحسينيّة مبادئ قرآنية انطلقت من خلالها، وهذه المبادئ هي:

المبدأ الأوّل: الارتباط بالله عزّ وجلّ

إنّ الارتباط بالله تعالى ذو أهمّية بالغة في كلّ القضايا، فهو الهدف الأساس لكلّ قضية، وخصوصاً إذا كانت تغييريّة من منظور إسلامي؛ لأنّ التغيير فيها يكون على أساس موازين الحقّ والعدل والمصالح الإنسانية الواقعية، وتجنّب المفاسد والأضرار التي يمكن أن تلحق الإنسان في مسيرته الفردية أو الجماعية.

مضافاً إلى ذلك، فإنّ هذا المبدأ ذو بُعد وزخم لا يمكن أن تجده القضية عند فقدانه؛ لما لهذا الارتباط من تأثير بالغ على بقية المبادئ.

وبالرجوع إلى قصص القرآن، وبالذات قصص الأنبياء عليهم السلام، لوجدنا أنّ قضية كلّ نبيّ تتّسم بهذا المبدأ؛ لذلك نجد فيها بُعد التأثير العميق في نفوس البشر، بحيث

* جامعة الكوفة/ كلية الفقه/ دكتوراه في علوم القرآن وتفسيره.

نـرى التقديس والالتزام باقياً وممتداً لدى النـاس اتّجاه حركة النبي عليه السلام إلى آخر الحياة الدنيويّة.

ولا شـكّ ولا ريـب في أنّ هذا المبدأ متوفـر بالقضية الحسـينيّة، ولا نقصد بذلك ارتباط شخص الحسين عليه السلام بالله تعالى فحسب، وإنّما ارتباط حركته وثورته بمجملها بالأهداف الإلهية، وإلّا فالحسـين عليه السلام إمام معصوم مرتبط بالله سـبحانه بلا شك ولا شبهة عند أحد من المسلمين.

فكانـت حركته عليه السلام بدافع من الوظيفة والمسـؤولية الشرعية والمعاني التي وضعها الله سـبحانه وتعالى على عاتق الإنسـان المسـلم، ومـن هذه المعاني المتعلّقـة بالارتباط بالله سـبحانه وتعالى: إصـلاح الأُمّة عن طريـق الأمر بالمعروف والنهـي عن المنكر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، وكذلك قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2]، وقـد وُجِدت هذه المعاني في مجموعة من الخُطَب التي ألقاها الإمام الحسين عليه السلام.

فمنـذ اليـوم الأوّل الذي تحرّك فيه الإمـام عليه السلام من المدينة المنوّرة قاصـداً مكّة أكّد عـلى هـذا المبدأ في وصيّتـه لأخيه محمد بن الحنفيّة، حيث ورد فيهـا: «**هذا ما أوصى به الحسـين بـن علي بن أبي طالب إلى أخيـه محمد بن علي المعروف بابن الحنفيّة، أنّ الحسـين يشـهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسـوله جاء بالحق من عند الحقّ، وأنّ الجنّة والنار حقّ، وأنّ السـاعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَن في القبور، وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسـداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة**

(١) النساء: آية ١١٤.

(٢) آل عمران: آية ١٠٤.

جدّيﷺ**، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر...»**[1].

فالناظر لمقطع «**وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي**ﷺ**، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**» يجد أنّه عليه السلام يؤكّد على علّة خروجه وهو الإصلاح في الأُمّة، وهذا الإصلاح إنّما يتأتّى بطرق عدّة، أراد الإمام منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهكذا عندما خاطب أصحاب الحرّ بن يزيد الرياحي عند لقائه بهم، حيث بيّن فيها سبب تحرّكه بقوله: «**أيُّها الناس، إنّ رسول الله**ﷺ **قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله**ﷺ**، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وأنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود...**»[2].

وهكذا يتّضح ارتباط قضية الإمام الحسين عليه السلام بالله سبحانه وتعالى من مجموعة الرسائل التي أرسلها إلى المسلمين في مختلف أقطارهم، منها: ما كتبه إلى أشراف أهل البصرة، حيث جاء فيها: «**أمّا بعد، فإنّ الله اصطفى محمداً**ﷺ **على خلقه وأكرمه بنبوّته واختاره لرسالته، ثمّ قبضه إليه وقد نصح لعباده، وبلّغ ما أُرسل به**ﷺ**، وكنّا أهله وأوليائه... وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه**ﷺ**، فإنّ السنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت...**»[3].

وهكذا في بقية خُطَبه ورسائله التي يؤكّد فيها على الوظيفة الشرعية، مضافاً إلى دعوة المسلمين من أهل الكوفة وغيرهم للإمام الحسين عليه السلام ونظرتهم إلى (يزيد) من أنّه إنسان منفصل عن الإسلام وبعيد عنه.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٤.

(٣) المصدر السابق: ج٤، ص٢٦٦. وأُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص٧٠.

فمن كلّ هذه الأُمور وغيرها نفهم أنّ تحرّكه عليه السلام مرتبط بالله سبحانه وتعالى، وليس تحرّكاً قائماً على أساس آخر.

وكذلك العقيلة زينب عليها السلام في أثناء المعركة وبعدها، عندما وجّه إليها عبيد الله ابن زياد في مجلسه سؤاله وهو يعتبر نفسه منتصراً ومأخوذاً بزهوة الانتصار: «**كيف رأيتِ صُنْع الله بأخيك وأهل بيتك؟**» فأجابته عليها السلام معبِّرة عن إيمانها بالله وارتباطها به، وصبرها على المصيبة، وإدراكها لأهداف الثورة: «**ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجّ وتُخاصم، فأُنظر لمَن الفلج يومئذٍ، ثكلتك أُمّك يابن مرجانة...**»[1]، وهذا ما يسمّى بجهاد الكلمة.

من هنا كان الارتباط بالله من شروط الجهاد في سبيله وإعلاء كلمته؛ كي لا يرى صنع الله به إلّا جميلاً.

المبدأ الثاني: المعاني الفطرية والوجدانية للإنسان

إنّ كلّ قضية لا تكون قادرة على النجاح ما لم تكن مبنية على أساس من المعاني الفطرية الإنسانية، بمعنى أن تهتّم بالمعاني التي فطر الله عليها الإنسان، كالحرّية، والكرامة الإنسانية، ورفض الظلم والاضطهاد، إلى غير ذلك ممّا يُعبّر عنه بـ(المعاني الفطرية والوجدانية) للإنسان؛ لأنّ هذه المعاني تمثّل عنصراً ثابتاً في حياة الإنسان، وتبقى معه في كلّ التاريخ وفي مختلف الظروف.

فكلّ قضية مؤسَّسةٌ على هذا المبدأ يمكن أن نفترض فيها القدرة على النجاح والوصول إلى الغايات، حيث يمثّل هذا المبدأ الطاقة المحرِّكة في داخل الإنسان، أمّا إذا فُقِد فلا يمكن تحريك الإنسان.

والمتأمِّل في تاريخ الأنبياء وحركتهم يجد أنّ هناك خصوصيتين موجودتين في

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٦.

تحرّكهم في المجتمع مضافاً إلى ارتباطهم بالله سبحانه وتعالى، وهما:

١ـ رفض الظلم ومقارعته، والدعوة إلى الحقّ والعدل.

٢ـ كرامة الإنسان وعزّته وحرّيته الحقيقية.

فهم يؤكّدون على هاتين الخصوصيتين، بحيث يمكن القول: إنّهما تمثّلان جوهر القضية في منطقهم وتحرّكهم.

وعند قراءة القرآن والمطالعة في قصص الأنبياء نجد أنّهم دائماً يؤكّدون على هذا المبدأ، يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1]. ويقول عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2]. لقد اهتمّ النبيّ صلّى الله عليه وآله، في رسالته بهذا الجانب الإنساني في الحياة المعاصرة لنزول الوحي عندما تحدّث عن رفض الأصنام والوثنية والأوهام والخرافات والتقليد، وكذلك عندما تحدّث عن تقييم العلاقات القبلية والاجتماعية، وكذلك رفض الظلم الذي كان يمارسه الطغاة تجاه الناس، وعمل على تحرير إرادة الإنسان من الشهوات، ودعا إلى العزّة والكرامة الإنسانية والمساواة بين الناس، إلى غير ذلك من المعاني الإنسانية، مضافاً إلى قضية العبادة بالله وتوحيده والارتباط به.

فالتأكيد على البعد الإنساني كما يعني الاهتمام بفطرة الإنسان وحاجاته الأساسية، كذلك يعني في الوقت نفسه الاهتمام بالواقع الحياتي للأُمّة والتأثير فيه، وتحريكه

(١) القصص: آية٤ـ٥.

(٢) الأعراف: آية١٥٧.

من خلال القضايا الحسّية المعاشة للسير في طريق التكامل، فالإنسان الذي يعيش حالة من الظلم والاضطهاد والرعب والذلّ والامتهان والعبودية للإنسان الآخر أو للحجر، لا يمكنه في يوم من الأيام أن يتّجه لله سبحانه وتعالى، أو يرتبط به ارتباطاً حقيقيّاً، لأنّه عندما يكون عبداً لغير الله لا يمكن أن نفترضه في الوقت نفسه عبداً لله تعالى، وإذا أردنا منه أن يتمحّض في عبوديته لله سبحانه تعالى لا بدّ لنا من أن نحرّره من العبودية لأيّ موجود آخر.

وهذا المبدأ هو من المبادئ الأساسية والواضحة والبارزة في قضية الإمام الحسين عليه السلام، حيث أكّد عليه السلام على هذا المبدأ المتمثّل بالكرامة الإنسانية والحرّية التي فطر الله سبحانه وتعالى الإنسان عليها، وتأكيده عليه السلام على العدل ورفض الظلم والذلّ والحرمان والاستضعاف.

فكان أحد الشعارات الرئيسة لثورة الإمام الحسين عليه السلام هو دعوته للحرّية في الخلاص من عبادة الطاغوت والخضوع للطغيان والظلم، ودعوته للإخلاص في عبودية الله، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1].

وعند التأمّل في التاريخ الإنساني نجد أنّ هناك صراعاً دائماً ومستمرّاً منذ بداية وجود الإنسان بين حركة الإنسان نحو الله تعالى والارتباط به، وحركة الإنسان نحو الطاغوت والارتباط به؛ ومن هنا يطرح القرآن الكريم دائماً لفظ الجلالة (الله) في مقابل (الطاغوت) في جملة من الآيات، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2]. وقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ

(١) النساء: آية٧٦.

(٢) البقرة: آية٢٥٧.

أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[1]. وقال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2].

لـذا؛ نجـد الإمـام عليه السلام ركّـز على المحتـوى الإنسـاني في نهضتـه المباركـة، وكانت الشـعارات الأساسـية في ثورته تتلخّص بشـعارين: الإخلاص في عبودية الله تعالى، والحرّية والعدل. ويتّضح ذلك من خلال خُطَبه وكلماته التي تجسِّد هذا المعنى.

وفي مقابلـه كانت حركـة يزيد، الذي كان يسـعى لتحويل التزام الإنسـان بعبادة الطاغـوت، بل إنّ يزيـد طوّر هذا المفهوم، كما طوّرَهُ فرعـون وجعله أمراً واضحاً في الالتزامـات الاجتماعية بين الناس والحاكم، حيث كان يرى أنّ العلاقة والالتزام بين الناس والحاكم، هي أن يكون الناس عبيداً للحاكم بشكل رسمي وأساسي.

كذلك صنع يزيد هذا الأمر بشـكل واضح عندما دخل بجيشـه إلى المدينة المنوّرة في السـنة الثانية من مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وأخذ عهداً من المسلمين جميعاً بما فيهم النخبة الصالحة من الصحابة والتابعين على أن يكونوا عبيداً أقنان له.

وهذا المبدأ الإنسـاني باعتباره يمثِّل مبدأً قائماً في حركة المجتمع الإنسـاني ووجود الإنسـان منذ اليوم الأوّل وحتى قيام السـاعة، فبطبيعة الحال يكـون له تأثير في حياة الناس بشكل دائمي ومستمر، غاية الأمر أنّه قد يتصاعد ويشتدّ فيصبح واضحاً، كما في زمـن فرعون ونمرود ويزيد وأمثالهم، أو يخف فيصبح خفياً غير واضح، أو يأخذ أشكالاً مختلفة في زمن آخر. لكن محتواه ومضمونه موجود دائماً في حركة الإنسان وفي المجتمع الإنساني.

وبهـذا نلاحـظ أنّ الإمام الحسـين عليه السلام منذ بدايـة حركته وحتى نهايتها كان يشـير

(١) النساء: آية ٦٠.

(٢) المائدة: آية ٦٠.

إلى هـذا المبدأ الذي أكّده القرآن الكريم وأكّده الإسـلام، لأنّـه يمثّل حقيقة في مجمل الصراع الذي حدث بينه وبين يزيد. ولعلّ من الكلمات التي تجسّد هذا المعنى بشكل واضح قوله عليه السلام لقيس بن الأشـعث بعد أن عرض عليه النزول على حكم يزيد: «**لا والله، لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد**»[1].

وقوله في خطبته الثانية يوم الطف وهو يعبِّئ أصحابه للقتال: «**ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتيّن: السـلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسـوله والمؤمنـون، وحجـور طابت، وحجور طهـرت، ونفوس أبيّة، وأُنـوف حمية من أن نؤثر طاعـة اللئـام عـلى مصارع الكـرام...**»[2]. وقولـه عليه السلام: «**فـإنيّ لا أرى الموت إلاّ سـعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[3]. وقوله عليه السلام في ساحة المعركة:

«**المـوت خـيرٌ من ركـوب العار والعـار أولى مـن دخول النـار**»[4].

مـن كلّ هـذه المضامين نفهـم أنّ من أوثق الأسـباب التـي ثار من أجلهـا الإمام الحسـين عليه السلام هو العـزّة والكرامة، فقـد أراد الأُمويون إذلال المسـلمين واضطهادهم وممارسـة حالـة القيمومـة عليهـم، وإرغـام الإمام الحسـين عليه السلام على الـذلّ والخنوع، لكنّه عليه السلام أبى إلّا أن يعيش عزيزاً تحت ظلال السيوف والرماح.

فالحسـين عليه السلام لم يـدْعُ النـاس إلى إقامـة العبـادات والارتباط بالله سـبحانه وتعالى منفصلـين عـن قضاياهم الأساسـية، وإنّما كان يؤكِّـد أيضاً على الجانب الإنسـاني في تحرّكه، والقضايا التي يعيشها الناس في حياتهم.

---

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٨. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٤.

(٢) ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٤٠.

(٣) الهيثمي، عليّ بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج٩، ص١٩٢. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٣، ص١١٥. ابن عساكر، عليّ بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص٢١٨.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٤.

المبدأ الثالث: التخطيط بالحكمة والموعظة الحسنة

إنّ كلّ ثـورة يُـراد لها أن تصل إلى أهدافهـا وتحقّق غاياتها النبيلـة، لا بدّ أن يكون وراءها عقل يخطّط لها تخطيطاً علميّاً يسير بها إلى تلك الأهداف، أمّا عندما تفقد الثورة العقـل المخطِّط لها فإنّها تفقد حينئذٍ التدبير والحكمة في مسـيرتها، وحينئذٍ تتحوّل إلى مجرّد انفعالات عاطفية، أو مجرّد ردود فعل وتمرّد وانعكاس للواقع السيء، أو تتحوّل إلى فوضى لا يمكنها أن تحقّق مصلحة للمجتمع، أو أن تصل إلى غاية صحيحة.

والقـرآن الكريـم يؤكِّد على ذلك في مسـألة الدعـوة إلى الله سـبحانه وتعالى، وفي مسـألة دفع الناس نحـو الارتباط بالله تعالى، وبالتالي نحو الإسـلام على هذا الجانب في العمل، قال تعـالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[1].

وقـال تعـالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[2].

إذن؛ فمسـألة الحكمة والموعظة الحسنة والتخطيط والتدبير كلّها مسائل ضرورية في نجـاح الثـورة والوصـول إلى أهدافها؛ لأنّ عمليـة التغيير عملية معقّدة وعسـيرة وتحتاج إلى تدرّج في العمل، واسـتنفاد لكلّ الوسائل، واستفراغ لكل الجهود، وصبر وعزيمة، وتشـخيص لطبيعة الظـروف والإمكانيات، والاسـتفادة من كل الطاقات والعوامل المؤثرة.

ويدخـل في هـذا الجانب عنصر مهـم ـ لا بدّ أن ننتبه إليه ـ وهـو عنصر المبادرة في العمـل الثوري التغييري، فالثورة بمعناهـا الحقيقي تعني حالة من الابتكار والمبادرة يتّخذها الإنسـان الثائر المستشـعر للظلم والذلّ من خلال التخطيط لرفع هذا الظلم وتغيـير الواقـع، والبـدء بعمليـة الهجـوم الـذي يتّصف بعنـصر المبادرة عـلى الواقع الفاسـد، والظالمين من أعداء الله وأعداء المحرومين والمسـتضعفين، الذين يمارسـون الظلم والإذلال.

(١) النحل: آية١٢٥.

(٢) الأحقاف: آية٣٥.

وعليه، فالثورة الناجحة لا بدّ أن تتّخذ هذا العنصر كأساس في التحرّك، من أجل الإطاحة بالطاغوت ورفض الظلم والذلّ الذي يعانيه الإنسان المستضعف.

وعنصر المبادرة هذا يختلف في حقيقته عن عنصر ردّ الفعل، فالإنسان الذي يُستشهد في سبيل الله ويُقتل مظلوماً يمكن أن نفترض فيه فرضيتين:

إحداهما: الشهادة (في حالة المبادرة).

والأُخرى: الشهادة (في حالة ردّ الفعل).

فالإنسان الذي يبادر إلى الشهادة، معنى ذلك أنّه بتخطيط وتصميم مسبق فكّر بالقيام بعمل تغييري معيّن قد يؤدّي به إلى الشهادة، فالشهادة هنا جاءت عن مبادرة مخطّط لها سلفاً.

وقد يُستشهد الإنسان مظلوماً وبعدوان من الظالمين، ويُكتب عند الله سبحانه وتعالى في الجنان مع الشهداء، ولكن لم تكن شهادته على أساس تخطيط ولا على أساس مبادرة، وإنّما جاءت تعبيراً عن ردّ الفعل والإحساس بالظلم والحيف، فيكون هذا الاستشهاد منطلقاً على أساس أنّ الظالم من أجل أن يفرض هيمنته وسيطرته على الناس يقوم بقتلهم، فهؤلاء ـ الذين يقتلهم الظالم بسيفه ظلماً وعدواناً ـ وإن كانوا شهداء، لكن شهادتهم ليست عن مبادرة ولا عن تخطيط مسبق؛ ولذا لا يُعتبر مثل هؤلاء شهداءَ فكرٍ وتصميم.

فالثورة التي يمكن أن تُحقق نجاحاً وتصل إلى غاياتها، هي تلك الثورة التي تُخطط للانتفاضة على الظالم لدفع الظلم ورفع الذلّ الذي يعانيه المجتمع، ويكون لدى أبنائها ورجالها العزم والتصميم والإرادة على التغيير والتضحية والبذل والعطاء من أجل تحقيقه، وهذا ما أراده القرآن الكريم من المؤمنين: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[1].

(١) النساء: آية٧٥.

وهـذا المبـدأ هو مـن المبـادئ الثابتـة في حركة الإمام الحسـين عليه السلام، فالحسـين عليه السلام لم يقـدّر في تحليلـه السـياسي للأوضـاع الوصـول إلى الحكم، ولكن مـع ذلك لم تفقد حركتـه ونهضتـه التخطيـط، والسر في ذلـك أنّ التخطيـط وبذل الجهد يمثّـل الوفاء بالوظيفة والواجب الشرعي في هذا المجال، فإنّ على الإنسـان أن يسـعى ويبذل كلّ قدرته للوصول إلى الحكم الإسلامي، مضافاً إلى أنّ التخطيط بنفسه يترك آثاراً نفسية وسياسـية واجتماعية على مجمل الأوضاع العامّة للمسـلمين، وهذا ما كان يسـتهدفه الإمام الحسين عليه السلام من وراء هذا التخطيط.

حيث إنّ العملية بدون التخطيط لها قد تبدو وكأنّها عملية انتحار، أو مجرّد انفعال ورفض للظلم والذلّ، وأمّا مع التخطيط فتتحوّل إلى عمل ثوري وسياسي عام يرتبط بالأُمّة كلّهـا، وتتفاعل الأُمّة مع أهدافها ومقاصدها وشـعاراتها ومفاهيمها، وهناك بعض الشواهد التي تؤكِّد عنصر التخطيط في نهضة الحسين عليه السلام نشير إليها باختصار:

الشـاهد الأوّل: موقف الإمام الحسين عليه السلام من البيعة عندما طلبها منه والي المدينة، فـإنّ الحسـين عليه السلام قد خطّـط لإعلان الرفـض في ذهابه إلى الـوالي، ولم يصنع كما صنع غـيره ممّـن دعاه الـوالي إلى البيعة، كعبد الله بن الزبير أو عبـد الله بن عمر، وفي الوقت نفسـه لم يذهب إلى الوالي بشـكل عفـوي، وإنّما خطط لذهابـه فاصطحب معه جماعة من بني هاشم، وكلّفهم بالوقوف على الباب؛ لكي يهجموا عندما يسمعون الصيحة لينقذوه، ثمّ إنّه عليه السلام خطّط للحديث مع الوالي، كيف يبدأ وكيف ينتهي[1].

(١) ذكر المؤرِّخون هذه القصّة مفصّلاً وممّا جاء فيها: «فأنفذ الوليد إلى الحسين عليه السلام في الليل فاستدعاه فعرف الحسين الذي أراد، فدعا جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: إنّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت ولست آمناً أن يكلّفني أمراً لا أجيبه إليه وهو غير مأمون فكونوا معي، فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه منّي. فصار الحسين عليه السلام إلى الوليد فوجد عنده مروان بن الحكم فنعى إليه الوليد معاوية فاسترجع الحسين، ثمّ قرأ عليه كتاب يزيد وما أمر به في أخذ البيعة منه له، فقال له الحسين: إنّي لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً حتى أبايعه جهراً، فيعرف ذلك الناس. فقال له الوليد: أجل. فقال الحسين: فنصبح ونرى رأينا في ذلك. فقال له الوليد: انصـرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس...». اُنظر: الفتّال النيسابوري، محمد بن الحسن، روضة الواعظين: ص١٧١. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٣٢.

الشـاهد الثاني: ذهاب الحسين عليه السلام إلى مكّة وبقائه هناك حتى اليوم الثامن من ذي الحجّة وهو يوم التروية، فمضافاً إلى أنّ مكّة تُعتبر موطناً آمناً نسبياً؛ لما حباها الله تعالى من قدسية وجعلها بلداً آمناً في الإسلام، وكذلك في تاريخ العرب أنفسهم، تمكّن عليه السلام من الاتّصال بجماهير واسـعة من المسـلمين الذين وردوا مكّة للحج، كما أنّه عليه السلام قام بإرسـال عدّة رسـائل إلى مختلف الأقطار الإسلامية، كالكوفة، والبصرة، واليمن من أجل استنهاض المسلمين وشرح قضيته وأهدافه.

الشـاهد الثالث: إرسال مسـلم بن عقيل عليه السلام إلى أهل الكوفة؛ لكي يهيئ الأجواء فيهـا، ويعبّـئ المسـلمين وينظّمهـم ويأخـذ البيعـة منهـم، ويدرس مجمـل الأوضاع السياسية والاجتماعية والروحيّة فيها، ويعرِّف المسلمين أهداف الثورة ومقاصدها.

نعم، كان الحسين عليه السلام يعرف أنّ مسلم سوف يُقتل في النهاية، كما يعرف أنّه سيُقتل هو في كربلاء، ولكن هذه التضحية والنهاية مسـألة أُخرى لها غاياتها وأهدافها، فهو كإنسـان ثائر سـعى في بذل كلّ ما بوسعه وجهده من أجل تحقيق الأهداف المنشودة، ومـن أجـل أن يوفّر للثـورة شروطها، ويضـع عن عاتقه مسـؤوليّة مواجهـة النظام الأُمويّ الفاسد.

كما أنّه وضع أهل الكوفة أمام مسـؤوليّات دينيّة وأخلاقية وسياسية، وفي الوقت نفسـه وفّر الغطاء السـياسي والاجتماعي والمبرّر الطبيعي لحركته وثورته، ويبدو كلّ ذلك من خلال خطابه السـياسي عند خروجه من مكّة، أو في الطريق إلى الكوفة، أو في يوم عاشوراء.

وقـد قام مسـلم بن عقيل بنشـاط عظيم في هذا المجال وحقّـق بعض الإنجازات المهمّـة التي كان لهـا بعد ذلك دور كبير في النتائج والآثار، فقـد تمكّن من أخذ البيعة مـن جماهير الكوفـة، وبذلك صعّد أجواء المواجهة إلى حدّ إخـراج الكوفة عمليّاً من سلطة الحكم الأُمويّ، وأصبح التحرّك ضد النظام للأُمّة كلّها لا للحسين عليه السلام وحده، وأصبحت المطاردة والمظلومية والشـعارات عامّة ومشـتركة، كما اشـترك فيها شيوخ العشـائر وقادة الجيش ورجال السياسـة إلى جانب الأفـراد العاديين، ولم يكن النظام قادراً على السيطرة على الأوضاع من خلال الشرعيّة أو الشعارات الكاذبة أو المفاهيم

المزوّرة، وكان هذا من أروع الخطط والبرامج التي وضعها الإمام الحسين عليه السلام ونفّذها مسلم بن عقيل، والتي حقّقت بعد ذلك أفضل النتائج.

الشاهد الرابع: خروج الحسين عليه السلام في الثامن من ذي الحجّة، أي: في يوم التروية، اليوم الذي يتوجّه فيه الحُجّاج إلى عرفات، فإنّ الحسين عليه السلام وجد أفضل طريق للإعلان عن ثورته أمام جماهير المسلمين أن يتّخذ طريقاً آخر يلفت إليه نظر الحُجّاج.

وبذلك أصبح المسلمون على علم بهذه النهضة، وفي نفس الوقت على علم بالأساليب الوحشيّة التي يستخدمها النظام لمطاردة الصالحين، حيث أعلن عليه السلام أنّ السبب في هذا الخروج المستعجل هو محاولة الحكم الأُموي قتله في مكّة، كما كشف عليه السلام بذلك استهتار النظام بالمقدّسات الإسلامية عندما أعلن أنّ خروجه كان بسبب تجنيب الحرم والمسجد الحرام الهتك من خلال إراقة الدماء فيه[1].

الشاهد الخامس: إبقاء ابن عمّه عبد الله بن جعفر، وأخيه محمد بن الحنفية، وعبد الله ابن عبّاس في المدينة وفي مكّة وعدم اصطحابهم معه، يمكن أن نعتبره عنصراً من عناصر تخطيط الحسين عليه السلام؛ لأنّ هؤلاء بقوا في هذه المراكز المهمّة من أجل أن يؤدّوا عدّة أدوار يأتي في مقدمتها شرح وتوضيح خلفيات هذه الثورة، مضافاً إلى أنّهم عيون يرصدون حركة الأعداء ويناورون في الحركة السياسية، وبذلك تكون عملية الثورة متكاملة بأساليبها وأدوارها[2].

---

(١) ذكر الطبري عن أبي مخنف، فقال: «قال أبو جناب يحيى بن أبي حية: عن عدي بن حرملة الأسدي، عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين، قالا: خرجنا حاجّين من الكوفة حتى قدمنا مكّة، فدخلنا يوم التروية، فإذا نحن بالحسين وعبد الله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب، قالا: فتقرّبنا منهما فسمعنا ابن الزبير يقول للحسين: إن شئت أن تقيم أقمت فوليت هذا الأمر فآزرناك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك، فقال له الحسين: إنّ أبي حدّثني أنّ كبشاً يستحلّ حرمتها، فما أحبّ أن أكون ذلك الكبش». الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٨٩.

(٢) ورد أنّ الإمام الحسين عليه السلام لما تهيّأ وعزم على الخروج إلى مكّة، قال لأخيه محمد بن الحنفية: «وأنا عازم على الخروج إلى مكّة، وقد تهيّأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأمّا أنت فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم ولا تخفي عليَّ شيئاً من أُمورهم...». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

الشاهد السادس: اصطحابه عليه السلام لعياله وأهل بيته في مسيره إلى كربلاء، فإنّ عياله عليه السلام ـ وبالخصوص أُخته العقيلة زينب عليها السلام ـ قاموا بدور عظيم في الدفاع عن موقف الإمام الحسين عليه السلام والتعريف بالثورة بعد مقتله، وفي تأجيج العواطف وهزّ الوجدان والضمير لدى الأُمّة.

ومن الممكن افتراض أنّ الحسين عليه السلام بمجرّد أنّ يتحرّك يقوم النظام بإلقاء القبض عليه، وحينئذٍ يكون موقفه حرجاً أمام المسلمين وأمام نفسه، عندما تكون صورة الموقف هي: موقف الإنسان الذي ضيَّع عياله من أجل النجاة بنفسه.

كما أنّ عملية السبي التي كان يتنبّأ بها الإمام الحسين عليه السلام كان لها دور كبير في فضح شراسة بني أُميّة وهمجيّتهم واستهتارهم بالإسلام وقيمه؛ لأنّ قتل الحسين عليه السلام إذا كان لبني أُميّة أن يبرّروه أمام البسطاء والعامّة والمغفّلين ـ تحت شعارات الخروج عن الطاعة، وشقّ عصا المسلمين، وما أشبه ذلك من الشعارات والعناوين التضليلية ـ فلا يمكن لهم بأيّ حال أن يبرّروا سبي بنات رسول الله عليه السلام وذراريه وهتكهم، وتعريضهم للآلام والمحن والعذابات.

ولعلّ هذا الموضوع كان من أبرز وأوضح الشواهد على ضلال يزيد وانحرافه في نظر الأُمّة وعامّة الناس.

ومن هنا يمكن فهم قول الإمام الحسين عليه السلام ـ حين سأله محمد بن الحنفيّة عن سبب خروجه واصطحابه للنساء: «**إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا**»[1].

المبدأ الرابع: الجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله من الواجبات والعبادات المهمّة التي تحدّث عنها القرآن الكريم في مواضع متعددة.

والجهاد مأخوذ ـ لغةً ـ من الجَهد بمعنى: التعب والمشقة. أو من الجُهْد بمعنى:

(١) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٧٣.

الوسع والطاقة[1]. والجهد ـ بالكسر: القتال مع العدو، كالمجاهدة[2]. قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ...﴾[3]، أي: في عبادة الله.

وقيل: الجهاد بمعنى رتبة الإحسان، وهو أنّك تعبد ربّك كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك[4]؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[5]. ومن سياق الآية الكريمة نجد هناك مفهوماً أوسع للجهاد هو تحمّل التعب والمشقّة، وبذل الطاقة والوسع من أجل إعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان، والدفاع عن الحقّ والعدل، ومقاومة الظلم والطغيان، ومحاربة الكفر والباطل والنفاق.

وكذلك نلاحظ أنّ الجهاد مقرون بالهجرة، ولكن ليست الهجرة بمعنى الخروج من بلد إلى آخر طلباً للدنيا أو النجاة من القتل، وإنّما الهجرة التي يكون الهدف منها هو الجهاد في سبيل الله، والمحافظة على الدين والعقيدة والتقرّب لله تعالى؛ بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾[6]. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾[7]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي

---

(١) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٢، ص٣٩٥. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج١، ص٤٨٦.

(٢) أُنظر: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ص٢٨٦.

(٣) الحج: آية٧٨.

(٤) أُنظر: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٣، ص٣٠.

(٥) الحج: آية٧٨.

(٦) الأنفال: آية٧٨.

(٧) التوبة: آية٢٠.

سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿... إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِي ...﴾[2]. وهذا ما يجعل من الإنسان مهاجراً، وبالتالي متّصفاً بصفة تجعله قريباً من المجاهد في سبيل الله.

وفي قوله تعالى: ﴿... وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾[3]، مؤشّراً إلى الهدف الرئيس من تشريع الجهاد؛ حيث إنّ له تأثيراً كبيراً في حركة الإنسان الذاتية ـ وهي تكامل الإنسان وقربه من الله تعالى واتّصافه بصفات الكمال الروحية والمعنوية الموجودة في ذاته ـ فالإنسان المجاهد حقيقة هو مَن اختُبر ومُحِّص من خلال جهاده وتضحيته في سبيل الله، وقانون الاختبار هذا وضعه الله تعالى شاملاً لكلِّ الناس لتتكشّف حقائقهم عند أنفسهم لا عند الله، فعِلْم الله في الآية الشريفة ليس بمعنى معرفة الحقيقة؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى عالم بالحقائق قبل وقوعها لإحاطته بكلّ شيء.

ثمّ يؤكِّد القرآن الكريم على حقيقة، وهي أنّ الله تعالى لا يحتاج إلى نصرة الإنسان لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾، وإنّما الإنسان هو المحتاج إلى الجهاد والقتال ليتكامل في مسيرته الذاتية والاجتماعية.

ويمكن تلخيص موارد الجهاد التي يمكن استنباطها من القرآن الكريم والسنّة الشريفة، والتي تُبرّر القتال واستخدام السلاح في مواجهة الأعداء، بالأُمور التالية:

١ـ الدفاع عن النفس، سواء كان دفاعاً عن الفرد أو الجماعة المسلمة التي تتعرّض إلى القتل أو الفتنة، بل في حال الدفاع عن المال والعرض أيضاً. عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: **مَن قُتِل دون مظلمته فهو شهيد**»[4]. وورد في حديث آخر

(١) البقرة: آية٢١٨.

(٢) الممتحنة: آية١.

(٣) الحديد: آية٢٥.

(٤) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١١، ص٩٢.

تفسير المظلمة بأن: «**يُقتل دون أهله ودون ماله وأشباه ذلك**»[1].

٢ ـ مقاومة الظلم والطغيان الذي تتعرّض له الأُمّة بدرجة عالية، بحيث يستهتر فيها الحاكم بكلّ القيم الإنسانية ويصادر فيها حرية الإنسان وكرامته وحقوقه الأساسية. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[2].

٣ ـ تحرير المظلومين والمستضعفين من أيدي الطغاة والظالمين؛ كما دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[3]. كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**مَن سمع رجلًا يقول: يا للمسلمين! فلم يجبه، فليس بمسلم**»[4].

٤ ـ مقاتلة البغاة من المسلمين، سواء أولئك الذين يخرجون على الحاكم العادل الجامع للشرائط كما في حروب الإمام علي عليه السلام ضد أصحاب الجمل (الناكثين)، ومعاوية (القاسطين)، والخوارج، أو البغاة من الجماعة المسلمة التي تعتدي على جماعة أُخرى حيث يجب السعي للصلح بينهما، فإن أصّرت الفئة الباغية على عدوانها وبغيها وجب على المسلمين أن يقاتلوها ويقفوا في وجه العدوان والظلم، يقول السيد أحمد الجزائري في تعريفه للجهاد شرعاً: «**هو بذل النفس والمال لإعلاء كلمة الإسلام والإقرار بها، وإقامة شعائر الإيمان، فيدخل في القيد الأخير قتال البغاة، وهو أعظم أركان الإسلام وفضله عظيم**»[5]، ومن مصاديق مجاهدة البغاة مجاهدة ومقاتلة

(١) المصدر السابق.
(٢) القصص: آية٤ـ٥.
(٣) النساء: آية٧٥.
(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٦٤.
(٥) الجزائري، أحمد، قلائد الدرر: ج٢، ص١٣١.

أولئك الطغاة الظالمين من أبناء المسلمين الذين يحكمون المسلمين بالجور والظلم والعدوان، كما شهد بذلك موقف الإمام الحسين عليه السلام ضد يزيد بن معاوية.

فقد ورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال ـ في تفسير موقفه من يزيد: «**أيّها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر ما عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله**»[1]. فهو عليه السلام في كلمته هذه قد بيّن مصاديق الحاكم الظالم كما أوردها القرآن الكريم في عدة مواضع، وهي:

أ ـ الجور والظلم: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾[2].

ب ـ استحلال حرام الله وتحريم حلاله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ ...﴾[3].

ج ـ نكث عهد الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[4].

د ـ مخالفة سنّة الله ورسوله صلى الله عليه وآله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾[5].

هـ ـ ممارسة أنواع الإثم والعدوان في المجتمع: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[6].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٣٠٧.
(٢) الأعراف: آية١٦٥.
(٣) التوبة: آية٢٩.
(٤) البقرة: آية٢٧.
(٥) الفتح: آية٢٣.
(٦) المائدة: آية٦٢.

و ـ لـزوم طاعة الشـيطان وتـرك طاعة الرحمـن: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1].

ز ـ إظهار الفساد في الأرض: ﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾[2].

ح ـ تعطيـل الحـدود: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3].

مـن هنا يتبيّن كيـف كانت خُطَب الإمام عليه السلام وكلماته متفاعلـة مع القرآن الكريم، ومقتبسة منه.

٥ ـ **الدفاع عن الإسلام عندما يتعرّض الدين وبيضة الإسلام إلى الخطر**، سواء من قِبَل الكفار أو الطغاة[4]، فالجهاد هنا يكون واجباً دفاعياً على كلّ القادرين، سواء كان رجلاً أم امرأة، سـالماً بدنه أم ناقصاً، من قبيل الأعمى والأعرج، أم غيرهما ممّن يقدر أن يدافع أو يساهم في عملية الدفاع.

ومـن أمثلة هـذا الصنف هو الجهـاد في معركة الطف، حيث كان جهـاداً دفاعياً، فالإمام الحسـين عليه السلام كان يجاهد ويدافع عن الإسلام الذي يتعرّض إلى الخطر؛ بسبب وجود وطبيعة حكم الطاغية يزيد، ومحاولاته لحرف المسلمين عن الإسلام، وطرحه للمفاهيم الضالّة ضدّه.

ولم يتوقّـف هـذا النوع من الجهاد على الرجال، بل شـمل النسـاء أيضـاً، فكما أنّ الإمام الحسـين عليه السلام، يبقى رمز كلّ الرجال الذين شـاركوا في واقعة كربلاء، وملحمة الشـهادة والفـداء والبذل والتضحيـة والمعاناة، كذلك تبقى الحـوراء زينب عليها السلام تمثّل الرمز في هذه القضية بالنسبة للنساء.

---

(١) الفتح: آية١٧.

(٢) الشعراء: آية١٥٢.

(٣) البقرة: آية٢٢٩.

(٤) أُنظر: العاملي، زين الدين، مسالك الأفهام: ج٣، ص٧.

فالعقيلة زينب عليها السلام تمكّنت من القيام بدور عظيم في الثورة الحسينيّة، وذلك من خلال الدفاع والمحافظة على حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، الذي يمثّل بقية النبوّة وبيت الوحي والرسالة، ويمثّل الامتداد للإمامة، وكان لها موقفان معروفان:

الأوّل: عندما قُتِل الإمام الحسين عليه السلام، وتعرّض مخيمه للهجوم الوحشي من قِبَل جيش عمر بن سعد، وانتهى القوم إلى علي بن الحسين عليه السلام وهو عليل على فراشه لا يستطيع النهوض، «**فقائل يقول: لا تدعوا فيهم صغيراً ولا كبيراً. وآخر يقول: لا تعجلوا حتى نستشير الأمير عمر بن سعد. وجرّد الشمر سيفه يريد قتله، فمنعه ابن سعد من قتله، خصوصاً لمّا سمع العقيلة زينب عليها السلام تقول: لا يُقتَل حتى أُقتَل دونه**»[1].

الثاني: عندما أُدخِل السبايا على عبيد الله بن زياد في الكوفة، وجد مع النساء رجلاً واحداً، فاستغرب ذلك، والتفت إليه، «**فقال له: مَن أنت؟ فقال: أنا علي بن الحسين. فقال: أليس قد قتل اللهُ علي بن الحسين؟ فقال له علي عليه السلام: قد كان لي أخ يسمّى علي قتله الناس. فقال له ابن زياد: بل الله قتله. فقال علي بن الحسين عليه السلام: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾**[2]. **فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة لجوابي، وفيك بقية للرد عليَّ؟ اذهبوا به فاضربوا عنقه. فتعلّقت به عمّته زينب وقالت: يا بن زياد، حسبك من دمائنا. واعتنقته وقالت: والله، لا أفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه. فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة ثمّ قال: عجباً للرحم! والله، إنّي لأظنّها ودّت أنّي قتلتها معه، دعوه فإنّي أراه لما به**»[3].

وهكذا كان دور العقيلة عليها السلام في المحافظة على بقية الله الصالحة، فعندما ينظر الإنسان إلى مشهد أهل البيت عليهم السلام يوم عاشوراء بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، يرى وكأنّه لم يبقَ لهم أثر ولا وجود، لأنّ الشعار الذي رفعه عمر بن سعد وجلاوزته هو: أن لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية، ولكن بالرغم من ذلك نجد بقية

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٣٠١.
(٢) الزمر: آية٤٢.
(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٦ـ١١٧.

الله أصبحت البقية الزاكية النامية المنتشرة، والتي رفعت راية الإسلام في كلّ عصر وزمان.

نتيجة البحث

من خلال ما سبق نستطيع أن نُدرك عمق الموقف في القضية الحسينيّة بأنّه ليس حرباً وثورة وعدواً وقتالاً دنيوياً مجرّداً، وإنّما قضية ودين وحقيقة لها أساسها الإلهي، وهو شرط كلّ ثورة وحركة تغييرية، حيث إنّ مسألة الارتباط بالله تمثّل الهدف الأساس لكلّ عمل تغييري من منظور إسلامي.

وهذا المعنى نجده واضحاً في الثورة الحسينيّة حيث الارتباط بالله تعالى كان السمة الأُولى التي اتّصف بها الحسين عليه السلام وأصحابه، وكذلك العقيلة زينب عليها السلام في أثناء المعركة وبعدها عندما وجّه إليها عبيد الله بن زياد في مجلسه سؤاله وهو يعتبر نفسه منتصراً ومأخوذاً بزهوة الانتصار: «**كيف رأيتِ صُنْع الله بأخيك وأهل بيتك؟**» فأجابته عليها السلام معبِّرة عن إيمانها بالله وارتباطها به وصبرها على المصيبة وإدراكها لأهداف الثورة: «**ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجّ وتخاصَم، فأُنظر لِمَن الفلج يومئذٍ، ثكلتك أُمّك يا ابن مرجانة...**»[1]، وهذا ما يسمّى بجهاد الكلمة.

من هنا كان الارتباط بالله من شروط الجهاد في سبيله وإعلاء كلمته؛ كي لا يرى المجاهد صنع الله به إلّا جميلاً.

وكما للارتباط بالله أهمّية لدى المجاهد، فإنّ لرفض الظلم ومقارعته والدعوة إلى الحقّ والعدل أهمّية كذلك؛ كون كرامة الإنسان وعزّته وحرّيته الحقيقية ترتبط بذلك. فرفض الظلم وتحرير الإرادة الإنسانية والدعوة إلى العزّة والكرامة الإنسانية من

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٦.

أهمّ ما امتازت به الثورة الحسينيّة، فما قول الإمام الحسين عليه السلام: «**هيهات منّا الذلة**»[1] إلّا انعكاساً واضحاً لهذه الحقيقة، لأنّ رفض الذلّ يمثِّل في الحقيقة تحرير الإنسان من عبودية الآخرين وإخلاص العبودية لله، وقد تبيّن ذلك أيضاً في خطبة العقيلة عليها السلام في الكوفة كيف ضربت عليهم الذلّة والمسكنة بقولها: «... **أتبكون وتنتحبون، إي والله، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوّة، ومعدن الرسالة، وسيِّد شباب أهل الجنّة، وملاذ حيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجّتكم، ومدرة سنّتكم؟! ألا ساء ما تزرون، وبُعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبُؤتم بغضب من الله، وضُربت عليكم الذلّة والمسكنة، ويلكم يا أهل الكوفة! أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم؟! وأيّ كريمة له أبرزتم؟! وأيّ دم له سفكتم؟! وأيّ حرمة له انتهكتم؟! لقد جئتم بها صلعاء عنقاء، سوداء فقماء...**»[2].

إذن؛ فالمرأة يمكن أن يكون لها دور عظيم، خصوصاً في هذه المرحلة؛ لما تشهده الساحة الإسلامية من حرب شعواء ضد الإسلام والمسلمين. فالإسلام اليوم يتعرّض لخطر عظيم، وهذا الخطر هو الذوبان في المجتمعات الغربية والانشغال بالدنيا، وانتهاك حرمة الإسلام. فالمرأة يمكن أن يكون لها دور عظيم جداً كما كان للسيِّدة الزهراء وابنتها الحوراء زينب عليهما السلام وغيرهما في الدفاع عن الإسلام، وتجنّب هذا الخطر وهذه المسؤولية ملقاة على عواتق النساء كما هي على عاتق الرجال.

(١) ابن نما، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٤٠.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٨٧.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ محمد بن محمد المعروف بالمفيد، نشر دار المفيد.

٢ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: الشيخ محمد باقر المجلسي، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، نشر: مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان.

٣ ـ البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، نشر: دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت.

٤ ـ تاريخ الأُمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء، ط٤، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

٥ ـ تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي، المعروف بابن عساكر، تحقيق: علي شيري، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ.

٦ ـ روضة الواعظين: محمد بن الفتال النيسابوري، نشر: منشورات الرضي، قم.

٧ ـ القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ.

٨ ـ قلائد الدرر: أحمد الجزائري، مطبعة: مكتبة النجاح، النجف، ١٣٨٢هـ.

٩ ـ الكافي: الشيخ ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، ط٥، تحقيق: علي أكبر غفاري، مطبعة الحيدري، نشر: دار الكتاب الإسلامية، طهران.

١٠ ـ لسان العرب: محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، ط١، ١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي.

١١ ـ لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين، سنة الطبع: ١٣٣١هـ، مطبعة العرفان،

صيدا، الناشر: منشورات مكتبه بصيرتي، قم.
١٢ ـ اللهوف على قتلى الطفوف: السيد علي بن موسى المعروف بابن طاووس، ط١، ١٤١٧هـ، المطبعة: مهر، الناشر: أنوار الهدى، قم ـ إيران.
١٣ ـ مثير الأحزان: جعفر بن محمد المعروف بابن نما الحلي، سنة الطبع: ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، الناشر: المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
١٤ ـ مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي، تحقيق: أحمد الحسيني، ط٢، ١٤٠٨هـ، نشر: مكتب النشر الثقافة الإسلامية.
١٥ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين الهيثمي، نشر: دار الكتب، بيروت.
١٦ ـ مسالك الأفهام: زين الدين العاملي المعروف بالشهيد الثاني، تحقيق: مؤسسة المعارف الإسلامية، ط١، ١٤١٣، مطبعة بهمن، قم، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، قم ـ إيران.
١٧ ـ المعجم الكبير: أبو قاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، نشر: دار إحياء التراث العربي.
١٨ ـ مقاييس اللغة: أحمد بن زكريا المعروف بابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الدار الإسلامية، ١٤١٠هـ.
١٩ ـ مقتل الحسين عليه السلام (مقتل أبي مخنف): لوط بن يحي، تحقيق: ميرزا حسن الغفاري، نشر مكتبة المرعشي العامّة.
٢٠ ـ مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، سنة الطبع: ١٣٧٦هـ، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
٢١ ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤هـ.

نظريات النهضة الحسينيّة
نظرية ذات الأهداف المتعددة أُنموذجاً

أ. م. د. بلاسم عزيز شبيب *

صلاح عوده عبد الأمير الدعمي **

المقدّمة

تحظى النهضة الحسينية بأهمّية بالغة في مجالات البحث كافّة، وطُرحت للنهضة الحسينية عدّة نظريات تبيّن هدف الإمام الحسين عليه السلام وكما يلي:

١ ـ نظرية إقامة الحكومة.

٢ ـ نظرية الشهادة التي تبنّاها العديد من الفقهاء والباحثين.

٣ ـ النظرية الغيبية.

٤ ـ نظرية المواجهة المفروضة.

٥ ـ نظرية الفرار من البيعة.

٦ ـ نظرية العمل بالتكليف الإلهي، بغضّ النظر عن النتائج.

وطُرقت هذه النظريات بشكل تفصيلي في بحث موسّع خاص، لا يسع المقام للخوض فيها.

٧ ـ النظرية ذات الأهداف المتعدّدة؛ وهي النظرية التي تجمع كلّ النظريات المطروحة أعلاه، وقد وقع اختياري على هذه النظرية لسببين:

---

* جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية/ قسم الفقه وأصوله.

** مدرس في تربية كربلاء.

الأوّل: إنّها لم تُبحث بصورة مفصّلة، بل هي فكرة وضعها بعض العلماء، مثل الشهيد مطهّري، وتبعه آخرون ولم يفصّلوا فيها.

الثاني: إنّ هذه النظرية تجمع كلّ النظريات المطروحة؛ لذا سعيتُ لبيان هذه النظرية من مصادرها الأصلية وتحليلها وبيان أهدافها.

وعليه؛ يُعدّ هذا الموضوع من الموضوعات التي أخذت على عاتقها دراسة هذه النظرية؛ كون أنّ للنهضة الحسينية صدى في الواقع، وهو يتفاعل مع الأحداث والمستجدّات، ممّا يعالج الكثير من القضايا التي هي محلّ جدلٍ معاصر، ممّا جعل بيان هذا الوجه ضرورياً، وعدم طرح هذا الموضوع عند الباحثين بشمولية الجوانب، والتأصيل الذي بُنِيَت عليه هذه النظرية، لعلّنا أسهمنا في إثراء البحث، عسى أن تكون نقطة ضوء لفتح نافذةٍ أوسع، وأن تكون خطوة في سبيل رضا الله تعالى وأهل بيته عليهم السلام.

المطلب الأوّل: ماهية النظرية

تُعدّ هذه النظرية من النظريات المهمّة في مسار النهضة الحسينية، وفتحت هذه النظرية آفاقاً جديدة حول دراستها ـ فإنّ النظريات السابقة لا تخلو من إشكالات ـ فإنّها تجمع عدّة عوامل في أسبابها، وهذا يجعلها أفضل النظريات، إذ لم تقتصر على هدفٍ معيّن، بل على عدّة أهداف كانت منظورة للإمام الحسين عليه السلام، ومَن ذهب إلى هذه النظرية:

١ – الشيخ مرتضى مطهّري (ت١٣٩٩هـ): فقد ذكر سبب اختياره لهذه النظرية؛ إذ قال: «**هنالك عدّة عوامل لعبت دوراً في وقوع النهضة الحسينية، وهذ الأمر بحدّ ذاته ساعد في تشابك التفسيرات، وتداخل التحليلات المتنوّعة لهذه الحادثة، التي أُريد من خلالها الوصول إلى كُنه واقعيتها العميقة والبليغة، بالرغم من عدم اتّساع الرقعة الزمانية**

لواقع الحادثة»[1].

ويعتقد مطهّري أنّ سبب اختلاف التفسيرات في النهضة الحسينية هو استغلالها بشكل سيّئ؛ بسبب النظر إلى الزوايا المؤثّرة في صناعة الحدث والرواية الحسينية، مثل قضية أخذ البيعة ليزيد، وامتناع الإمام الحسين عليه السلام، وكذلك قضية أهل الكوفة وقبول الإمام عليه السلام لهذه الدعوة. وفي حديثٍ آخر فإنّه لا يتناول الإمام عليه السلام قضية البيعة، كما أنّه لا يتطرّق بالمرّة إلى موضوع دعوة أهل الكوفة له، بل إنّه يتحدّث عن الأُمور العمومية وإلى أوضاع الحكومة الفاسدة، وبالتالي فإنّه يوجّه النقد اللازم لوضع حكومة العصر، وكيف أنّها تريد أن تغيّر ماهية الإسلام، ويتحدّث عن تحوّل الحرام إلى حلال، والحلال إلى حرام، وأخيراً يُذكّر الناس بواجبهم الإسلامي وعدم الرضوخ والسكوت.

ومن هنا يتساءل مطهّري: هل أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يتطرّق إلى موضوع البيعة، ولا إلى موضوع دعوة أهل الكوفة، وكأنّه ليس هنالك مسألة باسم البيعة ليزيد، ولا قضية باسم دعوة أهل الكوفة له؟ فأين يكمن السبب، في حصول النهضة أم في مسألة البيعة، أم في دعوة أهل الكوفة، أم أنّها ليست واحدة من هذه المسائل، بل مسألة المعارضة والنقد، أم شيوع المنكرات وضرورة محاربتها؟ فأيّ قضية من تلك القضايا كانت وراء الباعث الحقيقي للنهضة؟ وكيف تبرّر هذه الحالة؟ وما هو تفسيرنا النهائي؟[2].

ويضيف مطهّري: أنّ كلّ تلك العوامل كانت مؤثّرة في النهضة الحسينية، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أبدى ردوده المناسبة تجاه كلّ عامل من العوامل، فنجد أنّ جزءاً من تحرّكه استند في الواقع إلى موقف الامتناع عن البيعة، في حين أنّ بعض قراراته جاءت على أساس دعوة الكوفيين، بينما الآخر يقوم على أساس محاربة الفساد

(١) مطهّري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج٢، ص٨.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج٢، ص٨ـ٩.

والمنكـر؛ لذلـك كانت كلّ تلك العوامل مؤثّرة في واقعـة الطف، تلك الواقعة كانت عبـارة عن مجموع ردود الأفعال والقرارات التي تمّ اتخاذها من قبل الوجود القدسي العظيم لأبي عبد الله عليه السلام[1].

٢ـ السـيّد محمد محمـد صادق الصدر: إذ جعل عوامل النهضة الحسـينية مجموعة من الاحتمالات، وسـبب جعلها على عـدّة احتمالات؛ لأنّهُ يعتقـد أنّ حدود أهداف النهضة الحسـينية التي نتحدّث عنها هي على حدود فهمنا وإدراكنا، وهو البعيد عن فهم الواقعيات، فإنّنا نتحدّث عن أقصى ما نُدركه من أمر منطقي ومعقول، كأُطروحة مقبولة ومحتملة في هذا الصدد، وليس كشـيء قطعي وناجز، ونحن نعلم أنّ ما خفي علينا من الحق أكثر ممّا اتّضح لنا بكثير، وعلى هذا فإنّ طرح بعض الأهداف عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام، يجب أن تتّصف بعدّة شروط، منها[2]:

الـشرط الأوّل: أن يكـون الهـدف الذي نتصوّره للإمام الحسـين عليه السلام أمـراً مُرضياً لله عزّ وجلّ، لا تشوبه شائبة عصيان، أو أن يكون مرجوحاً في الشريعة.

الشرط الثاني: أن يكون الهدف الذي نتصوّره مناسـباً مع حال الإمام الحسـين عليه السلام وشأنه، لا أن يكون هدفاً مؤقّتاً أو متدنّياً أو ضئيلاً، وإنّما يجب أن يكون الهدف معمّقاً وواسعاً وأكيداً وشديداً.

الـشرط الثالـث: أن يكون أمراً متحقّقـاً أمّا في الحال أو الاسـتقبال، ولا يجوز أن نطـرح لـه هدفاً فاشـلاً وغـير متحقّق أو غـير قابل للتحقّـق، مثل اسـتهداف النصر العسكري، أو إزالة حكم بني أُميّة.

الـشرط الرابـع: أن يكـون الهدف مذكـوراً في كلام الإمام الحسـين عليه السلام، فإن كان مذكـوراً أخذنـا بـه، وإن لم يذكـره عرضنا عنه، ويردّ السـيّد الصدر عـلى هذا الهدف

(١) أُنظر: المصدر السابق: ج٢، ص٩.

(٢) أُنظر: الصدر، محمد محمد صادق، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ص٤٢.

بقولـه: ضعف الروايات الناقلة لـكلام الإمام عليه السلام، فلم يردنا عن طريق صحيح بيان أهدافه عليه السلام، فلو اشترطنا ذلك لم يكن لنا طريق إلى معرفة الأهداف إطلاقاً.

إنّ الإمام عليه السلام عمل بقانون التخاطب الشرعي والعرفي، وهو كلّم الناس على قدر عقولهـم؛ لأنّ المجتمـع في ذلك الحين لم يكن يطيق فهم واسـتيعاب أهدافه الحقيقية، وكذلـك المجتمع لم يكن قد تربّى بالقدر المطلـوب، ويعتبر التصريح ببعض الأعمال فساداً لها؛ وبالتالي تكون عقيمة وغير مجدية.

٣ـ السيّد محمد باقر الحكيم: إذ جعل هدف نهضة الإمام الحسين عليه السلام هو هزّ ضمير الأُمّة، ولهذا الهدف أبعاد ثلاثة:

البعـد الأوّل: هـو البعـد الذي يرتبط بفهم الرسـالة الإسـلامية، وذلك بتوضيح الموقف الشـرعي تجاه الظاهرة الخطيرة.

البعد الثاني: هو البعد الذي يرتبط بحركة رسالة الإسلام المستقبلية.

البعـد الثالث: هو البعد الذي يرتبـط بحركة الأُمّة الفعلية وأوضاعها السياسـية والاجتماعية والنفسية، وعلى هذا التفسير لحركة الإمام الحسين عليه السلام يمكن أن نحتفظ بكرامة الحسين عليه السلام وعظمته[1].

المطلب الثاني: الأهداف المنظورة في النظرية

لقـد ذهـب الشـيخ مطهّـري في تحليل هـذه النظرية إلى القـول في طبيعـة النهضة الحسـينية: يمكن القول بإمكانية فرض ثلاثة أنواع من الماهية وهي: الماهية التقوائية، والماهية الهجومية والثورية، والماهية التجاوبية، أي: التجاوب مع نداءٍ مقدّس، وهي الماهيـة التعاونيـة، وأنّ حركـة الإمام عليه السلام هنا شـكّلت تعبيراً على ردّة فعـل من النوع السلبي، إذا نظر إلى العمل من ناحية عامل البيعة.

(١) أُنظر: الحكيم، محمد باقر، ثورة الإمام الحسين عليه السلام: ص٨٧.

وفيما يخصّ عامل الدعوة أيضاً يمكن القول: بأنّ الحركة كانت عن ردّة فعل، لكنّها هذه المرّة كانت إيجابية، بينما إذا نظرنا إلى العمل من ناحية عامل الأمر بالمعروف، فإنّ الإمام عليه السلام حينها يكون هو المهاجم والبادئ بالحركة[1]. ويقسّم الشيخ مطهّري العوامل التي تكوّنت منها النهضة الحسينية إلى أربعة عوامل[2]:

العامل الأوّل: أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو الشخصية الوحيدة الجديرة والمنصوص عليها بالخلافة.

وعلى هذا؛ فلا فرق بينه وبين أخيه وأبيه، كما لا يوجد فرق بين حكومة معاوية ويزيد والخلفاء الثلاثة، وإنّ هذا العامل لم يُوجب أيّ تكليفٍ خاصّ، فإذا شخّصت الناس صلاحيته وبايعته ـ وفي الحقيقة إذا ما أعلنت من خلال البيعة له عن صلاحيتها وجدارتها واستعدادها لقبول حكم هذا الإمام ـ فإنّه سيقبل أيضاً مثل هذه البيعة.

العامل الثاني: أخْذ البيعة من الإمام عليه السلام

تعامل الإمام عليه السلام مع هذا العامل بالرفض حتى لو أدّى إلى قتله، بأي شكلٍ من الأشكال. ويضيف الشيخ مطهّري: أنّ تكليف الإمام عليه السلام كان الامتناع عن البيعة فقط، وهذا التكليف يمكن القيام به من خلال الخروج من البلاد، فإنّ تركيز الإمام عليه السلام في هذه المهمّة هو رفض البيعة، وعدم الرضوخ تحت كلّ الظروف، حتى لو أدّى ذلك إلى ترك البلاد، أو مواجهة القتل.

العامل الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إنّ العمل بالمبدأ المعروف في الإسلام باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا سيما إذا كان الأمر يتعدّى الأُمور الجزئية، وتصبح القضية تحليل الحرام، وتحريم الحلال، أو ظهور البِدَع، أو تهديد المصالح العامّة وحقوقها، وانتشار الظلم وشيوعه،

(١) أُنظر: مطهّري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج٣، ص١٦٤.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج٣، ص١٦٨ـ١٧١.

وإنّ كثيراً من النصوص تتحدّث عن هذا العامل[1]؛ لذا كان هذا العامل سبباً في انطلاق النهضة الحسينية.

العامل الرابع: استجابة الإمام لدعوة أهل الكوفة

إنّ قدوم الإمام عليه السلام كان بسبب عدم مبايعته، فلما عرفَ أهل الكوفة بامتناع الإمام عليه السلام عن المبايعة قاموا بالدعوة إليه، وأعلنوا عن استعدادهم لنصرته، ويرى الشيخ مطهّري أنّ دعوة أهل الكوفة تأتي كحجّة تاريخية على الإمام عليه السلام؛ وهذا يتطلّب عملاً من قِبَل الإمام عليه السلام، ليُتمّ الحجّة على الناس أمام التاريخ[2]. وعلى هذا فإنّ الشيخ مطهّري يوضّح جانباً مهمّاً ودقيقاً يرتبط بتلك العوامل المؤثّرة في تحريك الثورة، إذ يقول: «**إنّ عامل رفض البيعة أهمّ من عامل دعوة أهل الكوفة؛ لأنّ دعوة أهل الكوفة كانت تتضمّن احتمال النجاة والسلامة والموفقية، بينما كان رفض البيعة يتضمّن مجازفة خطرة وتعريضاً للموت؛ ولكن يبرز هنا عامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي يركّز عليه الإمام عليه السلام بصورة خاصّة، ويذكره بصورة مستقلّة، وهو يحمل عدّة دلالات هجومية صادرة من الإمام عليه السلام، تنطلق من رغبة تغييرية إصلاحية عارمة، وكما أنّ هذا العامل يحمل صلاحية أكبر للتخليد والإحياء، وأنّ تلك المواجهة مع الحكم القائم هو نوع من الهجوم الذي يبدأ به الإمام عليه السلام بنفسه، وليس الحكومة ولا حتى الناس**»[3].

ويضيف مطهّري أنّ الإمام الحسين عليه السلام يريد التغيير، سواء طلبت منه الحكومة البيعة أم لم تطلب، والحال هذا بالنسبة لأهل الكوفة، سواء طلبوا منه القدوم أو لم يطلبوا، فإنّه الرجل المعارض في كلّ الحالات، وهو من هذه الناحية درسٌ كبيرٌ وغنيٌ، وعليه فإنّ العوامل تختلف عن بعضها البعض، وتتفاوت أهمّيتها، سواء

(١) أُنظر: المصدر السابق: ج٣، ص١٦٦ـ١٧٦.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج٣، ص١٧٣.
(٣) المصدر السابق: ج٣، ص١٨٠.

مـن زاوية تكليـف الإمام عليه السلام وردود فعله تجـاه كلّ واحدٍ منها، أم مـن زاوية قيمتها وصلاحيـة موضوعهـا للإحياء والتخليـد، أم من زاوية آثارهـا التعليمية والتربوية، وإنّ عامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي جعل الإمام الحسين عليه السلام يقاتل حتى الاستشـهاد، ومنطق الشهيد هو المنطق الذي لا يعلو عليه شيء[1]؛ وبالتالي فإنّ كلّ عامل من العوامل يُعطي مضموناً مغايراً للنهضة.

وكذلـك يرى السـيد محمد محمد صادق الصدر؛ إذ جعـل مجموعة من الأهداف المحتملة للنهضة الحسينية وهي:

الهـدف الأوّل: أن لا يبايـع الحاكم الأُمـوي يومئذٍ كما طُلب منـه، فإنّه عليه السلام رفض ذلك بكلّ قوّة وصمود، فقد تحمّل القتل وهذه التضحيات الجسام في سبيل ترك هذه البيعة الدنيئة[2].

الهدف الثاني: الامتثال لأوامر الله تعالى، ذلك الأمر المعروف لديه، إمّا بالإلهام أو بالرواية عن جدّه صلى الله عليه وآله، وكان يطلب ثواب الله وجزاءه الأُخروي على ذلك، كما يفعل أيّ مؤمن حين يؤدّي أيّ واجب ديني، كالصلاة أو الصوم أو الحج[3].

الهدف الثالث: الانتصار العسكري المباشر، أو إزاحة الحكم الأُموي فوراً. وهذا ما لا يتبنّاه السيّد الصدر، وذكره هنا بسبب أنّ بعض المفكّرين تبنّوه، كما مرّ في نظرية إقامة الحكومة[4].

الهـدف الرابع: فضح بني أُميّة ومَن على شـاكلتهم من يومه إلى يوم القيامة، بأنّهم ليسـوا فقط ظالمين لأنفسـهم بينهم وبين الله تعالى، ولا ظالمين للناس في حكمهم غير العـادل فحسـب، وإنّما الأمر أكثـر من ذلك، فإنّهم على اسـتعداد أن يقتلـوا الرجال

(١) أُنظر: المصدر السابق: ج٣، ص١٧٠.
(٢) أُنظر: الصدر، محمد محمد صادق، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ص٤٤ـ٤٥.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٩.
(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٠.

والأطفال، وأن يسبوا النساء، وأن يقتلوا خير الخلق الموجودين على وجه الأرض؛ من أجل التمسّك بالحكم والكرسي، وهذا يعني أنّهم مستعدّون أن يقتلوا أيّ عدد من الناس في سبيل ذلك، كما أنّ معناه عدم وجود أيّ عاطفة في قلوبهم على الإطلاق، وهم على استعداد أن يفعلوا كلّ شيء بسبب انسلاخهم عن الإنسانية وعن الورع عن المحارم[1].

الهدف الخامس: طلب الإصلاح في الأُمّة المسلمة، أُمة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، حين رأى أنّ الدين قد تغيّر، وأنّ المعروف لا يُعمل به، وأنّ المنكر لا يُتناهى عنه، وكان الإمام الحسين عليه السلام أهلاً له[2]، ويقسّم السيّد محمد الصدر الإصلاح على قسمين:

القسم الأوّل: الإصلاح الذي يصدر من الإمام الحسين عليه السلام مباشرةً قبل مقتله، فإنّه لا يكون هدفاً؛ لأنّه فاقد لأحد الشرائط السابقة، وعدم التحقّق في المجتمع؛ بسبب أنّ الأمر الذي لم يتحقّق لا يمكن أن يكون هدفاً، أمّا إذا قلنا: إنّ الإصلاح المباشر قد حصل من خلال الأقوال والخطب، فإنّها كانت مكرّسة عن شرح أبعاد النهضة الحسينية، وعليه فلا يمكن أن تكون هي الإصلاح المعهود، وإنّما التوقّع هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جوانب عامّة، وفي فروعه كافّة، وهو ما لم يحصل على الإطلاق؛ لأنّ الأجل لم يُمهله.

القسم الثاني: الإصلاح بعد شهادته، وهو الإصلاح المقصود، والذي كان يقصده الإمام الحسين عليه السلام، وكان يستهدفه وإن لم يصرّح به تماماً، أخذاً بقانون (كلّم الناس على قدر عقولهم)، وهو هدفٌ جليل ولا غبار عليه[3].

الهدف السادس: الاستجابة لأهل الكوفة حين طلبوا منه القدوم عليهم وأخذ البيعة منهم وممارسة الحكم بينهم. ويُضيف السيّد الصدر بأنّ هذه الاستجابة وإن

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٥١.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٣.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٢ـ٥٣.

كانـت صحيحة بحسـب الحكـم الظاهـري في الشـريعة؛ إذ عليه عليه السلام أن يسـتجيب لذلـك، ولكـن هل كانت هـذه الدعوة هدفـاً حقيقياً لنهضته، أم هي اسـتجابة لا بدّ منها لسدّ الألسن وقطع المعاذير، وتكليم الناس على قدر عقولهم؟[1]

الهدف السـابع: «إعطـاء الأُمثولة للدين الحنيـف القويم، وأنّه يسـتحقّ هذا المقدار العظيم من التضحية والفداء، في سـبيل إقامة الأحكام الإسـلامية والشعائر الدينية»[2].

ويُضيف السـيّد الصدر بأنّ هذه التضحية لا تكون على مسـتوى واحد، بل على عدّة مستويات؛ لأنّ انطباعها في نفس صاحبها وفي نفوس الآخرين يكون معتدّاً لا محال، ومنها[3]:

المسـتوى الأوّل: التضحيـة بمعنـى تحمّـل الألم والجـروح والقتـل والصـبر عليه طواعيةً، وهذا المستوى خاصٌّ بصاحب التضحية، ولا يمكن أن يكون شاملاً لغيره.

المسـتوى الثـاني: التضحية بمعنى الإعانـة لصاحب التضحية بـكلّ ما يمكن من جهـد وجهـاد، وتحمّل كلّ بلاء في سـبيله، مضافـاً إلى تحمّل فراقه كشـخص محبوب أُسريـاً ودينياً واجتماعياً، وتحمّل الحرمان من فوائده وتوجيهاته ولطفه. وتختصّ هذه التضحية بمَن كان مع الإمام الحسـين عليه السلام، من الركب المعاون له في الحياة والموافِق له في الأهداف، ولعلّ السيّدة زينب عليها السلام من ذلك الركب المضحّي في سبيل الحسين عليه السلام، ولعلّها أهمّ النساء الموجودات على الإطلاق.

المسـتوى الثالث: الموافقة مع الإمام الحسـين عليه السلام نفسـياً وعاطفياً وقلبياً؛ وبالتالي الموافقة الحقيقية على عمل الإمام الحسين عليه السلام وتضحيته وعلى هدفه ورسالته.

الهـدف الثامـن: إنّ الإمـام الحسـين عليه السلام قُتل مـن أجل إقامـة المأتم عليـه والبكاء عليـه، فإنّها من الشـعائر الدينية المهمّة، والتي تُوجـب هداية الكثيرين من الباطل إلى

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٣ـ٥٤.

(٢) المصدر السابق: ص٥٦.

(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٧ـ٨٥.

الحق[1]، ومن خلال ما مرّ بنا يمكن القول: إنّ تكليف الإمام عليه السلام هو إعلان المعارضة والحرب، وعليه فهدفه الأساسي هو أداء التكليف الشرعي المنوط به، وأمّا بقية النظريات فترجع إلى هذا الرأي، فإنّ الإمام عليه السلام عليه تكاليف شرعية، يجب عليه عليه السلام أن يقوم بأداء تلك التكاليف باعتباره أحد المسلمين، فيجب عليه دفع الخطر الذي يهدّد عياله، ولعلّ من هنا يمكن معرفة لماذا حمل الإمام عليه السلام عياله وأطفاله، وباعتباره إمام المسلمين عليه تكاليف عامّة من الحفاظ على عقائد الناس، والحفاظ على الشريعة الإسلامية، فمرّة يأتي فعله عليه السلام بالقول، ومرّة بالجهاد، فإن لم ينهض يعتقد الناس بأنّ الإمام عليه السلام راضٍ عن تلك الممارسات[2]، وخصوصاً فسق يزيد وأنّه صاحب جوارٍ وطرب وكلاب وفهود، ومنادمة على الشراب، وأغلب أصحاب يزيد وعمّاله كانوا يفعلون ما يفعل، وظهور الغناء والملاهي في عصره، وجاهَرَ الناس بشرب الخمر، وأنّ أُصول الدين كانت مهدّدة بالزوال، فضلاً عن الفروع[3].

فإنّ النهضة الحسينية لها ملاكها في التكليف الشرعي، وهذا الملاك واضحٌ في رسائل الإمام عليه السلام، وهو طريق الإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي هذا عنصر التعميم؛ لأنّها وريثة حركة الأنبياء الذين ما جاءوا ليكونوا منفردين بتكاليفهم بين الناس، وإلّا لما صحّ مخاطبة الناس بالاقتداء بهداهم.

إنّ كل الأنبياء عليهم السلام هم أسرار الله بين خلقه، وخزائن علمه؛ ولكن لا يعطيهم هذا الوصف خصوصية في التكاليف الشرعية التي فيها حياة الناس، مثل الجهاد في سبيل الله، وإلّا لصعب على الناس الاستجابة لهم، وهذا بخلاف ما توصف به شريعة الله تعالى بأنّها السمحة السهلة، هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر فإنّ قاعدة

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٩.

(٢) أُنظر: بلاسم عزيز شبيب، مجلة (دراسات إسلامية معاصرة)، بحث بعنوان: (القيم الإسلامية والإنسانية في نهضة الحسين عليه السلام): ص٢٨٦ـ٢٨٧.

(٣) أُنظر: المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج٣، ص٦٧.

الاشـتراك هي: «**اشـتراك المكلّفـين في الحكم رجـالاً ونسـاءً إلى قيام يـوم القيامة، أي: ما دام بقاء هذه الشـريعة المقدسة. وبعبارةٍ أُخرى: إذا ثبت حكمٌ لأحد المكلّفين أو لطائفة منهـم ـ سـواء كان ثبوته بخطـابٍ لفظي أو دليل لبّي من إجماع أو غيره ـ فيكون شـاملاً لجميـع المكلّفـين في جميع الأزمنة إلى قيام يـوم القيامة، إلّا أن يكـون مأخوذاً في الموضوع خصوصية وقيد لا ينطبق إلّا على شـخصٍ خـاصّ، أو طائفة خاصّة، أو في زمانٍ خاصّ كزمان حضور الإمام**عليه السلام **مثلاً**»[1]. فإنّ الاشتراك في الأحكام بين جميع المسلمين ثابتٌ بضرورة الفقه، فإنّ وظيفة الرسول**صلى الله عليه وآله** هي التبليغ، والإمام**عليه السلام** هو الخليفة الشرعي، والمتعهّـد لإرشـاد الناس وتبليغ الأحكام وإرشـادهم إلى دين الله، فـإنّ بني أُميّة من أجـل الوصـول إلى أغراضهم، قاموا بإبعاد الناس عن دين الله وشريعة رسـوله**صلى الله عليه وآله**؛ لـذا يجـب على الإمـام**عليه السلام** أن يُخرج الناس مـن الجهـل والغفلة، ويحملهم عـلى اتّباع الكتاب والسنّة، فقد ورد في زيارة عيدي الفطر والأضحى: «**وبذلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ حَتّى اسْـتَنْقَذَ عِبادَكَ مِنَ الجَهالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلالَةِ**»[2]. وعلى هذا فإنّه**عليه السلام** كان مصّراً على تأدية هذه الوظيفة حتى لو لم يجِد أيَّ ناصر، أو كان الناصر قليلاً.

نتائج البحث

١ ـ تنشأ أهمّية البحث عن النظرية ذات الأهداف المتعددة من الأُمور التالية:

- طـرح بعض الشـبهات والتصـوّرات غـير المقبولة، والتي تمسّ شـخصية الإمام الحسين**عليه السلام**.
- كثرة الأسـئلة حول موضوع النهضة الحسينية، وتطلّع الكثير من الباحثين إلى هذا الموضوع.

(١) البجنوردي، محمد حسن، القواعد الفقهية: ج٢، ص٥٣.
(٢) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٦٥٥.

- عدم دراسة هذا الموضوع بشمولية الجوانب.
- تسليط الضوء على هذه النظرية التي فتحت آفاقاً جديدة حول فلسفة النهضة الحسينية.

٢ ـ إنّ هذه النظرية تجمع عدّة أهداف حول فلسفة النهضة الحسينية، ممّا يجعلها الأقرب إلى أهداف الإمام الحسين عليه السلام.

٣ ـ يمكن اعتبار أنّ أداء التكليف الشرعي هو مَن حرّك الإمام الحسين عليه السلام، وأنّ كلّ تلك النظريات التي طُرحت ترجع إلى هذا التكليف؛ لأنّ الإمام الحسين عليه السلام هو المسؤول عن تصحيح عقائد الناس؛ لأنّه هو الخليفة الشرعي لرسول الله صلى الله عليه وآله.

٤ ـ تفاوت الأقوال والآراء حول نظريات النهضة الحسينية؛ بسبب اختلاف الروايات التي تعطي أكثر من نظرية.

٥ ـ إنّ النظريات التي طُرحت مستقات من أقوال الإمام الحسين عليه السلام.

٦ ـ إنّ تبنّي أيّ نظرية من نظريات النهضة الحسينية هي في حدود فهمنا وإدراكنا، لا أنّه شيءٌ قطعي، والحقيقة الوحيدة أنّ عظمة الإمام الحسين عليه السلام هي منهاج عملٍ لكلّ البشر.

٧ ـ على الرغم من كون هذه النظرية هي الأقرب، إلّا أنّه قليلٌ مَن تبنّاها وسلّط الضوء عليها.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١ ـ أضواء على ثورة الحسين عليه السلام، السيد محمد محمد صادق الصدر (ت١٤٢١هـ)، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، بيروت ـ لبنان.

٢ ـ ثورة الحسين، السيد محمد باقر الحكيم (ت١٤٢٤هـ)، مؤسّسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الأشرف، ط١، ٢٠٠٨م، العراق.

٣ ـ القواعد الفقهية، السيد محمد حسن البجنوردي (ت١٣٩٥هـ)، تحقيق: مهدي المهريزي ومحمد حسن الدرايتي، نشر: دار الهادي، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٣٧٧ش، قم ـ إيران.

٤ ـ مجلّة دراسات إسلامية معاصرة، القيم الإسلامية والإنسانية في نهضة الحسين عليه السلام، للدكتور السيد بلاسم عزيز شبيب، كلّية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، السنة الرابعة، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، العدد/ ٨.

٥ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ)، منشورات دار الهجرة، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٣٦٣ش/ ١٩٨٤م، قم ـ إيران.

٦ ـ مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمّي (ت١٣٥٩هـ)، نشر: مكتبة العزيزي، ط٣، ١٣٨٥ش، قم ـ إيران.

٧ ـ الملحمة الحسينية، الشيخ مرتضى مطهّري (ت١٣٩٩هـ)، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، بيروت ـ لبنان.

البناء الفكري التربوي عند الإمام الحسين عليه السلام
دراسة في التأثير والتأثّر

أ. م. د. نعمة عبد الصمد الأسدي*

أ. م. د. محمد كاظم الفتلاوي**

مقدّمة

إنّ الأُمّـة الإسـلامية في هـذه الآونـة إن كانت فقـدت التقدّم التقنـي، فإنّها تملك المنهـجَ الربانيّ الأقومَ المتمثِّل بنصوص القرآن المجيـد، الذي يُعيد لها مكان الصدارة والريادة. ومحور ارتكاز الشـهود الحضاري ينبثـق من الأخلاق، ونتائج ذلك لا تأتي في يوم وليلة، بل تحتاج إلى مجاهدة وصبر والتزام حقيقي.

والإمام الحسـين عليه السلام مصباح الإنسانية الباهر الذي أضاء بالنور في ليل من لياليها الحالكـة؛ ليصنـع لها نهارها المشرق الوضّـاح، وما ذاك إلّا لارتباطـه الوثيق بالمصدر الإلهي وينبوع الحياة القرآن المجيد؛ ولهذا كان هذا البحث في بيان ذلك التأثّر العظيم في نهج الإمام عليه السلام، والأثر البالغ للقرآن العظيم فيه، وليكون في ذلك دلالة دامغة على الترابط والكينونة الواحدة بين الثقلين العظيمين: (القرآن الكريم والعترة المطهرة)[1].

---

* جامعة الكوفة / كلية التربية.

** جامعة الكوفة/ كلية التربية.

(١) في ذلك إشارة إلى قول النبي الكريم صلى الله عليه وآله: «إنّي مخلِّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ـ أهل بيتي ـ لن تضلّوا ما تمسكتم بهما، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٤٥٩.

وتكمن أهمّية هذا البحث في بناء الشخصية المتوازنة التي تجمع بين مكوّنات التربية الإسلامية، وتوازن بين الأُصول والقوانين الثابتة لهذه التربية، وبين ما أنتجته المعاصرة والحداثة؛ ممّا تسبّب باختلال حركة الأُمّة، وانحرافها نحو تيارات الفكر التربوي الغربي وتقليده ونسيان الذات؛ ممّا طبع تربيتها بالجفاف الروحي، وطبع مجتمعنا بالتمزّق الداخلي والاضطراب الخُلقي والتبعية الفكرية؛ ممّا أدّى إلى تغريب الإنسان المسلم وتشويه فكره وروحه.

وقد كان منهج البحث الذي اعتمده الباحثان هو المنهج التحليلي، مضافاً إليه سائر المناهج البحثية بحسب ما يقتضيه مقام البحث، مع التعويل في فهم نصوص القرآن الكريم وتوجيهها على المصادر التفسيرية وذلك التزاماً بعنوان البحث.

أما خطة البحث، فكانت من مقدّمة ومطلبين، الأوّل منهما كان عن نصوص في القرآن الكريم توضِّح منهج القرآن الكريم في البناء التربوي، والذي كان بعنوان: (الأثر القرآني في بناء الفكر التربوي للإمام الحسين عليه السلام).

وأمّا المطلب الثاني، فقد كان عن الملامح الفلسفية العملية التي تجلّت في سنّة الإمام الحسين عليه السلام (التقريرية والقولية والعملية)، وبعنوان: (بعض جوانب الفلسفة التربوية للإمام الحسين عليه السلام)، متلواً بخاتمة وقائمة بالمصادر.

المطلب الأول: الأثر القرآني في بناء الفكر التربوي للإمام الحسين عليه السلام

تساهم التربية مساهمةً فعّالةً في تخطيط وتشكيل وصنع شخصية الفرد، وتحديد صيغتها، فشخصيّة الفرد ـ في غالب الأحيان ـ هي نتاج صُنع المربّي وصورة جهوده.

فالاستعدادات والقابليات الإنسانية تُولد وهي طاقة حرّة غير متكيّفة، ولا متشكّلة، فتتناولها يد المربّي، أباً كان أو أُمّاً أو معلّماً، فتتصرّف بها، وتعمل على تشكيلها وتخطيط بُنيتها وفق قيم وأهداف تربوية فكرية محدّدة؛ لذلك نشاهد الدول والأحزاب والمنظّمات تحرص على توجيه وتربية الأفراد والجماعات تربية خاصّة ووفق منهج خاص.

ولقد جاءت رسالات الأنبياء ومناهج الرسل عليهم السلام كلّها للبناء الفكري التربوي، ورسم منهاج الإعداد وتربية الذات لشخصية الإنسان.

إذا ما علمنا أنّ التربية هي: «**النشاط الفردي والاجتماعي الهادف إلى تنشئة الإنسان فكرياً وعقلياً ووجدانياً وحسّياً وجمالياً وخُلقياً، وتزويده بالمعارف والاتّجاهات والقيم والخبرات اللّازمة لنموه نمواً سليماً طبقاً لأهداف الإسلام**»[1].

ونصوص القرآن الكريم حافلة بهذا النهج البنائي للإنسان، وهو ما سوف نلحظه من دور مميّز في تكوين الشخصية المتّزنة ـ وخصوصاً أثر الأُسرة القرآنية في بناء الإنسان، وفي شخصية الإمام الحسين عليه السلام وفكره الرسالي[2] ـ وهو محل البحث، ومن ذلك نلحظ أنّ العناية القرآنية في بناء الإنسان تبدأ منذ مرحلة الطفولة داخل الأُسرة، فهذه المرحلة التي فيها تشكيل الذات والشخصية[3].

لذلك جاء تأكيد القرآن المجيد صريحاً على العناية بتربية النفس والأهل والأبناء، بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ...﴾[4]، وذلك أنّ «**المؤمن مكلّف هداية أهله، وإصلاح بيته، كما هو مكلّف هداية نفسه وإصلاح قلبه**»[5]؛ إذ إنّ البيت الواحد قلعة من قلاع العقيدة، ولا بدّ أنّ تكون القلعة متماسكة من داخلها حصينة في ذاتها، والآية المباركة تربِّي الإنسان المؤمن على «**أن يتّجه بالدعوة، أوّل ما يتّجه إلى بيته وأهله، واجبه أن يؤمِّن هذه القلعة من داخلها،**

---

(١) أبو العينين، علي خليل، منهجية البحث في التربية الإسلامية: ص١١٠.

(٢) ينظر الباحث إلى شخصية الإمام الحسين عليه السلام هنا على أنّها شخصية إنسانية، بعيداً عن التبنّي العقائدي الذي يرى فيه الإمام عليه السلام مفترض الطاعة ومعصوماً مسدّداً من السماء، وإن كانت هذه حقائق ثابتة لا غبار عليها.

(٣) أُنظر: العك، خالد عبد الرحمن، بناء الأُسرة في ضوء القرآن والسنة: ص٢٢. فلسفي، محمد تقي، الطفل بين الوراثة والتربية: ص١٢.

(٤) التحريم: آية٦.

(٥) سيد قطب، إبراهيم حسين، في ظلال القرآن: ج٦، ص٣٦١٩.

واجبه أن يسدّ الثغرات فيها قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيداً»[1].

وتُترجم السنّة النبوّية هذا المحتوى القرآني، وتؤكِّد أنّ التربية الصالحة حقّ للولد على الوالد، فقد رُوي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنّه قال: «**جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، ما حقّ ابني هذا؟ قال صلى الله عليه وآله: تحسن اسمه وأدبه، وضعه موضعاً حسناً»**[2].

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي بحبّ الصبيان وتقبيلهم ومداعبتهم، وكان هو نفسه يقبِّل ابنته فاطمة عليها السلام، وابنيها الحسن والحسين عليهما السلام، ويداعبهما ليملأ نفس الصبي بالحبّ والحنان، ويُبعد عنها عقدة الكراهية والقسوة والنفور، فيشبّ الصبي سليم النفس، سويّ السلوك، نظيف القلب.

فشخصية الإنسان تبدأ التشكُّل من خلال التأثّر بالواقع الأُسري، والجو الفكري والتربوي الذي يحيط به، والإمام الحسين عليه السلام عاش في كنف مُعلِّم الإنسانية الأوّل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد أولاه عنايته الخاصّة ورعايته منذ صغره، فكان نهج الإمام عليه السلام في فكره وسلوكه نهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلوكه القرآني.

وذلك أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يؤكّد في حديث آخر أهمّية التربية ودورها في البناء الفكري وفي تكييف الملكات والاستعدادات الفطرية، وأثرها في بناء الشخصية بقوله: «**كلّ مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يُهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يُمجِّسانه»**[3].

ولأهمّية هذه النشأة وأثرها في نفس الطفل داخل الأُسرة، ما نلحظه في وصية الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام، فنشاهده واضحاً ومتجسِّداً وهو يخاطب ابنه بقوله: «**...وإنّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته، فبادرتُك بالأدب قبل أن يقسو قلبُك ويشتغل لبُّك...»**[4].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٤٨.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج١، ص٤٦٥.

(٤) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ج٣، ص٤٠.

فنفس الطفل وعقله واستعداداته ـ إذن ـ قابلة للنمو والتوجيه الذي تتلقّاه، خيراً كان أو شرّاً، كما تتقبّل الأرض البذرة، فتنمو في رحابها، بغض النظر عن خبثها أو طيبتها، ومن المعلوم بداهة دور القرآن المجيد في بناء فكر الإنسان، فالتربية الأُسرية القرآنية ذات أهمّية بالغة في بناء الشخصية الإنسانية، وتكوين اتّجاهها.

كما ونلحظ أثر القرآن المجيد على المجتمع من خلال ذلك البناء القيمي الذي يُنمِّي في الإنسان الفرد إيقاظ الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، وذلك من خلال تأكيد القرآن الكريم على مسؤولية الإنسان تجاه نفسه وغيره، قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾[1]. فالإنسان مسؤول عمّا كان تحت تصرّفه وقادراً على إحداث تغيير فيه ونفعٍ، فـ«**في ذلك اليوم يتمّ السؤال عن كلّ شيء، عن العقائد وعن التوحيد والولاية، وعن الحديث والعمل، وعن النعم والمواهب التي وضعها الله سبحانه وتعالى في اختيار الإنسان**»[2]، وكيف كان موقفه اتّجاهها، ومن ذلك موقف الإنسان اتّجاه الآخرين وهدايتهم إلى سواء السبيل.

ومن ذلك ما نلحظه في السنّة الشريفة، قول الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله: «**ألا كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته...**»[3]. ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**اتّقوا الله في عباده وبلاده، فإنّكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم**»[4].

والإمام الحسين عليه السلام ـ وهو ابن الدوحة المحمدية والنشأة القرآنية ـ كان واضحاً فيه الأثر القرآني وهو عِدْل القرآن، فكان في خروجه على النظام الحاكم، جزءاً من مسؤوليته في الإصلاح، الإصلاح الذي «**يجعل الله تعالى مصدراً للسلطة الوحيدة في جهاز ذلك الحكم، ويعتبر الشعوب عياله وشعبه ويقيم الإمام أميناً على تنفيذ قوانينه، وحارساً لأحكامه ومسؤولاً بين يديه، يوزع على ضوء تلك القوانين حقوق الحياة**

(١) الصافات: آية ٢٤.
(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١٤، ص ٢٢٢.
(٣) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح (صحيح مسلم): ج٣، ص١٤٥٩.
(٤) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ج٢، ص ٨٠.

السـواء بين إخوانٍ في الدين والإنسـانية، وقد أعطى سـيد الشهداء عليه السلام صورة رائعة عن ذلك في قوله: فَلَعَمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذلك»[1].

وكنظـرة مقارنـة، نجـد أنّ المذاهـب الاجتماعيـة الوضعيـة، بُنيـت عـلى أسـاس المسـؤولية الفردية في هذه الحياة فحسـب، وتأييدها بمؤيِّدات قانونية كحجز الحرية، أو التعذيـب، أو التغريـم المـالي، أو العزل عن الوظيفة، أو التسـريح عن العمل، أو المكافـأة بالمال، أو الترقيـة في الوظيفة... وما إلى ذلك، وبمؤيِّدات اجتماعية كالثقة أو حجبها، والتقدير أو التحقير.

أمّا المذهب القرآني، فلا يقتصر على مسؤولية الفرد أمام المجتمع الذي يعيش بين ظهرانيـه في هذه الحيـاة، وإنّما يُنمِّي في الفرد المسـؤولية العظمى أمـام الخالق العظيم في حيـاة أُخـرى، وحينئذٍ يدفعـه إلى التحديد الـذاتي أو الطوعي لرغباته، والشـعور الاجتماعـي نحـو غيره، بغض النظر عن القانون أو العـرف أو الضمير، لأنّ الضمير قـد يعجز عن مواجهـة الغرائز عند فقـدان العقيدة الدينيّة، كما أنّه ليس من الميسـور توفير الرقابة الاجتماعية في كلّ مكان وبصورة دائمة، وعليه فإنّ هذه الرقابة الداخلية لا توجد في غير العقيدة الدينيّة.

كما أنّ الدعوة لدين الله ليسـت حرفة ولا مهنة، وإنّما يقوم بها مَن يرى نفسـه أهلاً لها لوجه الله وحده، ولمصلحة الإنسانية دون غيرها.

وكذلك كانت آثار العقيدة الدينيّة في فكر الإمام الحسين عليه السلام، يقول المفكّر عباس محمود العقاد: «**إنّ مسألة العقيدة الدينيّة في نفس الحسين لم تكن مسألة مزاج أو مساومة، وأنّـه كان رجـلاً يؤمن أقوى الإيمان بأحكام الإسـلام، ويعتقد أشـدّ الاعتقاد أنّ تعطيل حـدود الدين هو أكبر بلاء يحيق به وبأهله وبالأُمّة العربية قاطبة في حاضرها ومصيرها، لأنّه مسـلم، ولأنّه سـبط محمد... فمَن كان إسـلامه هداية نفس، فالإسلام عند الحسين**

(١) الصدر، محمد باقر، سيبقى هذا الصوت خالداً: ص٤٢٩.

هداية نفس وشرف بيت»[1].

وقد تجلّى مفهوم الرقابة الذاتية في فكر الإمام الحسين عليه السلام واضحاً في دعائه المعروف في يوم عرفة، إذ قال: «**متى غبتَ حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك، ومتى بعُدت حتى تكون الآثار هي التي تُوصل إليك، عميت عينٌ لا تراك عليها رقيباً**»[2]. وواضح أنّ هذه الرقابة لا يمكن أن تتحقق في غير الأثر القرآني، وليس من شأن القيم والمفاهيم المجرّدة الميتة التي يؤمن بها الإنسان أن تعي تصرفات الناس، وتراقب حركاتهم وتصرفاتهم، وتحاسبهم على ذلك.

إذن؛ تعمل القيم القرآنية على بناء حياة الإنسان من خلال تقديم الخير وبذل التضحية ومقاومة الانحراف؛ لأنّها ربّانية المصدر، والإيمان بها يستلزم العمل بها؛ لأنّها ضوابط وحوافز بين الإنسان وربّه، وبين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والإنسان[3]، ولا شك في أنّ القيم المستمدّة من الأديان السماوية تُعتبر السبيل إلى توجيه الإنسان إلى الخير العام.

والقيم القرآنية تسمو بالفرد وترفعه فوق المادّيات الحسّية، من مستوى الحيوانية إلى مستوى الإنسانية الرفيعة بكلّ ما فيها من مُثُل ومبادئ ومعايير ومشاركة وجدانية، وهي في الوقت نفسه تُعتبر عاملاً هامّاً وفعّالاً في ربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض، وتوحيد وجهتهم، ومساعدتهم على تحديد هدفهم، والسعي الجاد للوصول إليه، هذه حقيقة واضحة إذا أمعنا النظر في حكمة هذه القيم والمعاني الكبيرة التي تحملها، وهي واضحة في كثير من النصوص القرآنية، ولا يمكن تحقيق السعادة من دون اتّخاذ هذه القيم طريقة ومنهجاً في الحياة الفردية والاجتماعية معاً[4].

فبالتأثر بهذه القيم القرآنية يكون بناء «**الروح الرائعة التي لا يدخل شيء من أشياء هذا العالم المحدود في حسابها، ولا ترى بعد الظفر بالجانب الإلهي جانباً آخر يخشى**

(١) العقاد، عباس محمود، أبو الشهداء الحسين بن علي: ص٢٠٦.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٥، ص٢٢٦.
(٣) أُنظر: الجندي، أنور، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام: ص٦٧.
(٤) أُنظر: يالجن، مقداد، التربية الأخلاقية والإسلامية: ص١٠٩.

فواته، أو يؤمل إدراكه؛ لأنّ المحدود ليس إلّا لمعة لذلك الوجود غير المحدود»[1].

إذن؛ التربية الإسلامية وبنظرة موضوعية في مناهجها وموضوعاتها الإلهية والبشرية «**تحقّق جانبي القيمة الظاهرية والباطنية، فهي تُعنى بسلوك الفرد مع نفسه ومع الناس، وتحثّه على أداء العبادات، وعلى طهارة القلب والنفس والجوارح، وتمنحه الوازع الذي يدفعه إلى التضحية والفداء والصبر، وتقترب به في مثاليتها إلى جوانب الحق والخير والجمال، وتصل به في بعض مواقفها إلى سمو يرفعه فوق تُرابيّته، ويدنيه من عالم الروح، فهي إذن تربية تنشد الوصول إلى الخلق الكامل عند الفرد المسلم، وتساعده بهذا البناء الخلقي على الاهتمام بالجسم والعقل والعمل**»[2].

والتربية الإسلامية نمط خاص من التربية يتعهد المسلم بتغذيته روحياً، وتُنمّي فيه العواطف الإنسانية، والمشاعر الخلقية[3].

وإذا أردنا أن نوضِّح بالأمثلة حقيقة كون القيم القرآنية ذات أثر تربوي تُمثّل المعاقد التي تُعقد بها الروابط الاجتماعية والفردية، فقد تواردت علينا أمثلة كثيرة جداً. وبما أنّ الصلاة من أهم أهداف حركة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته ـ إذ لم يكن مؤدياً لها فحسب، بل مقيماً لها، وفي أضنك الظروف[4] ـ فسوف نتّخذ منها مثلاً من

---

(١) الصدر، محمد باقر، سيبقى هذا الصوت خالداً: ص٤٢٨.

(٢) عبد العزيز عبد الرشيد سالم، طرق تدريس التربية الإسلامية: ص٢٥٣.

(٣) أُنظر: الصدر، محمد باقر، فلسفتنا: ص٤٨.

(٤) ففي أرض كربلاء وفي ضراوة المعركة نلحظ أداء الصلاة وقيامها، «فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قُتل، فإذا قُتل منهم الرجل والرجلان تبيّن فيهم، وأولئك كثير لا يتبيّن فيهم ما يُقتل منهم، قال: فلمّا رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي قال للحسين: يا أبا عبد الله، نفسي لك الفداء، إنّي أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تُقتل حتى أُقتل دونك إن شاء الله، وأحبّ أن ألقى ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها. قال: فرفع الحسين رأسه ثمّ قال: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلّين الذاكرين، نعم هذا أوّل وقتها. ثمّ قال: سلوهم أن يكفّوا عنّا حتى نصلّي. فقال لهم الحصين بن تميم: إنّها لا تُقبل. فقال له حبيب بن مظاهر: زعمت الصلاة من آل محمد صلى الله عليه وآله لا تُقبل، وتُقبل منك يا حمار...». الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٣٤. أُنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٧٠.

أمثلة القيم القرآنية وبيان أثرها ـ بحسب جهد الباحث ـ على الشخصية الإنسانية، وقد علمنا سلفاً معنى التربية، واتّضح أنّها مجموعة المؤثّرات المعينة التي تمتد إلى إحداث تغييرات لدى الأفراد، حتى يكتسبوا سمات الشخصية التي نتّفق على اعتبار أنّها قد تزودت بالخصائص التربوية[1].

وأقول: لا يصل صاحب الأخلاق إلى هذه الدرجة إلّا بعد المرور بمرحلة من تربية النفس نحو الفضائل، وتنحيتها عن الرذائل؛ لأنّ العلاقة بين الأخلاق والتربية هي العلاقة بين النظرية والتطبيق. فالأخلاق الفاضلة ـ من عفو وحلم وعزّة وسخاء ـ علم نظري راقٍ، والتربية تعويدُ النفس على هذه الأخلاق حتى تصبح سجية.

إذ لا يكتمل إسلام المرء إلّا بامتزاج التشريعات بالأخلاق، كامتزاج الروح بالجسد، فلا يُكتفى بالعقيدة والعبادة وتُهجر التربية والأخلاق، وقد جمع الله عزّ وجلّ كلّ ذلك في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2].

إنّ ما بين التشريعات والجوانب الأخلاقية والتربوية من تعاضد وتكاتف كما بين لحمة النسيج وسداه، لا يتم الفصل بينها، فإنّ المسلم الحق هو الذي ملأت أخلاقه جميعَ جوانب حياته في عقيدته وعبادته ومعاملاته؛ إذ «**لا يغني إسلام القلب وحده ولا العمل بدون إخلاص، بل لا نجاة إلّا بهما**»[3].

وفي موضوع الصلاة في القرآن الكريم وأثرها على الإنسان، نلحظ في قوله سبحانه: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ... ﴾[4]. ووجه الدلالة من هذه الآية:

---

(١) أُنظر: نبيه يس، أبعاد متطورة في الفكر التربوي: ص١٨. أبو العينين، علي خليل، منهجية البحث في التربية الإسلامية: ص١١٠.

(٢) البقرة: آية١١٢.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ج١، ص٦٥٧.

(٤) طه: آية١٣٢.

أنّ الصلاة التي هي جزء في سلوك الإنسان اليومي تحتاج إلى صبر، وهذا يؤكّد مكانتها وعظمتها، فكل ما يتعلق بالأخلاق والسلوك التربوي كذلك، فقد اقترنت عبادة الصلاة بالقول الحَسَن، فقال تعالى: ﴿... وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ...﴾[1].

فينبغي أن يكون المصلّي متعاهداً نفسه لتربيتها على القول الحسن، وليس القول الحسن خاصاً بالمؤمنين فقط، بل لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، فقد ذكر النيسابوري نقلاً عن أهل التحقيق: أنّه على العموم، وذلك أنّ كلام الناس مع الناس في الأُمور الدينيّة إن كان بالدعوة إلى الإيمان وجب أن يكون بالرفق واللين، كما قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[2]، وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وآله: ﴿... وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ...﴾[3]. وإن كان بالدعوة إلى الطاعة كدعوة الفسّاق، فحُسنُ القولِ أيضاً معتبر، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[5]. وأمّا في الأُمور الدنيويّة فمن المعلوم أنّه إذا أمكن التوصّل إلى الغرض باللطيف من القول لم يُعدل إلى غيره، وما دخل الرفق في شيء إلّا زانه، وما دخل الخرق في شيء إلّا شانه، فثبت أنّ جميع آداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول[6].

ولنتأمّل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ

---

(١) البقرة: آية٨٣.
(٢) طه: آية٤٤.
(٣) آل عمران: آية١٥٩.
(٤) النحل: آية١٢٥.
(٥) فصلت: آية٣٤.
(٦) أُنظر: النيسابوري، الحسن بن محمد، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج١، ص٣٢٥.

﴿فَٰعِلُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾[1].

فمع أنّ الصلاة قرينة الزكاة في أغلب آيات القرآن، لكن في هذا الموطن لما كانت السورة تحمل في اسمها أسمى ما يتّصف به المرء (المؤمنون)، فقد مزجت التشريعَ بالأخلاق، فأتبعت الصلاةَ بخُلق الإعراض عن اللغو.

من هذا المنطلق؛ وجب على حامل القرآن أن يتدبّر في كلام الله عزّ وجلّ، حتى يكون أُنموذجاً يُحتذى، وخليفة لله في أرضه، عفّ اللسان، طاهر اليد، نظيف القلب.

تؤثّر الصلاة تأثيراً إيجابياً فتجعل صاحبها يعي ما يتكلّم به، بحيث يكون عقله قبل لسانه، فلا يلغو ولا يفحش، وإذا سمعه يعرض عنه، ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[2]. وعن معنى اللغو يقول ابن منظور: «**اللغو واللغا: السقط وما لا يُعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه فائدة ولا نفع؛ لقلته أو لخروجه على غير جهة الاعتماد من فاعله**»[3].

وقال الراغب: «**هو ما لا يُعتد به، وهو الذي يرد لا عن روية وفكر، فيجري مجرى اللغا، وهو صوت العصافير، وقد يُسمّى كلّ كلام قبيح: لغواً**»[4].

وفي التعبير بـ(مُعْرِضُونَ) يفيد أنّهم على هذه الأخلاق في عامّة أوقاتهم ـ أي: تربّوا على ذلك ـ كما يُنبئ عنه الاسم الدالّ على الاستمرار، فيدخل في ذلك إعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولاً أولياً، وإقامة الإعراض مقام الترك؛ ليدل على تباعدهم عنه رأساً مباشرة وتسبباً وميلاً وحضوراً[5]، ومَن ثمّ إذا «**كانوا معرضين عن اللغو المحرّم من بابٍ أَولى وأحرى**»[6].

---

(١) المؤمنون: آية٢ – ٤.

(٢) القصص: آية٥٥.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٥، ص٤٥٠١.

(٤) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص٤٥١.

(٥) اُنظر: أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم: ج٦، ص١٢٤.

(٦) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ص٥٩٤.

ونـرى أن الصلاة مقترنة بتطهير النفس من براثـن الفواحش والمنكر، قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[1].

ومـن التطبيقـات العمليـة لهذه الآية مـا رواه أنس بـن مالك قـال: «**كان فتى من الأنصـار يصـلّي مع النبي (صلّى الله عليه وسـلّم) ولا يدع شـيئاً مـن الفواحش والسرقة إلّا ركبه، فذُكر للنبي (صلّى الله عليه وسـلّم)، فقال (صلّى الله عليه وسـلّم): إنّ الصلاة ستنهاه. فلم يلبث أن تاب، وصلحت حاله، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): ألم أقل لكم**»[2].

ونلحـظ أيضاً أنّ القرآن الكريم حينما عـرض للصلاة وهو يبرز أهدافها، عرض لهـا من جهـات متعددة، فقد عرض لها في موضع على أنّها مـن أوصاف المتّقين الذين ينتفعـون بهـذا الكتـاب الكريم، والذين كانـوا بتلك الأوصاف على هـدى من ربّهم وكانـوا هم المفلحـون، قـال تعـالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

فتعميق الصلاة لهذه الصفات لكونها «**خطاً روحياً مباشراً بين الإنسان وبين الله**»[4].

وعـرض لهـا مـرّة على أنّها عنصر مـن عناصر البرّ والحـقّ الذي رسـمه الله لعباده ودعاهـم إليـه، وجعلـه عنوانـاً عـلى صدقهـم في الإيـمان، وعلى أنّهـم المتّقـون، قال تعـالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ

(١) العنكبوت: آية٤٥.

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: ج٣، ص١٧٤.

(٣) البقرة: آية١ـ٥.

(٤) المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن: ج١، ص١٥٨.

﴿بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1]. فـ«**الإيمان وإقامة الصلاة هما منبع الفضائل الفردية؛ لأنّهما ينبثق عنهما سائر التحليات المأمور بها**»[2].

وعرض لها على أنّها سبيل يؤهل القائمين بها أن يتآخوا في الدين ويتقرّر لهم ما تفرضه الأُخوّة من حقوق وواجبات، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[3]. فنلحظ أنّ المشركين بمجرّد الإتيان بهذه الصلاة وإقامتها مع الركن الآخر، يكونوا إخوان المسلمين على الرغم من العداوة السابقة، فهذا «**نص في أنّ أُخوّة الدين تثبت بهذين الركنين، ولا تثبت بغيرهما من دونهما... وهل يتعارف الإخوان في الدين إلّا بإقامة الصلوات في المساجد وسائر المعاهد**»[4]، فهي عنوان للأُخوّة في المجتمع.

كما عرض لها على أنّها عنوان للتمسّك بالكتاب وسبيل للحصول على أجر المصلحين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾[5]. إلى غير ذلك من المواطن التي تقرّر أنّ المقيم للصلاة كما أرادها الله، والمتفاعل معها، إنسانٌ تتحقّق فيه العناصر المكوّنة لشخصية الإنسان المؤمن، وإذا وُجِدت هذه الشخصية المؤمنة داخل المجتمع فإنّها بالطبيعة تندفع نحو الخير والترابط والتعاون؛ إذ الإيمان الذي تؤسّس له الصلاة وتثبّته يتعامل بأوامر الإسلام القاضية بلزوم أُخوة مَن يتماثل معها في الدين والعقيدة.

وبكلمة، إنّ من فضل الله على البشرية أنّه لم يتركها هملاً، تخبط خبط عشواء، فتهيم على غير هدى، بل وضع لها منهاجاً شاملاً قوياً في تربية النفس، وتنشئة الأجيال،

(١) البقرة: آية١٧٧.
(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ج٢، ص١٣١.
(٣) التوبة: آية١١.
(٤) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن العظيم (تفسير المنار): ج١٠، ص١٧٤.
(٥) الأعراف: آية١٧٠.

وتكويـن الأُمم، وبناء الحضارات، يقول ربّ العزّة في محكم آياته: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1].

ولعلّ المتأمّل للحالة الراهنة للأُمّة الإسـلامية، يجد أنّها في أمسّ الحاجة إلى منهاج تربـوي يعمل على تقويمهـا وإصلاحها، ليخرجها ممّا وقعت فيـه من ضعف نفسي، وأزمـات فكريـة، وانحرافـات أخلاقية، وفسـاد اجتماعي، زلزلت كيانهـا وأدّت إلى تراجعهـا وتخلّفهـا، والتربية القرآنية «**حتماً هي الوسـيلة لذلك الصـلاح؛ لأنّها البوتقة التـي ينصهر فيها الرجال الذين يقودون الإصلاح**»[2]. فالمسـلمون يجب أن يُدركوا أنّ دينهـم ليس مجرّد مجموعة من الآيات والنصوص يترنّمون بتلاوتها من دون وعي أو تدبّـر، وأن يُدركوا ذلـك الدور الفكري التربوي لمنهج القرآن الكريم، وما يحويه من قيم ومبادئ وأبعاد تربوية عظيمة، إذ بتوجيهات القرآن المجيد كان قد تجلى للبشـرية رجـالٌ عظـماء، عمالقـة في الفكر والرأي في شـتّى المجـالات؛ لأنّهـم التزموا صراط ربِّهم المسـتقيم ومنهجه القويم، يستقون من معينه، ويستضيئون بنوره، وينهجون في التربية نهجه، ومنهم عِدل القرآن وترجمانه الواقعي، العترة الطاهرة من آل محمد صلى الله عليه وآله، والإمام الحسين عليه السلام ـ محل البحث ـ.

ومـن ثَمّ نعلـم يقيناً «**بأنّ النصوص وحدها لا تصنع شـيئاً، وأنّ المصحف وحده لا يعمل على صنع الرجال، وأنّ المبادئ وحدها لا تعيش إلّا أن تكون سلوكاً ملموساً**»[3]؛ لذلـك فـإنّ التربيـة الناجحـة هي التي تصـوغ من فكر الإسـلام شـخوصاً، وتجعل إيمانهـم بالإسـلام عمـلاً، وهـم الذيـن يطبقون المنهـج القـرآني بالقـول والفعل كما وصفهم ربّهم عزّ وجلّ في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[4]، فالقرآن الكريم يدعو إلى صياغة إنسان «**بعيداً عن الهوى، والضلالة،**

(١) الإسراء: آية٩.

(٢) الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء: ص١٩.

(٣) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام: ج١، ص٧.

(٤) الأحقاف: آية١٣.

والخرافة، وفي كلّ المجالات: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والتربوية و... وبالتالي فهو ينسّق بين سعي الإنسان من جهة، وبين فطرته والطبيعة من حوله، والتاريخ وسنته من جهة أُخرى»[1].

والمستقرئ لنصوص القرآن الكريم والمتدبِّر لآياته ومعانيها، يجدها توجّه الأُمّة إلى الاستقامة على منهج الله سبحانه وسنّة المعصوم في مواضع متعدّدة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[2]. فنلحظ أنّ المنهج القرآني في البناء الفكري لا يحدّد أمراً معيّناً من شؤون الإنسان وبنائه أو فعل خاص من أفعاله، ويقتصر عليه بناؤه دون غيره، بل الطريق واحد لجميع شؤون الإنسان، فالآية في مضمونها منهج **«تشمل كلّ حياته، إنّها دعوةٌ لتحديد الطريق التي يسلكها على أساس الهدف الذي يستهدفه، فإذا كان الله هو هدف وجوده في ما يريد أن يبلغه من رضوانه ويصل إليه من جنته، فإنّ هناك طريقاً واحداً يصل به إلى هذا الهدف لا يوجد غيره، ولا سبيل سواه، وهو الطريق المستقيم الذي يبدأ من الإيمان بالله وينتهي بنيل رضاه»**[3].

وفي موضع آخر، نجد الحثّ القرآني على الاستقامة، لنصل بالتالي إلى بناء فكر جامع لمعاني التربية وقيمها، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[4]. فنلحظ هنا الأمر الإلهي للنبي صلى الله عليه وآله ولمَن اتّبعه من المؤمنين بالتزام الاستقامة بما تحمل هذه المفردة من معاني الاعتدال، والمضي على النهج من دون انحراف. والإنسان الذي يروم حياة قرآنية يكون **«في حاجة دائمة إلى اليقظة الدائمة، والتدبّر الدائم، والتحرّي الدائم لحدود الطريق، وضبط الانفعالات**

(١) المدرسي، محمد تقي، تفسير من هدى القرآن: ج٤، ص٤٢٣.
(٢) الأنعام: آية١٥٣.
(٣) فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي القرآن: ج٩، ص٣٧٧.
(٤) هود: آية١١٢.

البشرية التي تميل الاتجاه قليلاً أو كثيراً... ومن ثَمّ فهي شغل دائم في كلّ حركة من حركات الحياة»[1]، ومجالاتها الواسعة، لتحقق واقع يعيش مبادئ القرآن الكريم وما أراده من منهج مستقيم يصل بالإنسان إلى سعادة الدارين.

المطلب الثاني: بعض جوانب الفلسفة التربوية للإمام الحسين عليه السلام

يُنظر للفلسفة حديثاً بأنّها المجهود المنظّم من قِبَل الإنسان لجعل الحياة ذات معنى، ويشير (*Finney*) بأنّ الفلسفة هي ذلك العمل العقلي الذي يهدف الى تكوين المعتقدات حتى تتميّز بدرجة عالية من الاحتمال. وتتميّز الفلسفة بميزات، منها: اتباعها منهجاً للكشف عن المبادئ والحقائق والفروض، واهتمامها بالدراسة التحليلية للمفاهيم والقواعد، و«**قد ارتبطت الفلسفة بالتربية بعلاقة وثيقة؛ لأنّ التربية تهتمّ بالخبرة الإنسانية ونقلها من جيل إلى آخر؛ لذا يمكن القول: بأنّ فلسفة التربية هي تطبيق الطريقة الفلسفية في مجال الخبرة الإنسانية في الحياة**»[2].

وحظيت الفلسفة التربوية الإسلامية باهتمام واسع؛ لما تميّزت به من نظرتها للإنسان ببُعديه الروحي والمادي، ولما لها من غايات ووظائف، فلا بدّ أن تُشتق من العديد من المصادر و«**أن يُراعى في بنائها العديد من العوامل على أن تُربط هذه العوامل، والمصادر جميعاً بمصدر الإسلام وما يتضمّنه من عقائد صحيحة تقبلها العقول السليمة والفطرة البريئة، وتطمئن لها النفوس الصافية من كلّ غش ودنس، وما يشتمل عليه من مبادئ وتشريعات تُنظّم علاقات الإنسان بربّه وبكلّ ما في هذا الكون الواسع من عناصر مادّية ومعنوية، وتُنظّم علاقاته مع غيره من البشر سواء كانوا أفراد أو جماعات**»[3].

وسنحاول الوقوف على بعض ملامح الفلسفة التربوية للإمام الحسين عليه السلام؛ لكونه

---

(١) سيد قطب، إبراهيم بن الحسين، في ظلال القرآن: ج٤، ص١٩٣١.

(٢) عبد الله الرشدان، ونعيم جعنيني، المدخل إلى التربية والتعليم: ص٤٣.

(٣) الشيباني، عمر محمد، فلسفة التربية الإسلامية: ص٢١.

سبط الرسول صلى الله عليه وآله، وواحداً من أئمّة المسلمين وعظمائهم، وفيما يأتي استعراض لبعض تلك الملامح لفلسفته التربوية:

١ـ نظرته للخالق سبحانه وتعالى

يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[١]. «**إنّ الإيمان بالله هو أساس كلّ شيء، فالله في القرآن واجب الوجود لذاته، وهو قد أحاط بكلّ شيء علماً، وهو يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، ويعلم ما تكسب كلّ نفس، ويعلم ما كان وما يكون جملة وتفصيلاً، وهو لا يخفى عليه شيء في الأرض والسماء**»[٢].

وحينما نستقرئ تراث الإمام الحسين عليه السلام نجد أنّ هناك العديد من النصوص التي وضّحت فلسفته التربوية تجاه الخالق (جلّ علاه)، فنجده في دعائه في يوم عرفة يقول عليه السلام: «**اللّهُمَّ إنِّي أَرغبُ إليكَ وأشهدُ بالرّبوبيّةِ لكَ، مُقرّاً بأنّكَ ربِّي، وأنَّ إليكَ مردّي، ابتدأتني بنعمتِكَ قبلَ أن أكُونَ شيئاً مذكُوراً، وخلقتنِي مِنَ التُّراب... متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك، ومتى بعُدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك عليها رقيباً**»[٣]. ويقول في خطبة له عن توحيد الله: «**... هو في الأشياء كائن لا كينونة محظور بها عليه، ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها، ليس بقادر مَن قارنه ضد أو ساواه ند، ليس عن الدهر قدمه ولا بالناحية أُمه، احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار...**»[٤].

والمتأمّل للنصّين السابقين يجد أنّ الإمام عليه السلام يوضّح أنّ علاقة الإنسان بربّه

(١) الحديد: آية٣.
(٢) الغبان، باسم قاسم، الفلسفة التربوية للإمام علي بن الحسين عليهما السلام: ص٣١.
(٣) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٣٢.
(٤) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٢٤٥.

ينبغـي أن تكون علاقة معرفة بأنّه هو الخالق المبدئ المعيد، وأنّ الله منزّه عن المادّيات والأشياء، يُعرف بالعقول والأفكار.

٢ـ الكون

هو كلّ ما خلق الله من أشـياء في السـموات والأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[١]. ونجـد هنـاك إشـارات عديدة عند الإمام الحسـين عليه السلام إلى الكون منها ما ورد في دعاء الإمام في يوم عرفـة حيث يقول: «... **أَوْجَبْتَ عَلَيَّ حُجَّتَكَ بِأَنْ أَلْهَمْتَنِي مَعْرِفَتَكَ، وَرَوَّعْتَنِي بِعَجَائِبِ فِطْرَتِـكَ، وَأَنْطَقْتَنِـي لِمَا ذَرَأْتَ فِي سَـمَائِكَ وَأَرْضِكَ مِـنْ بَدَائِعِ خَلْقِكَ... يَـا مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْـهِ إِغْـمَاضُ الْجُفُـونِ، وَلَا لَـحْـظُ الْعُيُـونِ، وَلَا مَا اسْـتَقَرَّ فِي الْمَكْنُونِ، وَلَا مَـا انْطَوَتْ عَلَيْـهِ مُضْمَرَاتُ الْقُلُوبِ، أَلَا كُلُّ ذَلِكَ قَدْ أَحْصَاهُ عِلْمُكَ، وَوَسِـعَهُ حِلْمُكَ، سُـبْحَانَكَ وَتَعَالَيْتَ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوّاً كَبِيراً، تُسَبِّحُ لَكَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِنَّ**»[٢].

٣ـ الإيمان

يشـكّل الإيمان العقيدةَ المتكاملة التي يتحرّك بها المسـلم في مجال الحياة، عابداً لربّه ومجاهـداً في سـبيله وسـاعياً في الخيرات بإذنه، والإيمان الحقّ بـالله عزّ وجلّ لا بدّ من توفّره عـلى معرفـة حقّه بصفات الله تعـالى، وإلّا ما كان إيماناً ولا كان معرفـةً بالخالق (جلّ جلاله)، وقد تجسّـدت فلسـفة الإمام الحسـين عليه السلام وهو في أشـدّ محنة، هو وأهل بيته وأصحابه، فهو يوصي أُخته زينب عليها السلام وهو في ساحة المعركة فيقول عليه السلام لها: «**يا أُخيّة، اتقي الله، وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيء هالـك إلّا وجـه الله الـذي خلق الأرض بقدرته، ويبعـث الخلق فيعودون وهو فرد وحده...**»[٣].

---

(١) آل عمران: آية ١٩٠.

(٢) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٣٢.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ٣، ص٣١٤.

٤ـ الخوف من الله

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام مصداقاً للمسلم المؤمن الخائف من الله حقّ مخافته، وتجسّد خوفه من الله من خلال عبادته حقّ العبادة، وقد ظهر عليه الخوف من الله وشدّة مراقبته له حتى قيل له: «**ما أعظم خوفك من ربّك. فقال عليه السلام: لا يأمن يوم القيامة إلّا مَن خاف الله في الدنيا**»[١].

وكان عليه السلام يؤكّد دوماً على ضرورة مراقبة الإنسان أعماله ودعوته إلى الرغبة في لقاء الله، إذ قال عليه السلام: «**ليرغب المؤمن في لقاء ربّه حقّاً حقّاً**»[٢].

٥ـ الشهادة

يُعدّ الجهاد في سبيل الله من أعظم الطاعات في الإسلام، وأشرف إطاعة للأوامر الإلهية تكون من خلال بذل الإنسان لنفسه في مرضاة الله وطاعته من خلال الجهاد في سبيله، وقد أصبحت هذه الوسيلة هي الباب العظيم الذي يقصده الأولياء ويفرحون بنواله، وقد صرّح الإمام الحسين عليه السلام في أكثر من مناسبة برغبته في الشهادة في سبيل الله، فقد قال عليه السلام: «**فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[٣]. وقال عليه السلام: «**ما من شيعتنا إلاّ صدِّيق شهيد**». فقال زيد بن أرقم: أنّى يكون ذلك وهم يموتون على فرشهم؟ فقال الإمام الحسين عليه السلام: «**لو لم تكن الشهادة إلّا لـمَن قُتِل بالسيف لأقلّ الله الشهداء**»[٤].

٦ـ الشجاعة

تُعدّ الشجاعة من السمات الفاضلة التي يفتخر أيّ فرد بامتلاكها وتحلّيه بها، ونالت هذه السمة مكانة سامية عند جميع الشعوب والأُمم والمجتمعات، وقد

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٩٠.
(٢) أُنظر: السعدي، حاتم جاسم عزيز، القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام.. دراسة تحليلية: ص١٥٥.
(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٣٠٧.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٨٢، ص١٧٣.

أستأثر العديد من قادة المسلمين بهذه السمة، وتميّز بها أشخاصٌ في صدر الإسلام لعلّ من أبرزهم هو الإمام علي عليه السلام، فلا غرو أن يكون الإمام الحسين عليه السلام وارثاً لأبيه في هذه السمة وفي غيرها، ومن المشهور أنّ بطولته وشجاعته يوم عاشوراء أصبحت مضرباً للأمثال وقدوة للأجيال، ومن مصاديق شجاعته قوله الحقّ أمام سلطان جائر، إذ وجدناه عليه السلام في مواقف عديدة يخاطب معاوية بن أبي سفيان وهو آنذاك خليفة المسلمين قائلاً: «**يا معاوية، فضح الصبح الدجى، وبهرت الشمس أنوار السراج، ولقد فضَّلت حتى أفرطت، وأستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجُرت حتى تجاوزت...**»[1].

٧ـ العلم

يشغل العلم مكانة عظيمة في التربية الإسلامية، وقد حثّت نصوص قرآنية وأحاديث شريفة عديدة على طلب العلم وأفضليته على غيره، منها قوله تعالى: ﴿...يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2].

ومنها قول الرسول صلى الله عليه وآله: «**طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة**»[3].

وقد وردت نصوص عديدة عن الإمام الحسين عليه السلام في مدح العلم وطلبه، منها قوله: «**العلم لقاح المعرفة وطول التجارب، وزيادة في العقل والشرف والتقوى**»[4].

وقد سأل رجل من قريش معاوية بن أبي سفيان: أين أجد الحسين؟ فقال له: «**إذا دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فرأيت حلقة فيها قوم كأنّ على رؤوسهم الطير فتلك حلقة أبي عبد الله**»[5]. وكان مجلسه عليه السلام مجلس علم ووقار، وقد ازدان بأهل العلم من الصحابة وهم يأخذون عنه ما يلقيه عليهم من الأدب والحكمة.

---

(١) صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب: ج٢، ص٢٢٨.

(٢) المجادلة: آية١١.

(٣) ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة (المقدمة): ص٦٥.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٨، ص١٢٨.

(٥) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام.. دراسة وتحليل: ص١٤٩.

٨ـ الحرية

تُعدّ الحرية واحدة من حقوق الإنسان الأساسية والتي نصّت عليها المواثيق والمعاهدات الدولية، فقد نصّت المادة الأُولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنّه «**يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق...**»، وقد نصّت المادة الثالثة: «**لكلّ فرد الحقّ في الحياة والحرية وسلامة شخصه...**»[١].

ولا تعني الحرية تجاوز الإنسان على الآخرين؛ إذ ربما تُفهم الحرية فهماً مغلوطاً، بل هي تقف وتتحدد إذا أدّت إلى تهديد سلامة الآخرين أو الإضرار بهم، أو تتسبب بضياع الحقوق، ويُعدّ مبدأ الحرية وفق مبادئ التربية الحديثة مبدأً هامّاً في التعليم؛ إذ تؤكِّد على حرية المتعلم وعدم قهره أو المسّ بكرامته.

وقد أكّد القرآن الكريم على مبدأ الحرية وأنّ الناس لا تُكرَه على الإيمان رغم ما له من أثر نافع للإنسان، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[٢].

وقد تجلّت فلسفة الإمام الحسين عليه السلام في التأكيد على مبدأ الحرية، وقد ضمّنها في مواقف عديدة، فقد تأمّلناه وهو في لحظاته الأخيرة يؤكّد على أعدائه بأن يكونوا أحراراً، مخاطباً إياهم بقوله: «**ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن [لكم] دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم**»[٣].

٩ـ الإصلاح

كلمة إصلاح تعني: خلاف الفساد، أو ضد الفساد. ويعني كذلك تقويم وتصحيح الأخطاء أو محاربة الفساد الذي اعترى الفرد أو الجماعة في وقت من الأوقات للوصول للحالة المستقيمة والسوية[٤].

---

(١) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، إصدارات الأُمم المتحدة: ص٦ـ٧.

(٢) البقرة: آية٢٥٦.

(٣) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١١٧.

(٤) ياسين، يونس محمود، الإصلاح الأُسري من منظور قرآني: ص٢٣.

وقد وردت كلمة الإصلاح ومشتقاتها في القرآن الكريم في موارد عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ...﴾[1]. ويمكن القول: إنّ الإصلاح هو السبيل لرقي المجتمع وتحسين أحواله المختلفة، هذا وقد ركّزت دعوة الرسل على مفهوم الإصلاح الذي يُعد مشتركاً هامّاً بين جميع الدعوات، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ...﴾[2].

ويرى الدكتور يونس محمود: «**أنّ للإصلاح ركيزتين، هما: التمسّك بكتاب الله تعالى، وإقامة الصلاة (العبادات)**»[3]، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[4].

وقد ركز الإمام الحسين عليه السلام مضمون الإصلاح قولاً وفعلاً وسلوكاً وممارسةً من خلال سيرة حياته، فهو المصلح الديني والاجتماعي والسياسي، وقد وضّح أهداف ثورته الإصلاحية وهي العودة إلى التمسّك بكتاب الله وإقامة الفرائض والعدل بين الناس، إذ قال عليه السلام: «**وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي** صلى الله عليه وآله»[5].

١٠ـ الصدق

يُعدّ الصدق من أفضل الصفات التي يتحلّى بها الإنسان المسلم، وأوضح دلائل الإيمان، ويساهم الصدق في زيادة تماسك المجتمع وتبادل الثقة بين أفراده، وقد وردت آيات عديدة تؤكّد على الصدق، وأنّه من صفات الأنبياء والصالحين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[6]. وقال

---

(١) الأعراف: آية٥٦.
(٢) هود: آية٨٨.
(٣) ياسين، يونس محمود، الإصلاح الأُسري من منظور قرآني: ص٢٧.
(٤) الأعراف: آية١٧٠.
(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.
(٦) التوبة: آية١١٩.

تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾[1]. وقد تجسّد الصدق في سلوك الإمام الحسين عليه السلام في أقواله وأفعاله، فقد رأيناه في مسيره للطف بعد ورود الأخبار بشهادة مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه) أنّه لم يخفِ ذلك عن أصحابه، وإنّما أخبرهم بذلك، وأخبرهم أنّ القوم لا يطلبون إلّا إياه، إذ خاطب عليه السلام أصحابه في ليلة العاشر، حيث قال لهم: «**هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد صاحبه، أو رجل من إخوتي، وتفرّقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم، فإنّهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم**»[2].

١١ـ صلة الرحم

حثّت الشريعة الإسلامية على صلة الرحم والبِر بالأرحام، وحذّرت من قطيعة الرحم، قال تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾[3].

وقد كان الإمام الحسين عليه السلام باراً بأرحامه، يشفق على كبيرهم ويعطف على صغيرهم، وتجسّد ذلك في سلوكه وفي أقواله، إذ إنّه يمتدح مَن يصل الناس، وخاصّة مَن يصل مَن قطعه، إذ قال عليه السلام: «**وأنّ أوصلَ الناس مَن وصل إلى مَن قطعه، والأُصول على مغارسها بفروعها تسمو، فمَن تعجّل لأخيه وجده إذ قدم عليه غداً**»[4].

١٢ـ السلام

يُعدّ مبدأ السلام ونبذ العنف من المبادئ الهامّة التي دعا إليها الإسلام وحثّ

---

(١) آل عمران: آية١٧.

(٢) ابن الأثير، عليّ بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٢، ص٥٥٩.

(٣) محمد: آية٢٢.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٤، ص٩١.

المسلمين على إشاعتها ونشرها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ... ﴾[1]. ولعلّ من أصدق جوانب الاهتمام بثقافة السلام بين المسلمين هو إشاعة ثقافة إفشاء التحية التي تعبِّر عن الوئام والود، وقد تجلّى ذلك في سيرة وسلوك الإمام الحسين عليه السلام، فقد روي عنه أنّه «**قال له رجل ابتداءً: كيف أنت عافاك الله؟ فقال** عليه السلام **له: السلام قبل الكلام عافاك الله، ثمّ قال** عليه السلام: **لا تأذنوا لأحد حتى يسلِّم**»[2]. وقال عليه السلام: «**للسلام سبعون حسنة، تسع وستون للمبتدئ، وواحدة للراد**»[3]. وقال عليه السلام: «**البخيل مَن بخل بالسلام**»[4].

١٣ـ التفكير

يُعدّ التفكير من أهمّ الصفات التي تميّز الإنسان عن بقية الكائنات، فالإنسان كائن مفكِّر يستفيد ممّا وهبه الله تعالى من نعمة العقل في تيسير أُموره وإدارة حياته وحلّ مشكلاته، وقد حثّت الشريعة الإسلامية على إعمال العقل والتفكر في الأُمور، وقد وردت في القرآن الكريم أكثر من (٦٠٠) آية تحثّ على التفكير والتدبّر بمفردات عديدة، مثل: (يتدبّرون، يتفكّرون، يعقلون، يتذكّرون، يعلمون، يسمعون، ينظرون)، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ... ﴾[5]. وقد وردت في سيرة الإمام الحسين عليه السلام إشارات عديدة إلى الحثّ على التفكير وإعمال العقل، فقد ورد في دعائه عليه السلام في يوم عرفة: «... **حَتَّى إِذَا اسْتَهْلَلْتُ نَاطِقاً بِالْكَلَامِ، أَتْمَمْتَ عَلَيَّ سَوَابِغَ الْإِنْعَامِ، فَرَبَّيْتَنِي زَائِداً فِي كُلِّ عَامٍ، حَتَّى إِذَا كَمُلَتْ فِطْرَتِي، وَاعْتَدَلَتْ سَرِيرَتِي، أَوْجَبْتَ عَلَيَّ حُجَّتَكَ بِأَنْ أَلْهَمْتَنِي مَعْرِفَتَكَ، وَرَوَّعْتَنِي**

(١) البقرة: آية٢٠٨.
(٢) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٢٦٩.
(٣) المصدر السابق: ص٢٧١.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الأعراف: آية١٨٥.

بِعَجَائِبِ فِطْرَتِكَ، وَأَنْطَقْتَنِي لِمَا ذَرَأْتَ فِي سَمَائِكَ وَأَرْضِكَ مِنْ بَدَائِعِ خَلْقِكَ...»[1].

وفي الدعوة إلى التحقيق في توحيد الله والتفكّر، روي عنه عليه السلام أنّه قال: «**لا تتداوله الأُمور، ولا تجري عليه الأحوال، ولا تنزل عليه الأحداث، ولا يقدِّر الواصفون كنه عظمته، ولا يخطر على القلوب مبلغ جبروته؛ لأنّه ليس في الأشياء عديل، ولا تدركه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكير بتفكيرهم إلّا بالتحقيق**»[2].

١٤ـ احترام العلماء

ينال العلماء في المجتمعات الإنسانية مكانة محترمة لما لهم من دور في حل مشكلات المجتمع وتغييره وتطويره والنهوض به نحو الأفضل، وارتبطت مكانة العلماء بمكانة العلم، يقول الإمام علي عليه السلام: «**كفى بالعلم شرفاً أن يدّعيه مَن لا يُحسنه، ويفرح إذا نُسب إليه. وكفى بالجهل ذمّاً يبرأُ منه مَن هو فيه**»[3]. وقال أيضاً: «**مات خزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثلتهم في القلوب موجودة**»[4].

وقد تجلّت في فلسفة الإمام الحسين عليه السلام الإشارة إلى مكانة العلماء وخصائصهم، فمثلاً وجدناه عليه السلام يحدد خصائص وشروطاً لمعرفة العالم، فيقول: «**من دلائل العالم انتقاده لحديثه، وعلمه بحقائق فنون النظر**»[5]. وقد أشار إلى مكانة العلماء ووجوب احترامهم بقوله عليه السلام: «**وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تشعرون، ذلك بأنّ مجاري الأُمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأُمناء على حلاله وحرامه**»[6].

---

(١) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٣٠٢.
(٢) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٢٦٩.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١، ص١٨٥.
(٤) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص١٩١.
(٥) المصدر السابق: ص٢٧١.
(٦) المصدر السابق: ص٢٦٠.

١٥ـ صحة الجسم

تنال التربية الصحية اهتماماً كبيراً ضمن مجالات التربية الحديثة؛ إذ يتوقّف على تطور البلدان تمتّع شعوبها بالصحة الجسمية والعقلية والنفسية، ولا يخفى ما لصحة الجسم من أثر في إنتاجية الفرد، كما أنّ الفرد الذي يُمارس أُصول الصحة يتمتع بالثقة بالنفس والروح المعنوية العالية، وتكون قدرته على التحصيل والعمل والإنتاج أحسن في النواحي كلّها من الذي لا يمارسها، ويُعدّ ذلك من الأُمور الهامّة التي اهتمّت بها الشريعة، إذ دعت إلى الموازنة في الأكل والشراب حفاظاً على صحة الجسم، قال تعالى: ﴿... وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[١]. وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: «**لا خير في الحياة إلّا مع الصحة**»[٢].

وقد وردت إشارات عديدة في تراث الإمام الحسين عليه السلام حول الصحة وأهمّيتها للإنسان، فقد ضمَّن دعاءه في يوم عرفة مقاطع هامّة حول صحة الجسم كقوله عليه السلام: «**... حَتَّى إِذَا اسْتَهْلَلْتُ نَاطِقاً بِالْكَلَامِ، أَتْمَمْتَ عَلَيَّ سَوَابِغَ الْإِنْعَامِ، فَرَبَّيْتَنِي زَائِداً فِي كُلِّ عَامٍ... اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا خَلَقْتَنِي فَجَعَلْتَنِي سَمِيعاً بَصِيراً، وَلَكَ الْحَمْدُ كَمَا خَلَقْتَنِي فَجَعَلْتَنِي حَيّاً سَوِيّاً، رَحْمَةً بِي وَكُنْتَ عَنْ خَلْقِي غَنِيّاً، رَبِّ بِمَا بَرَأْتَنِي فَعَدَّلْتَ فِطْرَتِي، رَبِّ بِمَا أَنْشَأْتَنِي فَأَحْسَنْتَ صُورَتِي، يَا رَبِّ بِمَا أَحْسَنْتَ بِي وَفِي نَفْسِي عَافَيْتَنِي**»[٣]. وقال عليه السلام في المحافظة على صحة الجسم: «**فبادروا بصحة الجسم في مدّة الأعمار**»[٤].

(١) الأعراف: آية٣١.
(٢) القرشي، باقر شريف، النظام السياسي في الإسلام: ص٢٩٥.
(٣) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٣٠١ـ٣٠٤.
(٤) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٢٦٤.

الخاتمة

من خلال هذه الرحلة القرآنية الحسينيّة، وبين الجانب النظري والواقع العملي، أضع بين يدي القارئ الكريم أهم نتائجها، وهي كالآتي:

١ ـ إنّ القيم القرآنية، ليست شكلاً فارغاً أو إطاراً من الشعائر والأقوال التي تتردد آلياً على الألسن، بل هي قبل كلّ شيء سلوك عملي في الحياة، والحريص حقّاً على القيم الروحية ليس ذلك الذي يردد ألفاظاً أو يؤدّي طقوساً، بل هو ذلك الذي يثبت بسلوكه في الحياة أنّه يتّخذ لنفسه هدفاً رفيعاً، ويضمن من أجل ذلك تحقيقه بكلّ ما يملكه.

٢ ـ أوضح القرآن الحكيم أنّ رسالات الأنبياء ومناهج الرسل عليهم السلام جاءت كلّها للبناء الفكري، ورسم منهاج الإعداد وتربية الذات الإنسانية.

٣ ـ إنّ الرقابة الداخلية لا يمكن أن تتحقّق إلّا عن طريق الأثر القرآني في النفس البشرية، وليس من شأن القيم والمفاهيم المجرّدة أن يكون لها أثر.

٤ ـ جسّد الإمام الحسين عليه السلام الأُنموذج الأكمل في ريادة تمثّل قيم السماء، ومبادئ القرآن الكريم، في المستوى التطبيقي لنظريات القرآن.

٥ ـ القرآن الكريم منهج متكامل للإصلاح والبناء، ونصوصه داعمة إلى النهوض ضد الاستبداد والطغيان.

٦ ـ تضمّنت سيرة الإمام الحسين عليه السلام وأقواله منطلقات هامّة لفلسفته التربوية يمكن الاستفادة منها في تربية النشئ المسلم.

٧ ـ لم يقتصر فكر الإمام الحسين عليه السلام على طرح أفكار نظرية، بل جسّدها فعلاً وممارسة، وتضمّن فكره أبعاداً دينية واجتماعية وتربوية وصحية وأخلاقية.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

* نهج البلاغة.

١ ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ط٢، ٢٠٠٥م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢ ـ أبعاد متطورة في الفكر التربوي، نبيه يس، القاهرة، مطبعة الخانجي، (د ت).

٣ ـ الإصلاح الأُسري من منظور قرآني، يونس محمود صادق ياسين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٦ م.

٤ ـ أبو الشهداء الحسين بن علي، عباس محمود العقاد، تحقيق: محمد جاسم الساعدي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، ٢٠٠٤م.

٥ ـ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، إصدارات الأُمم المتحدة، إدارة شؤون الإعلام، (د ت).

٦ ـ بناء الأُسرة في ضوء القرآن والسنة، خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م.

٧ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، (د ت).

٨ ـ التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر، مؤسسة التاريخ، بيروت، (د ت).

٩ ـ تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، الحسن بن علي بن شعبة الحراني، دار القارئ، ط٢، بيروت، ٢٠٠٩.

١٠ ـ تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، الحسن بن علي بن شعبة الحراني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٢، ١٤٠٤هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة.

١١ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.
١٢ ـ تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٤م.
١٣ ـ تفسير من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، ط٣، ٢٠٠٧م، دار الملاك، بيروت.
١٤ ـ تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت).
١٥ ـ التربية الأخلاقية والإسلامية، مقداد يالجن، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.
١٦ ـ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت ـ لبنان.
١٧ ـ حياة الامام الحسين بن علي عليهما السلام.. دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، إصدارات العتبة الحسينية، ط٢، ٢٠٠٨م.
١٨ ـ سنن ابن ماجة (المقدمة)، محمد بن يزيد المعروف بابن ماجة (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباق، ط١، الناشر: دار الفكر، بيروت ـ لبنان.
١٩ ـ سيبقى هذا الصوت خالداً، محمد باقر الصدر، مجلة النشاط الثقافي، تصدرها جمعية التحرير الثقافي في النجف، السنة الأولى، ١٩٥٧م، العدد الأول.
٢٠ ـ شرح نهج البلاغة، محمد عبده.
٢١ ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البنا، ط٣، ١٩٨٧م، دار ابن كثير، بيروت ـ لبنان.
٢٢ ـ طرق تدريس التربية الإسلامية، عبد العزيز عبد الرشيد سالم، ط٣، ١٩٨٢م، وكالة المطبوعات، بيروت.
٢٣ ـ الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقي فلسفي، تعريب: فاضل الحسيني الميلاني، دار سبط النبي، قم، ٢٠٠٥م.
٢٤ ـ الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري (ماجستير في التاريخ الإسلامي)، ط١، ١٤١١هـ، المطبعة: دار الأضواء، الناشر: دار الأضواء للطباعة

والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.

٢٥ ـ فلسفتنا، محمد باقر الصدر، دار التعارف، بيروت، ط١٠، ١٩٨٠م.

٢٦ ـ فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، أحمد رجب الأسمر، دار الفرقان، الأردن، ١٩٩٧م.

٢٧ ـ الفلسفة التربوية للإمام علي بن الحسين عليه السلام، باسم قاسم الغبان، مجلة كلية الآداب، بغداد، العدد٩٥، ٢٠١٠.

٢٨ ـ فلسفة التربية الإسلامية، عمر محمد الشيباني، ط٥، ١٩٨٥م، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس.

٢٩ ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٣٤، ٢٠٠٤م.

٣٠ ـ القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام.. دراسة تحليلية، حاتم جاسم عزيز السعدي، إصدارات العتبة الحسينية، ط١، ٢٠١٣م.

٣١ ـ الكامل في التاريخ، عز الدين محمد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ١٩٦٥م.

٣٢ ـ المدخل إلى التربية والتعليم، عبد الله الرشدان ونعيم جعنيني، ط١، ٢٠٠٢م، دار الشروق، عمان.

٣٣ ـ مفاتيح الجنان، عباس القمي، ط١، دار الفجر، لبنان، ٢٠١٢م.

٣٤ ـ مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٧م.

٣٥ ـ منهجية البحث في التربية الإسلامية، علي خليل أبو العينين، مجلة رسالة الخليج العربي، السنة الثامنة، ١٩٨٨م، العدد٢٤.

٣٦ ـ من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي، دار القارئ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م.

٣٧ ـ النظام السياسي في الإسلام، باقر شريف القرشي، ط٢، ١٩٨٧م، دار التعارف، بيروت ـ لبنان.

الضبط النفسي للإمام الحسين عليه السلام في معركة الطفّ

أ. د. حاتم جاسم عزيز*

م. مريم خالد مهـدي**

أوّلاً: إشكالية البحث

تُعـدّ واقعة الطفّ مـن أكثر المعارك جدلاً في التاريخ الإسـلامي، فقد كان لنتائج وتفاصيـل المعركـة آثار سياسـية ونفسـية وعقائدية لا تزال موضع جـدل إلى الوقت الحـاضر، حيـث تُعدّ هذه المعركـة أبرز حادثة من بين سلسـلة من الوقائـع التي كان لهـا دور محـوري في صياغـة طبيعـة العلاقة بـين الطوائف عـبر التاريـخ، وأصبحت معركـة كربـلاء وتفاصيلهـا الدقيقـة رمزاً للشـيعة، ومن أهـم مرتكزاتهـم الثقافية، وأصبـح يـوم (١٠) محـرّم ـ يوم وقوع المعركة ـ رمـزاً من قِبل الشـيعة «**لثورة المظلوم على الظالم، ويوم انتصار الدم على السيف**»[١]. وقد أظهرت هذه المعركة صوراً إنسانية متعددة، وتجسّـدت فيها كلّ النظريات النفسـية والاجتماعية بأسـمى معانيها، إلّا أنّه من المؤسـف أنّ البعض ركّز على الجانب المأسـاوي بالمعركة وتجاهل الصور المشـرقة المتعـددة في هـذه الملحمة، وهنا يحاول الباحثان التركيز عـلى جانب مهم من جوانب القـوة والتماسـك العالي الذي أظهره الإمام الحسـين عليه السلام في هـذه المواجهة من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

---

* جامعة ديالى/ كلّية التربية الأساسية.

** جامعة ديالى/ كلّية التربية الأساسية.

(١) *http://www.aimislam.com/ashura*.

١ ـ هل اتسم الإمام الحسين عليه السلام بضبط النفس؟

٢ ـ كيف تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع أعدائه في معركة الطفّ؟

٣ ـ ما هي الدروس المستنبطة في مواجهة المواقف الصعبة من خلال معركة الطفّ؟

٤ ـ ما هي المؤشرات التي تؤكّد اتسام الإمام الحسين عليه السلام بضبط النفس؟

ثانياً: أهمية البحث

تتجلّى أهمّية البحث من خلال دراسته محورين مهمين:

المحور الأوّل: هو أنّ الإمام الحسين يُعدّ أحد الشخصيات الإسلامية التي أُثيرت حولها مئات التساؤلات من الباحثين والمفكرين من كلّ بقاع العالم والديانات المختلفة، فالإمام الحسين عليه السلام لم يَعدْ رمزاً للشيعة ولا حتى للمسلمين وحدهم، بل هو رمز للإنسانية كافة، وهو أحد الذين خصّهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1].

المحور الثاني: فهو الثبات الانفعالي أو ضبط النفس الذي يُعدّ من الخصائص الأساسية في الشخصية الإنسانية الإيجابية، وسمة يتميّز بها كلّ مَن يتصف بقوة الشخصية، وكلّ مَن يتمتع بالصحة النفسية الجيدة، وهذه الخاصية أو السمة تظهر في وقت التعامل مع الضغوط والأزمات.

وقد أُطلق عليها في القرآن والسنّة اصطلاح مجاهدة النفس ونهي النفس عن الهوى. ومجاهدة النفس: هي عملية مستمرة يُعدِّل بها الفرد من سلوكياته، بمنع نفسه من الاستجابة الموجودة في البيئة من أفعال تخالف الدين والعرق.

ثالثاً: أهداف البحث

يروم البحث الحالي إلى تحقيق الأهداف الآتية:

---

(١) الأحزاب: آية٣٣.

١ـ التعرّف على شخصية الإمام الحسين عليه السلام، والمكونات التي ساهمت في بناء شخصيته.

٢ـ التعرّف على الممارسات السلوكية التي صدرت من الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة أعدائه أثناء معركة الطفّ.

٣ـ تأشير الدروس المستنبطة من معركة الطفّ كمحددات سلوك للقادة العسكريين.

رابعاً: مصطلحات البحث

١ـ ضبط النفس (Self Control Definition)

تأتي معنى كلمة (ضبط النفس) في اليوناني (*Egkrateia*)، وتعني: (القدرة لضبط نفسك من الداخل، وهي شيء يمسك بك من الداخل)، فهي صفة الشخص القادر على إقماع جسده، وإنّ هذه القدرة تنبع من داخله، وهي تعني كذلك: «**القدرة لقول: (لا) للأشياء الخطأ، و(نعم) للأشياء الصحيحة، و(لا) للأشياء التي لا تتناسب مع الحياة المقدّسة (حياة القداسة)**»[١].

وجاء في معجم المعاني الجامع أنّ ضبط النفس: «**سيطرة الشّخص على مشاعره، أو رغباته، أو أفعاله، بإرادته الشَّخصية؛ بهدف التطوُّر والتحسين الشخصي، التصبّر وعدم الانفعال**»، و«**ضَبَطَ أعصابه: كَبحَها، سيطر عليها، يضبط نفسه في لحظات الغضب**»[٢].

٢ـ الإمام

الإمام في اللغة: «**مَن يأتم به الناس، وأَمَّ القوم، أي: تقدمهم. والإمام: كلّ مَن ائتم به قوم سواء أكانوا على الخطأ أم على الصواب. إمام كلّ شيء قيّمه والمصلح له. والإمام**

---

(١) *https://www.lifechangingtruth.org*.

(٢) *http://www.almaany.com*.

يعني: المثال. والإمام هو الخيط الذي يُمدّ على البناء ويسوى عليه (لإدراك استقامة البناء). والحادي إمام الإبل؛ لأنّه الهادي لها، و(أَمَّ) القوم في الصلاة، و(الإمام) الذي يُقتدى به، وجمعه (أئمّة)، وتقول كان (إمامه)، أي: قدّامه»[1].

خامساً: مَن هو الإمام الحسين عليه السلام؟ وما هي مكوّنات بناء شخصيته؟

من سياقات البحث العلمي هو الكشف عن الشخصية محلّ الدراسة على فرض أنّ هنالك مَن لا يعرفها؛ لأنّ هذا البحث ربما سيطّلع عليه باحثون وطلبة علم من كافة بقاع العالم، رغم أنّ المعروف لا يُعرَّف، إلّا أنّ مقتضيات البحث العلمي تتطلب ذلك، فضلاً عن ضرورة التعرف على نشأة الإمام الحسين عليه السلام وأُسس تكوين شخصيته، فهو الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، وأُمّه فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو ثالث الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت الطاهر عليهم السلام، وأبو الأئمّة التسعة من بعده، وثاني السبطين سيدي شباب أهل الجنّة، وريحانتي المصطفى صلى الله عليه وآله، وأحد الخمسة من أصحاب الكساء، وسيد الشهداء[2]، وقد كان يُكنّى بأبي عبد الله، أمّا ألقابه فكثيرة نذكر منها على سبيل المثال: الرشيد، الوفي، الطيب، السيد، الزكي[3]، وأشهر رتبة ما لقّبه به جدّه صلى الله عليه وآله في قوله عنه وعن أخيه عليهما السلام: «**إنّهما سيدا شباب أهل الجنة**». وكذلك السبط لقوله صلى الله عليه وآله: «**حسين سبط من الأسباط**»[4].

وُلِدَ الإمام عليه السلام في المدينة المنوّرة في الخامس من شعبان في السنة الرابعة من الهجرة، الموافق لـ(٩/ ١/ ٦٢٦م)، حسب ما توصل إليه البحّاثة المُحقق آية الله الشيخ محمد صادق الكرباسي[5]، لكن المشهور هو أنّ ولادته كانت في الثالث من شهر

(١) أُنظر: المصدر السابق: (مادة أَمّ). الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح: ص٣. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٢، ص٢٥، مادة (أمم).
(٢) أُنظر: البري، محمد بن أبي بكر الأنصاري، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله: ص٣٨.
(٣) أُنظر: أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٥١.
(٤) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٥٧٩.
(٥) أُنظر: الكرباسي، محمد صادق، دائرة المعارف الحسينية: ج١، ص١٥٧.

شعبان من تلك السنة أو السنة الخامسة.

كان قد أدرك من حياة النبي الأكرمﷺ خمس أو ست سنوات، تعلّم فيها الكثير من أخلاق جدّه وأدبه العظيم، وأقام مع أبيه (٣٦) سنة، وعندما تولى سيدنا عليعليه السلام مسؤولية الخلافة كان الحسينعليه السلام جندياً مضحياً يقاتل من أجل تثبيت راية الحق؛ إذ شارك في حروب أبيه الثلاث: الجمل، صفّين، النهروان، وأقام مع أخيه الحسن (٤٦) سنة، وعاش بعد أخيه أبي محمد الحسنعليه السلام عشر سنين.

لقد نشأ الإمام الحسينعليه السلام مع أخيه الحسنعليه السلام في بداية حياته في أحضان جدّه المصطفىﷺ، فتغذى من صافي معينه، وعظيم خلقه، ووابل عطفه، وحظى بوافر حنانه ورعايته، حتى أنّه ورَّثه أدبه وهديه، وسؤدده وشجاعته، ففي أفياء بيت النبوة العابق بالطهر والقداسة نشأ الإمام الحسين، إذ تمازجت في أنفاسه روافد الفيض والإشراق، وكانت تلك بداية نشأة الإمامعليه السلام، فما أعظمها من بداية صنعتها يد محمدﷺ، ثمّ علي وفاطمةعليهما السلام، وكانت نشأته في أحضان طاهرة وحجور طيبة ومباركة أُمّاً وأباً وجدّاً، ولطالما بعث الرسولﷺ بكلماته النيرة على مسمع المئات المحتشدة من المسلمين، يقول: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[١]، و«**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا**»[٢]، ويقول: «**حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله مَن أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط**»[٣]. أي: أنّ المحبّة الشديدة والصلة الأكيدة والعلاقة التامة بيني وبين الحسين جعلته جزءاً منّي وجعلتني جزءاً منه؛ من شدّة الاتصال وعدم الانفكاك. ويرفعه بين الناس، وهم ينظرون فينادي: «**أيّها الناس، هذا حسين بن علي فاعرفوه**»[٤]. وقد يتبوأ له مقعداً في حضنه المبارك ويشير إليه، فيقول:

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص١٦٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج٢، ص٣٠٦.
(٤) الحائري، محمد مهدي، معالي السبطين: ج١، ص٨٦.

«**اللهـمّ أنّي أُحبّـه فأحبّه**»[1]. ولطالما كان يحمله وأخاه عـلى كاهله الكريم وينقلهما من هنـا إلى هنـاك، والملأ من المسـلمين يشـاهدون. وهكـذا كانت النشـأة الأُولى للإمام الحسـين عليه السلام في بداية حياته في ظلّ المدرسـة المحمدية المباركة؛ ممّا كان لها الأثر الكبير في بناء شخصيته.

لقد كانت الحقبة القصيرة التي عاشها الإمام الحسين مع جدّه صلى الله عليه وآله من أهم الحقب وأروعهـا في تاريخ الإسـلام كله، فقد وطّد الرسـول صلى الله عليه وآله فيهـا أركان دولته المباركة، وأقامهـا على أسـاس العلم والإيمان، وهـزم جيوش الشرك، وهـدم قواعد الإلحاد، وأخذت الانتصارات الرائعة تترا على الرسـول صلى الله عليه وآله وأصحابه الأوفياء، وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً[2].

«**صحيح أنّ مخالطة الناس وهم يعيشون حالة الجهل والتخلّف، أو يخضعون لأجواء الفساد والانحراف، قد تُسبب الكثير من الأذى والمعاناة للرجال الإلهيين، لكن ذلك هو طريق التغيير والإصلاح، كما أنّه وسيلة لنيل ثواب الله ورضوانه**»[3].

فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**»[4]. ومن هذا المعين ارتوى الحسين عليه السلام، فتعلّم كيف يتحمّل الأذى ويصبر عليه، ويُكيّف المواقف الصعبة لصالح نفسه؛ ليجعلها أكثر انضباطاً وتحكّماً فيها، فلا ينصاع لها ويستسلم لهواها.

وفي حديث آخر مروي عنه أنّه صلى الله عليه وآله فقد رجلاً، فسـأل عنه فجاء، فقال: «**يا رسول الله، إنّي أردت أن آتي هـذا الجبـل فأخلوَ فيه وأتعبّد. فقال رسـول الله صلى الله عليه وآله: يصبر أحدكم**

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص١٥٩.
(٢) أُنظر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية (الإمام الحسين عليه السلام): ص٥٩ـ٦١.
(٣) الصفار، حسن موسى، البعد الاجتماعي في حياة الإمام الحسين عليه السلام، شبكة الشيعة الإسلامية.
(٤) الهندي، علاء الدين علي التقي، كنز العمال: ج١، ص١٤٢.

ساعة على ما يكره في بعض مواطن الإسلام، خير من عبادته خالياً أربعين سنة. وفي نص آخر: ستين سنة»[1].

سادساً: المكّونات التربوية والنفسية التي ساهمت في بناء شخصية الإمام الحسين عليه السلام

١ـ الوراثة

أثبتت الدراسات النفسية والتربوية والاجتماعية المستفيضة الأثر الواضح للوراثة والمحيط الاجتماعي في تكوين شخصية الإنسان، والتي تم تعريفها من قِبل العالمين (اوجبورن) و(نيمكوف) على أنّها: «**التكامل النفسي والاجتماعي للسلوك عند الإنسان، وتعبّر عادات الفعل والشعور والاتجاهات والآراء عن هذا التكامل**»[2]؛ إذ ينعكس هذا الأثر على جوانبها الجسدية والنفسية والروحية جميعها، فأغلب الصفات تنتقل من الوالدين والأجداد إلى الأبناء، إمّا بالوراثة المباشرة أو بخلق الاستعداد والقابلية للاتصاف بهذه الصفة أو تلك، ثمّ يأتي دور المحيط التربوي ليقرر النتيجة النهائية للشخصية، «**ولمسألة الدور النسبي لكلّ من الوراثة والمحيط في النمو البشري مكان أساسي في كلّ فلسفة تربوية؛ وذلك على اعتبار أنّ موضوع الوراثة والمحيط على صلة وثيقة بالتربية والعملية التربوية**»[3].

ولقد توافرت في الإمام الحسين عليه السلام العناصر التربوية الفذّة جميعها التي لم يظفر بها غيره، فأخذ بجوهرها ولبابها، وقد أعدّته لقيادة الأُمّة، ولحمل رسالة الإسلام بجميع أبعادها ومكوناتها، كما أمدّته بقوى روحية لا حدّ لها من الإيمان العميق بالله، والخلود إلى الصبر على ما انتابه من المحن والخطوب. ولقد ظفر الإمام الحسين عليه السلام بمكونات تربوية ونفسية عملت على تقويمه وبنائه وتزويده بأضخم الثروات

(١) المصدر السابق: ج٤، ص٤٥٤.

(٢) وصفي، عاطف، الثقافة الشخصية: ص١٠٣.

(٣) عاقل، فاخر، علم النفس التربوي: ص٣١.

الفكرية والقيمية، وهي: الوراثة والبيئة.

«**لقد قُسّمت الوراثة من قِبل العلماء على نوعين، هما: الوراثة البايولوجية، والتي تعني: انتقال الخصائص الشخصية والاجتماعية من جيل إلى جيل، أو من فئة إلى فئة، أو من شخص إلى شخص، والوراثة الحضارية؛ إذ كما تنتقل بالوراثة الخصائص الحياتية والعضوية من جيل إلى آخر، كذلك تنتقل الخصائص الحضارية والثقافية من جيل إلى آخر، ومن فئة اجتماعية إلى فئة اجتماعية أُخرى**»[1].

وقد حُددت الوراثة بأنّها مشابهة الفرع لأصله، ولا تقتصر هذه المشابهة في المظاهر الشكلية، وإنّما تشمل الخواص الذاتية، والمقومات الطبيعية، كما نص على ذلك علماء الوراثة، وقالوا: إنّ ذلك أمرٌ بيّن في الكائنات الحية جميعها، فبذور الفاصوليا تخرج الفاصوليا، وبذور القطن تخرج القطن وهكذا، فالفرع يحاكي أصله ويساويه في خواصه، وأدق صفاته أحياناً، ويقول (مندل) في هذا الخصوص: «**إنّ كثيراً من الصفات الوراثية تنتقل بدون تجزئة أو تغيّر من أحد الأصلين أو منهما إلى الفرع**»[2].

وتأسيساً على ذلك، فإنّ الأبناء يرثون الوالدين في خصائصهم وصفاتهم الجسمية والعقلية والنفسية، وكذلك يرثون أجدادهم في بعضها، وفي هذا الصدد يقول فاخر عاقل: «**إنّ وراثة المولود لا يحددها أبواه المباشران فقط، بل هو يرث من جدوده وأباء جدوده وجدود جدوده وهكذا**»[3]. وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً، جمع كلّ صورة بينه وبين أبيه إلى آدم، ثمّ خلقه على صورة أحدهم، فلا يقولن أحد هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي**»[4]. ولقد

(١) الآصفي، محمد مهدي، وارث الأنبياء.. دراسات وبحوث مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٦٠.
(٢) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام: ج١، ص٣٣.
(٣) عاقل، فاخر، علم النفس التربوي: ص٣٦.
(٤) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ص١٠٣.

أكّد رسول الله صلى الله عليه وآله دور الوراثة في نقل الصفات الجسمية والخُلقية؛ وذلك من خلال تأكيده على حسن الاختيار في الزواج، فقال: «**تخيّروا لنطفكم فإنّ العرق دساس**»[1].

ومصطلح العرق يقابله في الاصطلاح المعاصر مصطلح الجينات (*Genes*)، وتحذير الرسول صلى الله عليه وآله من العرق الدساس ناتج من أنّ الصفات النفسية والروحية والخلقية تنتقل بالوراثة، أو يكون العامل الوراثي خالقاً للاستعداد في نفس الوليد للاتصاف بصفة من الصفات التي يحملها الوالدان أو الأجداد، ويقول بيرون: «**إنّ ابني وهو منسوب إليّ، ولكنّي أرى أجداده الماضين ينازعوني هذا الملك العزيز لدي، فإنّهم يشوّهون طهارة نفسه، ويكدّرون صفاء روحه بما رسب في أعماقهم من نزعات شريرة مجهولة انتقلت إليه بالوراثة**»[2]. وأشار القرآن الكريم إلى دور الوراثة وما تنقله من أدق الصفات، وذلك على لسان نوح عليه السلام؛ إذ قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[3]، وبذلك تدلل الآية الكريمة بوضوح على انتقال الكفر والإلحاد بالوراثة من الآباء إلى الأبناء.

وفي ضوء ما سبق فإنّ الحسين عليه السلام قد ورث من جدّه الرسول صلى الله عليه وآله صفاته الخلقية والنفسية، ومكوناته الروحية التي امتاز بها على سائر الأنبياء، وقد حددت كثير من الروايات مدى ما ورثه الإمام الحسين وأخوه الحسن عليهما السلام من الصفات الجسمية من جدّهما محمد صلى الله عليه وآله، فقد روي عن عقبة بن الحارث، أنّه قال: «**إنّ أبا بكر... لقي الحسن ابن علي (رضي الله عنهما) فضمه إليه، وقال: بأبي شبيه بالنبي، ليس شبيه بعلي، وعلي يضحك**»[4]. وقد جاء عن علي عليه السلام أنّه قال: «**مَن سرّه أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ما بين عنقه وشعره، فلينظر إلى الحسن، ومَن سرّه أن ينظر إلى أشبه الناس**

(١) الكاشاني، محمد بن المرتضى، المحجة البيضاء: ج٣، ص٩٣.
(٢) القرشي، باقر شريف، النظام التربوي في الإسلام: ص٥٧.
(٣) نوح: آية٢٦ـ٢٧.
(٤) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص١٦٨.

برسـول الله صلى الله عليه وآله مـا بين عنقـه إلى كعبه خلقـاً ولوناً فلينظـر إلى الحسـين»[1]. وكما ورث هـذه الصفة من جـدّه، فقد ورث منه مثله وسـائر نزعاته وصفاتـه، فعن إبراهيم بن عـلي الرافعـي، عن جدّته زينب بنـت أبي رافع، قالت: «**رأيت فاطمة بنت رسـول الله (صلّى الله عليه وسلّم) أتت بابنيها إلى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) في شكواه الذي تـوفّيَ فيهـا، فقالت: يا رسـول الله، هذان ابنـاك فورثهما. فقال: أمّا حسـن، فإنّ له هيبتي وسؤددي، وأمّا حسين فإنّ له جرأتي وجودي»**[2].

٢ـ الأُسرة

أمّـا المكوّن الثاني في تشـكيل شـخصية الإمام الحسـين عليه السلام، هـي: الأُسرة؛ إذ تُعدّ الأُسرة المحيـط التربوي والنفسي الأسـاسي المسـؤول عن إعـداد الطفل للدخول في الحياة الاجتماعية، وتشـترك كلّ من الوراثة والمحيط في بناء الإنسـان تربوياً ونفسـياً؛ إذ لا يمكـن فصـل بعضهـما عن بعض؛ لأنّهـما متكاملان متكاتفـان، إذ تخلق الوراثة القابليـة والاسـتعداد للاتصـاف بهذه الصفـة أو تلـك إن وجدت المحيـط التربوي والنفسي المناسب، وتشترك الوراثة مع المحيط في خلق الشخصية بما في ذلك الجوانب العقائدية والقيم. وتُعدّ الأُسرة نقطة البدء التي يتم من خلالها إنشـاء وتنشئة العنصر الإنسـاني، وتؤثر في كلّ مراحل حياته سـلباً أو إيجاباً؛ إذ تسـاهم في تشكيل شخصية الطفـل مسـاهمة فعّالة، وذلك من خلال إكسـابه العادات والقيـم التي تبقى ملازمة لـه طـوال حياته، فهي البـذرة الأُولى في تكوين النمو الفردي والسـلوك الاجتماعي، وهـي أكثـر فعالية في إيجاد التوازن في سـلوك الشـخص من سـائر العوامـل التربوية الأُخرى، فمنها يتعلّم الطفل اللغة، ويكتسب القيم والتقاليد والعادات الاجتماعية. ولقـد كُتِبَـت الكثير من البحـوث التربوية التـي تؤكّد مدى أهميـة الأُسرة في تكوين

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام: ج١، ص٤٥.
(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أُسد الغابة: ج٥، ص٤٦٧.

الطفل وتقويم سلوكه. «**ولقد حظي الإمام الحسين عليه السلام بأُسرة ما لها نظير، إليها تنتهي كلّ مكرمة وفضيلة في الإسلام، فما أظلّت السماء أُسرة أسمى ولا أزكى من أُسرة آل الرسول صلى الله عليه وآله، فقد نشأ الإمام الحسين عليه السلام في ظلّ هذه الأُسرة وتغذّى بطباعها وأخلاقها، فكانت النشأة الأُولى في أحضان الرسول صلى الله عليه وآله، فقام بدوره بتربية ريحانته، فأفاض عليه بمكرماته ومُثله، وغذّاه بقيمه ومكّوناته؛ ليكون صورة عنه، فكان يصحبه معه في أكثر أوقاته، فيشمه عرقه وطيبه، ويرسم له محاسن أفعاله ومكارم أخلاقه**»[1]، «**ولقد سقى الرسول صلى الله عليه وآله الحسين من لسانه عندما اشتدّ به العطش، وقد روي عن أبي هريرة أنّه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله يمصّ لعاب الحسن والحسين كما يمصّ الرجل التمرة**»[2]. وهذا دليل على أنّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله كان يغذي الحسين برحيقه، وهل هنالك أكثر ضبطاً للنفس من الرسول صلى الله عليه وآله والذي تحمّل شتى أنواع الألم من الكافرين، ولكن كان ردّه «**اللهمّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون**»[3].

وبعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله استمرت التربية الحسينية على النهج الرباني، وذلك على يد الإمام علي عليه السلام الذي يُعدّ المربي الأوّل بعد الرسول صلى الله عليه وآله، فهو واضع أُصول التربية، ومناهج السلوك، وقواعد الآداب، فقد غذّى الإمام الحسين عليه السلام بالحكمة والعفة والنزاهة، ورسم له مكارم الأخلاق والآداب، وغرس في نفسه معنوياته المتدفقة، فجعله يتطلّع إلى الفضائل من حق وخير، وذلك من خلال كم هائل من الوصايا الحافلة بالقيم الكريمة، والمثل الإنسانية، التي رسم من خلالها الأُسس التربوية التي تبعث على التوازن والاستقامة في السلوك، والتي منها هذه الوصية ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ إذ قال عليه السلام وهو يوصي ولده عليه السلام: «**يا بني، أُوصيك بتقوى الله عزّ وجلّ في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا** [والغضب]**، والقصد في الغنى**

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام: ج١، ص٧٠.
(٢) الفيروز آبادي، مرتضى الحسيني، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج٣، ص٢١٧.
(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج١، ص١٦٦.

والفقر، والعدل في الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل، والرضا عن الله تعالى في الشدّة والرخاء...»[1]، **«وهي وصية طويلة جداً حفلت بآداب السلوك وتهذيب الأخلاق، والدعوة إلى تقوى الله التي هي القاعدة الأُولى في وقاية النفس من الانحراف والآثام، وتوجيهها الوجهة الصالحة التي تتسم بالهدى والرشاد»**[2]. ومثلما يعلم الجميع أنّ الأُسرة بمفهومها العام لا تعني الوالد فقط، وإنّما تضمّ الوالدة أيضاً؛ لذا فقد عنت سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، تلميذة القرآن والمدرسة المحمدية، بتربية وليدها الحسين عليه السلام، فغمرته بالعطف والحنان؛ لتكوّن له بذلك شخصيته الاستقلالية، والشعور بذاتياته؛ لتشيع في نفسه فكرة الفضيلة على أتم معانيها.

وفي جو تلك الأُسرة الكريمة التي ما عرف التاريخ الإنساني لها نظيراً في إيمانها وهديها، نشأ الإمام الحسين عليه السلام، وقد صار بحكم نشأته فيها من أفذاذ الفكر الإنساني، ومن أبرز أئمّة المسلمين. وبناءً على ذلك؛ وبما أنّ الإمام ورث أغلب صفاته من جدّه وأبيه، فهو كذلك تعلّم على يديهم كيف يضبط نفسه في المواقف الصعبة، كيف لا؟ وهو ولِد وكان يغدو ويذهب جبرائيل على جدّه يتلو عليه الآيات القرآنية التي تدعوه إلى كظم الغيض والعفو عن الناس، حتى عادت إحدى خصاله، فضلاً عن وراثتها في جيناته؛ إذ إنّ تجنّب الغضب يحتاج إلى ضبط النفس، والقرآن الكريم أعطانا صوراً رائعةً تمثّلت في أنبياء الله، وكان منهم السلوك النبوي الراشد، فقد جاء في قوله تعالى عن قصة موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ...﴾[3]، عاد إلى ضبط نفسه ومقارعتها وإعادتها إلى نصيب الحلم، وهو الأناة الحسنة، وفي هذا السلوك القويم يخبرنا النبي صلى الله عليه وآله في حديثٍ له، قال: **«ليس الشديد بالصرعة، وإنّما الشديد مَن يملك نفسه عند الغضب»**[4]. كما قال الله تعالى:

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام: ج١، ص٤٩.
(٢) المصدر السابق: ج١، ص٧٥.
(٣) الأعراف: آية ١٥٤.
(٤) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٨، ص٦٧.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1]. فمن صفات المتقين في هذه الآية الكريمة والصريحة كظم الغيظ وإظهار الرحمة بالعفو عند المقدرة، وهي معانٍ سامية تبيّن كيفية ضبط النفس، ومنعها من التصرف الخطأ في أعسر المواقف التي يتلقاها الإنسان المسلم في حياته، وينبغي أن يُظهر خلالها الشجاعة والحكمة وحسن التعامل مع الأحداث التي تفاجئه في المجتمع، فمَن ضَبَطَ نفسه يستطيع أن يكظم غيظه ويحبس الغضب الذي بداخله، وهذا ما تربى عليه الإمام الحسين عليه السلام ونشأ، وظهرت هذه التربية بأسمى معانيها كسلوك عملي في معركة الطفّ.

سابعاً: الممارسات السلوكية التي صدرت منه عليه السلام في مواجهة أعدائه في معركة الطفّ

نزل الركب الحسيني أرض كربلاء في الثاني من المحرّم سنة إحدى وستين للهجرة، وكان ذلك في يوم الخميس، على ما هو المشهور القويّ[2]. وقد عبّر الإمام الحسين عليه السلام عن معرفته العميقة بالأرض وبالتاريخ؛ حيث قال: «**انزلوا، هاهنا مناخ ركابنا، هاهنا تُسفك دماؤنا، هاهنا والله تُهتك حريمنا، هاهنا والله تُقتل رجالنا، هاهنا والله تُذبح أطفالنا، هاهنا والله تُزار قبورنا، وبهذه التربة وعدني جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا خُلف لقوله**»[3]. ثمّ نزل عن فرسه، وضُربت خيمة لأهله وبنيه، وضرب عشيرته خيامهم من حول خيمته، ثمّ بقيّة الأنصار. وأقبل الحر بن يزيد حتى نزل حذاء الحسين عليه السلام في ألف فارس، ثمّ كتب إلى عبيد الله بن زياد يُخبره أنّ الحسين نزل بأرض كربلاء[4]. ومن طريق ما سبق نجد الإمام الحسين عليه السلام كان عارفاً مسبقاً بأنّه مقتول

(١) آل عمران: آية١٣٣ـ١٣٤.
(٢) أُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٢.
(٣) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٤٥٥.
(٤) أُنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٤٩ـ١٥٠.

لا محالـة، وهذا وعد إلهي على لسـان رسـوله الكريـمﷺ، إلّا أنّه نـزل برباطة جأش عاليـة، ولم تهتزّ إرادته بالبقاء، بل عـلى العكس، أظهر رضاه بقضاء الله وقدره؛ وهذا يدلـل عـلى ثباته وضبطه لنفسـه، فلمّا كان مـن الغد قدِم عليهم عمر بن سـعد بن أبي وقّـاص مـن الكوفة في أربعـة آلاف فارس، فنزل بنينوى، وهنـاك انضمّ إليه الحر بن يزيد الرياحي في ألف فارس، فصار في خمسـة آلاف فارس، وما زال ابن زياد يُرسـل إليه بالعسـاكر حتى وصل عدد الجيش الذي استنفر لقتال الحسينعليه السلام إلى ثلاثين ألفاً مـا بين فارس وراجل[1]. ومع أنّ الحسـينعليه السلام كان يرى أعـداد الجيش تتزايد إلى هذا العدد الذي يفوق عدد رجاله مئات المرّات، إلّا أنّه بقيَ على ثباته ورباطة جأشه، ولم يُسـجّل التاريخ العسكري بأنّ هنالك قائداً عسكرياً يرى جيوشاً تتفوق عليه بالعدّة والعدد إلّا وخالجت نفسـه إمّا الهزيمة أو الانسـحاب أو الاستسلام، إلّا الحسينعليه السلام بقيَ صامداً في مقدّمة جيشـه، صابراً محتسـباً يَعِدُ أصحابه بالجنّة، ويُخيّرهم بين البقاء معـه أو تركـه بقوله: «**هذا الليل قد غشـيكم فاتخـذوه جملاً**»[2]؛ ونتيجـة هذه الصلابة والثبات الانفعالي الذي اتسـم به الحسـينعليه السلام، نجد انعكاسه الواضح على أصحابه، فقد كانوا يطلبون الموت ويترجونه وهم سـعداء، وكان جوابهم على طلب مغادرتهم أرض المعركـة أن قال زهير بن القين: «**والله، لوددت أنّي قُتلت ثمّ نُشـرت، ثمّ قُتلت، حتى أُقتل كذا ألف قتلة، وأنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية مـن أهل بيتـك**»[3]. وتكلّم جماعة أصحابه بكلام يشـبه بعضه بعضـاً في وجه واحد، فقالـوا: «**والله لا نفارقك، وأنفسـنا لك الفـداء، نقيك بنحورنا، وجباهنـا وأيدينا، فإذا نحن قُتلنا كنّا وفينا وقضينا ما علينا**»[4]. فهل سجّل التاريخ عبر قرونه موقفاً كهذا؟!

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٨٦.
(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٠.
(٣) العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج٣، ص٩٢.
(٤) المصدر السابق.

بل أراد عليه السلام أن تنعكس هذه القوة النفسية والصلابة والثبات على أهل بيته عليهم السلام، فقد كان يخاطب أُخته عليها السلام بقوله: «**يا أُخيّة، لا يذهبنَّ حلمك الشيطان، قالت: بأبي أنت وأُمّي، أبا عبد الله استقتلت؟ نفسي فداك. فرد غصته وترقرقت عيناه، وقال: لو تُرك القطا ليلاً لنام. قالت: يا ويلتا! أفتغصب نفسك اغتصاباً؟ فذلك أقرح لقلبي، وأشدّ على نفسي. ولطمت وجهها وأهوت إلى جيبها وشقته، وخرّت مغشياً عليها، فقام إليها الحسين، فصبّ على وجهها الماء، وقال لها: أُخيّة، اتقي الله، وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير منّي، وأُمّي خير منّي، وأخي خير منّي، ولي ولهم ولكلّ مسلم برسول الله أُسوة، فعزّاها بهذا ونحوه، وقال لها: أُخية، إنّي أُقسم عليك، فأبري قسمي لا تشقّي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت**»[1].

وهكذا هنالك عشرات الشواهد بمثل ما تقدّم من أمثلة سابقة، تؤكّد أنّ الإمام الحسين عليه السلام قدّم دروساً وعبراً كشاهد على التاريخ، بأنّ الإنسان المؤمن تكون درجة التحمّل لديه عالية جداً ـ وتسمّى عتبة التحمل ـ في مواجهة المواقف الصعبة، من غير أن يستسلم أو يُهزم، وذلك لثباته الانفعالي وقوة شخصيته دفاعاً عن مبادئه وقيمه، فكانت صرخة الحسين عليه السلام: «**هَيْهَات مِنَّا الذِّلَّة، يَأبى اللهُ لَنا ذَلكَ وَرَسولُهُ والمؤمِنون**»[2]، وقوله عليه السلام: «**لا وَالله، لا أُعطِيكُم بِيَدي إعطَاءَ الذَّليل، وَلا أفِرُّ فِرارَ العَبيد**»[3] شعاراً لكلّ الأحرار والثائرين بالعالم، وهل هناك ما يمثّل الثبات أكثر من كونه عارفاً بأنّه مقتول لا محالة، وهو يزرع اليأس في قلوب أعدائه بعدم استسلامه،

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٤٠.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٩.

حيث يقول: «**لَو لم يَكُن في الدنيا مَلجَأ ولا مَأوى لَمَا بَايَعتُ يَزيد**»[1]. بل ذهب أبعد من ذلك ليجعل من الموت في سبيل الله سعادة: «**إنِّي لا أرَى المَوتَ إلا سَعادةً، وَالحَياةَ مَع الظالمين إلّا بَرَماً**»[2]. وهو بذلك قطع كلّ سبل الرجوع عمّا أتى إليه، ولو كان دونه الموت.

ثامناً: الدروس المستنبطة في مواجهة المواقف الصعبة من خلال معركة الطفّ

١ـ عدم الرضوخ إلى الذلّة والمهانة

ذلك أنّ الله كتب العزّة للمؤمن، وفوّض إليه أُموره كلّها، إلّا أن يذلّ نفسه، وقد عبّر الإمام الحسين عليه السلام عن هذا المبدأ بقوله: (هيهات منّا الذلّة).

٢ـ الحرية

فالإنسان الحر يكون أكثر اعتزازاً بنفسه وأكثر قبولاً للخير وميّالاً للفضيلة، ولذا أراد الحسين عليه السلام زرع روح الحرية في قلوب الناس، حتى وإن لم يكن لهم دين، فخاطبهم الإمام الحسين عليه السلام: «**يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين... فكونوا أحراراً في دنياكم**»[3]، وهنا أراد الحسين عليه السلام أن يشع عليهم من روحه الحرة التي تأبى الرضوخ للظلم، علّهم يرجعون عمّا هم فيه.

٣ـ نكران الذات

لقد ضرب الإمام الحسين عليه السلام مثالاً رائعاً في نكران الذات، وقدّم عليه السلام صوراً متعددة لنكران الذات في معركة الطفّ، ومنها طلبه من أصحابه تركه والنجاة بأنفسهم، كون القوم يطلبونه هو، فقال لهم: «**أَلا وإنّي أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء**

(١) العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج٣، ص٤٩.
(٢) ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٣٢.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٥١.

غـداً، أَلا وإنّي قـد رأيت لكـم، فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكـم منّي ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً»[1]. وفي رواية أُخرى أنّه قال: «**هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جمـلاً، ثمّ ليأخـذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، تفرّقوا في سـوادكم ومدائنكم حتـى يُفـرّج الله، فإنّ القوم إنّما يطلبوني، ولو قـد أصابوني لهوا عن طلب غيري»**[2]. وفي اللحظـة التـي كان العطش يكاد يقتل الإمام عليه السلام والأعداء يحيطون به من كلّ جانب، إلّا أنّنا نجده يؤثر أهل بيته على نفسـه بطلب الماء لهم ودعوة العباس عليه السلام بترك سـاحة المعركـة لإغاثـة أهل بيته مـن العطش، فضلاً عن طلـب الماء لعبـد الله الرضيع دون نفسه.

٤ـ البقاء على الدعوة لآخر رمق

الناس الرساليون يضعون رسالتهم نصب أعينهم لآخر لحظة في حياتهم، فحينما نادى الحسين عليه السلام: «**لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا ظالماً، ولا مفسداً، إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي»**[3]، فكان الإصلاح هدفه عليه السلام لآخر رمق من حياته الشـريفة، فبقى مستمراً بالدعوة متناسياً جراحه وآلامه وأهله وعياله.

٥ـ تغيير مفهوم الانتصار

يقول العلّامة السـيد هادي المدرسي في كتابه (كتاب عاشوراء): «**الحسين لم ينتصر عـلى يزيـد بالحصول عـلى الكرسي، وإنّـما انتصر عليـه بالـدم والشـهادة، وإنّ الانتصار بالشهادة هو بحدّ ذاته أغلى أنواع الانتصار؛ لأنّ الشهادة وسيلة»**[4]. وهذا تغيير لمفهوم الانتصـار الذي يدرسـه القادة العسـكريون في الميدان؛ إذ إنّ مفهـوم الانتصار الذي

(١) العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج٣، ص٩٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام: ج١، ص١١.
(٤) هادي المدرسي، عاشوراء: *http://alfeker.net 1824*.

يدرسه القادة في كليات الأركان هو انهزام الجيوش بقوة الأدوات والآلات، إلّا أنّه في معركة الطفّ تغيّر هذا المفهوم؛ ليكون الانتصار الحقيقي بقوة الدم والإرادة، فعندما انتهت المعركة لم يشعر الأعداء بلذة الفوز، بل على العكس لازمهم شعور الخيبة والخسران، ولأوّل مرّة في تاريخ الحروب ينتصر الدم على السيف، وسبب انتصار الدم هو ضبط النفس ورباطة الجأش التي كان يتمتع بها الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه (رضوان الله عليهم أجمعين).

٦ـ محاربة الأعداء بضبط النفس

حاول أعداء الحسين عليه السلام أن يُثيروا غضبه، فأصبحوا يُسيئون إليه ليتعجل المعركة، لكنّه بقيَ على رباطة جأشه، وعندما حاول الشمر بذلك أراد مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم، فمنعه الحسين عليه السلام، فقال له: سيدي دعني أرميه فإنّه فاسق، فقال له الحسين عليه السلام: «**إنّي أكره أن أبدأهم بالقتال**»[1]. وهذه دعوة من الإمام عليه السلام لأصحابه بضرورة ضبط النفس وقوة الإرادة، وهذه واحدة من وسائل علم النفس في إدارة التوتر من خلال قوة الإرادة؛ لأنّ التعرّض للتوتر يجعل المرء يستهلك الكثير من الطاقة، ما يدفعه إلى اتخاذ قرارات متسرعة، حتى حينما أقبلت السهام من القوم كأنّها القطر، هنا كان ردّ الإمام بنفس الروح المتزنة بدعوة أصحابه إلى المواجهة، فقال عليه السلام لأصحابه: «**قوموا ـ رحمكم الله ـ إلى الموت الذي لا بدّ منه، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم**»[2]. وهنالك الكثير من المواقف التي أكّدت بقاء الإمام الحسين عليه السلام على ثباته واتزانه لآخر لحظة من لحظات حياته؛ ممّا جعل الأعداء في حيرة من أمرهم، وهم يرونه مضرّجاً بدمائه فاقداً لكلّ أحبته وأهل بيته، إلّا أنّه تعلوه الهيبة والوقار لدرجة أنّهم كانوا يخشون الإجهاز عليه وقتله حتى بلغت به الجراح مبلغها.

---

(١) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج١٣، ص١٥٠.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٢.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد (ابن الأثير)، مطبعة الوهبية، ١٢٨٥هـ، مصر.

٢ ـ أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار المعارف، بيروت.

٣ ـ أعلام الهداية (الإمام الحسين)، المجمع العالمي لأهل البيت، ط١، ١٤٢٢هـ، قم.

٤ ـ الأمالي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة، ط١، ١٤١٧هـ. ق، قم.

٥ ـ البعد الاجتماعي في حياة الإمام الحسين عليه السلام، حسن موسى الصفار، شبكة الشيعة الإسلامية.

٦ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، بيروت ـ لبنان.

٧ ـ الثقافة الشخصية، عاطف وصفي، دار النهضة العربية، ١٩٨١م، بيروت.

٨ ـ الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، محمد بن أبي بكر الأنصاري، تحقيق: د. محمد التونجي، ط١، ١٩٨٢م، مكتبة النوري، دمشق.

٩ ـ حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، باقر شريف القرشي، ط١، ١٩٩٣م، دار البلاغة، بيروت.

١٠ ـ دائرة المعارف الحسينية، محمد صادق الكرباسي.

١١ ـ صحيح الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، مطبعة بولاق، ١٢٩٢هـ، القاهرة.

١٢ ـ علل الشرايع، أبو جعفر محمد بن علي الصدوق، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٥هـ، النجف.

١٣ ـ علم النفس التربوي، فاخر عاقل، ط٣، ١٩٧٦م، دار العلم للملايين، بيروت.

١٤ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستة، مرتضى الحسيني الفيروز آبادي، ط١، ١٤٢٢هـ، المجمع العالمي لأهل البيت، قم.

١٥ ـ الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، حيدر آباد، دائرة المعارف الهندسية، ١٩٧١م.
١٦ ـ الكامل في التاريخ، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد (ابن الأثير)، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط١، ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية.
١٧ ـ كنز العمال، علاء الدين علي التقي الهندي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ، بيروت.
١٨ ـ لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار المعارف، ٢٠١١م، بيروت.
١٩ ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج علي بن الحسين الإصفهاني، تحقيق: كاظم المظفر، ط٢، مؤسسة دار الكتاب، قم.
٢٠ ـ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دققه: عصام فارس الحرستاني، ط٩، ٢٠٠٥م، دار عمار، عمّان.
٢١ ـ معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين، محمد مهدي الحائري، ط١، مؤسسة البلاغ.
٢٢ ـ المحجة البيضاء، محمد بن المرتضى الفيض الكاشاني، ط٢، جامعة المدرسين، قم.
٢٣ ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، ط١، ١٤٢٥هـ. ق، مطبعة أسوة.
٢٤ ـ مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م، الحيدرية، النجف الأشرف.
٢٥ ـ معالم المدرستين، مرتضى العسكري، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠ـ١٩٩٠م، بيروت ـ لبنان.
٢٦ ـ مثير الأحزان، نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلي (ت٦٤٥هـ)، المطبعة الحيدرية، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م، النجف الأشرف.
٢٧ ـ المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، بإشراف: د. يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٢٨ ـ النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٨هـ، بيروت.

٢٩ ـ وارث الأنبياء، دراسات وبحوث مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ محمد مهدي الآصفي، المجمع العالمي لأهل البيت، ١٤٢٤هـ، طهران.

٣٠ ـ هادي المدرسي، عاشوراء: *http://alfeker.net/library.php?id=1824*.

٣١ ـ *http://www.aimislam.com/ashuraJJ/*.

٣٢ ـ *https://www.lifechangingtruth.org/ar/book/export/html/37*.

٣٣ ـ *http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar*.

كربلاء والتفاعل المجتمعي وفق متباينة المعرفة والعاطفة
قراءة في المواقف ومسارات التقييم

م. د. شهيد كريم محمد*

المقدّمة

تشكل المعرفة قاعدة الارتكاز وخط الشروع؛ لتبني موقف ما دون غيره، ولكنّها دالة كلية تتشكل عبر انتظام مجموعة من القيم، تؤدي لرسم خط التراتب في إيجابية الموقف المتخذ وصولاً إلى نهاية الخط، وتحقق غاية تلك المعرفة. بمعنى أنّ المعرفة لا تتكامل بمستواها الأعلى ما لم تتحقق قيمها الذاتية، بل لعلّها بفقدان تلك القيم تؤدي مردوداً عكسياً يعمل على تراجع تلك المعرفة واستنزافها وصولاً إلى اللامعرفة والجهل! قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَ شَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ**»[1].

إذن؛ فخط الشروع لتكامل الدين هو المعرفة، ولكنّها تحتاج لتصبح معرفة فاعلة أن تتكامل عبر قيمة التصديق، وهي الأُخرى قيمة تتطلب دالة التوحيد لتشكل قيمة متكاملة بدورها، وينبغي للتوحيد ليبلغ مرتبته العليا أن ينتظم ضمن عنوان

---

* جامعة ميسان/ قسم التاريخ/ استشراق إسلامي.

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١، ص٧٢.

الإخلاص، ويتحقق الإخلاص بشكله المثالي وصورته المتكاملة، وبالنتيجة القيمة العليا والمتكاملة للمعرفة الحقّة عبر التفعيل العملي للإخلاص، وذلك بنفي الصفات عن الذات الإلهية المقدّسة، وعلى الضدّ من هذا التراتب المعرفي والنسق المتوالي لتحقق كمال الدين، فإنّ فقدان القيم أو الدوالّ المرتبطة بالمعرفة، تؤدي بذات المعرفة للتآكل والضمور، وتلاشي القوة والفاعلية الكامنة فيها بشكل متسارع، وصولاً لفقدانها نهائياً وبالنتيجة التحوّل إلى الجهل.

وحقيقة الحال أنّ هذا التراتب المعرفي الذي يفككه قول أمير المؤمنين عليه السلام يتناغم مع عرض الإجمال القرآني، الذي ينصّ عليه قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]. إذن؛ عدم تفعيل المعرفة بالشكل الصحيح والإيجابي، يقود لتضائلها وانتهائها، بل وترتب النتائج العكسية الخطرة جرّاء عدم تفعيلها، فقد كان بإمكان هذا الشخص ـ لو أحسن استغلال تلك المعرفة ـ أن يرتفع لرتبة عالية من القرب من الله تعالى، ولكنّه استسلم لرغباته الدنيئة الضيقة، وفرّط بتلك المعرفة، فكانت النتيجة أن انحدر بشكل سريع جداً، وكأنّه خرّ من شاهق، فخرج حتى من دائرة الانتماء لصفات الآدميين، وأصبح كمثل الكلب.

وعليه؛ فالمواقف المتخذة تتراوح بين السلب والإيجاب تبعاً لنوعية وفاعلية المعرفة وتوظيفها، إذن فهي بذلك قد تشكّل منزلقاً خطيراً ما لم تصحبها القيم التي تضبط بوصلة توجهها نحو تكاملها الأمثل، ولذلك قيل:

«لو كان العلم دون التقى شرفاً ... لكان أشرف خلق الله إبليس»

---

(١) الأعراف: آية ٧٥ـ٧٦.

وقيل أيضاً:

«إبليس أعلم أهل الأرض قاطبة والله يلعنه والبدو والحضر»

إذن؛ قيمة المعرفة والعلم ـ بل وحتى العبادة الطويلة ـ لم تنفع إبليس ولم تَحُلْ بينه وبين أن يكون كذاك الذي انسلخ من آيات ربّه، فأصبح مثله كمثل الكلب، وغدى لعنة تتردد على مرّ الدهور والعصور. على أنّ بلعم بن باعورا ـ الذي قيل: إنّ الآية نزلت بحقّه ـ وإبليس لا يشكلان استثناءً بقدر ما يمثلان سبقاً زمنياً ينتظم على مثاله أكثر الناس حتى يوم القيامة. ولعلّ ممّا يُشير لذلك، ويرتبط بالمحور الثاني للبحث ارتباطاً مفصلياً هو قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1].

تسمح لنا هذه الآية الولوج لمتباينة البحث الثانية، وهي العاطفة، التي هي الأُخرى تشكّل قيمة ذاتية فاعلة في الاتجاهين (السلبي والإيجابي)، وتقرر بناءً على مقدار المعرفة والقناعة، سلوك الشخص أحد هذين الاتجاهين، فالعاطفة ما لم تكن متأتية من قناعة راسخة، ومنبعثة من معرفة متكاملة، فإنّها تبقى تدور في فلك الميل العاطفي الذي يتراجع أمام أيّ اختبار جدّي، وفي أفضل الأحوال لا يرقى تفاعله لمستوى ذلك الاختبار، أمّا إذا انطلقت العاطفة من القناعة والمعرفة، فإنّها تتكامل إلى مرتبة الحب، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ...﴾[2]. ومن ثَمّ يتصاعد خطها البياني الفاعل حتى تنتهي لغاية كمالها ببلوغ مرحلة المودّة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ * ذَٰلِكَ ٱلَّذِى

(١) الفرقان: آية٤٣ـ ٤٤.

(٢) البقرة: آية١٦٥.

﴿يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ...﴾[1]. وقد يرتقي الميل العاطفي في استثناءات بسيطة بشكل سريع ومفاجئ؛ نتيجة موقف ما إلى أقصى مدياته، فيحقق مستوى المودّة، ويبلغ بالمعرفة درجة تكاملها القصوى، بمعنى أنّ العاطفة هنا هي مَن تنضج المعرفة. ولعلّ أصدق أمثلة هذا الاستثناء موقف زهير بن القين البجلي، والحر بن يزيد الرياحي، من الإمام الحسين عليه السلام.

على أنّ ثورة كربلاء بشكل عام انطوت على أصدق مواطن متباينة العاطفة والمعرفة، ففيها أبعدت المعرفة غير المتكاملة أقرب الأشخاص من الإمام الحسين عليه السلام عن الاشتراك معه في هذه الثورة، كبعض إخوته وأبنائهم وأكثر بني هاشم، في حين اجتذبت المعرفة المتكاملة أُناساً من خارج حضيرة الإسلام، كوهب النصراني وعائلته. وفي الوقت الذي أبعدت المعرفة غير المتكاملة أشخاصاً كانوا شديدي القرب من الإمام عليه السلام في الظاهر، جعلت المعرفة المتكاملة أصحابه يذوبون في شخصه، ويتسابقون للموت بين يديه، ويتمنى كل واحد منهم أن يذوق حرّ السيوف، ومرارة الموت، مرّات ومرّات ليفتدي الإمام عليه السلام. وفي الوقت الذي لم يسهم الميل العاطفي والحب الذي يكنّه إخوة الإمام عليه السلام، وغالبية بني هاشم له في تحولهم إلى مرتبة المودّة والتضحية بأنفسهم من أجله، نجد ذلك الميل يقلب موقف زهير والحرّ وعدد آخر غيرهم رأساً على عقب، فيتحولون من موقف اللامبالاة أو الرغبة بالحياد أو العداوة إلى موقف الذوبان الكلي بشخصية الإمام عليه السلام، في حين اتجه الميل العاطفي لأغلب أهل الكوفة بمجرد اصطدامه بالموقف الحاسم والمباشر نحو التراجع والضمور وصولاً للتلاشي، فغدروا بالإمام عليه السلام وجرّدوا السيوف بوجهه وقتلوه، وفي أفضل الأحوال فضّل قسم آخر منهم الوقوف بمنطقة الحياد. وقد أوجز الفرزدق هذه المتباينة بجوابه حين سأله الإمام الحسين عليه السلام عن حال الناس، فقال:

(١) الشورى: آية ٢٢ـ٢٣.

«**قلوبهم معك وسيوفهم عليك**»[1].

كما أنّ أعداء الإمام الحسين عليه السلام على الرغم من أنّهم مسلمون ظاهراً، ولكن معرفتهم بحقيقة الإسلام، ومَن يمثّله كانت معرفة مشوّهة ناقصة سلبية، فانحدرت بهم بالاتجاه المعاكس حتى أوصلتهم إلى الضلالة والجهل، كمثل الذي انسلخ عن آيات ربّه وكمثل إبليس، كما أنّ ميلهم العاطفي نحو أعداء الإسلام وأهل البيت عليهم السلام سيّما بني أُميّة جعلهم كمثل مَن اتخذ إلهه هواه، ولذلك كان مناديهم ينادي:

املأ ركابي فضةً أو ذهباً ... إنّي قتلت السيد المحجبا

قتلت خير الناس أُمّاً وأبا[2]

وكان كبيرهم عمر بن سعد يقول:

أأترك ملك الري والري رغبة ... أم أرجع مذموماً بثأر حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب وملك الري قرة عين[3]

على أنّنا نجد أنّ متباينة المعرفة والعاطفة لا زالت فاعلة وحاضرة بتفصيلاتها وحيثياتها السابقة في واقعنا اليوم، فلا زالت المعرفة الشوهاء السلبية والجهل بحقيقة الإسلام والفطرة السليمة تدفع بالوهابية والإرهاب والتكفير الأعمى إلى قتل شيعة أهل البيت عليهم السلام وغيرهم بأبشع الصور، وارتكاب المجازر والمذابح، ونشر الدمار والخراب بكل بقعة تطالها أيديهم القذرة النجسة بدعوى الجهاد والدين، ولا زال الميل العاطفي لهؤلاء وأعوانهم يلح على عبادة الهوى والتسافل دون مستوى البهائم

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، جمل من أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٧٦ـ٣٧٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٨٦. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٦٧.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٥٤.

(٣) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٩٦. ابن الفقيه، أحمد بن محمد، البلدان: ص٥٤١. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٥٣. الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج٣، ص١١٨. النويري، أحمد بن علي، نهاية الأرب: ج٢٠، ص٤٢٥.

والأنعـام، وبالمقابـل تبقى المعرفة المتكاملة الإيجابية تشـحذ همم أتباع أهل البيت عليهم السلام وغيرهم للوقوف بوجه هذه البربرية الهمجية في سوح الجهاد والقتال؛ لإحقاق الحق ودحـر زيف الباطـل والشرّ، كما يبقى الميـل العاطفي يتباين بين الإيجاب والسـلب، فيقـود لتكامـل المعرفة تـارةً، ويظل تـارةً أُخرى مجـرد ميل عاطفي أجـوف تصرعه أو تضلـه البدع والأكاذيب، كما نلحظها في السـاحة الشـيعية اليـوم، أو يبقى قاصراً عن تفعيل مسـتوى الاسـتجابة في حالات أُخرى. كما يبقى قول الإمام الصادق عليه السلام يحفّـز كلاً من المعرفة والعاطفة للتكامل وبلوغ مداهما الأسـمى عبر دعوته، وتأكيده عـلى زيارة الإمام الحسـين عليه السلام مع المعرفـة بحقه؛ لأنّها تعدل الحج المـبرور المتقبل مع النبـي، أو الإمام العـادل، والجهاد معه بعشرات الأضعاف، وغيرهـا من العبادات، حتى عقدت بذلك أبواب خاصّة في كتب التراث الشيعي[1]. وفي هذا اللحاظ يتنزل البحث لدراسة متباينة المعرفة والعاطفة وأثرهما في التفاعل المجتمعي مع ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وأثرهما على الواقع في الوقت الحاضر.

المبحث الأوّل: الإمام الحسين عليه السلام وعي الموقف والتحرك

كانـت اللحظـات الأخـيرة التـي عاشـها النبـي صلى الله عليه وآله ومـا صحبها مـن اختلاف الحاضريـن بـين قبول مـا أراد أن يكتبه ويوصي به «**عـلى اعتبار عدم انتقـاض ولايته، وصحـة مـا يقول ويفعل في كل حال**»، وبين رفض ذلك «**بدعوى انتقاض تلك الولاية بحال المرض، وكفاية القرآن لتنظيم مستقبل المسلمين**». نقطة الشروع لانقسام الجماعة الإسـلامية بصـورة فعليـة بين مبدأيـن مختلفين من حيـث العقيدة والفكـر والتوجه السـياسي... بـل وحتى طبيعة الاعتقاد بالنبي صلى الله عليه وآله، إذ يـروي عبد الله بن العباس: أنّ النبـي صلى الله عليه وآله لـمّا حضرته الوفاة، قال: « **آتوني بـدواة وكتف؛ لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا**

(١) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص٢٦ـ٥٧. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٨٠ـ٥٨٣. الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص٨٥ـ٩٨. الفتّال النيسابوري، محمد بن الحسن، روضة الواعظين: ص١٩٤ـ١٩٥.

بعـده أبـداً. فقال عمـر بن الخطاب: إنّ رسـول الله قـد غلبة الوجع، حسـبنا كتاب الله. ثمّ حدث لغط شـديد بين الحاضرين، فقال النبي(صلّى الله عليه وسـلّم): قوموا عنّي لا ينبغي عند النبي التنازع»[1]. وعلى إثر ذلك كان عبد الله بن العباس لا يفتأ يتذكر تلك اللحظـات فيعتصر ألماً، ويقول: «إنّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسـول الله، وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم»[2].

وقد استكملت عملية الانقسام والفصل شكلها النهائي بعد حادثة السقيفة التي فتحت الباب واسعاً لتشظي الجسد الإسلامي، سيّما بعد تأسيس وإقرار مبدأ الخروج عـلى أمر النبيﷺ، وكان النص القرآني قد أسـلف الإشـارة إلى هـذه الحقيقة الخطرة ونصّ على أنّ الجماعة الإسلامية سبق أن خاضت تجربة مماثلة، بعد انتشار خبر مقتل النبـيﷺ في معركة أُحد حسـب ما ينصّ المفسرون[3] على سـبب نـزول قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[4]. إذن؛ النص

---

(١) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٢، ص٢٢٤. ابن حنبل، أحمد، المسند: ج١، ص٣٢٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج١، ص٣٧، ج٥، ص١٣٧ـ١٣٨، ج٨، ص١٦١. ابن حزم، علي بن أحمد، الإحكام: ج٧، ص٩٨٤. المقريزي، أحمد بن علي، إمتاع الأسماع: ج٢، ص١٣٢، ج١٤، ص٤٤٦. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري: ج١، ص١٨٦، ج٨، ص١٠١.

(٢) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٢، ص٢١٣ـ٢١٥. ابن حنبل، أحمد، المسند: ج١، ص٣٢٥، ص٣٣٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٥، ص١٣٨، ج٧، ص٩، ج٨، ص١٦١. النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم: ج٥، ص٧٦. ابن حبّان، محمد، صحيح ابن حبّان: ج١٤، ص٥٦٢ـ٥٦٣.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان: ج٤، ص١٤٧. الواحدي، علي بن أحمد، الوجيز: ص٢٣٥. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل: ج١، ص٣٥٨. السمعاني، منصور بن محمد، تفسير السمعاني: ج١، ص٣٦٣. النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل: ج١، ص١٨٢. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير: ج٢، ص٣٥. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج٤، ص٢٢١ـ٢٢٢.

(٤) آل عمران: آية١٤٤.

القرآني ميّز بين صنفين من المسلمين هما: (المنقلبين على أعقابهم) و(الملتزمين بأمر النبي الشاكرين).

ومن ثَمّ تمخضت العقود اللاحقة عن اختلال كبير في موازين الانتماء والاصطفاف، فكانت المدّة القصيرة لخلافة الإمام الحسن عليه السلام استكمالاً لمحاولة التصدي العسكري الذي بدأه أبوه أمير المؤمنين عليه السلام لهذا الانحراف والانقلاب المدمر، ولكنّه حينها كان قد استكمل دورانه وتمكّن من جسد الأُمّة وروحها، وبات إقراره بصورته الأُموية وشيك الوقوع، إذ أمسى أعداء الإسلام، ورؤوس الكفر والنفاق، وطلقاء الفتح، خلفاء وسادة للمسلمين، بينما أضحى أهل بيت النبوة عليهم السلام وأتباعهم من شخوص الإسلام المبرزين معارضة مقصاة، وصفت حين مثّلها الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء بأنّها حركة خروج على الخليفة وولي الأمر الشرعي.

لا شك وضعت كربلاء الجماعة الإسلامية ـ بعد تجربتها مع الإمام علي، والإمام الحسن عليهما السلام للمرة الثالثة ـ على المحك بشكل مباشر وواضح لا يقبل التأويل ولا الظنّ والاحتمال، فأمّا أن يواصلوا حقيقة كونهم كما عبّر الإمام عليه السلام: «**عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديانون**»[1]، وأمّا أن يثوبوا لصوت الإسلام المحمدي الأصيل، فكان أنّ الغالبية منهم آثرت الاحتفاظ بمعايشها وترك الدين سيّما الذين قبلوا أن يكونوا عبيداً منذ وقت سابق بعيد.

بالنتيجة أفرز التحرّك الإصلاحي للإمام الحسين عليه السلام تبايناً واضحاً في فواعل الانتماء والاصطفاف واختيار المواقف، كما أنتج تقييمات متضادة ومتباينة بشكل كبير سواء من المعاصرين، أو المتأخرين عن الحادثة وصولاً للوقت الحاضر، عبر الاستقراء التاريخي والتحليلي للحادثة وحيثياتها. ويمكن على نحو الإجمال التمييز

(١) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٢٤٥. الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة: ج٢، ص٢٤٢.

بين مضمونين أساسيين لتلك التقييمات، يقوم الأوّل منها على عدّ ذلك التحرّك مجرد مغامرة سياسية، واستجابة مستعجلة لقراءة غير واقعية لظروف وواقع المجتمع الإسلامي، ودون حساب لعواقب ونتائج ذلك التحرّك، ومن دون تقديم أسباب كافية لنجاحه أو تحقيق ما أُريد منه. بينما يقوم الثاني على عدّه ثورة إصلاحية لمسيرة الإسلام ككل، وقد أعدّ لها بمنتهى الدقة، بل إنّها مخطط واختيار إلهي. فضلاً عن أنّها نتاج قراءة متأنية ومنطقية وواعية تمام الوعي لظرف وواقع المجتمع حينها، وقد حققت نتائجها على أكمل وجه، وبحسب ما أُريد منها.

وبالتالي يعكس هذان المضمونان متباينة البحث (المعرفة ـ العاطفة) في ذلك الحراك، وأثرها في بلورة مستويات وعوامل الاصطفاف مع وبالضد منه، أو اختيار جانب الحياد من قبل المجتمع المعاصر. وهي مسألة انطوت على اضطرابية كبيرة بمستوى التفكير، والتشخيص والرؤية، والتقييم لدى غالبية المسلمين المعاصرين، كما هي عند كثير من المعنيين ببلورة وضبط بوصلة الرؤية لعصر الإسلام الأوّل. فهناك العديد ممّن تحدّث وتفاعل مع الإمام الحسين عليه السلام وكربلاء، بمعزل زمني وفكري وانتمائي عن عهد وشخص ونهج النبوة، وامتداده في عهد الإمام علي عليه السلام، والإمام الحسن عليه السلام؟! وكأنّهم يفككون هذه الكتلة المنهجية الفكرية إلى أجزائها الذاتية المكونة، دون استشعار للترابط والتمازج والتماهي بينهم! وهو أمر لا شكّ يُفصح عن مغالطة، وقصور كبير جداً بالمعرفة؛ وإلّا فالإمام الحسين عليه السلام يخاطب القوم في كربلاء: «**هل تشكون أنّي ابن النبي وسبطه، هذه عمامة رسول الله، هذا درعه، هذا سيفه، هذه ملابسه، هذا دمه ولحمه**»[1]، وتقول السيدة الحوراء عليها السلام: «**اليوم مات جدّي رسول الله، اليوم مات أبي علي، اليوم ماتت أُمي فاطمة، اليوم مات أخي الحسن**»[2].

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٢ـ٢٢٣. الفتّال النيسابوري، محمد بن الحسن، روضة الواعظين: ص١٨٥ـ١٨٦. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٥٢ـ٥٣.
(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٨٤. أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٧٥.

واضـح أنّ هذه النداءات تريد اسـتثارة المجتمع المخاطـب لحقيقة الزخم الديني والمعنـوي، والمكانة الروحية والحسـية التـي يمثلها الإمام الحسـين عليه السلام، ذلك الزخم الـذي ينتظم على أعتابه أنّه ابن النبي صلى الله عليه وآله وسـبطه وريحانته... وأنّه الوارث والضامن الأخـير لشـخوص حادثة الكسـاء، وحدث آيـة المباهلـة... ولكن يبـدو أنّ الغالبية العظمى من المجتمع الإسـلامي قد تغافلت عن أن تنظر للإمام الحسين عليه السلام عبر هذه الحيثيـات، فكانت نظرتها شـوهاء يتخللها الارتداد لعقليـة المنفعة والمصلحة المادية، والخوف والطمع، وإيثار السلامة على حساب الدين والمبدأ، وقيم الإسلام، والفطرة الانسـانية السـليمة... من فواعل الانتماء للطرف الآخر، أو الوقوف موقف الحياد، ولكنّه حياد سـلبي على كل حال، وهي متباينات أوجزها الفرزدق بقوله للإمام عليه السلام: «**قلـوب الناس معك وسـيوفهم عليك**»[1]. بمعنى أنهّم يعيشـون بـين صراع العاطفة التـي تجذبهم نحوك، وبـين إملاء القـراءة (الماديـة، النفعية، المصلحيـة، الضيقة...) لواقع وظروف الحراك.

بعبارة أُخرى: المعرفة السـلبية غير المنتجة، أو ذات المنتج السـلبي، الذي يجعلهم يشـحذون سـيوفهم ضدّك وضدّ الدين والمبدأ، وضدّ عواطفهم وأحاسيسهم. وهو صراع لا يبتعـد كثيراً عمّا شـخّصه الإمام الحسـين عليه السلام بقوله سـالف الذكـر: «**الناس عبيـد الدنيا والدين لعق على ألسـنتهم، يحوطونه ما درّت معايشـهم فـإذا محّصوا بالبلاء قـلّ الديانون**». وسـيحاول البحـث تفصيل هذه المتباينة عبر التراتـب التاريخي لتلك المواقف والتقييمات.

لقـد أعلـن الإمام الحسـين عليه السلام رفضـه لحكم يزيد منـذ وقت مبكر جـداً؛ وذلك عندمـا جـاء معاويـة إلى المدينة وطلب من المسـلمين عقد البيعة لولـده يزيد، فقد ردّ

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، جمل من أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٧٦ـ٣٧٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٨٦. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٦٧.

عليـه الإمام عليه السلام حينها بقوله: «**هيهات هيهات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشـمس أنوار الـسرج... وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسـته لأُمّة محمـد (صـلّى الله عليه وسـلّم) تريد أن تُوهم النـاس في يزيد، كأنّك تصـف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تُخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسـه على موقع رأيـه، فخـذ ليزيد فيما أخذ به من اسـتقرائه الكلاب المتهارشـة عند التحـارش، والحمام السـبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده باصراً ودع عنك ما تحاول**»[1].

وقـد نـصّ اليعقـوبي عـلى أنّ طلب معاويـة البيعـة ليزيـد كان بعد مقتـل الإمام الحسـن عليه السلام[2]. ونـصّ خليفة بن خياط على أنّ قدومه المدينـة وطلبه البيعة ليزيد كان عام(٥١هـ)[3]. في حين نـصّ الطبري على أنّه باشر بطلبها ليزيـد بعد موت زياد بن أبيـه[4]. وقـد اتفـق المؤرخون عـلى أنّ زياد تـوفيّ عام (٥٣)هـ[5]. وعليـه يتضح أنّ هناك مسـاحة زمنية كبيرة فاصلة بين قرار الإمام الحسين عليه السلام برفض حكم يزيد وبين ثورته ضدّ هذا الحكم. ولا شـك دُرسـت خلال هذه المدّة الزمنية كافة الاحتمالات، وخيارات المواجهة وظروفها، وواقع المجتمع وطبيعة ومستوى استجابته، وحُسبت بدقةٍ متناهية عواقب ونتائج تلك الثورة وذلك القيام.

---

(١) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٦٠ـ١٦١.
(٢) أُنظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٢٠.
(٣) أُنظر: العصفري، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة: ص١٦٠.
(٤) أُنظر: الطبـري، محمد بن جرير، تـاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٢٥.
(٥) أُنظر: وكيع القاضي، محمد بن خلف، أخبار القضاة: ج١، ص٢٩٦. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج ٤، ص٢١٧. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢، ص٢٣٢. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج٥، ص٢٦١. ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٩٣. المزي، يوسف، تهذيب الكمال: ج١٤، ص١٢٠. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٢٤٢. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج٣، ص٣٨٩.

هذا فضلاً عن التراتب المنطقي والواعي لحيثيات التحرّك، ابتداءً من الخروج من المدينة في أواخر شهر رجب، والاستقرار في مكة على مدار الأربعة أشهر اللاحقة حتى يوم التروية ٨ ذي الحجة[١]، تعويلاً على خصوصية اجتماع المسلمين في مكة خلال موسم الحج، ومن ثَمّ إطلاق النداءات تلو النداءات فيها للتعريف بدواعي نهضته ومشروعه الإصلاحي، وغاياته ومبررات القيام به... وتبيان أنّه لا يزعم التحرّك استجابة لدوافع شخصية، إنّما يتحرّك لمصلحة الأُمّة الإسلامية ككل، فالدين والشريعة يراد بها الذهاب؛ لأن تكون مطية بيد شخص لا يتناهى عن منكر أو فحشاء يفعلها، ويتجاهر بالفسق، والإثم والعدوان، والشرك والكفر؛ ولذا قال منذ اللحظة الأُولى لطلب البيعة منه: «**على الإسلام السلام إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد**»[٢]. ثمّ أكد ذلك في موضع آخر، فقال: «**يزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله**»[٣]. وظلّ محافظاً وملتزماً التزاماً صارماً بهذا الموقف حتى الرمق الأخير، وهو يردد: «**لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ إقرار العبيد**»[٤].

وهو فضلاً عن ذلك، قد قطع على كل متأولٍ، أو مدعٍ، أو صاحب حجةٍ، أو شكٍّ، أو ظنٍّ غير حسنٍ بمبررات الخروج حججه، وظنّه، وأسباب شكه، حين اتخذ قول النبي صلى الله عليه وآله: «**مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر بقول ولا فعل، كان حقاً على**

---

(١) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٨١.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٧. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٨.

(٣) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٤. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٧.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى، جمل من أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٩٦ـ٣٩٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٢٥. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٦٢ـ٦٣.

الله أن يدخله مُدخله. أَلا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وإنّي أحق مَن غيّر»[1]. ومن ثمّ أثبت هذا التعليل والمبدأ في وصيته قبل خروجه من المدينة حين قال: «**إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي، أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي محمّد**صلى الله عليه وآله»[2].

وأوضح أنّ انطلاق هذا الخروج والرفض الحاسم والقاطع لبيعة يزيد ـ بغض النظر عن الإخبار المسبق به من قِبل النبيصلى الله عليه وآله ـ يستند لقراءة منطقية وواعية تمام الوعي، وقد وضعت نصب عينيها أقصى النتائج المترتبة عليه، وأشدّها وقعاً وإيلاماً وخطورةً، فقال: «**خُطّ الموت على وِلد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني لأسلافي اشتياق يعقوب ليوسف، وخُيّر لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي وأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أُجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله لُحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده، مَن كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل، فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله**»[3].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٠٣. اُنظر: الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الصغير: ج١، ص٢٦٤ـ٢٦٥. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٢٠، ص٩٠. الطبراني، سليمان بن أحمد، مسند الشاميين: ج١، ص٣٨٠. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج٥، ص٢٢٨. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري: ج١٣، ص٥. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور: ج٢، ص٣٠١. الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد: ج١٠، ص١٣٧. المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال: ج١، ص٢١٦.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢١.

(٣) الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص٨٦. ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٢٩. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٣٨. الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٣٩.

مـن خـلال مجمل ما تقـدّم أثبت واقـع الأحداث والنـصّ التاريخـي ـ بعيداً عن التأويل والفرض والاحتمال ـ أنّ كل إجراءات الإمام الحسين عليه السلام ابتداءً من خروجه مـن المدينة نحو مكة والاسـتقرار فيها، ومن ثمّ إرسـاله مبعوثه مسـلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة؛ اسـتجابة لطلبات أهلها، ولأخذ البيعة منهم، وتنظيم جهودهم للانتقال لمرحلـة المواجهة العسـكرية، مروراً بمغادرته لمكة قبل إتمـام الحج، وصولاً إلى نزوله بكربـلاء ومـا اتخـذ فيها مـن إجراءات وتدابـير، وما أطلـق فيها من خُطـب وأقوال ونـداءات حتـى يوم العاشر وحـدوث المعركة، كانـت تنتظم وفق المنطـق الطبيعي، والقراءة العقلية الواعية المرسـومة مسـبقاً، ووفق اسـتراتيجيات وخطوات المواجهة ومتطلباتها، وبعيداً عن الظنّ والاحتمال، وعفوية التحرّك والمغامرة.

المبحث الثاني: التفاعل المجتمعي وفق متباينة المعرفة والعاطفة

أفصحت الاسـتجابة المجتمعية، أو مديات التفاعل مع ثورة الإمام الحسـين عليه السلام عن بون شاسـع بـين زوايا النظر، ومسـتويات الوعي والتفكير، فضـلاً عن الالتزام الديني والمبدأي للمجتمع الإسلامي المعاصر، سواء في حلقاته القريبة من الإمام عليه السلام، كبعـض إخوتـه وقرابته من بني هاشـم، وشـيعته عموماً، أو في دوائـره الأبعد، أي: عموم المسلمين الآخرين. وسنحاول رصد هذه المتباينة عبر الشواهد الآتية:

١ـ في الوقت الذي أملت اسـتحكامات النظرة الماديـة الضيقة، والمعرفة الفارغة عـلى عمر الأطرف بن الإمام علي عليه السلام أن يتخلّف عن أخيه الإمام الحسـين عليه السلام ـ رغم دعوتـه لـه للخروج معه ـ وأن يخرج بعـد مقتل الإمام عليه السلام بثياب مزّينـة ويتباهى بأنّ موقفـه كان منطقيـاً وواقعياً ينـمّ عن تفكير واعـي، وأنّه دفع عن نفسـه الموت بعدم خروجـه معهـم[1]! وأملت على ابن أخيه زيد بن الإمام الحسـن عليه السلام، أن يتخلّف عن

(١) أُنظر: أبو نصر البخاري، سهل بن عبد الله، سر السلسلة العلوية: ص٩٦. ابن عنبة، أحمد بن علي، عمدة الطالب: ص٣٦٢.

عمّه الحسين عليه السلام، وأن يبايع بعد قتله عبد الله بن الزبير[1].

نجد التفاعل العاطفي الإيجابي النابع من صميم القلب والروح والشعور، والمعرفة الواعية الممتدة الأفق، يمليان على عائلة وهب النصراني أن تذوب في عشق الشهادة دون الإمام الحسين عليه السلام، حتى أنّ أمّ وهب أخذت عمود الخيمة، ونزلت الى ساحة المعركة خلف ولدها وهي تقول: «**فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين، حُرم رسول الله** صلى الله عليه وآله». ففأقبل كي يردها الى النساء، فأخذت بثوبه، وقالت: لن أعود دون أن أموت معك، فقال الحسين عليه السلام: «**جُزيتم من أهل بيتٍ خيراً، ارجعي الى النساء يرحمك الله، فانصرفت اليهن**[2]. **فذهبت امرأته تمسح الدم عن وجهه فبصر بها شمر، فأمر غلاما له فضربها بعمود كان معه فشدخها وقتلها، وهي أول امرأة قتلت في عسكر الحسين** عليه السلام»[3].

٢ـ وبينا يجنح منظور الميل العاطفي الفارغ، والمعرفة غير المتكاملة أو السلبية، التي ترجح المصلحة والفائدة وإيثار السلامة والدعة على حساب الدين والقيم والمبادئ... بعبد الله بن العباس (حبر الأُمّة) على قربه من الإمام الحسين عليه السلام وحبّه له، وبغضه للأُمويين وتقاطعه معهم، ومع متبناهم العقدي والفكري، إلى مبايعة يزيد بمجرد وصول مبعوثه إلى المدينة؛ إذ قدّم ولاءه وبيعته للوليد بن عتبة[4]. أي: قبل خروج الإمام عليه السلام من المدينة، وكذلك فعل عبد الله بن عمر وغيرهما، مسجلين بذلك خروجاً على قناعاتهم الذاتية النفسية، وخروجاً من دائرة ونمطية التعاطي مع يزيد والتي حددها قول الإمام عليه السلام: «**على الإسلام السلام إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل**

(١) أُنظر: ابن عنبة، أحمد بن علي، عمدة الطالب: ص٦٩ـ٧٠.
(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٦١.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار: ج٤٥، ص٧١.
(٤) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٤٣. الفسوي، يعقوب بن سفيان، المعرفة والتاريخ: ج١، ص٥٣١ـ٥٣٢.

يزيد»[1]. وبقوله عليه السلام: «**يزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله**»[2]. وغيرها من الأقوال التي تبينّ حقيقة يزيد وبني أُميّة بصورة عامّة.

نجد الميل العاطفي البسيط، يُذكي الرؤية المنطقية والادراك العقلي الواعي، والمعرفة التامة لمتاع الدنيا الزائل، ويُملي على الحر الرياحي، الذي كان قائداً لطليعة جيش يزيد، أن يترك قيادة الجيش، وما كان يتمتع به من منزلة ومكانة، وجاه ومال، وراحة ونعيم وسلامة، في اللحظات الأخيرة، وما أصعبه من موقف واختبار ذاك الذي مرّ به الحر الرياحي حتى أنّه كان يرتجف كالسعفة في مهب الريح، يصارع الأنا المتغطرس، والنفس الأمّارة بالسوء، المائلة للدعة والسلامة، والتلذذ والتمتع، والهوى، الذي يُعمي ويصم ويسدّ نوافذ الرؤية الدقيقة والمنطقية، ولكنّه مع كل ذلك نجح في الاختبار، وترك كل تلك الإغراءات وانساق فرحاً مطمئناً مسرعاً، ليلتحق بقافلة الخلود الأبدي، ويساير ركب العشق الإلهي، فأتى للإمام الحسين عليه السلام مطأطأً رأسه خجلاً وحياءً ومترجياً أن يكون أوّل مَن يُقتل بين يديه، فيستحق بذلك أن يُأبّنه الإمام عليه السلام بقوله: «**أنت ـ والله ـ الحر في الدنيا والآخرة**»[3]. ويغدو حراً في الدنيا والآخرة قبالة أولئك الذين رضوا أن يكونوا عبيداً في الدنيا والآخرة.

٣ـ في الوقت الذي يقصر الميل العاطفي والحب دون المعرفة المتكاملة مواقف (محمد بن الحنفية وولده، وعبد الله بن عباس وولده وباقي بني العباس عموماً، وعبد الله بن جعفر)، وغيرهم الكثيرين، ممّن يفترض أنّهم شديدو الالتصاق النسبي

---

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٧. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٨.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٤. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٧.

(٣) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٠١ـ ١٠٢. البلاذري، أحمد بن يحيى، جمل من أنساب الأشراف: ج٣، ص١٨٩. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص١٢ـ ١٤.

والمكاني، ويُفترض العقدي والفكري أيضاً بالإمام الحسين عليه السلام، على التفاعل عبر نصحهم الإمام عليه السلام بعدم الخروج من مكة أو التوجّه لغير الكوفة، أو تأجيل الخروج إليها خشية من تعرّضه للقتل، ونصحه بعدم اصطحاب النساء والأطفال معه[1].

على الرغم من أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد بيّن لهم الغاية من ذلك الخروج في أكثر من موطن وموقف ومناسبة:

* فقد أوصى لهم قبل خروجه قائلاً: «**إنّي لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي، أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي محمّد** صلى الله عليه وآله»[2].

* وبيّن لهم بكل صراحة ووضوح سبب مسيره إلى العراق دون غيره من البلدان، وسبب اصطحابه للنساء والأطفال معه، فقال: «**خُطّ الموت على وِلد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي وأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جوفا، وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أُجور الصابرين. لن تشذّ عن رسول الله لُحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه، ويُنجز بهم وعده، مَن كان باذلاً فينا مهجته، وموطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل، فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله**»[3].

* وبعث إليهم من مكة بعد استقراره بها كتاباً يخصّ به بني هاشم وفي مقدّمتهم

---

(١) أُنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٦، ص٤٢٧ـ٤٢٨. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٤١ـ٣٤٢، ص٣٨٣ـ٣٨٤. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢٠ـ٢١. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٣٤ـ٣٥. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٦ـ١٧، ص٣٧ـ٣٩. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٣٩ـ٤٠.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢١. ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص١٥.

(٣) ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٢٩. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٣٨. الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٣٩.

ابن الحنفية وابن عباس، يقول فيه: «**من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومَن قِبله من بني هاشم، أمّا بعدُ، فإنّ مَن لحق بي استُشهد ومَن لم يلحق بي لم يُدرك الفتح، والسلام**»[1].

* ومن ثَمّ أطلق البيان أو التوضيح الأخير قبل خروجه من مكة بلحظات، فقد ورد أنّه: «**لما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه فأخذ زمام ناقته، وقال له: يا أخي، ألم تعدني النظر فيما سألتك ـ وكان طلب منه عدم المسير أو تغيير وجهته ـ؟ قال بلى. قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فقال عليه السلام: أتاني رسول صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين، أخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً. فقال له ابن الحنفية: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. فما معنى حملك هؤلاء النساء معك، وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ فقال له: قد قال لي: إنّ الله قد شاء أن يراهن سبايا. وسلّم عليه ومضى**»[2].

على الرغم من كل هذه الإيضاحات، وما بيّنه الإمام عليه السلام من أنّ اللحاق به يعني الشهادة التي يُفترض أنّها غاية ما يطمح إليه كل مؤمن، ويعني الفتح الذي وعد الله به رسوله الكريم، ويعني الاستجابة لما اختاره الله، ويعني الحياة التي لا فناء معها، ويعني اللحاق بالنبي صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام... وعلى الرغم من كل هذا الحثّ لمحمد، وعبد الله، وعموم بني هاشم، نجد غاية تفاعلهم واستجابتهم تقتصر على التفاعل العاطفي وبأدنى مستوياته! عبر تقديمهم النصح للإمام عليه السلام بعدم الخروج من مكة، أو التوجّه لغير الكوفة، أو تأجيل الخروج إليها، وعدم اصطحاب النساء والأطفال! وعبر قول عبد الله بن العباس مخاطباً الإمام الحسين عليه السلام: «**والله الذي لا إله إلّا هو، لو أعلم أنّك إذا أخذتُ بشعرك وناصيتك، حتى يجتمع عليَّ وعليك الناس أطعتني لفعلت ذلك**»[3].

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٥٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٨٧. أُنظر: الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص٥٠٢. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٣٠. ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، ذوب النضار: ص٢٩. ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٢٧.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٣٩ـ٤٠.

(٣) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٦، ص٤٢٧ـ٤٢٨. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٨٧ـ٢٨٨. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٣٧ـ٣٩.

ولعـلّ ممّا يُشـير لإدراك الإمام الحسـين عليه السلام عـدم نضوج المعرفـة عند هؤلاء على قربهم منـه، وصلتهم الوثيقة به، هو هذه الكتب المتكررة والنداءات المتتالية؛ لتحفيز تلـك المعرفة وذلك الميل العاطفي والحب، فهي تُشـير لتوجـع الإمام عليه السلام من تركهم للحـاق بـه، وتفويتهـم فرصـة التنعـم بالحياة الآخـرة الدائمـة؛ طمعاً بالحيـاة الدنيا الزائلة! ولعلّ إيجاز الكتب واختصارها بهذه الصورة، يحيل لذلك الفهم أيضاً، سـيّما وأنّها محاولات أخيرة لحضهم على الالتحاق به. ولكن دون جدوى!

* وكان نداؤه الموجز والأخير الذي وجّهه من كربلاء والذي يقول فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسـين بن علي إلى محمد بن علي ومَن قِبله من بني هاشـم، أمّا بعدُ، فكأنّ الدنيا لم تكن وكأنّ الآخرة لم تزل، والسلام**»[1]. ينمّ عن أسف الإمام عليه السلام وتوجّعه الواضـح عن قصور الحب والمعرفة عند هؤلاء عن بلـوغ غاياتها المتكاملة، ومراتبها المثلى على امتداد تواصلهم وقربهم من الإمام عليه السلام.

هـذا في الوقـت الذي نجد أنّ الوعي الفاعل والرؤية التشـخيصية الدقيقة، وبعدُ النظـر والتفكـير المنطقـي المتأتي من صدق الإحسـاس، والميل العاطفـي المنبعث من قـرارة الضمـير وحقيقة الشـعور... لا يأخذ مـن زهير بن القين البجلي سـوى بضع دقائـق لينقلب توجّهه ومصيره رأسـاً على عقب، إذ يُمـلي عليه مع ما يُفترض من أنّه ـ بحسـب النقـل التاريخي ـ كان عثـماني الهوى[2]، وكان يكره أن يُسـاير ركب الإمام الحسـين عليه السلام، الخارج من مكة خشـية أن يجتمع به ويدعوه لنصرته، بل إنّه تردد بداية من إجابة رسـوله إليه... أن يتحوّل ـ بمجرد الالتقاء بالإمام الحسـين عليه السلام ـ من تلك

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٥٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٨٧.

(٢) أُنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، جمل من أنساب الأشراف: ص٣، ص٣٧٨. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٤٢. السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين: ص١٦١. الأمين، محسن بن عبد الكريم، أعيان الشيعة: ج٧، ص٧١.

اللامبالاة العثمانية بهذا التحرّك إلى أن يصبح من أشدّ المتحمسين له[1]! بحيث يتمنّى أن يُقتل ويُحيى، ويُقتل ويُحيى مراراً وتكراراً دون الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته! إذ خاطبه بقوله: «**والله، لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنّا فيها مخلّدين، إلّا أنّ فراقها في نصرتك ومواستك لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها! والله، لوددت أنّي قُتلت، ثمّ نُشرت، ثمّ قُتلت حتى أُقتل كذا ألف قتلة! وأن يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك**»[2].

إذن؛ المسألة ليست منوطة بالبعد والقرب (النسبي والمكاني وحتى العقدي في بعض الأحيان)، بقدر ما هي منوطة بالمعرفة المتكاملة والإيجابية، وبالمودّة الحقّة، وتحكيم الرؤية المنطقية والعقلية، المبنية على تلك المعرفة والمودّة، والوقفة الصريحة مع النفس والذات والمبدأ، فأولئك على قربهم من الإمام عليه السلام كانت معرفتهم جوفاء، أو سلبية قصرت عن تحويل العاطفة إلى مودّة فاعلة، كما أنّ عاطفتهم القاصرة أو المتصنعة لم تُسهم بإذكاء تلك المعرفة، فكانوا لا يبصرون أو يتغافلون عن إبصار روح التحرّك ومبدأه وحقيقته الإلهية، على الرغم من تأكيده من قبل الإمام الحسين عليه السلام مراراً وتكراراً خلال حواراته معهم، وتوضيحه أنّ الجنبة العاطفية التي يتحدّث عنها هؤلاء الناصحون ما هي إلّا ضريبة بسيطة جداً لبلوغ ذلك الهدف والمبدأ.

وحقيقة الحال يُلحظ من الحوارات التي جرت بين الإمام الحسين عليه السلام وعموم الناصحين، أنّ هؤلاء الناصحين في وادٍ والإمام عليه السلام في وادٍ آخر! تراهم وكأنّهم يختلقون لأنفسهم الأعذار والمبررات للهروب من الصدام الحتمي بين الدنيا

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٩٦ـ٣٩٧. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٧٢ـ٧٣. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٤٢. ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٣٣ـ٣٤. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٤٤ـ٤٥.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، جمل من أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨١. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٠٤، ص٤١٩ ـ ٤٢٠.

والآخرة، الصدام الذي أوجزه الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «**مَن لحق بي استُشهد ومَن تخلّف عنّي لم يبلغ الفتح**»[٣]. ونحن هنا بمواجهة حقيقة صادمة للوجدان الإسلامي عموماً، والوجدان الشيعي على وجه الخصوص، فقد وضعت جميع مَن تخلّف عن الإمام الحسين عليه السلام، سّيما المتخلّفون من بني هاشم بموضع المسائلة والتأرجح، خصوصاً وأنّ الخطاب المتقدّم كان موجهاً لهم بالدرجة الأساس!

يبدو أنّ مديات علاقة أولئك الناصحين بالإمام الحسين عليه السلام وقربهم منه، لم تكن تتجاوز البعد العاطفي العادي، أو الانتماء النسبي الذي يفرض بطبيعة الحال هذا التعاطف، وإلّا فهو لم يرقَ إلى درجة الحب الموصل للاعتقاد اليقيني بأنّ الإمام الحسين عليه السلام إمام مفترض الطاعة، وأنّه أُولى بهم من أنفسهم. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤]، وهذا ما يفسّر غدر آلاف المبايعين الكوفيين لمسلم بن عقيل والإمام الحسين عليه السلام ـ ومن قبلهما للإمام الحسن والإمام علي عليه السلام ـ بمجرد اصطدامهم بوعي حقيقة وظرف المواجهة! بمعنى أنّ تفاعلهم العاطفي لم يكن منطلق من إحساس صادق وراسخ، ووعي تام ومتكامل، ورؤية عقلية ومنطقية ثابتة، ومبدأ صلب، ومعرفة حقّة متكاملة، إنّما كان تفاعل متقلّب تحكمه المصلحة، وتغيّره الفائدة، وتصوغه الظروف! وهي النمطية التفاعلية التي عبّر عنها الإمام عليه السلام بقوله: «**الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديانون**». وبقوله عليه السلام مخاطباً أعداءه في كربلاء: «**تباً لكم أيّتها الجماعة وترحاً، وبؤسا لكم! حين استصرختمونا ولهين، فأصرخناكم موجفين، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا، وحمشتم علينا ناراً أضرمناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلباً على أوليائكم، ويداً**

(٣) الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص٥٠٢. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٣٠. ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، ذوب النضار: ص٢٩. ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٢٧.

(٤) آل عمران: آية٣١.

عـلى أعدائكـم، مـن غير عدل أفشـوه فيكم، ولا أمـل أصبح لكم فيهـم، ولا ذنب كان منّا إليكم، فهلّا لكم الويلات إذ كرهتمونا والسـيف مشـيم، والجأش طامن، والرأي لم يستحصف، ولكنكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدِّبا، وتهافتم إليها كتهافت الفراش، ثمّ نقضتموهـا سـفهاً وضلةً، فبُعداً وسـحقاً لطواغيت هذه الأُمّة! وبقيّـة الأحزاب، ونبذة الكتـاب، ومطفئي السـنن، ومؤاخي المسـتهزئين، الذين جعلوا القـرآن عِضين، وعصاة الإمـام، وملحقي العهرة بالنسـب، ولبئس ما قدّمت لهم أنفسـهم أن سـخط الله عليهم وفي العـذاب هم خالدون، أفهؤلاء تعضـدون وعنّا تتخاذلون؟! أجل والله، خذل فيكم معروف، نبتت عليه أصولكم، واتزرت عليه عروقكم، فكنتم أخبث ثمر شجر للناظر، وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الظالمين الناكثين، الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقـد جعلـوا الله عليهـم كفيلاً، ألا وإنّ الدعـي ابن الدعـي قد تركني بين السـلة والذلّة، وهيهـات له ذلك منّي! هيهات منّا الذلة! أبى الله ذلك لنا ورسـوله والمؤمنون، وحجور طهـرت، وجدود طابت، أن نؤثر طاعة اللئـام على مصارع الكرام، ألا وإنّي زاحف بهذه الأُسرة على قلّة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر»[1].

إذن، الإمـام عليه السلام أوجـز طبيعـة المعرفة السـلبية، والعاطفـة الفارغـة المتقلبة تبعاً للمصلحـة والمنفعـة، والتي قادت أعـداءه للانحدار في طبيعة تفاعلهم وسـلوكهم، عـلى الرغـم من ادعائهـم الإسـلام والإيـمان والتصديق بالنبـوة والرسـالة، وحفظ القـرآن والتعامل بموجب مقرراته وقواعده، فكانوا بذلك كالذي انسـلخ من آيات ربّـه، فأخلـد إلى الأرض وصـار مثله كمثـل الكلب، وكإبليس الـذي غوى وأغوى مَـن اتبعـه، ولم ينفعه طول عبادتـه وسـجوده لله، وكالذين اتخذوا عاطفتهـم الزائفة وهواهـم آلهة لهـم، فكانوا كالأنعام، بل أضل سـبيلاً. فقد أدّت معرفتهم المعكوسـة للإسـلام، وهواهـم وعاطفتهم الضالـة المضلّة، إلى أن يصطفّوا لقتـل إمامهم الحق، وابن بـنت نبيّهم، ومَن أوصاهم القرآن بحبّه وطاعته ومودّته، بل راحوا يتسـابقون

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٤ـ٢٥. ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٢٤٠ـ٢٤١. ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٣٩ـ٤٠.

في ذلك، طاعة لكافر فاجر زنديق، متجاهر بالفسق والإثم، وإتيان الكبائر... وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً! قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[2].

وعلى العكس من ذلك تماماً كانت المعرفة الحقّة المتكاملة، والمودّة التي بلغت أوج مراحلها ـ بل بما لم ولن يشهد له تاريخ الإنسانية حتى تفنى مثيلاً آخر ـ عند أنصار الإمام الحسين عليه السلام، فجعلتهم يذوبون في شخص الإمام عليه السلام، حتى باتوا يستأنسون بالمنيّة دونه استئناس الطفل بمحالب أُمّه، ويجد أحدهم الموت دونه أشهى وأحلى من العسل. تمخّضت كربلاء عن مستويات من المعرفة والعاطفة، بلغت مستوى من العشق والتعلّق والذوبان في شخص القائد ومبدأ النهوض، ما عُرف له نظير حتى في مستويات الاستجابة والمعرفة الملتحقة بالنبي صلى الله عليه وآله، والإمام علي عليه السلام، فقد كان أنصار الإمام الحسين عليه السلام يتنافسون ويتسابقون في أن يُقتلوا بين يديه، ودون أطفاله وحريمه[3].

* إنّها المعرفة والتعلّق والعشق الذي جعل سعيد بن عبد الله الحنفي يقف أمامه؛ ليصد عنه السهام التي يُرمى بها، وهو يؤدي الصلاة، فتخترق وجهه وجسده، وهو

(١) الكهف: آية١٠٣ـ ١٠٤.
(٢) البقرة: آية٨ـ١٤.
(٣) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٤٢.

واقف يستقبلها برحابة صدر واطمئنان عجيب! حتى سقط إلى الأرض من كثرة ما أصابه منها[1]. وكان قال للإمام الحسين عليه السلام حين طلب منهم التفرّق عنه: «**والله، لا نخليك حتى يعلم الله أنّا حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله، لو علمت أنّي أُقتل، ثمّ أُحيى، ثمّ أُحرق، ثمّ أُحيى، ثمّ أُذر، يُفعل ذلك بي سبعين مرّة ما فارقتك، حتى ألقى حمامي دونك! فكيف لا أفعل وإنّما هي قتلة واحدة، ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها**»[2].

* إنّها المعرفة والعشق والذوبان في شخص الإمام عليه السلام، الذي أملى على مسلم ابن عوسجة بعد أن دنى منه حبيب بن مظاهر ليودعه، وهو يلتقط أنفاسه الأخيرة ويبشره بالجنة، ويقول له: «**لولا أنّي أعلم أنّي في أثرك لاحق بك، لأحببت أن توصيني بكل ما أهمّك**». أن يرد على حبيب قائلاً بصوت ضعيف: «**بل أنا أوصيك بهذا ـ رحمك الله ـ وأهوى بيده إلى الإمام الحسين عليه السلام، أن تموت دونه!**»[3]. وكان سمع الإمام عليه السلام قال لأصحابه في ليلة لعاشر من المحرّم: «**هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً**». فردّ عليه بحماسة، ورباطة جأش، واستعداد صادق وتام: «**أنحن نخلي عنك، ولما نعذر إلى الله في أداء حقك! أما والله، حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا أفارقك! ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك!**»[4].

* إنّها المعرفة والالتزام الصارم بالمبدأ والتفاني في المودّة والعشق، الذي جعل قيس ابن مسهّر الصيداوي، وعبد الله بن بقطر بعد أن أُلقي القبض عليهما في الكوفة،

---

(١) أُنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، جمل من أنساب الأشراف: ج٣، ص٤٠٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٤١. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٧١.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤١٩.
(٣) المصدر السابق: ج٥، ص٤٣٥ـ٤٣٦.
(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤١٩. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم: ج٥، ص٣٣٨.

وأُمرا بسبّ الإمام عليه السلام مقابل إطلاق سراحهما، يرفضان أن يسبّا الإمام الحسين عليه السلام، ويتبرآ منه، فيصعدان القصر ويسبّان الدعي ابن الدعي وأباه، ويدعوان الناس لنصرة الإمام الحسين عليه السلام فيرُميان من أعلى القصر أحياء![1].

لذلك استحق أنصار الإمام الحسين عليه السلام أن يُؤبّنهم بقولته الخالدة التي منحتهم الخلود والرفعة على مَن سواهم من الأصحاب: «**إنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي**»[2].

المبحث الثالث: مسارات التقييم المعاصرة والحاضرة

تباينت تبعاً لمستوى الوعي والمعرفة، والتوجّه العقدي والفكري، والاستعداد الشخصي للمواجهة والغاية، وجهات النظر والتقييم للثورة الحسينية سواء كانت هذه التقييمات منتمية لعصر الحادثة أم للوقت الحاضر.

فعلى الرغم ممّا أبداه عبد الله بن عمر من تعاطف مع الإمام الحسين عليه السلام، وصل حسب النقل التاريخي إلى أن اعتنقه وبكى رغبة في ثني عزيمته عن الخروج إلى العراق والإبقاء عليه[3]. نجده يتحدّث بتغافل تام عمّا بيّنه الإمام عليه السلام من أسباب خروجه وغاياته، وبعيداً حتى عن المنظور الإسلامي بلحاظ معرفته بشخص يزيد وطبيعة سلوكه! مفصحاً بذلك عن نمطية تفكير وتفاعل يمكن القول: إنّها من أسوأ النمطيات المجتمعية الإسلامية، إذ نجده يطلب من الإمام عليه السلام الدخول ـ حسب تعبيره ـ في صالح ما يدخل فيه الناس، وأن لا يخرج، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خيّره الله

(١) أُنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٦، ص٤٣٥، ص٤٤٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٩٥ـ٣٩٨، وص٤٠٥.

(٢) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٧٤. الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٠. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩١.

(٣) أُنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٦، ص٤٢٥. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص٢٠٨. الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج٥، ص٨. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٥.

بـين الدنيا والآخرة، فاختـار الآخرة، وإنّه بضعة منه، وإنّه لا يُعطاها ـ أي: السـلطة والحكم/ الدنيا ـ ثمّ اعتنق الإمام وبكى. وكان يقول: «**غلبنا حسين بن علي بالخروج، ولعمري، لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له أن لا يتحرّك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس، فإنّ الجماعة خير!**»[1].

وعلى هذا المنوال ومسـار التفكير المعوج تندرج نصيحة أبي سـعيد الخدري الذي قال للإمام عليه السلام: «**اتق الله في نفسـك، والزم بيتـك، فلا تخرج على إمامك!**»[2]. ونصيحة أبي واقد الليثي الذي قال: «**بلغني خروج حسين، فأدركته، فناشدته الله أن لا يخرج؛ فإنّه يخرج في غير وجه خروج، إنّما يقتل نفسـه**»[3]. وما نُسـب لجابر بن عبد الله الأنصاري أنّه قال: «**اتق الله، ولا تضرب الناس بعضهم ببعض، فو الله ما حُمدتم ما صنعتم**»[4].

وهكـذا هـي عمـوم النصائح التـي قُدّمت للإمام الحسـين عليه السلام والتقييـمات التي أدلـت بهـا النمطيـة الفكريـة المتخلّفة عـن الإمام عليه السلام، نجدهـا تعبّر عـن تصارع بين منظـور العقـل العاطفي ومنظـور العقلية الماديـة النفعية، أو التي تؤثر السـلامة على أيّـة حـال، خلافاً لمنطق القرآن والدين، والفطرة السـليمة! فعلى الرغم من أنّ هؤلاء الناصحـين يستشـعرون المكانة الروحية والعاطفيـة ـ وإن بدرجات متفاوتة ـ للإمام الحسـين عليه السلام في قلوبهـم، ويدركـون أنّ إذعانهـم لحكومة يزيـد، إنّما فرضـه موروث الواقـع التاريخـي والفكري المعـوج، إلّا أنّ ذلك التعلّق العاطفـي، وهذا الإدراك، لم يرتقيا بتلك النمطيات المجتمعية للتفاعل بشـكل إيجابي مع تحرّك الإمام عليه السلام، فآثرت أن تنظـر للحراك عـلى أنّه قضية شـخصية خاصّة بالإمام عليه السلام! عاكسـة بذلك صورة واضحـة لتجاذب متباينة التخلّف عن ندائه النبوي الإسـلامي الأصيل، والرغبة في الاعتـذار عن هذا التخلّف، و تبريره بصـورة أو بأُخرى، كما تعكس صورة واضحة

(١) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٦، ص٤٢٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

لانهيار المنظومة القيمية، والمبدئية، والدينية الأصيلة، لدى شريحة واسعة من أبناء المجتمع الإسلامي حينها. فكأنّك تلحظ أنّ هؤلاء الناصحين في وادٍ والإمام عليه السلام في وادٍ آخر، فهم يختلقون لأنفسهم الأعذار والمبررات للهروب من الصدام بين الدنيا والآخرة، الصدام الذي أوجزه الإمام عليه السلام بقوله: «**مَن لحق بي استُشهد ومَن تخلّف عنّي لم يبلغ الفتح**»[1]. ونحن هنا بمواجهة حقيقة صارخة أحرجت الوجدان الإسلامي ككل، ووضعت جميع مَن تخلّف عن الإمام الحسين عليه السلام بموقع المساءلة والتأرجح في الانتماء!

بعبارة أُخرى يمكن القول: إنّ تحرّك الإمام الحسين عليه السلام قد أعاد صياغة واقع الجماعة الإسلامية، وبلور محاور الاصطفاف ونمطياته المجتمعية المتباينة، وقد أخذ هو ومَن لحق به دور البديل الأصيل عن النبي صلى الله عليه وآله، والمؤمنين الذين التحقوا به، وجاهدوا معه، ونصروه وواسوه بأنفسهم وأموالهم، ولم يشكوا أو يرتابوا أو يترددوا للحظة واحدة بما أقدموا عليه، بينما أخذ الأُمويون ومَن ناصرهم وشايعهم دور المشركين وأئمّة الضلال من قبلُ. وبينهما كان هناك (المحايدون/ المتخلّفون/ المتشكّكون) الذين حاول جاهداً استجلابهم لجانبه، لكنّهم لم يرتقوا بمستوى معرفتهم وحبّهم وإخلاصهم، وإيمانهم بالمبادئ الإسلامية الأصيلة، ولم يمتلكوا الشجاعة الكافية ليقفوا وقفة صريحة وصادقة مع نفوسهم، كما لم يرتقوا بطريقة تفكيرهم وتقيمهم للأُمور، ولم ينظروا لأبعد من مواطئ أقدامهم.

وعليه؛ فالمسألة لا تتعلّق بالمعرفة والعاطفة بقدر تعلّقها من صدور هذه المعرفة والعاطفة من العقل والوعي التام، والقناعة الراسخة، والقراءة المنطقية التي تعقل الأُمور وتضعها في نصابها الصحيح! مضافاً للتوفيق والتفضّل الإلهي في إنماء هذه

(١) الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص٥٠٢. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٣٠. ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، ذوب النضار: ص٢٩. ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٢٧.

المعرفة والعاطفة، وجعلها فاعلة طريق الإيجاب.

على أنّ متباينة المعرفة والعاطفة لا تزال حاضرة فاعلة اليوم، يمثّلها في جانبها الإيجابي شيعة أهل البيت عليهم السلام المخلصون بولائهم وودهم؛ المتأتي من المعرفة الحقّة بعدالة قضيتهم ومبدأية موقفهم، وتماهي مشروعهم الإصلاحي مع مقررات الفكر الجدّي والفطرة السليمة، وما أمر به وأرساه القرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة، فترى التفاعل العاطفي والمحبّة والمودّة تجتذب أولئك الشيعة من شرق الأرض وغربها، لإحياء مراسم عاشوراء، وإظهار حالة التفجع والألم والحزن لمصيبة الإمام عليه السلام، وإقامة مراسيم عزائه في شتّى أصقاع المعمورة، حتى تتشح مناطق واسعة منها بألوان السواد والحزن، كما تجتذبهم لإحياء المهرجان العالمي في زيارة الأربعين التي باتت ظاهرة عالمية، تشتاق إليها النفوس، وتتزاحم للمشاركة فيها كل سنة، لتحقق مقولة: كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء.

ويتحقق استشراف بطلة كربلاء العقيلة زينب عليها السلام، حين رأت الإمام السجاد يجود بنفسه، وتخنقه العبرة واللوعة حزناً على أبيه، وصحبه، وجسومهم المقطعة في صحراء كربلاء، فقالت له: «**ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي؟... لا يجزعنك ما ترى، فو الله، إنّ ذلك لعهد من رسول الله إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أُناس من هذه الأُمّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة، فيوارونها، وهذه الجسوم المضرّجة، وينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء لا يُدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمّة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلّا ظهوراً وأمره إلّا علواً**»[1].

كما تجتذبهم تلك المعرفة والمودّة إلى التسابق في تقديم الغالي والنفيس في سوح الجهاد المقدّس، لإرساء مبادئ العدالة وقيم الإنسانية والحرية والعقيدة الحقّة،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٧٩ـ١٨٠.

التي نذر الإمام الحسين وأهل بيته وصحبه عليهم السلام، أنفسهم قرابين لإرسائها وتحقيقها بشكلها الأمثل والأوفى لخير الإنسانية جمعاء.

في حين يمثّلها في صورتها السلبية الفجّة والقبيحة مآثم الفكر المعوج، والمعرفة المشوهة الفاسدة المفضية إلى الجهل التخلّف، والانحطاط الإنساني، والتسافل القيمي، لخوارج العصر من التكفيريين والإرهابين والمتطرّفين، ومَن يساندهم اتباعاً للهوى والمصلحة والفائدة، وما ينشرونه من قتل وجرائم إبادة، ودمار وخراب، وظلام وفساد، في كل بقعة حلّو فيها أو طالتها أيديهم النجسة الآثمة، وما يُسممون به فكر المسلمين وعقائدهم وسلوكياتهم من فتاوى الإجرام، والبدع، والضلالة، والتطرّف، والجهل.

وبين هؤلاء وأولئك تتباين المعرفة والعاطفة، وتجنح ببعض مَن يحسبون أنفسهم من شيعة أهل البيت عليهم السلام إلى التطرّف والغلو، وإتيان البدع الضالة والمضلّة، وادعاء الإمامة أو النيابة والانتماء لمنظومة الظهور المتأمل، والمنتظر بغير وجه حق... والإساءة لأهل البيت عليهم السلام حتى في الشعائر التي يؤدونها، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، ويتقرّبون إلى الله وإليهم بها! بل وتجنح حتى للخروج من المذهب والاعتقاد السليم في بعض الأحيان! وبالمقابل قد تؤول ـ وإن بأمثلة بسيطة ـ بأصحاب الفكر الضال والمعوج إلى الاهتداء إلى الطريق السليم الصحيح، وكشف زيف وضلالة فكرهم ومنهجهم القديم، الذي أملاه عليهم اتباع الهوى والتقديس الأعمى، فتعود بهم لفطرتهم الإنسانية السليمة، كبعض المستبصرين مثلاً.

وعليه؛ نعود للقول: إنّ المسألة لا ترتهن للمعرفة والعاطفة بقدر ما ترتهن لنوعية هذه المعرفة والعاطفة، واستعداد وقدرة الفرد على إنمائها وتوظيفها بالصورة الإيجابية والسليمة، أو الانخداع بواقعهما المشوّه، والفاسد، والقاصر، والأجوف، والانسياق أمامهما بشكل سريع نحو الهاوية ومنزلق التسافل. ولذا نسأل الله تعالى أن يرزقنا وإيّاكم حسن العاقبة.

نتائج البحث

١ ـ تبيّن من خلال البحث أنّ المعرفة والعاطفة تشكلان نقطة الارتكاز وخط الشروع لتبني المواقف سواء كانت سلبية أم إيجابية.

٢ ـ اتضح أنّ إيجابية أو سلبية المواقف المتخذة تعتمد على نوعية المعرفة والعاطفة، وطبيعة استكمال كل منهما لقيمه الذاتية، وهذا ما فسّر بدوره تباين المواقف المتخذة في كربلاء.

٣ ـ خلص البحث إلى أنّ متباينة المعرفة والعاطفة لا تزال وستبقى هي المتحكّمة بصياغة طبيعة العلاقة بين الأطراف المتصارعة، حاكية بذلك أزلية صراع الخير والشرّ، وأنّ ما تشهده الساحة اليوم ـ سيّما في العراق ـ من حرب مع الإرهاب، والتطرّف، والعنف، ما هو إلّا انعكاس آخر لتلك المتباينة.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١ ـ أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (٢٧٩هـ/ ٨٩٢ م)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط١، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان.

٢ ـ الأمالي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(الصدوق) (ت٣٨١هـ/ ٨٩٤ م)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، ط١، ١٤١٧هـ/ ٢٠٠٧م، قم ـ إيران.

٣ ـ الاحتجاج، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، دار النعمان، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، النجف الأشرف ـ العراق.

٤ ـ الإمامة والسياسة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، القاهرة ـ مصر.

٥ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (المفيد) (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار المفيد، بيروت ـ لبنان.

٦ ـ أخبار القضاة، القاضي محمد بن خلف بن حيان المعروف بـ(وكيع) (ت٣٠٦هـ/ ٩١٨م)، مراجعة: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان.

٧ ـ البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، تحقيق: علي شيري، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

٨ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان.

٩ ـ تاريخ الإسلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (الذهبي)

(ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

١٠ ـ تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن الحسين (ابن شعبة الحرّاني) (من أعلام القرن الرابع الهجري)، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان.

١١ ـ تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، ط٤، ١٤٠٣هـ/ ١٩٩٣م، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان.

١٢ ـ تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ابن عساكر) (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تحقيق: علي شيري، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

١٣ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج يوسف المزي (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط٤، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

١٤ ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، كان حياً عام (٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)، دار صادر، بيروت ـ لبنان.

١٥ ـ ثواب الأعمال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/ ٨٩٤م)، ط٢، مؤسسة الشريف الرضي، قم ـ إيران.

١٦ ـ الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (البخاري) (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، بيروت ـ لبنان.

١٧ ـ جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (٢٧٩هـ/ ٨٩٢ م)، تحقيق: سهيل زكار، ورياض زركلي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

١٨ ـ الدر المنثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (السيوطي) (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)،

دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.

١٩ ـ ذوب النضار في شرح الثار، جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله (ابن نما الحلي) (ت٦٤٥هـ/ ١٢٤٨م)، تحقيق: فارس حسون كريم، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران.

٢٠ ـ سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٩، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

٢١ ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي(٩٤٢ هـ/ ١٥٣٥م)، تحقيق: عادل أحمد، وعلي محمد، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٢٢ ـ سر السلسلة العلوية، أبو نصر سهل بن عبد الله بن داوود البخاري (ت بعد٣٤١هـ/ ٩٥٣م)، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، (١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ـ العراق.

٢٣ ـ صحيح ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ابن حبان) (ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

٢٤ ـ الطبقات الكبرى، ، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ابن سعد) (٢٣٠هـ/ ٨٤٤ م)، دار صادر، بيروت ـ لبنان.

٢٥ ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، جمال الدين أحمد بن علي الحسني (ابن عنبة) (ت٨٢٨هـ/ ١٤٢٥م)، تحقيق: محمد حسن، ط٢، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ـ العراق.

٢٦ ـ الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤ هـ/ ٩٢٦م)، تحقيق: علي شيري، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان.

٢٧ ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، ط٢، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٢٨ ـ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن الشيباني (ابن الأثير) (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، دار صادر، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، بيروت ـ لبنان.

٢٩ ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (٦٩٣هـ/ ١٢٦٥م)، دار الأضواء، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، بيروت ـ لبنان.

٣٠ ـ الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت٣٢٩هـ/ ٩٥٠م)، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، ط٣، ١٣٨٨هـ/ ١٩٤٦م، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران.

٣١ ـ كنز العمال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م)، ضبط وتصحيح: بكري حيّاني، وصفوة السقا، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

٣٢ ـ اللهوف على قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن طاووس (ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م)، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، قم ـ إيران.

٣٣ ـ المسند، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، دار صادر، بيروت ـ لبنان.

٣٤ ـ المعرفة والتاريخ، أبو يوسف يعقوب بن سليمان الفسوي (ت٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، مكتبة الدار، المدينة المنورة ـ السعودية.

٣٥ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي (ابن الجوزي) (٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م)، تحقيق: محمد، ومصطفى عبد القادر عطا، ط١،

١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
٣٦ ـ مناقب آل أبي طالب، مشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي ابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٦هـ ١٩٥٦ـم، النجف الأشرف ـ العراق.
٣٧ ـ المعجم الصغير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
٣٨ ـ المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م، دار إحياء التراث، بيروت ـ لبنان.
٣٩ ـ معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧م، بيروت ـ لبنان.
٤٠ ـ مختصر كتاب البلدان، أبو بكر أحمد بن محمد ابن الفقيه الهمذاني (ت٣٤٠هـ/ ٩٥١م)، ط١، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، مطبعة بريل، ليدن ـ هولندا.
٤١ ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم الإصفهاني (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، ط٢، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيران.
٤٢ ـ المزار، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (المفيد) (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، تحقيق: محمد باقر الأبطحي، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار المفيد، بيروت ـ لبنان.
٤٣ ـ مثير الأحزان، جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله ابن نما الحلي (ت٦٤٥هـ/ ١٢٤٨م)، المطبعة الحيدرية، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، النجف الأشرف ـ العراق.
٤٤ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، بيروت ـ لبنان.

المنظومة القيمية للنهضة الحسينية

أ. م. د. راغدة محمد المصري*

شـهد العـالم تحوّلات كبـيرة في منظمومته القيميـة (*Value System*) مع الحداثة ومـا بعـد الحداثـة، فالحداثة همّشـت الدين ومـا وراء المـادة، وما بعـد الحداثة ألغت الاعتبـارات الدينيـة والغيبية، ولا وجـود عندها لحقيقة واحدة، إنّـما حقائق متعدّدة يصوغها الإنسـان نفسـه، وفق منظومة لا تخضع إلى معايير ثابتة من احترام الثقافات والديانات، مؤطّرة في حدود النفعية، جُلّ اهتماماتها مادّية مطلقة.

وأحـدث الانفتـاح عـبر وسـائـط الإعـلام الجديـد (*New Media*) جملة من التحوّلات على مستوى المعايير الاجتماعية (*Social Norms*)، والأنماط الحياتية، إضافةً إلى تغييرات محسوسة في بنية العلاقات الفردية والاجتماعية؛ ممّا جعلها إحدى عوامل صياغـة الوعي الفردي والجمعي للمجتمع المعاصر (*Contemporary Society*).

وتُطرح إشكالية منظومة القيم (*Value System*) كوسيلة لتعزيز القيم وترقيتها في الممارسة وعلى مسـتوى البُنية الاجتماعية (*Social Structure*)؛ للحفاظ وصون وحـدة المجتمع من الصراعات والتفكّكات، وتظهر قوة القيمة (*Value*) في التفاعل مـع الآخـر ومـا تطرحـه، والتغييرات عـلى مسـتوى المجتمعـات والشـعوب، التي تعيـش فراغاً نتج عنه ثقافـات متعدّدة متباينة، هدّدت النسـيج الاجتماعي، واتّجهت بـه نحو العدميـة العابثة؛ فانتشر العنف، والإرهاب، والتطـرّف، والفوضى الخلّاقة، والتعصّب.

---

* الجامعة اللبنانية/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

وبـات مـن الضروري اليوم التوافـق على منظومة قيمية حضاريـة عالمية، بعد أن طُرحت القيم بإشكاليات ومباحث متعدّدة؛ لتشكّل مرجعية ثابتة ومرشدة للحراك الإنساني والتعايش السلمي.

فـما هـي المنظومـة القيميـة القـادرة عـلى معالجـة إشـكاليات المرحلـة دون المسّ بالخصوصيات العقدية والثقافية؟

شـكّلت المنظومة القيمية الحسـينية بامتدادها الزماني والمـكاني، منظومة متكاملة محكمة النسـيج، مترابطـة الحلقات، تقوم على أركان ثابتة من القرآن الكريم، وسـنّة الرسـول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، تجسّـدت تطبيقات عملية في سلوك الإنسان، ممّا جعلها تُمثّـل النمـوذج الأمثل كمنتج معـرفي، وعقدي حضـاري متجـذّر في الإرث الثقافي الإسـلامي، فهي ليسـت مجرّد حادثة تاريخية، بل نهضة حيّة متجدّدة تعبِّئ نسـقاً من القيّم للأجيال عبر العصور.

أركان المنظومة القيمية الحسينية

المنظومـة القيميـة الحسـينية منظومة عقدية تشريعية مشـبّعة بالإيـمان المرتبط بالله تعالى، المتمثّل بطاعته وإقامة حدوده، من أجل الإنسـان الذي اسـتخلفه واسـتعمره في الأرض، وقد تجلّى البعد الديني في عدد من المؤشّرات:

المؤشر الأوّل: الارتباط بالله تعالى، المتمثّل بطاعة الله وإقامة حدوده

حدّد الإمام الحسين عليه السلام أسباب حراكه: «**مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِراً مُسْتَحِلاً لِحَرَمِ الله، نَاكِثًـا لِعَهْدِ الله، مُخَالِفاً لِسُـنَّةِ رَسُـولِ الله، يَعْمَلُ فِي عِبَـادِ الله بِالإِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ، فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْـهِ بِفِعْـلٍ وَلا قَوْلٍ، كَانَ حَقّاً عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ، أَلا وَإِنَّ هَؤُلاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّـيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَـادَ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَيْءِ، وَأَحَلُّوا حَرَامَ الله، وَحَرَّمُوا حَلالَهُ، وَأَنَا أَحَقُّ مَن غيّر**»[1].

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٣٠٧.

هـذا النصّ خطابٌ عام وليس خاصاً بعهده، بـل في كلّ زمان ومكان: «**مَنْ رَأَى سُلْطَاناً جَائِراً**»، وحدّد أفعال الحاكم الظالم وأعوانه:

- يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان.
- أظهروا الفساد.
- وعطّلوا الحدود، أي: القوانين.
- واستأثروا بالفيء، بما يفيء به الله على المسلمين وعلى الناس.

المؤشّر الثاني: العبادة

أعطَـت المظاهـر العبادية والروحيـة دلالات واضحة لدرجة الإيـمان والارتباط المطلق بالله، وصلت إلى حدّ العرفان والعشق، وتجلّت بوضوح من خلال:

١ ـ **الصـلاة**: إنّ إقامـة الصـلاة في كربـلاء، تُعطـي دلالـة واضحـة عـلى الإيمان والصـلاح والحرص على حقن الدماء على أكمل وجه، حيث تجسّـد الإصلاح فيها؛ لتنهى عن الفحشـاء والمنكر بكلّ أشـكالها، فقد عمل الإمام الحسين عليه السلام ليلة العاشر من المحرم على تأجيل القتال عندما بدأ جيش العدو يزحف باتّجاه معسكره، فأرسل أخاه العباس بن علي عليهما السلام، ليتفاوض مع القوم حتى يُرجئوا القتال إلى الغد، فقد قال لأخيـه العباس عليه السلام: «**ارجع إليهم، فإن اسـتطعت أن تؤخّرهم إلى الغُدوة وتدفعهم عنّا العشـيّة؛ لعلّنا نصلّي لربّنا الليلة**»[1]. كما صلّى صلاة الخوف قصراً يوم العاشر، وسهام الأعداء تهوي عليه بالرغم من استمهاله إيّاهم[2].

٢ ـ **القرآن الناطق**: كان الإمام الحسـين عليه السلام ومنذ بدايـة تحرّكه يكثر قراءة القرآن، ويجادل ويحاجج به، وعمل على تشخيص مصاديق بشرية تنطبق عليها آياته.

٣ ـ **المناجاة**: بقي الإمام الحسـين عليه السلام يلهج لسـانه بذكر الله والدعاء والاسـتغفار

---

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٠ـ٩١.

(٢) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٦٦.

حتى لفَظَ آخر أنفاسه الكريمة، ومناجاته المستمرّة لم تنقطع في الرّخاء والشدّة إلى أن استُشهد، ولم يشغله ألم الجراح عنها حيث يقول: «**اللّهم، أنت ثقتي في كلّ كربٍ، ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقةٌ وعدّة، كم من همٍّ يضعُفُ فيه الفؤاد، وتقلُّ فيه الحيلةُ، ويخذُلُ فيه الصديقُ، ويشمتُ فيه العدوّ، أنزلته بك وشكوته إليك؛ رغبةً منّي إليك عمَّن سواك، ففرّجتَه وكشفتَه، وأنت وليُّ كلّ نعمةٍ، وصاحبُ كلِّ حسنةٍ، ومنتهى كلّ رغبةٍ**»[1].

المؤشر الثالث: العدل ـ القسط

ركزّ الإمام الحسين عليه السلام على دعم سيادة القانون لتحقيق العدالة ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[2]، وذكر معايير جعلها مقياساً لقيمة الحاكم، ففي جوابه عليه السلام لأهل الكوفة: «**فلعمري، ما الإمامُ إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله**»[3].

- «**العامل بالكتاب**»: فهو يعمل وفق ما جاء في كتاب الله عزّ وجلّ، أوامره ونواهيه.
- «**الآخذ بالقسط**»: القسط: هو إقامة العدالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
- «**الحابس نفسه على ذات الله**»: القادر على ضبط نوازعه الذاتية، وربطها بمشيئة الله.

المؤشّر الرابع: الإصلاح

حدّد الإمام عليه السلام الهدف من خروجه، إصلاح المجتمع في أُمّة جدّه، بقوله: «**وإنّي لم أخرج أشِراً ولا بَطِراً، ولا مُفسِداً ولا ظَالِماً، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أُمّة جَدّي صلى الله عليه وآله، أُريدُ أنْ آمُرَ بالمعروفِ وأنْهَى عنِ المنكر، وأسيرَ بِسيرَةِ جَدّي وأبي علي بن**

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٦.
(٢) الحديد: آية٢٥.
(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٣٩.

أبي طَالِب، فمَن قبلني بقبول الحق فالله أوْلى بالحق، ومَن ردّ عليّ أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق»[1].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشمل الجوانب:

١ ـ **الاجتماعية**: لمحاربة الفساد والظلم وتحقيق الأمن الاجتماعي.

٢ ـ **الاقتصادية**: الفيء الذي يُعبّر عن ميزانية الدولة الإسلامية.

٣ ـ **الحقوقية**: إقامة القضاء ومعرفة الحقوق.

٤ ـ **الإرشادية الإصلاحية للعودة إلى الدين**: فهم أحلُّوا حرام الله، وحرَّمُوا حلاله.

أمّا الوسيلة التي سيعتمدها:

- السلم.
- الصبر إلى أن يقضي الله بينه وبينهم.

والمعيار الأساسي: الحق، «**فمَن قبلني بقبول الحق فالله أوْلى بالحق**».

جاءت النهضة الحسينية كضرورة حتمية، في وقت انحرف الحكم الأُموي بالرسالة، فعمل الإمام الحسين عليه السلام على إعادة التوجيه إلى الخط المحمدي بافتعال صدمة قوية تقوم على تنبيهه من الغفلة، وجعل الشهادة وسيلةً لتركيز مفهوم الامتداد والبقاء الفعلي للرسالة المحمدية، وكانت تطبيقاً لقول الرسول صلى الله عليه وآله: «**حسين منّي وأنا من حسين**»[2].

شهدت حادثة كربلاء اهتماماً من قبل كبار المفكّرين والعلماء والأُدباء والشعراء والمؤرِّخين، فلا تكاد تجد مؤرِّخاً يهتمّ بالتاريخ الإسلامي أهمل فاجعة كربلاء، كما تناولها العديد من الباحثين الغربيين؛ لتأثيرها المباشر على (الثورات الشعبية)، بعد أن رسّخت مبادئ أساسية تُعنى بالإنسانية في كلّ زمان ومكان، من التوابين وصولاً إلى

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٢٧.

الثورة الإسلامية المعاصرة وحركات التحرّر التي تزايد نشاطها في العقود الأخيرة، وجاء كلّ ما عندها من كربلاء، مشحذة الهمم وموقظة الضمائر التي خنقها الإرهاب، بمناقبية عالية، وروحٍ نضالية، من أجل الحرية والكرامة، تحت شعار: (كلّ أرضٍ كربلاء، وكلّ يومٍ عاشوراء)؛ لتتلاقى صيحات المقاومة والحشد الشعبي: (هيهات منّا الذلة)، ويتحطّم جبروت الاستكبار الصهيوني، و ينهزم المشروع التكفيري الحاقد.

القيم الإنسانية الحضارية

حملت المنظومة الحسينية معطيات فكرية وأخلاقية، استهوت القلوب والضمائر الحرّة، في أمكنة وأزمنة مختلفة، بعيداً عن أي صبغة مذهبية أو دينية، «**إنّ ثورة الحسين ليست صرخة اعتراضية على حالة تاريخية محدّدة، مكتفية بأهدافها ومكانها وزمانها... وليست ثورة حسينية شيعية حصرية وكفى... وليست ثورة إسلامية جامعة عامة وكفى... إنّها ثورة إنسانية شاملة مطلقة، تعني كلّية الإنسان، جوهراً وروحاً وقيماً، كياناً وكينونةً في كلّ آنٍ ومكانٍ، إنّها ثورة ترسم هداية الطريق البشري في منطلقاته وأبعاده مثالاً عالمياً للأزمنة والأجيال، هكذا الدعوات والرسالات، بالتضحية تنتصر وبالشهادة تنتشر**»[1].

استمدّ الحراك الحسيني بُعده الزمني بعنصري الاستمرار والتجدّد؛ لما حواه من قيم عالية منذ لحظة وقوعه، فهو نهضة مستمرّة في كلّ مكان تُنتهك فيه الحقوق وتُهدر القيم، فهو مبعث المعرفة في إطار حركة المجتمع، ومحرّك الأفراد والجماعات، من خلال الوعي بمفهوم الحرية والظلم والعدوان والمقاومة، والمدخل الصحيح لفهم كيفية مواجهة الاستبداد والإرهاب، ومسعى الفرد الواعي بذاته وبالآخر، وهذا ما أعطاه صبغته العالمية لحركات ثورية متعدّدة، كتجربة غاندي الذي يقول: «**تعلّمت**

(١) الهاشم، جوزيف، أبعاد الاستشهاد في ثورة الحسين، محاضرة أُلقيت في محرم (١٤١٥هـ) في مركز الإمام الخميني الثقافي، لبنان.

من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر»[1]. ويخاطب شعب الهند قائلًا: «**على الهند إذا أرادت أن تنتصر، أن تقتدي بالإمام الحسين»**[2].

و(ماوتسي تونغ) زعيم الثورة الصينية خاطب الرئيس ياسر عرفات بقوله: «**عندكم تجربة ثورية قائدها الحسين وهي تجربة إنسانية فذّة، وتأتون إلينا لتأخذوا التجارب»**[3].

والقائد الفيتنامي (هو شي منه *ô Chí Minh*)، وهو يخاطب جنوده: «**وأنتم في خنادقكم انظروا إلى ذلك الرجل الشرقي، الحسين العظيم، الذي زلزل الأرض تحت أقدام الطغاة»**[4].

كذلك الحال لسليمان كتاني وهو يقول: «**أفتخر بالإشارة إليه، أحرز الجائزة الأُولى في مضمار التأليف عن الإمام الحسين عليه السلام، ليس لأنّه انخط بحرف من حروفي الأدبية؛ بل لأنّه ازدان بلون الصدق المطرّز بالإمام الحسين عليه السلام، عنوان الكتاب (الإمام الحسين في حلة البرفير)، والبرفير أو الأرجوان، هو الأحمر الزاهي الذي تضرّجت به جبّة الحسين عليه السلام، وهو يخوض غُمار المعمعة الوسيعة التي نقلته من خشبةٍ حزينة رُسمت لمسرح كربلائي، إلى امتداد ملحميٍّ يحيى فيه أبطال الملاحم، من دون أن تمسّهم لا هفوات المكان ولا لهوات الزمان، بل تنشرهم إلى علاء أُبّهة الفضاء وصفوة الضياء»**[5]. امتلكت النهضة الحسينية قدرةً على الاستقطاب الجماهيريّ وقوّة الجذب في الخطاب العاشورائيّ لما تحمله من قيم.

---

(١) قصة تجاربي مع الحقيقة، وأُنظر أيضاً: كتاب: هاشمي نژاد، شهيد عبد الكريم، درسي كه حسين عليه السلام به إنسانها آموخت (الدرس الذي علمّه الحسين للإنسانية): ص٤٤١.

(٢) المنتفكي، عبد الله عدنان، الثورة الحسينية في الفكر العالمي، مجلة الثقافة الإسلامية، المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، عدد تموز/ آب ١٩٩٣م: ص٤٤.

(٣) جريدة النهار الكويتية، ٧/ يناير/ ٢٠٠٩م.

(٤) شبكة النبأ المعلوماتية، ١٧/ كانون الثاني/ ٢٠٠٩م.

(٥) كتاني، سليمان، الحسين عليه السلام مدرسة الأحرار، محاضرة أُلقيت في محرم (١٤١٥هـ)، في مركز الإمام الخميني الثقافي، لبنان.

المؤشر الأوّل: النزعة الإنسانية

إنّها ثورة الإيمان من أجل الإنسان، حركة بعيدة عن القومية والعنصرية، فهو الذي صبغ معسكر الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ شارك في كربلاء مجموعة متنوّعة في مذاهبها وأعراقها، من تنوّع ديني ومذهبي وقومي، وتحطّمت فوارق الطبقات الاجتماعية معه، الحر والعبد. وقف (جون بن حويّ النّوبي) ـ المعروف بـ(جون مولى أبي ذر) ـ وهو عبد أسود اللون، أمام الإمام الحسين عليه السلام يستأذنه في القتال، فلمّا استُشهد نظر إليه الإمام الحسين عليه السلام، وقال: «**اللّهم، بيّض وجهه، وطيّب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعرّف بينه وبين محمد وآل محمد** صلى الله عليه وآله»[1].

وكان هناك تكاملٌ في الأدوار والمهمّات: الطفل، الشيخ، الشاب، والمرأة، شركاء في النهضة الحسينية ومسيرة الحركة الإصلاحية، وتُمثّل السيّدة زينب عليها السلام نموذجاً للمرأة المسلمة ودورها في الحراك السياسي الاجتماعي، خاصّةً وأنّه من خلالها استمرّت حركة الإمام الحسين عليه السلام إلى ما بعد العاشر من محرم، تردّد صدى كلماتها على مدى الزمن.

المؤشّر الثاني: نبذ العنف ومنع سفك الدماء

أكّد الإسلام على مسألة السلم والسلام، والقيم الناظمة للعلاقات الاجتماعية في مجال تحقيق الأمن النفسي، ودعا للتعافي والتصالح والعلاقة القائمة على الاحترام المتبادل والمحبّة والوئام والثقة؛ لذلك حرص الإمام الحسين عليه السلام على حقن الدماء، وظهر ذلك من خلال:

١ ـ خروجه من المدينة ومكة كي لا تُستباح حرمتهما، وكان يقول لمن طلب منه الالتجاء إلى مكة: «**إنّ أبي حدّثني أنّ لها كبشاً به تُستحلّ حرمتها، فما أحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش**»[2].

---

(١) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٣.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٣٨.

٢ ـ وقال لعبد الله بن الزبير: «**يا بن الزبير، لأن أُدفن بشاطئ الفرات أحبّ إليّ من أن أُدفن بفناء الكعبة**»[١].

ورفض الإمام الحسين عليه السلام البدء بالقتال في أكثر من مكان:

- في طريقه إلى كربلاء، كان قوله عليه السلام: «**ما كنت لأبدأهم بالقتال**»[٢].
- عندما التقى بأحد الألوية وكانوا عطاشى مع خيولهم، أمر أتباعه بسقي الجيش والخيول، وقال لهم: «**اسقوا القوم وارووهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفاً**»[٣]، سقى الإمام الحسين عليه السلام بنفسه ابن طعان المحاربي[٤].
- وقف شمر أمام معسكر الحسين عليه السلام في عاشوراء وبدأ يكيل السباب والشتم للإمام عليه السلام، فأراد مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم، فقال له الإمام عليه السلام: «**لا ترمِه؛ فإنّي أكره أن أبدأهم**»[٥].

٣ ـ إقامة الصلاة في عاشوراء.

المؤشّر الثالث: الحرّية

الحرية ذات تأصيل فقهي وعقدي في الإسلام، تظهر جلياً في العلاقة التكاملية التي تربط مسألتي التوحيد والحرية، فالحرية وعدم إهدار الكرامة من القيمّ العليا اللتين تستحقّان السعي إليهما، وإن كانت التضحية من أجلهما بالنفس.

رفض الإمام الحسين عليه السلام حياة الذلّ قائلاً: «**ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منا الذّلة**»[٦]. وقال عليه السلام: «**لا والله، لا أُعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد**»[٧].

---

(١) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٤.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٨٤.

(٣) المصدر السابق: ص٧٨.

(٤) أُنظر: المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق: ص٩٦.

(٦) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٥٦.

(٧) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٨. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ص٦١ـ٦٣.

كما طلب من أعدائه أن يعيشوا أحراراً بقوله: «**إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم**»[1].

فتح الحراك الحسيني آفاقاً جديدة في فهم حقوق وواجبات الفرد داخل الدولة؛ إذ برز فيها عدم فرض قيود على الآخرين، ممّا يُتيح تحوّل الأفراد والمجموعات لمزيد من التمدّن ويؤصّل من قيمة الحرية.

أرادها نهضة برضى الناس وقناعتهم، دون فرض أو إكراه، ثمّ فهي من أجل الناس، وتحقيق مصالحهم الدينية والدنيوية، فبالرغم من سلطته الزمنية والروحية، كان يحثّ الناس على المشاركة السياسية والانتقاد، ويشجعهم على الاعتراض الذي ينطلق من أساس الحق بشرطيه؛ ليكون له الأثر البالغ:

الأوّل: الإصلاح.

الثاني: حسن التشخيص.

فقد تجسّد ذلك على أرض الواقع بمواقف أبرزها:

١ ـ رفض التوريث السياسي، وعدم الاعتراف بشرعية يزيد بن معاوية في الخلافة.

٢ ـ المشاركة في القرار السياسي، فقد طلب أهل العراق من خلال رسائلهم له، وقد قصدهم بناءً عليها.

٣ ـ ترك حرية الاختيار لأصحابه أكثر من مرّة، مثلاً عندما سمع باستشهاد مسلم قال عليه السلام: «**مَن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف غير حرج**»[2]. وفي ليلة عاشوراء، قال عليه السلام: «**وإنّي قد أذنت لكم جميعاً فانطلقوا في حلّ ليس عليكم مني ذِمام... فإنّ القوم يطلبونني**»[3].

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٧١.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٧٥.

(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٥٧ـ٥٨. أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص١١٢.

المؤشّر الرابع: الحوار

اعتمد الإمام الحسين عليه السلام الحوار والمنطق والحجّة والنصيحة، كأداة سلمية لعلاقته مع الآخر، في مواقف عدّة، منها:

- موقفه مع رجال السلطة الأُموية، كخطاب الإمام الحسين عليه السلام إلى والي المدينة: «**إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجلٌ فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة**»[1].
- التذكير بالكتب المرسلة والعهود التي قُطعت له بالنصرة، منها: رسائل أهل الكوفة ورسلهم، حتى أنّ الإمام احتجّ بها عندما واجه الحر بن يزيد الرياحي وعمر بن سعد عندما سألاه عن سرّ مجيئه إلى العراق، فقال: «**كتب إليّ أهل مصركم هذا أن أقدم**»[2].
- طلب من أصحابه التزام الحوار، كحال العباس عليه السلام وإخوته عندما ناداهم الشمر قبل المعركة، فقال لهم عليه السلام: «**أجيبوه وإن كان فاسقاً**»[3].
- وَعَظهم قبل بدء المعركة: «**أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعِظكم بما يجب لكم عليّ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدَّقتم قولي وأنصفتموني كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر** ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[4]، ﴿إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5]»[6].

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٧.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٣١١.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٥٤.

(٤) يونس: آية٧١.

(٥) الأعراف: آية١٩٦.

(٦) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٧. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٦٠ـ٦١.

• تعريف الآخرين بنفسه: «**أمّا بعد، فانسبوني فانظروا مَن أنا؟! ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟! ألست ابن بنت نبيّكم صلى الله عليه وآله، وابن وصيّه، وابن عمّه، وأوّل المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه؟! أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ أو ليس جعفر الشهيد الطيّار ذو الجناحين عمّي؟ أو لم يبلغُكم قولٌ مستفيضٌ فيكم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟! فإنْ صدّقتموني بما أقول ـ وهو الحقّ ـ فو الله، ما تعمّدت كذباً مذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضرّ به مَن اختلقه، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم مَن إن سألتموه عن ذلك أخبركم... أفما في هذا حاجزٌ لكم عن سفك دمي؟!**»[1].

سعى الإمام عليه السلام على تأكيد القيم الإنسانية من خلال الحوار واحترام الآخر، وتعزيز قيم التسامح والوسطية والاعتدال، وتعميق التفاهم ومعالجة الاختلافات بأُسلوبٍ سلمي ينشر المحبة، ويؤمن بالحقّ، ويعترف بالآخر ولا يلغيه، وتوضيح المواقف وكشف الشبهات لتأليف القلوب.

المؤشّر الخامس: الرحمة

عمل الإمام عليه السلام على ترسيخ مبدأ الرحمة حتى وإن اتّضحت جلياً نوايا الآخر في الاعتداء، وتجلّت هذه الصفة في طريقه إلى كربلاء، عندما التقى بأحد ألوية جيش ابن زياد، وكانوا ألف مقاتل مع خيولهم، وكانوا عطاشى، فأمر أتباعه بسقي الجيش والخيل، كما ذكرناه سابقاً.

كان الإمام الحسين عليه السلام يُشفق على أعدائه، ولَهِدايةُ واحدٍ منهم أحبّ إليه من أن يموت على يديه، وكان يخاف عليهم من جرأتهم عليه وإقدامهم على قتله، فقد وقف

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٨. وأُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٢٢.

أحدهم على الحسين عليه السلام، فقال عليه السلام: «**معنا أنت أم علينا؟ فقلت: يا بن رسول الله، لا معك ولا عليك، تركت أهلي وولدي، أخاف عليهم من ابن زياد. فقال الحسين عليه السلام: فولِّ هرباً حتى لا ترى لنا مقتولاً، فوالذي نفس محمّدٍ بيده، لا يرى مقتلَنا اليوم رجل ولا يغيثنا إلّا أدخله الله النار**»[1].

وكذلك قوله لعبيد الله بن الحر الذي فرّ من الكوفة حتى لا يلتقي بالحسين عليه السلام، إلّا أنّه التقى به في الطريق، طلب منه الإمام عليه السلام نصرته والانضمام إليه، لكنّه اعتذر، فقال له الحسين عليه السلام: «**فإن لم تنصرنا فاتّقِ الله أن تكون ممَّن يقاتلنا، والله، لا يسمع واعيتنا أحدٌ ثمّ لا ينصرنا إلّا هلك**»[2].

وحرص الإمام الحسين عليه السلام على صيانة المرأة في كربلاء، منها حين أرجع أُمّ وهب حينما أرادت أن تقاتل، وأُم عمر بن جنادة بعد أن أصابت رجلين[3].

كما عمل الإمام على مراعاة مشاعر الأُمومة، فقد رفض السماح لعمر بن جنادة بالقتال بعد أن استُشهد أبوه، إلى أن علم أنّ أُمّه هي التي أذنت له ودفعته للقتال.

إنّ لجم القوّة والتسلّط لدى الفرد، والتفكير بطريقة متعايشة محبّة متفتّحة على الآخرين، يدعو لمزيد من تشذيب سلوكياتنا نحو الحقوق والواجبات التي تؤطّر حياتنا، وينطوي على صناعة وتأصيل وعي متزايد، يشكّل خلفية ثقافية ناهضة تقبل على قراءة ما يتبنّاه الآخر.

إنّ تعزيز التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرّية الفكر والضمير والمعتقد، يدفع إلى الوئام في سياق الاختلاف، وهو ليس واجباً أخلاقياً فحسب، وإنّما هو واجب سياسي وقانوني أيضاً، وهو الفضيلة التي تُسهّل قيام السلام، ويُسهم في

(١) ابن مزاحم، نصر، وقعة صفين: ج١، ص١٤١.
(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ص٨١.
(٣) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٧.

إحلال ثقافة السلام عن ثقافة الحرب[1].

بيد أنّه لا يجوز أن يُفهم هذا التسامح الإنساني ـ الذي جعله الإسلام أساساً راسخاً لعلاقة المسلم مع غير المسلم ـ على أنّه انفلات أو استعداد للذوبان في أيّ كيان من الكيانات التي لا تتّفق مع جوهر هذا الدين، فهذا التسامح لا يلغي الفارق والاختلاف.

الوفاء بالعهود والمواثيق

السلم والتعايش والمحبّة قيمة، كذلك الحال بالنسبة لاحترام العهود والمواثيق المبرمة مع العدو أيضاً، فالإمام الحسين عليه السلام في عهد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ولم يقم بأي تحرّك إلّا بعد أن نقض معاوية الصلح.

وفّى الإمام الحسين عليه السلام بعهده مع الحر بن يزيد الرياحي، على أن لا يعود إلى المدينة ولا يدخل الكوفة، وطلب منه الطرماح بن عدي أن ينزل قبيلة طي ليلتحق به عشرون ألف طائي، فقال له الإمام عليه السلام: «**إنّه كان بيننا وبين هؤلاء القوم قولٌ لسنا نقدر معه على الانصراف**»[2]. مع أنّ هذا الأمر قد أفقده عشرين ألف ناصر له وهو بحاجة إلى ناصر.

وكذلك الحال حصل مع الأشخاص الأربعة الذين حضروا مع الطرماح لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، فأقبل إليهم الحر بن يزيد قائلاً: «**إنّ هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة لي سواء ممّن أقبل معك وأنا حابسهم أو رادّهم. قال له الإمام الحسين عليه السلام: لأمنعنّهم ممّا أمنع منه نفسي، إنّما هؤلاء أنصاري وأعواني، وقد كنت أعطيتني ألّا تعرض لي بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد. فقال: أجل، لكن لم يأتوا معك. قال عليه السلام: هُم أصحابي وهم بمنزلة مَن جاء معي، فإن تممْت عليّ ما كان بيني وبينك وإلّا**

(١) أُنظر: مايور، فيدركو، مدير عام اليونسكو، صحيفة الاتحاد الإماراتية، ٤/ ١١/ ١٩٩٧م.
(٢) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٨ ـ ٨٩.

ناجزتـك. قال [الراوي]: **فكفَّ عنهـم الحر**»[1]. وطلب من أعدائه قبل المعركة الوفاء بالعهود والمواثيق والرسائل التي أُرسلت إليه.

عمل الإمام الحسين عليه السلام على بنـاء القـيم فـي كـلّ مجالاتهـا النفـسية والاجتماعيـة والخلقيـة والفكريـة والسلوكية؛ لأنّ لجـم القـوة والتسلّـط لـدى الفـرد، والتفكـير بطريقة متعايشة محبةً للآخرين يدعو لمزيد من تشذيب السلوكيات وتقنينها ـ أخلاقياً ـ نحو الحقوق والواجبات التي تؤطّر حياتنا.

إنّ التبادل الأخلاقي مع الآخرين وفكرهم، ينطوي على صناعة وتأصيل الوعي المتزايـد، ويشـكّل خلفيـة ثقافيـة ناهضة تُقبِـل على قـراءة وتفحّص ما يتبنّـاه الآخر المختلف، كما يتفحصّ الآخرون فكرنا، ممّا يُثري الساحة، ويُحدث موجة من التلاقح الفكري والحيوي الثقافي.

التوصيات

في وقتٍ تواجه الأُمّة طرق شـتّى لعزلها عن أُصولها وتاريخها، وتتعرّض للتشـويه والتضليل، بعد أن انتحل التطرف والإرهاب صفة الإسـلام؛ لنشر الفساد وسـفك الدماء، واستباحة الأعراض، بات من الضروري إعادة إحياء النهج الحسيني.

وأمّا أبرز التوصيات فهي:

١ ـ العمـل على إعـادة بناء الأُمّة من خـلال نماذجها التاريخيـة، وإنتاج قيمها من موروثها الثقافي والعقدي.

٢ ـ التأكيـد عـلى أهمّيـة القيم الإسـلامية في تحقيق كرامة الإنسـان وإقامة العدل، ونبذ العنف والتطرف والإرهاب.

٣ ـ تحقيق التعايش الآمن بين المجتمعات البشرية من الكوارث، والفقر، والجهل والتدهور الأخلاقي.

---

(١) المصدر السابق: ص٨٧ـ٨٨.

٤ ـ وضع استراتيجية بعيدة المدى لتفعيل القيم الحسينية، وتعميمها باستخدام معطيات التقنية الحديثة؛ لتدعيم هذه الثقافة وتشجيع مجالات الترجمة في هذا الخصوص.

٥ ـ قراءة منهجية عقلية بنائية ونقدية وتبيان الترابط القيمي المكاني والزماني للنهضة الحسينية.

٦ ـ تكثيف اللقاءات و المؤتمرات والندوات ومعارض الكتب؛ لنشر المنظومة القيمية الحسينية.

٧ ـ دعم العلماء والباحثين والأكاديميين في الجامعات ومراكز البحوث.

٨ ـ تحديث مفهوم التاريخ العاشورائي بانتهاج أساليب ووسائل جديدة.

في الختام، أُنوّه بالجهد للقيّمين على أعمال المؤتمر، هذا العمل الإبداعي المثمر، الأمانة العامّة للعتبة الحسينية، وكلية التربية/ جامعة الكوفة، لما فيه من التطوّر والتعامل مع النهضة الحسينية، من كونها حدثاً تاريخياً إلى محاولة جادّة لنقل عنصر التجدّد في قيمها وفق منهج أكاديمي، على أمل التوصل لصياغة بنية فكرية ثقافية، تهدف إلى إنتاج قيّم من موروثنا الثقافي؛ لنلتقي حولها من جديد توحّد صفوفنا وتحرّر أنفسنا وأوطاننا ومقدّستنا، ونُعيد قراءة التاريخ الإسلامي وصياغته من جديد، بعيداً عن المذهبية والعصبية.

ثقافة الثورة عند الإمام الحسين عليه السلام

د. نابلس صلال التميمي*

المقدّمة

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

من هذا المنطلق كانت الثورة الحسينية، وخرجت تنادي تأكيداً للرسالة المحمدية وثباتاً عليها، بعد أن قام مَن رام السلطة وعشق التسلّط على رقاب الناس تحريفها، ليكون رافداً لمصالحه، لكن أبت الكلمة وانتفض الدم أمام ظلم الظالمين، فكان الموت للإمام اختياراً وليس خياراً؛ لأنّه أدرك الموت بهذه المعركة، كما أدرك بقاء الدين، بل كانت معركة الطفّ حفاظاً على منبر الرسول صلى الله عليه وآله.

لذا؛ جاءت نهضة الإمام الحسين عليه السلام نهضة صادقة، فيها استشعر المسلم روح الإيمان الصادق، وعزّة النفوس وكرامة الأهل، وهو جانب مهم من أسباب قيام الثورة.. أمّا الواقع حينها، فقد تمثّل في العيش تحت الضيم والظلم، وتقويض الهوية الإسلامية، واستبدالها بهويات كانت تتصارع من أجل الوصول إلى السلطة، وهذا من أكبر الأسباب وأشدّها تأثيراً على الهوية الإسلامية، وهي الهوية القبلية التي حاربها الإسلام، وحاول إذابتها، فما كان من قريش إلّا الانتفاض على الهوية الإسلامية تعنتاً وظلماً، فقد بقيت تلك الهوية تصارع بصمت مقنَّعة تحت تسميات

---

* جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية/ قسم اللغة العربية.

(١) آل عمران: آية ١٠٤.

عـدّة، تتربص الفـرص للظهور مـرّة أُخرى، وكأنّهـا كانت تستولد تسميـة ملائمة، وظرف أكثر ملاءمة لتنمو من جديد.

لكـن ثـورة الإمـام كانت حـدّاً فاصلاً منعـت نمو الفسـاد في الهوية الإسـلامية الأصليـة، فشرّعت الموت مـن أجل الحياة، وهـو مفهوم اسـتوعبته العامّة والخاصّة حينها؛ لأنّ الحدث كان يتطلب مخرجاً من مزلق الظلم الذي سـاق الناس كالأنعام، وتسلّط على رقابهم وضمائرهم.

لـذا؛ كـان هذا البحث خطوة للكشـف عن مفهـوم الثورة، والبعد الاسـتشرافي الـذي نهضت من أجله ثورة الإمام عليه السلام، عسـى أن يوفقنا الله لمرضاته ملتمسين عفوه ونعمته.

التمهيد في معنى الثقافة الثورية

يلتقي العنوان مع المتن في مهمّة لا تخرج عن أُطر الواقعية؛ إذ لا يمكن عدّ البحث في ثـورة الإمام الحسين عليه السلام مجرد حدث وقع في إطـار زمني، ثمّ خمد وحقق الانتصار على صعيد حدوث الحدث فقط.

ليـس هـذا ما حصل في ثـورة الإمـام الحسين عليه السلام، بـل امتدّ الحـدث وتوالد عبر عصـور لاحقة، وصولاً إلى أيامنا هـذه؛ لهذا يمكن عدّ الثورة الحسينيـة رمزاً إنسانياً ينبض بالتعبير الإيجابي وما زال إلى اليوم.

فالمقصـود بالثقافـة هُنـا (*Revolation*): «**كلّ مـا فيـه اسـتثارة للذهـن، وتهذيب للـذوق، وتنميـة لملكة النقـد، والحكم لدى الفـرد أو في المجتمع، وتشـمل على المعارف والمعتقدات، والفن والأخلاق، وجميع القدرات التي يُسـهم بها الفـــرد، أو في مجتمعه، ولهـا طرق ونـماذج عملية، وفكريـة، وروحيـة**»[1]. وتدخل الثورة التي قـام بها الإمام الحسـين عليه السلام ضمن هـذه المعطيات، فهـي مبدأ حافظ عـلى رقيه وديمومتـه منذ زمن

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي: ص٥٨.

وقـوع الثورة، وما زال إلى اليـوم رغم أنّ «**مفهوم الثقافة يتضمّـن عنصراً معيارياً**»[1]، لكـن ثقافة الثـورة عند الإمام الحسين عليه السلام بعيـدة عن هذا تماماً؛ لكونهـا قيمة معنوية خالصة، ومفهوماً جديداً للعيش الحر، جعل أهم العناصر التي يتشـبّث بها الإنسان على المحك، وتأتي في مقدّمتها (الحياة)؛ إذ قدّم الإمام حياته لتثبيت الدين، وترسـيخ مفهوم الإيمان الحقيقي.

إذن؛ فالثقافة هُنا تدلّ على «**مجموعة من المعارف، والمهارات التقنية والذهنية، وأنماط التصرف والمخالفة، التي تميّز شـعباً عن سـواه من الشـعوب**»[2]. وعليه؛ تكون الثورة «**نقطة تحوّل في حياة المجتمع لقلب النظام البالي، وإحلال نظام تقدّمي جديد محلّه، وهي بهـذا تتميّز عن الانقلاب الذي يتلخّص في نقل السـلطة من يـد إلى أُخرى**»[3]. والنقطة التي تحوّل بها المجتمع الإسـلامي هي معركـة الطفّ، وما تركته للمسلمين من إرث سياسي واجتماعي وديني، بقى أُنموذجاً يُحتذى به إلى اليوم؛ لأنّه من الملاءمة والحيوية مـا جعله أُنموذجاً لكلّ مجتمع، مهما كانت توجهاته الدينية والسياسـية والاجتماعية، فهـي «**مدرسـة لطلائع الأُمّـة، والمصلحين الذين ينشـدون إصلاح أُمّتهـم ومجتمعاتهم، ويبحثـون عن السـبل التي توصلهم إلى تحقيـق أهدافهم، وأخذ أُمّتهم إلى سـبيل الخير؛ وذلك لما تحويه هذه الحركة الإلهية المقدّسـة من رؤى وبصائر يمكن لـمَن طالعها وتأمل فصـول أحداثهـا أن يهتـدي إلى مجموعة النظـم والاسـتراتيجيات التـي اعتمدها الإمام الحسين عليه السلام من حركته ونهضته؛ كيما يستنير بها في معترك العملية الإصلاحية**»[4]. وهذه هـي القيم التـي روّجت لها الثورة الحسينية، وثقّفـت الإنسانية عليها؛ لضمان العيش الحـر والكرامـة التي تُلائم الإنسـان باختلاف انتمائـه وجنسيته، أو دينـه، فهي ثورة عالمية لم يشهد التاريخ مثيلاً لها.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) عبد النور، جبور، المعجم الأدبي: ص٨٠.

(٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي: ص٥٨.

(٤) السادة، ماجد، استراتيجيات النهضة الحسينية في الإصلاح والتغيير السياسي: ص١١.

المبحث الأوّل: الاتجاه الإصلاحي للثورة

لا يمكن عدّ الثورة الإصلاحية التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام ثورة نوعية، بل شمولية في أصدق وصف لها، وممّا يُصدّق هذا القول المدّة التي احتضنت الثورة ومهدّت لها؛ ممّا أعطى الثورة بُعداً شمولياً لم يكن محصوراً في الإسلام أو العرب، بل الانتشار الواسع الذي كانت علية الثورة، حققت هذه الشمولية التي نتحدّث عنها، ثمّ إنّ ظرفها وزمن ولادتها جعلها أكثر عمقاً، فهي كانت تنمو وتتكامل منذ زمن بعيد قبل إعلانها. فقد عاصر الإمام الحسين عليه السلام زمن معاوية وسياسته، كما عاصر زمن يزيد، وقبل هذه المدّة كان لديه عليه السلام وعياً عميقاً بالمعنى الشرعي للثورة، فقد عاش الإمام مع الرسول صلى الله عليه وآله في طفولته وصباه، وكان مشهد المعارضة حاضراً أمامه، وما كان يُعانيه الرسول صلى الله عليه وآله من المشركين أيضاً، ومعاصرته لحكم أبي بكر، وعمر ابن الخطاب، وعثمان، والإمام علي عليه السلام، ثمّ عهد الإمام الحسن عليه السلام[1] الذي نجح في التخطيط السياسي لثورة أخيه الإمام الحسين عليه السلام، هذا دليل اليقظة السياسية المبكرة؛ لذا كان الإمام الحسين عليه السلام متابعاً للإمام الحسن عليه السلام بكلّ خطوة، هذه المتابعة هيأت الشعب المسلم للانتقام من النظام ولو بعد حين، وكانت يقظة الإمام الحسن عليه السلام وحدها كفيلة بصنع القرار السياسي[2].

لقد هبَّ على الأرض ربيعاً ثورياً غيّر كثيراً من المفاهيم، وأقلق كثيراً من الثوابت في التاريخ الحديث، إلّا أنّ للمسالة وقفة تأريخية قديمة يشهد التاريخ بريادتها للإمام الحسين عليه السلام، تلك هي معركة الطفّ، فالإمام عليه السلام «**إنّما خرج لطلب الإصلاح في الأُمّة، وهو ربيب النبوة، فسيرته في النهضة والإصلاح منهج يُقتدى، وخطابه ومواقفه تشكل معالم هادية لكل حُرّ غيور على مصلحة أُمّته ومجتمعه**»[3].

---

(١) أُنظر: القبانجي، صدر الدين، الإمام الحسين رائد الحركة الإصلاحية: ص١٥٣.

(٢) أُنظر: الصغير، محمد حسين، الإمام الحسين عملاق الفكر الثوري: ص١٤.

(٣) الصفار، حسن موسى، الحسين منهج الإصلاح والتغيير: ص٦.

ومن هنا؛ كانت ثقافة الثورة ثقافة حسينية، وجهها الآخر الإصلاح، فقد ظهرت ببُعد استنشق الحياة من خلال الموت، فكانت إصلاحاً للدين والأُمّة، ولكن هل لهذا المفهوم ترهّل مكّنه من التمدد ليُشكّل في نهاية الأمر معنى مغايراً لحقيقة الإسلام على ما روّج له البعض؟

قطعاً لا؛ لأنّ الإسلام ـ ما زال ديناً ـ لم يكن فاسداً لإجراء الإصلاح عليه من خلال الثورة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام، بل كانت السلطة السياسية هي مَن شوّهت أبرز ملمح إسلامي، جاهد الرسول صلى الله عليه وآله من أجل تحقيقه في المجتمعات، وهو العدلة الاجتماعية. وعليه؛ يمكن توضيح مفهوم (الإصلاح) في الثورة الحسينية بعدّة نقاط، وفقاً للسياق التأريخي الذي جاءت به الثورة، والنتائج التي توافرت عليها فيما بعد:

١ـ نقصد بالإصلاح (الفهم)، أو إصلاح الفهم، إذ يجب أن يكون فهمنا للثورة الحسينية فهماً حقيقياً لأهدافها ودوافعها، وهذا الفهم سيجعل من مفهوم الإصلاح مفهوماً واسعاً وواقعياً، وضمن أكبر وأهم الأهداف التي سعى لها الإمام في ثورته ونادى بها (تثبيت دين الله)، وليس تمرداً على السلطة، أو طمعاً بها، كما روّجت له بعض الجهات، وممّا يدل على ذلك؛ أنّ الإمام لم يدعُ الناس لبيعته عندما خرج من المدينة ونزل مكة، بل خروجه ثورةٌ ورفضٌ للظلم والطغيان[1].

٢ـ مسألة شرعية تتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام توجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[2]. فرسالة الله التي تُشير لها الآية الكريمة، عدم الخضوع للظلم، وتأسيس الحرية للعالم، وعدم الخضوع للظالم، فقد خرج معاوية في عهد الإمام الحسن عليه السلام عن ضوابط الشريعة الإسلامية، وأكمل هذا الخرق يزيد عندما تسلّم

(١) أُنظر: اعداد مركز تُراث كربلاء، أسباب نهضة الإمام الحسين عليه السلام: ص٤١.
(٢) الأحزاب: آية٣٩.

السلطة، وهنا وجب وضع حدّ فاصل للظلم، وإعادة الثقة بمفاهيم آمن بها المجتمع الإسلامي، أهمّها العدالة؛ لذا رفض الإمام الحسين عليه السلام الخضوع ليزيد بمبايعته؛ لأنّ مبايعته تعني القبول بالخرق الذي أصاب المفاهيم الإسلامية وتثبيته.

٣ـ إناطة الأدوار إلى أصحابها، ولا سيّما في الجانب السياسي، الذي كان النواة الحقيقية للإصلاح؛ لأنّ الأُمّة مرتبطة بقادتها، وهنا وجب الرجوع للجانب الشرعي، وتسلّم السلطة السياسية من قِبل الإمام الحسين عليه السلام، وتطبيقاً للمنهج الإسلامي الذي دافع عنه الإمام الحسين عليه السلام، لم يكن تمسّكه بالخلافة إلّا من خلال أحقيته فيها، إذ قال: «**فمَن قَبِلَني بقبول الحق فالله أوْلى بالحق، ومَن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين**»[١]. فالإمام عليه السلام كان مصّراً كلّ الإصرار على تصحيح الفهم، فحديثه يدلّ على أنّه ترك أمر خلافته لله وحده يحكم بينهم بالحق، ولم يتعنّت، أو يتوعّد، أو يستبد برأيه[٢].

إذ كان عليه السلام يُشكّل الخط المعارض للحكم حينها؛ وممّا يدلل على ذلك عدم استظهار النية لثورة مسلحة في بادئ الأمر، أو إعداد جيش من العامّة لإسقاط الحكم، مع أنّه عليه السلام يمتلك القناعة التامّة بعدم جواز استمرار حكم بني أُمّية للأُمّة الإسلامية، وبحتمية المواجهة، ولكن وفق مراحلها الشرعية، وذلك من خلال الكثير من الأحاديث التي وردت عنه عليه السلام، فقد ردّد كثيراً عليه السلام حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ ذكر عن جدّه قوله: «**إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دغلاً، ومال الله دولاً، وعباد الله خولاً**»[٣].

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فقد كان على الإمام مسؤولية دينية حتمية لم يستطع دون إبلاغها مهما كان ثمن سكوته، فقد شكّل المشروع الأُموي تهديداً

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣٠.
(٢) أُنظر: الراضي، حسن، الإمام الحسين رسالة إصلاح: ص٧٩.
(٣) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٤٧٨.

حقيقياً للإسلام، وهنا كان من الواجب الشرعي على الإمام مواجهة هذا المشروع وإيقافه، وإن استمر بلا مواجهة، فعلى الإسلام السلام كما قال عليه السلام في كلمته المشهورة لمروان بن الحكم: «**وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد**»[1]، ممّا يمكن ملاحظة المبدئية المتفردة التي يُظهرها الإمام في التمسّك بالدين وقواعده ودقائقه، وهو القائل في معركة الطفّ: «**لا والله، لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد**»[2]. فقد نشأ الإمام الحسين عليه السلام على هذه المدرسة، وجعلت منه رائداً لها وقائداً لم يشهد له التاريخ زلّة يقف عندها مبغضوه، فقد جسّد للتاريخ أروع ما كانت الإنسانية تتفاخر به، ولا سيّما أنّه عليه السلام كان يعلم بموته في معركة الطفّ، كما يعلم بقضية السبي التي ذكرها، فقال: «**شاء الله أن يراهُن سبايا**»[3]، فقد جسّد المبدأية القصوى في ثورته خير تجسيد؛ من أجل إصلاح الفهم الذي لحق بالإسلام، جرّاء تمسّك بني أُمّية ومَن لفَّ لفهم بالحكم؛ تشويهاً لتعاليم الإسلام، ولحقيقية منبر الرسول صلى الله عليه وآله بالجور والظلم.

وكان لمبدأ الحسين عليه السلام الأثر الواضح في تعرية السلطة الأُموية، ومنع تنامي تجربتها ونمذجتها على مستوى السلطة الدينية والسياسية في العالم الإسلامي، إذ رأى الإمام عليه السلام «**الخطورة كانت تتمثّل في أن تُقدّم التجربة الأُموية على أساس أنّها نموذج للتجربة الإسلامية على مستوى السياسة والاجتماع والاقتصاد... بحيث تصبح تلك التجربة أحد أبواب فهم الإسلام، وتُدرج على أساسه أنّها صفحة من صفحات كتابه**»[4].

ومن هنا؛ نكتشف أنّ ثقافة الإصلاح التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام أصبحت ثقافة عامّة لكلّ شعب ولكل عصر؛ لأنّها كانت ضمن ما جاء به القرآن الكريم،

(١) ابن نما، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص١٥.
(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٨.
(٣) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج٢، ص١٦.
(٤) العاملي، محمد شُقير، الإصلاح الديني: ص٤٢.

وبالتالي فهو ـ الإصلاح ـ من الملاءمة والمناسبة ما يصلح للمجتمعات الإنسانية، وهذا ردّاً على مَن ينتقد التجربة الإسلامية، وانتصاراً لإصحاب المقاربة النقدية الإسلامية التي وجّهت جهدها لإظهار نجاعة التعاليم الإسلامية للعالم الإنساني، بغض النظر عن الدين أو التوجه الطائفي، رغم وجود عقليات سُخّرت للحيلولة دون هذه المقاربة، وسيلفتنا في هذا الصدد الصراع المدمّر بين المذاهب الإسلامية نفسها، الذي أصبح شفرة حادّة تشوّه وجه الإسلام الحقيقي.

المبحث الثاني: الاستدماج الديني

لم تكن الثورة الحسينية بعيدة عن الدين الإسلامي، أو غير متوافقة معه، بل من أعظم أهدافها حفظ الدين والتمسك به وبتعاليمه، خلافاً لما عرضه الجانب المناهض للثورة؛ لذا لو أمعنا النظر في المفاهيم الإسلامية التي عكستها الثورة، نجدها على ثرائها وعمقها نادرة جداً مع الظرف الحربي والسياسي الذي عاشه الإمام عليه السلام، كما لا ننسى أنّ الجانب المناهض للثورة كانت غايته تسقيط الإمام الحسين عليه السلام وأتباعه دينياً وسياسياً واجتماعياً؛ لذا كانت أساليبه مغالطية، يمكننا عرضها في خضم الحديث عن الظروف التي مرّت بها الثورة، والكشف عن عمق الاستدماج الديني الذي شكّلته الثورة بقائدها وأتباعه.

مرّت الثورة بمرحلة لا يمكن إغفالها للرأي العام، وهي مرحلة العلن التي خاض غمارها الإمام عليه السلام مع أتباعه؛ لوصول الأمر إلى أشدّه في الفساد الذي أخذ يبعث حالة التدهور الفكري والاجتماعي في المجتمع العربي بعد عصر النبي صلى الله عليه وآله، فكان الحكم تحت أشدّ الناس فساداً وعنجهية، واستهتاراً بقيم الإسلام، حينها كانت كلمة الإمام عليه السلام الفصل التي قضّت مضاجع المفسدين، وهزّت عروشهم، وأخذت بتخبطهم، وهي قوله عليه السلام: «**إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي رسول الله** صلى الله عليه وآله»[1].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

إذن؛ الفساد الذي أشار إليه الإمام عليه السلام كان سارياً في الأُمّة نفسها لا الحكم فقط؛ لـذا جاءت التعبئة الدينية مخرجاً ناجعاً للإمام في تحشـيد النـاس وترغيبهم في الثورة عـلى الظلم والفسـاد، وبيان آثـاره اجتماعياً وفكرياً، وسياسـياً وعقائديـاً، ومن هذا الاستدماج ما نلاحظه في خطابه لأعدائه وأتباعه.

فمـن خطابه لأعدائه هادفاً إلى تغيير مسار الانحراف الذي أصابهم، ووضع حدٍّ للفسـاد الذي أخذ ينخر مفاصـل المجتمع؛ بسبب جهلهـم وتعنّتهم، قوله عليه السلام حينما أخـذت الثورة بمرحلتها الأخـيرة، وأخذ أعداء الإمام بالهجـوم على معسكر الإمام وحـرق الخيام التي أخـذت بالانحسار بسبب النار، وهو موقف حرج: «**فأقبل القوم يجولـون حول بيت الحسـين عليه السلام، فيرون الخندق في ظهورهـم، والنار تضطرم في الحطب والقصـب الـذي كان أُلقـي فيه، فنادى شـمر بن ذي الجوشـن بأعلى صوته: يا حسـين، أتعجّلت بالنار قبل يوم القيامة؟ فقال الحسين عليه السلام: مَن هذا، كأنّه شمر بن ذي الجوش؟ فقالوا: نعم. فقال له: يا بن راعية المعزى، أنت أوْلى بها صليا. ورام مسـلم بن عوسـجة أن يرميه بسـهم، فمنعه الحسـين عليه السلام من ذلك. فقال: دعني حتى أرميه، فإن الفاسـد من أعداء الله، وعظماء الجبارين، وقد أمكن الله منه. فقال له الحسين عليه السلام: لا ترمه، فإنّي أكره أن أبدأهم بقتال**»[1].

في النـص معجـمان يتصارعان من أجـل تقديم رؤية إنسانيـة خيّمت على الواقع التاريخي الذي احتضن الحدث:

الأوّل: يتمثّل في الجهة السالبة التي تتمثّل في السلطة الأُموية وبشـاعة أساليبها في الحفاظ على السلطة.

أمّـا الجانـب الآخر: فيتمثّـل في الجهة الموجبة متمثّلة بشـخص الإمام الحسين عليه السلام وأتباعـه، ممّن كان لهـم الحظ في المشـاركة، ونيل شرف المقاتلـة بجانب الإمام عليه السلام في واقعة الطفّ. الحدث في هذا النص يدور في الواقع بين الشرّ والخير.

---

(١) المصدر السابق: ج٤٥، ص٦.

يُقدّم الجانب الأوّل الحدث بنتيجة مغالطية، وهي دخول الإمام الحسين عليه السلام النار ـ كما أفرزه النص على لسان الجانب السالب ـ وهو حكم فيه مكر واستفزاز للمخاطبين في واقعة الطفّ، كما أنّه حوار لم يلتزم بشروط المحاورة مع تناقض أطرافه، فما الجريمة التي أدت إلى الحكم على الإمام بالنار يوم القيامة كما جاء على لسان شمر بن ذي الجوشن في النص؟ محاربة الفئة الضالة وإصلاح الأُمّة التي أخذت تنصاع مطيعة خانعة للسلطة الأُموية، وبالنظر إلى الشخصية التي يدور حولها الحدث ــ شخصية الإمام الحسين عليه السلام ـ شخصية واقعية يمكن للعامّة الحكم عليها بالنقيض، لما جاء على لسان شمر بن ذي الجوشن، لكن الوظيفة النفسية التي كانت هدف المخاطب لم تكن ناجعة على مستوى المحادثة؛ لأنّها لم تجرْ المحادثة إلى مستوى مغالطي كما كان متوقعاً من المخاطب، فكان الافتتاح فاشلاً، لم يؤدِ التفاعل المرجو الذي يأخذ بالمحادثة مأخذاً جاداً، كما في دور شمر بن ذي الجوشن في النص، فالفعل الكلامي الذي قصد انجازه شمر بن ذي الجوشن بدء القتال وقتل الإمام عليه السلام، لكن لم يُنجز هذا الفعل بفضل الاستدماج الديني الذي جعل عملية التواصل فاشلة للطرف السالب في الحوار، وناجعة للطرف الموجب ـ أي: الإمام عليه السلام ـ ولأنّ هناك علاقة بين الفعل الكلامي والفعل الاجتماعي، لم يكن التفاعل على مستوى إنجاح عملية، «**فكل فعل اتصالي يتطابق إلى حدّ كبير مع الهدف منه**»[1]، للرد الذي جاء على لسان الإمام الحسين عليه السلام عندما رام مسلم بن عوسجة رمي شمر بن ذي الجوشن: «**إنّي أكره أن أبدأهم بقتال**»، مع اعتداء شمر بن ذي الجوش على الإمام عليه السلام، والتجاوز اللفظي والعقدي الذي ذكره شمر بن ذي الجوش، لكن ردّ الإمام كان حدّاً فاصلاً يشهد بزيف الآراء التي تبنّاها معاوية ومَن كانوا معه للحفاظ على السلطة، إذا لم يحمل خطابه عليه السلام، هوية فردية تفرز غاية شخصية أو توجه خاص، بل كلّ ما دار عليه

(١) الميساوي، خليفة، الوصائل في تحليل المحادثة (دراسة في استراتيجيات الخطاب): ص٢٦٨.

الخطاب هو تفنيد رأي شمر بن ذي الجوش، والرجوع في أمره إلى الشريعة الإسلامية مع اعتدائه وتجاوزه.

ونلاحظ هذا المبدأ في جميع خطاباته عليه السلام للفئة الضالة، التي حاربت من أجل تشويه الدين، وجرف الناس إلى التردي الذي كان يقود الناس قبل فجر الإسلام؛ لأنّه عليه السلام يمثّل في تلك المرحلة أخلاق الإسلام في عقائده وتشريعاته، التي تبغي إلى تهذيب النفس وإصلاح المجتمع، والرقي بالأخلاق إلى أرفع المستويات والمنازل وأكرمها، وهذا ما ظهر في ممارساته عليه السلام[1]، ومن ذلك قوله، وهو يخاطب الناس من أجل نصرة الإسلام: «**أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما هو حق لكم عليّ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري، وصدّقتم قولي، وأعطيتموني النصف، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم فأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غُمّة، ثمّ اقضوا إليّ ولا تُنظرون، إنّ وليّ اللهُ الذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين**»[2].

المعركة التي كانت بانتظار الإمام عليه السلام لم تكن معركة متكافئة، بل مَن كان معه من أهل بيته وصحابته لا يتجاوز المائة كما ذكرت بعض المصادر، بينما ما كان في جبهة معاوية كان بآلاف، ومع ذلك نلمح الاستدماج الديني الذي كان عليه الإمام عليه السلام، ولم تكن لغة القوة هي المهيمنة على الموقف على حرجه وحدّته، فقد أوكل الإمام عليه السلام أمره إلى الله يحكم بينه وبين القوم الظالمين، ولم يتخذ سُبلاً أُخرى في خطابه؛ لتحرير الناس من ضلالتهم التي كانت مسيطرة على عقولهم في الوقوف بجانب معاوية ونصرة البيت السفياني، بل كان موقف الإمام من بيعة يزيد موقفاً واضحاً غير قابل للمناقشة أو المهادنة، وقولته المشهورة كافية للدليل على ذلك؛ إذ قال عليه السلام: «**ومثلي**

(١) أُنظر: علي، وسام، القيم الأخلاقية في الفكر التربوي الإسلامي المعاصر: ص٦٥.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٢٤.

لا يُبايع مثله»[1]، مع ما فعله يزيد بسائر معارضيه من التنكيل والقتل، مضافاً إلى ذلك ما قام به من فضائع، لم يستطع التاريخ إنكارها أو التغاضي عنها، من قتل الحسين عليه السلام، وسبي النساء أمام الناس، إلى رمي الكعبة بالمنجنيق، ووصولاً إلى واقعة الحرّة التي أوكل قيادتها لمسلم بن عقبة، الذي احتلّ المدينة ثلاثة أيام، يستبيح فيها العرض والمال، وانتهاك حرمة هذا البلد، الذي احتضن أشرف الخلق، النبي محمد صلى الله عليه وآله، بشكل لم يسبق له مثيل[2].

وفي خبر تعهّر يزيد وخروجه عن الإسلام ينقل لنا صاحب (تذكرة الخواص) عندما خرج أهل المدينة على يزيد: «**وبايعوا ـ أي: أهل المدينة ـ عبد الله بن حنظلة الغسيل، وكان حنظلة يقول: يا قوم والله، ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء، رجل ينكح الأُمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، ويقتل أولاد النبيين**»[3].

ولعدم أهلية يزيد بالحكم؛ رفضه أهل المدينة، كما قامت مكة بهذا بعد أن جرّ جيش معاوية على المدينة الخراب والقتل في أهلها، لكن فحش يزيد ومعاوية لم يردعهم من أن يفعلوا بمكة ما فعلوه بالمدينة، فخرج جيش بأمر من يزيد بن معاوية، بقيادة مجرمه السفاح مسلم بن عقبة، ومات مسلم بن عقبة، بعد أن استخلف الحصين بن نمير

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٩.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٧٩. فضلاً عن ذلك لم تكتفِ السلطة الأُموية بقتل الناس، وكلّ مَن كان له هوى علوي، بل أخذت تؤسس لمدرسة فكرية تسيطر من خلالها على عقول الناس، وتقدّم لهم مشروعية عملها السياسي والديني، اللذين كانا في تلك الفترة وجهان لعملة واحدة، وقد قطعت أشواطاً في بنائها لتلك المدرسة من خلال وضع بعض الأحاديث في مدح معاوية، وذم أمير المؤمنين، من لعنه على المنابر لسنين طويلة دون ورع أو رهبة من هذه الشخصية العظيمة، وأهل بيته بشكل عام، ومن تلك الأساليب نشر بعض المذاهب الفكرية، والترويج لها، من قبيل مذهب الإرجاء والجبر، اللذين يساعدان تلك السلطة على الوقوف على مبررات لكافة أعمالها، حتى لو كانت مخالفة للإسلام والدين. اُنظر: العاملي، محمد شقير، الإصلاح الديني: ص٤١.

(٣) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص٣٦١.

عـلى قيـادة الجيش الذي ناوش عبـد الله الزبير وهو في الحرم، ورمـى الكعبة بالنيران حتـى احترقت الكعبة[1]، هذا ما كان عليه دين معاوية ويزيد، وما نشروه بين الناس مـن خوف وتردّي فكـري وعقائدي، جعل أغلب الناس مسيّريـن لما يريده حتى لو كان مخالفاً للإسلام.

عُكـس التيـار المناهض للسلطـة الأُموية بحركـة الإمام الحسـين عليه السلام وأتباعه ممّن آثـروا الموت على الذلـة والخنوع، مع يقينهـم بالموت الذي كان ينتظرهم، بل شـكّل التمسّك بالدين مظهراً من مظاهر هذه الثورة التي التزمت بكلّ ما كان يحفظ للدين هيبتـه وللإسـلام روحه، وهذا واضـح في الكثير من الأحداث التـي رافقت الثورة، منها: عندما رام الإمام الحسين عليه السلام الخروج من مكة إلى العراق، بعث له أهل الكوفة برسـائلهم يطلبـون منه القدوم؛ حينها قـرر الإمام عليه السلام الخروج من مكـة إلى العراق، وهنـا تظاهر البعض بأنّه من الناصحين للإمـام، فدعاه للإقامة في مكة، ومنهم: عبد الله بـن الزبـير، إذ يُروى أنّ رجلاً كان يطوف بالكعبة سـمع عبد الله بن الزبير يُنادي الإمام ويسرّه بشيء، فالتفت الإمام عليه السلام إلى الناس، وقال: «**أتدرون ما يقول ابن الزبير؟ فقالنـا: لا ندري، جعلنـا الله فداك! فقال: قال: أقم في هذا المسـجد أجمع لك الناس. ثمّ قال الحسـين: والله، لأن أُقتل خارجاً منها بشـبر أحبّ إليّ من أن أُقتل داخلاً منها بشـبر، وأيمُ الله، لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم، والله ليعتدُنَّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت**»[2].

الإمـام في هـذا الخبر يُظهر مدى الفساد الذي صـار إليه الحكم، كما يُظهر فضاعة الحـال التـي وصلت الدولـة بحكم البيـت الأُمـوي؛ لأنّ الكعبة من حـرم الله يأمن بهـا كلّ مَـن على هـذه الأرض، ولا يجوز لأحد اسـتباحة هذه الحرمـة، لكن التردي

(١) أُنظر: اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٥١. ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد، العقد الفريد: ج٤، ص٣٥٧.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، جمل من أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٧٥.

الأخلاقي جعل من اليقين خرق هذه الحرمة من قِبل معاوية ويزيد؛ وممّا يدلل على ذلك حرق الكعبة في واقعة الحرّة، كما أمر يزيد عمرو بن سعيد في معسكر عظيم في موسم الحج قبل ثورة الإمام أن يُناجز الحسين عليه السلام ويقتله إن تمكّن وإلّا قتله غيلة، بل تجاوز الأمر أن دسّ في ذلك الموسم ثلاثين رجلاً من أتباعه، أمرهم بقتل الإمام بكلّ وسيلة متاحة حتى لو كان متعلقاً بأستار الكعبة[1]، والإمام وسط كلّ هذه الدسائس والمؤامرات لم يجعل الإسلام أو الدين ثاني أولوياته، بل عرّض نفسه وأهله للموت من أجل الإسلام، ورفض البقاء في مكة حفاظاً على حرمة هذا المقدّس، وهنا يكمن الاستدماج الديني الذي كان عليه الإمام الحسين عليه السلام، فأصبح ثقافة إسلامية تنال التقدير والاحترام على مرّ العصور، فكانت نهضة عاشوراء نهضة لإحياء سُنّة النبي صلى الله عليه وآله والدفاع عنها، ونقلها إلى حيّز التطبيق في حياة المسلمين؛ لأنّ تعاليم النبي صلى الله عليه وآله قد أُهملت آنذاك، كما أنّ البدعة قد أُحييت وظهرت[2].

المبحث الثالث: الاستشراف في الثورة الحسينية

من الخطأ أن نفهم الاستشراف بأنّه جنس أدبي مخصوص، بل هو آلية تدخل في جميع الخطابات مهما كان توجهها أو نوعيتها، ويُعدّ الإمام الحسين عليه السلام من مرجعيات الخطاب الثقافي الإسلامي؛ لذا رأى الباحث من الضرورة بمكان الوقوف على أهمّ استشرافاته التي مثّلت ـ تاريخياً ـ منعطفاً لفهم المدرسة العلوية، ودليلاً إعجازياً يُحسب للثورة الحسينة التي دفعت الكثير للاقتداء بها، وألهمتهم الوعي الجاد المثمر من أجل فهم الواقع والوقوف عند أهم مفاصله، لكن الاستشراف الذي وقف عنده الإمام الحسين عليه السلام استشرافاً لم يكن تنبؤياً، بل كان استشرافاً يقينياً مُسنداً بما قاله

(١) أُنظر: الجلالي، محمد رضا، حول نهضة الإمام الحسين عليه السلام: ص٢١.

(٢) أُنظر: الإصفهاني، محمد علي، المباني القرآنية لنهضة عاشوراء، مجلة الإصلاح الحسيني: العدد الخامس، ص٤٧.

الرسول صلى الله عليه وآله، إذن كان عن علم، غايته دفع الواقع، ومنع الثورة من التأزم داخل دائرة الموت، بالنظر إلى ماهية الاستشراف الذي هو نوع من الفعل الإيجابي[1].

وما شهدناه في الثورة كان غاية الحقيقة، فقد استشرف الإمام عليه السلام الحدث قبل وقوعه، وجعل الموت غاية من أجل الحياة، وهو تكتيك أرعب معارضيه وأربك سيرهم، فقتل الإمام عليه السلام في معركة غير متكافئة سيخلق منه بطلاً يُنصفه التاريخ، وتركه يعني انتصاراً حقيقياً له، لما كان له عليه السلام من قبول عند العامّة؛ لذا جاءت موضوعة البيعة ليزيد خياراً خاسراً، أو قل ورقة تصرّح بمدى الخسران الذي يشكو منه البيت الأُموي إزاء البيت العلوي.

كلّ الأحداث التي جرت للإمام قُبيل معركة الطفّ تُحيل النظر والاهتمام لأقواله التي عكست ظاهرة فريدة، وهي استشرافية الموقف، والسير مع هذا الاستشراف بشكل استثمر معه الإمام الموقف لصالح المعركة، وأوّل مظاهر هذا الاستشراف أقوال الرسول صلى الله عليه وآله التي كانت حاضرة مع الحسين عليه السلام، ومنها تلك الأقوال التي كانت تؤكّد على مقتله، والكيفية التي تجري بها المعركة، ونحن هنا إزاء موقف لا تستطيع حكمتنا البشرية استيعابها بتفاصيلها؛ لأنّها تصيبنا بالدهشة من عظمة شخص الإمام عليه السلام وقدرة صبره، فقد قلب مفهوم الموت، ليكوّن مفهوماً جديداً للحياة، وهذا بالفعل يحتاج إلى طاقة هائلة، وحكمة تفرّد بها الإمام.

ومن أهمّ استشرافاته لموته قول الإمام السجاد عليه السلام: «**خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلّا ذكر يحيى بن زكريا وقتله، وقال يوماً: ومن هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريا عليه السلام أُهدي إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل**»[2].

النص على خطورته يستشرف موت الإمام عليه السلام، مع حدث مفصلي في واقعة

(١) أُنظر: محمد بن سعد بن صالح، الاستشراف (ماهيته وأهميته)، مجلة الرياض: العدد ١٥٤٠٦.
(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٣٢.

الطفّ، هو حمل الرأس الشريف على الرماح، والطواف به بين مدن العراق والشام، وهنا لا يمكن القول: إنّ هذا الاستشراف تنبؤي، بل هو واقعي، كان هدف الإمام من ذكره تهيئة أهل بيته وأصحابه وإخبارهم بقتله، وللمعركة نفسها، وتكاد تكون المقاربة التي طرحها الإمام بينه وبين يحيى بن زكريا عليهما السلام مقاربة بين الحق والباطل، الذي خضع لها التأريخ وقرّب أطرافها، لكن الحسين عليه السلام حقق الشهادة التي كانت تُخيف أعداءه وتُرهبهم؛ إذ «**إنّ فلسفة الشهادة في سبيل المبدأ والعقيدة، كانت في الوقت ذاته توكيداً للكرامة الإنسانية، التي أدّت في الأخير إلى مجازفة أخلاقية تمثّلت بالرفض والتحدي، واتخاذ موقف ثوري.. ومن هنا، فإذا خسر الحسين الرهان بقتله، فإنّه كسب في الحقيقة والواقع الرهان عبر رغبته في التضحية والإصرار على تنفيذها، حيث حمل قدره بيده ومضى، حتى الشهادة**»[1]. فقد تحوّلت الشهادة مع الإمام الحسين عليه السلام إلى فلسفة للحياة؛ لأنّها كانت نزاع بين الحق والباطل، انتصر الحق محرراً معه الإنسان على مرّ العصور.

ومن استشرافه ـ أيضاً ـ قوله لأبنه علي الأكبر عليه السلام: «**يا بُنَي، إنّي خفقتُ برأسي خفقةً، فعنّ لي فارسٌ على فرسه، وهو يقول: القوم يسيرون، والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نُعيت إلينا**»[2].

سايكولوجياً عندما تكون النفس قريبة من الموت لا تكون قوية، لكن هذه المعادلة قلبتها الثورة الحسينية، وهذا واضح جداً من خلال الاستشراف الذي رافق الثورة من بداياتها مع الإمام الحسن عليه السلام حتى إعلانها مع الإمام الحسين عليه السلام، فلا يمكن لأحد من البشر انتظار الموت والتهيئة له على نحو ما وجدنا الإمام الحسين عليه السلام عليه؛ لهذا حمل الاستشراف فلسفة خاصّة للموت، رافقت الأجيال، وقدّمت لهم رموزاً للتعبير

(١) الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء (سوسيولوجيا الخطاب الشيعي): ص١٦.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٨.

عن الذات وحمايتها من التراخي والضياع، إذ قال عليه السلام: «**لا أرى الموت إلّا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[1]. وربما ساعد هذا الاستشراف على خلق معركة جديدة ليزيد وأعوانه، لم تكن بالحسبان للإجرام الذي كان يُسيّس كلّ شيء بالدولة، هو ظهور شخصيات انقلابية خلال المعركة، أو قُبيلها مثل شخصية الحر الرياحي[2] الذي رجع لإنسانيته، رافضاً ما كان عليه معسكر يزيد من جرم، متحرراً من هذا الظلم، فثمّة مقاربات عديدة حدثت بفعل استشرافي، لم تختفِ آثاره في معركة الطفّ، كقوله السابق، مقرناً الموت بالسعادة، والحياة بالذل والهوان؛ لاشتمالها على الباطل.

«**خُط الموت على وِلد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء، فيملأنّ منّي أكراشاً جوفاً، وأجربةً سُغباً، ولا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفّينا أجور الصابرين**»[3].

يوسف ويعقوب في النص ثنائية واقعية تحمل معنى إيجابياً للانتظار، والمقاربة التي اشتمل عليها النص بين يوسف ويعقوب، والإمام الحسين وأهله (جدّه وأبيه)، تقع في عدّة محاور، منها: الظلم الذي لحق بيوسف عليه السلام بإبعاده عن أبيه قسراً وحقداً وطمعاً، كذلك الإيمان الذي كان يتحلّى به يوسف والإمام الحسين عليهما السلام، وكان سلاحاً أرعب معاديه، وأقضّ مضاجعهم؛ إذ تمثّل في الصبر والخضوع لأمر الله عزّ وجلّ، والمحور الأهمّ هو انتصار الحق والمبدأ في النهاية لكلّ من الإمام الحسين والنبي يوسف عليهما السلام، وإن كان بموت الحسين؛ ذلك لأنّ موته حقق شهادة نوعية قفزت فوق الممكن، فحققت رمزاً لصدق المبدأ والعقيدة، ولولا مصداقيتها وشرعيتها لما دخلت قلوب المسلمين وغير المسلمين، وتجذّرت في مخيالهم[4].

---

(١) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص٢٤٥.

(٢) أُنظر: علي محمد، ياسين، الشخصية الشريرة في المسرح الحسيني، مجلة المسرح الحسيني: ص٤٧.

(٣) ابن نما، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٢٩.

(٤) أُنظر: الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء (سوسيولوجيا الخطاب الشيعي): ص١٦.

الخاتمة والنتائج

لقد وقف البحث على جملة من النتائج، أهمّها:

١ـ المعنى الإصلاحي للثورة الحسينية، وكيف شكّلت الثورة مدخلاً ثقافياً للمسلمين؛ فلم يكن الإسلام فاسداً حتى يتطلّب إجراء الإصلاح عليه، بل خرجت الفئة الحاكمة المتمثّلة بالبيت السفياني عن تعاليم الإسلام، حتى بات لا يُعرف من الإسلام إلّا اسمه؛ بسبب الفساد الذي استشرى بالدولة والمجتمع، وللضرر الأخلاقي والاجتماعي والديني (العقدي) الذي ألحقه يزيد ومعاوية وأتباعهم بالإسلام.

فكانت الثورة سلاحاً ناجعاً لمنع تنامي الفساد، ودفع الناس للانتفاض على المفسدين وتعرية أساليبهم؛ لهذا كانت الثورة ثورة عامّة صلحت لكلّ أُمّة ولكلّ شعب.

٢ـ لم يكن للثورة أيّة أساليب خارجة عن الإسلام، بل مع حراجة الموقف وصعوبته ما زال الحسين عليه السلام متمسكاً بالإسلام وتعاليمه حتى مع أعدائه؛ وذلك للاستدماج الديني الذي رافق الثورة، وشكّل أحد أهمّ مظاهرها من أجل الإسلام ونصرته.

٣ـ ومن مظاهر الثورة الاستشراف الذي كان له بُعداً روحياً، استمد منه الحسين عليه السلام وأصحابه القوة، والإصرار على مقاومة أهل الطغيان، والوقوف بوجههم، وقلب معادلة الموت لصالحهم، فتحوّل وعيهم بالشهادة إلى نظرة جديدة تؤكّد على كرامة الإنسان وحريته.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١ ـ استراتيجيات النهضة الحسينية في الإصلاح والتغيير السياسي، ماجد السادة، ط١، ٢٠٠٧م.

٢ ـ الإصلاح الديني، محمد شُقير العاملي، تنقيح: وسام شقير، ط١، ٢٠٠١م، دار الهادي، بيروت ـ لبنان.

٣ ـ الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: دار المفيد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٤ ـ الإمام الحسين رائد الحركة الإصلاحية (دراسة مقارنة بين حركة الإمام الحسين عليه السلام وحركة الأنبياء الأئمّة الأطهار عليهم السلام في الأهداف والنماذج والنتائج)، صدر الدين القبانجي، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م، شركة الأعلمي، بيروت.

٥ ـ الإمام الحسين رسالة إصلاح، حسن الراضي، ط١، ٢٠٠٦م، دار المحجة البيضاء.

٦ ـ الإمامة والسياسة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ابن قتيبة)، تحقيق: خليل منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٧ ـ الإتحاف بحب الأشراف، عبد الله الشبراوي الشافعي، ط١، دار الكتب الإسلامي.

٨ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط١، ٢٠٠٨م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

٩ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨م.

١٠ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، ١٩٧١م، دار المعارف، القاهرة.

١١ ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن واضح، علّق عليه: محمد صادق بحر العلوم، مطبعة الحيدرية، ١٩٦٤م، النجف.

١٢ ـ تذكرة الخواص، السبط بن الجوزي، منشورات ذوي القُربى، ط١، ١٤٢٧هـ، إيران.

١٣ ـ تراجيديا كربلاء (سوسيو لوجيا الخطاب الشيعي)، إبراهيم الحيدري، ط١، ١٩٩٩م، دار الساقي، بيروت ـ لبنان.

١٤ ـ تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ط٢، ٢٠٠٩م، دار القارئ.

١٥ ـ جمل من أنساب الأشراف، البلاذري، تحقيق: د. سهيل زكار، د. رياض زركلي، ط١، ١٩٩٦م، دار الفكر، بيروت.

١٦ ـ الحسين منهج الإصلاح والتغيير، حسن موسى الصفار، ط١، ٢٠١٣م، القطيف ـ السعودية.

١٧ ـ سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٨ ـ العقد الفريد، ابن عبد ربّه الأندلسي، شرح وترتيب وفهرسة: إبراهيم الأبياري، تقديم: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

١٩ ـ القيم الأخلاقية في الفكر التربوي الإسلامي المعاصر، وسام علي، ط١، ٢٠١٢م، دار الصادقين، النجف الأشرف ـ العراق.

٢٠ ـ المعجم الفلسفي، تصدير: إبراهيم مدكور، مجموعة من الباحثين، مجمع اللغة العربية، ط، ١٩٨٣م، القاهرة ـ مصر.

٢١ ـ المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ط٢، ١٩٨٤م، دار العلم للملايين، بيروت.

٢٢ ـ مثير الأحزان، محمد بن جعفر ابن نما الحلي.

٢٣ ـ الوصائل في تحليل المحادثة.. دراسة في استراتيجيات الخطاب، د. خليفة الميساوي، ط١، ٢٠١٢م، عالم الكتب الحديث، أربد ـ الأردن.

٢٤ ـ الاستشراف (ماهيته وأهميته)، محمد بن سعيد بن صالح، مجلة الرياض، العدد ١٥٤٠٦، ١٩ رمضان ـ ٢٩ أغسطس، ٢٠١٠م.

٢٥ ـ الشـخصية الشريرة في المسرح الحسيني، د. علي محمد ياسـين، مجلة المسرح الحسيني، تصـدر عن: وحدة المسرح الحسيني في العتبة الحسينية المقدّسـة، السنة الرابعة، رجب ١٤٣٧هـ، آيار ٢٠١٦م.

٢٦ ـ المبـاني القرآنيـة لنهضـة عاشـوراء، مجلـة الإصـلاح الحسينـي، مركـز الدراسـات التخصصيـة في النهضة الحسينيـة، النجف الأشرف ـ العتبة الحسينية المقدّسـة، العدد الخامس، السنة الثانية، ٢٠١٣م.

ثورة المثقّف

دراسة ثقافية تحليلية في سيرة زهير بن القين ومواقفه مع الحسين عليه السلام

د. وسام حسين جاسم*

المقدّمة

للمواقف رجالٌ يُعرفون بها وتُعرف بهم، وللتاريخ صولته وجولته فيمَن حفر اسمه في سجلِّ الخالدين، ودوّنه بحروفٍ من ذهب، ومَن ترك وراءه موقفاً دنيئاً يُدانُ به، ويُعيّر به مدى الدهر، وهنا حين نُقلّب سِفر البطولة والشهادة في يوم عاشوراء الحسين عليه السلام لا نَجد غير الثناء العاطر الذي أُحيط بتلك الثُلّة المُباركة التي أحاطت به كالنجوم الثاقبة حول البدر المنير، فكانوا بحق عنواناً لكلِّ ذكرٍ جميل، ومِصداقاً للمُثُلِ العُليا التي سعت إليها كلُّ الشرائع والفلسفات والنظريات منذ فجر التاريخ إلى مغربه.

وقد يتقطّع حبرُ القلم منسجماً مع ذلك التردُّد النفسي المهول الذي ينتاب صاحب هذه السطور؛ يقيناً منه بأنَّ كلَّ ما ينوي البوح به من قولٍ، أو وصفٍ، أو سردٍ، أو استعراضٍ لبطولات هذه الكوكبة المُضحّية بأغلى ما عندها على عتبات رضا مولاها الحسين عليه السلام، لا يرقى قيد أنملةٍ واحدة من حقِّ الجزاء لهم، فقد تشرّفوا أيّما تشريف بتكريم المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام حين وصفهم قائلاً: «**أمّا بعدُ، فإنّي لا أعلم لي أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل**

---

* كلية الإمام الكاظم عليه السلام/ واسط.

(١) ابن مسكويه، أحمد بن محمد، تجارب الأُمم وتعاقب الهمم: ج٢، ص٧٥.

بيتي، **فجزاكم الله عنّي خيراً**»[1]. فما قولي بحقهم يُغني أو يُسمن من جوع، التطلّع إلى قاماتهم الشامخة، ومراتبهم السامقة، التي أعجزت مَن جاء بعدهم من المُخلصين في مبادئهم، إلّا أنّني رغبت الوقوف عند كوكبٍ وضّاء أشارَ لي ضياؤهُ من بعيد، فكان لي أنْ أحطَّ ركاب قلمي عند مضارب بطولاته في يوم عاشوراء، إنّه (زهير بن القين البجلي)، أحد أبرز الشخصيات التي تحرّكت على مسرح الفداء الحسيني، وذبّت عنه باللسان واليد، ومن ثَمّ أُزهقت الروح وهي راضية بإقدامها الشجاع، مرضيّة عند مولاها الحسين عليه السلام.

وهنا أودُّ تحريك مرجل البحث ليتوجّه عند التحوّلات التي مرّ بها البجلي، فقد كانت رحلته العقديّة قبل لقائه الإمام الحسين عليه السلام تسير على عكس اتجاه المسار العقدي للإمام الحسين عليه السلام، وهنا كان لي أنْ أتوقّف عند هذه المحطّة المهمّة بشيءٍ من التأمُّل والفحص؛ وذلك لما تُعانيه الأُمّة الإسلامية في عصرنا الحالي من أزماتٍ فكريّةٍ وعقديّة نتج عنها تصدعات ونتوءات في داخل نسيج الأُمّة، التي وصفها الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد بأنّها خير أُمّة؛ بما كان فيها من استعدادٍ لقبول الحق وتقبّله، ومن ثَمّ حمله مبدأً حُرّاً يشعُّ سناه دليلاً يهدي المتحيّرين، ولعلّ بيت الوائلي رحمه الله يُومئُ إلى هذه الخصوصية، فيقول:

يا عطاء القرآنِ يصنعُ دُنيا الـ ... حُبِّ في أُمّةٍ من الجلمودِ

أمّا ما نجده اليوم من تشدُّدٍ وغُلوٍّ شاب أكثر المسلمين، فهو لا يتّفق والروح الإسلامية التي نشأت على مبادئ صحيحة تتّصل بمنابع الفطرة السليمة، الأمر الذي يدفعها للتواصل المنشود فيما بينها وبين الحقِّ الصراح، الذي تقبله القلوب قبل العقول؛ ولذا آثرت الوقوف عند التحوُّل العقدي الذي مرَّ به (زهير بن القين)، وهو ابنُ مرحلةٍ تاريخيّةٍ ماجت بتوتّراتٍ عقديّة، كان لها الأثر في توجهات المسلمين السياسية، فجعلتهم فِرقاً وأحزاباً هنا وهناك، ببسط ما نقله لنا التاريخ من أخبارٍ تتّصل بالشخصية ـ محلّ البحث ـ وتحليلها ثقافيّاً، بما يتسع له صدر الباحث وما

وعاه من أدوات تُعين صاحبها على إضاءة المخبوء بين طوايا الخطاب اللغوي، فاللغة ممّا لا تُنكر أهميّتها في توصيل معالم الصورة إلى متلقّيها، بطريقةٍ تجعله يحيى الحدث، ويتواصل معه بقدر ما يمتلكه المتلقّي من تفقُّهٍ لمكنوناتها.

وفيما يتّصل بهذه المحطّة، كان للباحث أنْ يتداعى فكرةُ إزاء احتواء ما يستطيعه من احتواء للضوء المنبعث من تلك الشخصية؛ فلذا لا بُدّ لأجل استكمال الصورة المشرقة لشخصية ابن القين، من استعراض مواقفه الخالدة التي ذكرها المؤرّخون، فكانت بحق منابع لتفجُّر الشخصية الرسالية المؤمنة بما وعدها الله من جزاء.

وعلى هذا تكون خطة البحث على النحو الآتي:

التمهيد: مفهوم المثقف بين الفهم التقليدي والفهم المعاصر.

المحطة الأولى: قبل اللقاء/ بعد اللقاء صورة حقيقية للمثقف الرسالي.

المحطة الثانية: مع الحسين عليه السلام إلى كربلاء.

المحطة الثالثة: في كربلاء قبل المعركة (ممارسات ثقافية واعية).

المحطة الرابعة: ليلة عاشوراء (دروس من ثقافة الاستشهاد).

المحطة الخامسة: يوم العاشر (البطولات والتضحيات).

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصّلت إليها عبر مسيرة البحث بأكمله.

وقد أسعفتني جملة من المصادر التاريخية التي عوّلت عليها في توثيق الأخبار والأحداث، فكانت لي معيناً استعنت به لأجل رصانة البحث، وجعله مفيداً لـمَن تصفّحه، فضلاً عن المراجع الحديثة في علم النفس والثقافة، وعلم الاجتماع، واللغة والتداولية التي عوّلت على بعض ما فيها من مقولات، ومفاهيم، ومعلومات، أفدت منها بقدر ما ينفع تعضيد الفكرة وتوضيحها في ثنيّات البحث.

وفي الختام، أسأل الله التوفيق وألتمس قارئي العُذر وأزجيه الشكر لما سيقضيه من وقتٍ في قراءة سطوره.

التمهيد: مفهوم المثقّف بين الفهم التقليدي والفهم المعاصر

تعددت وجهات النظر بخصوص مفهوم المثقف باختلاف المنطلقات والاهتمامات العلمية، والمجالات التي تناولت مفهوم الثقافة بالدراسة، كالأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، انطلاقاً من طرح السؤال الجوهري في هذا الموضوع: ما هي الثقافة؟ وقد كان الأنثروبولوجي البريطاني (إدوارد بارنات تايلور)[1] صاحب أوّل تعريف للثقافة، بأنّها «**ذلك الكلّ المركّب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات، والفن والأخلاق، والقانون، والعادات، وكل القدرات، والعادات الأُخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع**»[2]. ولما كانت الثقافة ـ بحسب هذا التعريف ـ معنىً شمولياً لا يمكن تقنينه في علمٍ دون علم، أو تخصصٍ دون آخر، كان التعريف العام للمثقف بصفة عامة لا يخرج عن كونه «**شخصاً تجاوز تخصصه الأساسي، ووسّع دائرة اهتمامه على صعيد القراءة والمطالعة، وعلى صعيد التأثير، فهو في خطابه يستهدف شريحة واسعة من الناس، وهو في الوقت نفسه يمتلك ملاحظات نقدية، ويُنتج بعض الأفكار والمفاهيم ذات الطابع التقني والعلاجي، والمتصلة بتطوير الواقع واستشراف المستقبل**»[3].

إنّ التعريف الآنف الذكر للمثقف يمثّل الصورة النمطية السائدة في أكثر عقول الناس، من كون المثقف إنساناً مهتمّاً بالقراءة، واقتناء الكتب، ومداولة الأفكار ومناقشتها، وطرح ما يراه صائباً، وانتقاد أفكار لا تستقيم ورؤاه الفكرية، في حين إذا نظرنا في تعريفات كثير من الكتّاب المعاصرين للمثقف، فإنّنا «**نجد أنهم يُؤكدون**

---

(١) (إدوارد بيرنت تايلور) بالإنجليزية (*Edward Burnett Tylor*)(١٨٣٢ـ١٩١٧م) هو: أنثروبولوجي إنكليزي، ساعدت دراساته على تحديد مجال الأنثروبولوجيا وتطور الاهتمام بذلك العلم. كان أستاذاً للأنثروبولوجيا بجامعة أكسفورد (١٩٠٩ـ ١٨٩٦م). أهم كتبه: (الثقافة البدائية) (١٨٧١ م)، و(الأنثروبولوجيا) (١٨٨١م). أُنظر: موقع ويكيبيديا على الرابط: *https://ar.wikipedia.org/wiki/*.

(٢) كوش، دنيس، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية: ص٣٠.

(٣) بكار، عبد الكريم، تكوين المفكر (خطوات عملية): ص١٨ـ١٩.

عـلى أنَّ (المثقـف الحقيقي) هو صاحب دورٍ نضـالي في الوقوف إلى جانب الحق، وفي نقد الممارسـات الاجتماعيـة، والإدانة الخاطئـة، إلى جانب امتـلاك روح التضحية بالكثير من مصالحه من أجل الجهر بآرائه وأفكاره وملاحظاته، وفي هذا يقول: نعوم تشومسكي[1]: المثقف هو مَن حمل الحقيقة في وجه القوة»[2].

وبحسـب ما توضّح في رؤية (تشـومسكي) أنّ المثقف يحمـل الحقيقة، وقد تتعدّد المصاديق لتعيين مفهوم الحقيقة، إلّا أنّها على الرغم من تعدُّدها، فهي لا تختلف من أنْ يكون (العلم) أحد أبرز تلك المصاديق، بل أهمُّها، فيشـترط في المثقّف كونه عالماً، أو متعلّماً يبتغي طلب العلم ونشـره بين الناس، وهذا الأمر تحقّق لـ(زهير بن القين)[3]، فقد عُدّ واحداً من الذين روى عامر الشـعبي (ت١٠٣هـ) عنهم الحديث النبوي[4]، ولمّا كان الشعبي لا يُختلف في أنّه كان تابعيّاً، فنستدل على أنّ زهير كان صحابياً، وهو أيضـاً من الأشراف الذين ذكرهم البلاذري (ت٢٧٩هـ)[5]، وعدّه الشـيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) وابـن داوود (ت٧٠٧هـ) من ضمـن الرجال الذيـن اعتُمِدوا في نقل

---

(١) هو أستاذ لسانيات وفيلسوف أمريكي، إضافة إلى أنّه عالم إدراكي وعالم بالمنطق، ومؤرخ وناقد وناشط سياسي، إضافة إلى عمله في مجال اللسانيات، فقد كتب عن الحروب والسياسة، ووسائل الإعلام، وهو مؤلف لأكثر من (١٠٠) كتاب. وفقاً لقائمة الإحالات في الفن والعلوم الإنسانية عام (١٩٩٢م) فإنّه قد تمّ الاستشهاد بتشومسكي كمرجع أكثر من أيّ عالم حي خلال الفترة من (١٩٨٠م) حتى (١٩٩٢م)، كما صُنف بالمرتبة الثامنة لأكثر المراجع التي يتم الاستشهاد بها على الإطلاق، في قائمة تضم الإنجيل، وكارل ماركس، وغيرهم. وقد وُصف بالشخصية الثقافية البارزة، حيث صُوت له كـ (أبرز مثقفي العالم) في استطلاع للرأي عام(٢٠٠٥م). اُنظر: موقع ويكيبيديا على الرابط: *https://ar.wikipedia.org/wiki/*.

(٢) بكار، عبد الكريم، تكوين المفكر (خطوات عملية): ص١٩.

(٣) «هو زُهير بن القَيْنِ بن الحارث بن عامر بن سعد بن مالك بن ذُهل بن عَمرو بن يشكر، قُتل مع الحسين بن علي عليه السلام بالطفِّ سنة (٦١هـ)». ابن الكلبي، هشام بن محمد، نسب معد واليمن الكبير: ج١، ص٣٤٥.

(٤) اُنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٦، ص٢٦٠.

(٥) اُنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص١٦٨.

الحديث[1]، وعُدّ من الطبقة الثالثة من الرواة الذين اعتمدهم الطبريُّ في تدوين أخبار تاريخه[2]. ويبدو أنَّ التاريخ قد أسدل على أحواله تفاصيل كثيرة لم تُبيّن لنا حاله قبل مسيره راجعاً من الحج إلى الكوفة، حيثُ مقرُّ سُكناه مجتمعاً على غير ميعاد بالإمام الحسين عليه السلام وأهله، سوى أنّه كان «**شخصيةً بارزة في المجتمع الكوفي، يبدو أنّه كبير السن**»[3]. ويظهر عبر ما رواه المجلسي (ت ١١١١هـ) في بحاره أنّه كان فاضلاً عالماً يستحقّ التسليم من الإمام المعصوم الغائب عليه السلام، إذ يقول عنه: «**السلام على زهير بن القين البجلي، القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له في الانصراف: لا والله، لا يكون ذلك أبداً، أأترك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أسيراً في يد الأعداء وأنجو أنا؟! لا أراني الله ذلك اليوم**»[4].

وفي كتابه الشهير (الآلهة التي تفشل دائماً) أشار الناقد الكبير (إدوارد سعيد)[5]

---

(١) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي: ص١٠١. ابن داوود، الحسن بن علي، رجال ابن داوود: ص٩٤.

(٢) أُنظر: الأثري، أكرم، المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري: ج١، ص١٧٥.

(٣) شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين: ص٨٨.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٧١. وقد بحث الشيخ محمد مهدي شمس الدين وتابعه الدكتور نجاح الطائي بالحرف طرق إسناد هذه الزيارة، وتوقف عند التعارض بين تاريخ صدورها ونسبتها على خيارين: الأوّل: تأخير صدورها عشر سنين، فتكون قد صدرت سنة (٢٦٢هـ) بدلاً من (٢٥٢هـ)، وعلى هذا يمكن الحفاظ على نسبتها إلى الإمام الثاني عشر. والثاني: التخلي عن نسبتها، والمحافظة على تأريخها بافتراض أنّها صادرة عن الإمام الحادي عشر أبي محمد العسكري عليه السلام. أُنظر: شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين: ص١٧٠ـ١٧١. الطائي، نجاح، مقتل الحسين عليه السلام وأنصاره: ص٣٤٣.

(٥) مُنظّر أدبي فلسطيني وحامل للجنسية الأمريكية، كان أستاذاً جامعياً للغة الإنكليزية والأدب المقارن في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن الشخصيات المؤسسة لدراسات ما بعد الكولونيالية، كما كان مدافعاً عن حقوق الإنسان للشعب الفلسطيني، وقد وصفه روبرت فيسك بأنّه أكثر صوت فعال في الدفاع عن القضية الفلسطينية. أُنظر: موقع ويكيبيديا على الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/.

ـ وهـو بصـدد حديثه عـن مفهـوم المثقف العضـوي لـ(أنطونيـو غرامـشي)[1] ـ إلى تعريـف (جوليـان بيندا)[2] الشـهير للمثقفين بأنّهم: جماعة صغـيرة من ملوك حكماء يتحلّـون بالموهبة الاسـتثنائية، والحس الأخلاقي العالي، وقفـوا أنفسهم لبناء ضمير الإنسانية[3].

يظهـر عـبر هذا التوصيف الذي ذكـره (بيندا) أنّ المثقف يتمتع بموهبة اسـتثنائية تختلـف عـن الآخرين، إلّا أنّ الحديث عـن هذه الموهبة قد لا يكـون دقيقاً من حيث اكتناه وصفها، وعلى أيّ حالٍ تكون هذه الموهبة الاستثنائية؟ كلها أسئلة قد لا يضيء الحديث عنها عشرات الكتب والبحوث؛ ومن هنا كان لي سبيل أن أقرأ سيرة المجاهد (زهير بن القين) على وفق هذه الفكرة، إذ تُنبئ سيرته المضيئة على أنّه كان مثقّفاً يعي مـا قام به من دورٍ، أهّله أنْ يكون في الصف الأوّل المدافع عن الحسين عليه السلام، فقد ألقى بغلالـة التحجّـر الفكري التي عاشـها مدّة من حياتـه، ثمّ أعاد النظر فيـما اعتنقه من آراء آمـن بهـا من قبـلُ، فوجدها أبعد ما تكـون عن المنبع الأصيـل للفكر الصحيح، شـأنه شـأن كثير من المصلحين الكبار الذين تركوا أفكارهم التي دعوا الناس إليها، هـذه المبادئ التـي يناضلون من أجل تثبيتها بين النـاس، ولأجل كونهم أُناس عبّروا عـن حرية مـا اعتنقوه من أفكار، «**كائنات نادرة جـدّاً في الحقيقة، ما دام ما يرفعونه هو القيم الخالدة للحقيقة والعدالة التي هي بدقة ليست من هذا العالم**»[4]. فالمبدأ الأخلاقي

---

(١) فيلسوف ومناضل ماركسي إيطالي، وُلد في بلدة آليس بجزيرة ساردينيا الإيطالية عام (١٨٩١م)، وهو الأخ الرابع لسبعة أخوات، تلقى دروسه في كلية الآداب بتورينو، حيث عمل ناقداً مسرحياً عام (١٩١٦م). انضمّ إلى الحزب الشيوعي الإيطالي منذ تأسيسه، وأصبح عضواً في أمانة الفرع الإيطالي من الأُممية الاشتراكية. اُنظر: موقع ويكيبيديا على الرابط: *https://ar.wikipedia.org/wiki/*.

(٢) هو فيلسوف وروائي فرنسـي، ويشتهر بمقالته: خيانة المثقفين.ـاُنظر: موقع ويكيبيديا على الرابط: *https://ar.wikipedia.org/wiki/*.

(٣) اُنظر: سعيد، إدوارد، الآلهة التي تفشل دائماً: ص١٨.

(٤) سعيد، إدوارد، الآلهة التي تفشل دائماً: ص١٨ـ١٩.

الـذي دفـع هؤلاء يُمثّل «**نموذجـاً واضحاً عن مفهوم المفكّر، أو الفيلسـوف، أو رجل الآداب، الذي لا تشـغله همومه المعرفية، وتأملاته الفلسـفية عن الاهتمام بشؤون المدينة، والنزول إلى السـاحة العمومية، صادعاً باسـم (الحق) و(العدل) و(الخير)، ومدافعاً عن القيم الإنسانية العامة المجردة التي يلخّصها شيشرون**[1] **في (حبّ النوع البشري)**»[2].

ولعلّـه اقـترب مـن توصيفهم درجـةً تعبّر عـن قناعاتهـم التي صـدروا عنها، بما يرفعونـه من قيم خالدة، فضلاً عن اسـتعدادهم المتواصـل في النضال، لأجل تثبيت تلـك المبـادئ؛ فلذا يكونون أقرب إلى عالم المعنى من عـالم المادة، فهم بهذا التوصيف «**يسـعون إلى مسـرّتهم في ممارسـة فنّ ما، أو علمٍ مـا، أو تأمّل ميتافيزيقـي، باختصار في امتـلاك مزايا غير مادية؛ ولهذا السـبب يقولـون بطريقةٍ محددة: (مملكتي ليسـت من هذا العالم)**»[3].

إنّ رؤية (بيندا) للمثقف تعكس شجبه لـمَن اتّخذ ثقافته برجاً عاجياً ينعزل بسببها عـن الناس، فالمثقف الحقيقي حين تحركه عاطفة غيبية، فضلاً عن استشـعاره النفسي المنبثـق عن فطرة سـليمة تُملي عليـه وجوب الانصياع إلى المبـادئ النزيهة للعدالة، وفي مقابـل ذلـك ينبع شـعوره الداخلي بشـجب الفسـاد والدفـاع عن الذين يقـع عليهم طائلتـه، حتـى وإن تحدّوا السلطة غير الشـرعية الجائرة عن العـدل، يكون المثقف في أفضـل حالاته، وهنا يستشـهد (بينـدا) ببعض الذين تركوا مواقـف عبّرت عن عمق

---

(١) ماركوس توليوس كيكِرو شيشرون (*Cicero*)، الكاتب الروماني وخطيب روما المميّز، وُلد سنة (١٠٦ ق.م)، صاحب إنتاج ضخم يُعتبر نموذجاً مرجعياً للتعبير اللاتيني الكلاسيكي، وصلنا لحسن الحظ جانب كبير منه، لقد أثارت شخصية شيشرون الكثير من الجدل والتقويمات المتضاربة، وخاصة في الجانب السياسي من حياته، فهو تارةً مثقف مضيع في وسط سيء، وتارةً أُخرى ثري إيطالي صاعد في روما، وثالثة انتهازي متقلّب و(أداة طيعة في يد الملكية)، و(متملق لبومبي، ثمّ سيزار) بحسب ثيودور مومسين، وجيروم كاركوبينو، ولكنّه أيضاً بحسب بيير كريمال الجسر الذي عبره وصلنا جانب من الفلسفة اليونانية. أُنظر: موقع ويكيبيديا على الرابط: *https://ar.wikipedia.org/wiki/*.

(٢) الشيخ، محمد، المثقف والسلطة (دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر): ص١٤.

(٣) سعيد، إدوارد، الآلهة التي تفشل دائماً: ص١٩.

ثقافتهـم، المتزامنـة مع التزامهم المبـادئ الصحيحة من دون خشـية أن يطالهم الموت، فيقول: «**كيف شـجب فنيلون**[1]**، وماسـيلون**[2]**، حروبا محددة للويـس الرابع عشر؟**[3] **كيـف أدان فولتير دمار البلاطينيين؟ كيف اسـتنكر رينان أعـمال نابليون العنيفة؟ وكيف شجب بكلي**[4] **تعصب انكلترا اتجاه الثورة الفرنسية؟ وفي زمننا كيف أدان نيتشه ممارسات ألمانيا الوحشية ضد فرنسا**»[5].

إنّ رسـالة المثقف التي أعلنها (بيندا) شـعاراً لا بُدّ للمثقـف الحقيقي من الالتزام بـه، هـو الثبات على الموقف والتضحية في سـبيل ذلك الثبات، حتـى وإن أودت بهم التضحية إلى الحرق، أو النبذ، أو الصلب، فهم «**شخصيات بارزة رمزية موسومة بنأيها الثابت عن الاهتمامات العملية... يجب أن يكونوا أفراداً مدققين وذوي شخصيات قوية، وفوق كل شيء، يجب أنْ يكونوا في حالة تضاد مع الوضع القائم على نحو شبه دائم؛ لهذه الأسـباب جميعاً**»[6]. ولعلَّ أبرز مثال لظاهرة تحـوّل المثقف بوصفه رائداً للحقيقة، لا يهمه إنْ تخلّى عن أفكار ومعتقدات وآمن بما هو أكثر قُرباً للعقل، ما شهدناهُ في القرن العشرين من إسـلام الفيلسـوف الفرنسي (روجيه غارودي) الـذي عُدّ أحد أقطاب الماركسيـة في أوروبـا. وفي العـالم العربي ما شـهدناه من تحوّل (الدكتـور عبد الرحمن بـدوي) ـ أحد أقطاب الوجودية والعرّابـين لترويج أفكارها، وترجمة مصادرها ـ إلى

---

(١) فرانسوا فنلون (١٧١٥م): شاعر و كاتب فرنسي. اُنظر: موقع ويكيبيديا على الرابط: *https://ar.wikipedia.org/wiki/*.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) ملك فرنسا منذ (١٤أيار/ ١٦٤٣م) حتى وفاته (١٧١٥م). أحد أبرز ملوك البوربون، تولى الحكم وهو بسن الخامسة، إلّا أنّه لم يكن يملك السيطرة الفعلية، حتى توفي رئيس الوزراء (الكاردينال مازارين) في (١٦٦١م). كان يُلقّب بملك الشمس؛ وذلك لاهتمامه بالأدب والفن، وهو الذي قام ببناء قصر فرساي في فرنسا. اُنظر: موقع ويكيبيديا على الرابط: *https://ar.wikipedia.org/wiki/*.

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

(٥) سعيد، إدوارد، الآلهة التي تفشل دائماً: ص١٩.

(٦) المصدر السابق: ص٢٠.

الفكر الإسلامي ودفاعه عن الإسلام ونبيّه الكريم في مؤلفاته المتأخرة. وفي العراق ما شهدناه من تحوّل فكري ثقافي للكاتب الماركسي، ثمّ القومي، ثمّ الإسلامي لـ(عزيز السيد جاسم) الذي أودى تحوّله الفكري إلى أنْ يُعرّض للسجن، وثمّ القتل.

وقد تساءل (إدوارد سعيد) عن كيفية حصول هؤلاء الرجال على الحقيقة، فهل كانت بصيرتهم النافذة إلى المبادئ الخالدة مجرد أوهام شخصية كالتي عند (دونكيشوت)؟ إلّا أنّه لا يختلف مع (بيندا) في أنّ الصورة الحقيقة التي أرادها (بيندا) للمثقف تبقى صورةً جذابة، وتفرض نفسها بقوة حتى وإن أظهرته كائناً منبوذاً، إلّا أنّه قادر على قول الحقيقة للسلطة، وشجاع على نحو خيالي، حيث لا توجد سلطة دنيوية كبيرة ومهيبة جداً لا يمكن أن ينتقدها ويوبّخها بحدة[1].

وعبر ما بيّناه سنُسلّط الضوء على شخصيّة كان لمواقفها الشجاعة أنْ يخلّدها الدهر، وتسجد الأقلام في محاريب عشقها، ألا وهي شخصية (زهير بن القين) على أنّ التاريخ الإسلامي لم ينقل لنا كثيراً من حياته، فكل ما قيل عنه أنّه كان من كبار شيوخ قبيلة بجيلة في الكوفة؛ فمن هذا الباب عُرِف أنّه كان رجلاً شريفاً في قومه.

أمّا شجاعته، فقد كان له في المغازي مواقف مشهورة، ومواطن مشهودة، ومن أبرز تلك المواقف التي ذكرها التاريخ قبل لقائه بالإمام الحسين عليه السلام، هو في معركة بلنجر[2].

أمّا توجّهه الفكري، فقد قيل: إنّه كان عثمانيّاً، بمعنى أنّه كان متعصّباً لبني أُميّة في موقفهم من الإمام علي عليه السلام الذين اتّهموه بمقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وكان لمعاوية بن أبي سفيان أنْ يرفع عقيرته مطالباً أخذ الثأر لابن عمّه عثمان من الإمام عليٍّ عليه السلام إلى تفاصيل يعرفها كل مَن تصفّح التأريخ، وطالع حوادثه وأيّامه، فضلاً

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٢١ـ٢٢.

(٢) مدينة تقع على بحر الخزر شمالي باب الأبواب (دربند) في الطرف الأقصى للقوقاز. أُنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج١، ص٣٠٥.

عن سائر توجهاتهم المضطربة بين نُكرانهم مبدأ الوراثة بالنسبة لأبناء الرسول صلى الله عليه وآله من بعده اعتماداً على حديثٍ محرّف عن الرسول صلى الله عليه وآله، وبين قولهم إنّ الأمر شورى، وثمّ عدولهم عنها في الخليفة الثاني[1].

وهنا سيكون لنا استعراض لمواقفه التي ظهرت في ثنيّات التأريخ، المرافق لثورة الإمام الحسين عليه السلام منذ البداية حتى نهايته، بشيءٍ من التحليل يُبيّن تفاعله واستجابته لهذه الثورة، ومقدار الثقافة التي تجلّت في مجمل مسيرته، وذلك عبر محطّات سنتوقف عند كلّ واحدة منها بمقدار ما يستدعيه ذلك الموقف الذي صدر منه:

المحطة الأُولى: قبل اللقاء/ بعد اللقاء صورة حقيقية للمثقّف الرسالي

من الطبيعي أنْ يؤثّر على زهير موقفه العثماني، فينعكس على سلوكه الذي ينأى به أنْ يتفاعل مع مشروع الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحي، بل يخلق عنده حالة من عدم التوافق النفسي؛ لذا تنقل بعض المصادر التاريخية عن مقرّبين من زهير القول أنّه قال: «**كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكّة نساير الحسين، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلّف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدّم زهير، حتّى نزلنا يومئذٍ في منزل لم نجد بُداً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب، ونزلنا في جانب، فبينا نحن جلوس نتغدى من طعام لنا، إذ أقبل رسول الحسين حتّى سلّم، ثمّ دخل فقال: يا زهير بن القين، إنّ أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه. قال: فطرح كلّ إنسان ما في يده حتّى كأنّنا على رؤوسنا الطير**»[2].

في هذا الخبر الذي نقله الطبري، عن أبي مخنف، عن الأسديين، يبدو للمتأمّل فيه أنّهما ـ أي: الأسديين ناقِلَي الخبر ـ كانا وزهير على توجّه فكريٍّ واحد، ينمّ عن عدم ارتياح مسايرتهم الإمام الحسين عليه السلام، ولم يجمعهم غير المسير في طريقٍ واحد، فما كان من ابن القين إلّا أنْ ينأى بنفسه مبتعداً عن لقاء الإمام، بعدّه ابن الرجل الذي اشترك

(١) أُنظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ: ص١٩ـ٢٢.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٩٦.

في قتـل الخليفة الذي يراه رمزاً يستحق الـولاء؛ وهنا يتجلّى ذلك الموقف المتضاد من وقوفـه حين يسير الإمام الحسين عليه السلام، وحراكه حـين يقف الإمام الحسين عليه السلام؛ لأجل أن لا يجتمعـا معاً، إلّا أنّ الإمام الحسين عليه السلام قـد أحسن اختيار الوقت الملائم لكسب الأنصار المؤيدين لمشروعه الإصلاحي، حتى وإنْ كانوا على خلاف التوجّه السياسي، والعقـدي الصحيح الذي نشـأت عـلى بنيانه الثلة الصالحة من شـيعة آل البيت عليهم السلام، فلم يتحـرّك الإمام عليه السلام في ثورته الإصلاحية لأجل تقوية الجماعة الخاصة التي حفّت بها، ومن ثَمّ إرضائها بمجموعة من المكاسب، كما هو الحال عند أكثر القيادات حين تتحـرّك للثـورة وانتزاع سـلطة من جماعة أُخـرى؛ لغاية فئوية محضـة، وهنا لا يتبدّل من الوضع الاجتماعي السياسي شيئاً للأُمّة، فتُبدّل جماعة بأُخرى، وحزب بآخر. أمّا الإمام الحسين عليه السلام كان يطمح إلى تأسيس دولة إنسانية تقوم على هدي القرآن الكريم، الذي لا يفرّق في خطابه بين جماعةٍ وأُخرى، إلّا على أساس التقوى والصلاح والعلم، وهي مبادئ إنسانية عامة لا يختلف اثنان على ضرورة إقامتها معياراً لتفضيل الأفراد بعضهم على بعض؛ ولذا كان للإمام عليه السلام أن يُرسـل رسـوله إلى زهير بن القين ويُلقي عليه الحُجّة في الوقوف إلى جبهة الحق والعدل، الممثلة بالإمام الحسين عليه السلام ومشروعه الرامي إلى الإصلاح على مختلف المستويات، وهنا أُشـير إلى اختيار الوقت الملائم من الإمـام في طرح الحجّة وتنجيزها على المخالف، حين أقبل رسـول الإمام الحسين عليه السلام على زهير وصاحبيه، وهم جلوس يتناولون الغداء في وقت استراحتهم، ومعلومٌ أنّ وقت تناول الطعام، ولاسيّما وقت الغداء وما بعده، يُعدّ من الأوقات التي يستثمرها كثير من الشـخصيات في طرح أفكارهـم؛ إذ يكون الإنسان في هذا الوقت، أي: بعد تناوله الطعام، متهيّئاً نفسيّاً لتقبّل المعلومات، أو تنفيذ ما يُراد منه من عمل، أو القيام بمهمـةٍ يسعى إلى تحقيقها الشـخص المقيم لهذه المأدبة، وقـد نقل الطبري في أوّل بعثة

الرسول صلى الله عليه وآله بعد نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1] تخوّفه من عدم استجابة عشيرته قبل الآخرين من الناس لهذه الدعوة، فما كان منه إلّا أنْ يستدعي الإمام علي عليه السلام، قائلاً له في ضمن كلام له: «**فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاةٍ، واملأْ لنا عُسّاً من لبنٍ، ثمّ اجمع لي بني عبد المطّلب حتّى أُكلّمهم، وأُبلّغهم ما أُمرت به**»[2]، آملًا من أنْ يكون اجتماعهم على الطعام حافزاً إلى تقبّلهم النفسي والفكري أنّ محمداً رسولٌ من الله، وأنّهم مكلّفون باتّباع هذا الرسول، وقد باءت هذه المحاولة بالفشل مع أنّها تكرّرت مرةً أُخرى لتنجيز الحجة وتوكيدها عليهم؛ لما كان عليه بعض عتاة قريش من إصرارٍ على الكفر ومكابرةٍ على قبول الحق، فضلاً عن ممارسة عمّه أبي لهبٍ تأثيره في الآخرين، حين جعل يبثّ بين الناس أنّ ابن أخيه ساحرٌ، وغيرها من افتراءات تُنبئ عن قساوة قلوبهم وانحرافهم عن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، فضلاً عن أنّها طريقة حضارية لاكتساب الآخرين، وجعلهم منسجمي التفكير، ومتفاعلين إلى حدٍّ ما مع الشخص الداعي لهم؛ فلذا نجد في عصرنا الحالي الكثير من الناس تتعارف فيما بينها على مأدبة طعام.

أمّا الإمام الحسين عليه السلام، فقد علم أنّ هؤلاء الرجال الذين قُدّر لهم أن يكونوا مسافرين في طريقه، مخالفون لتوجّهاته العقدية والسياسية، فهم في جبهة وهو في جبهة، فلم تسنح له الفرصة أنْ يُولِمَ لهم؛ لكي يطرح عليهم بعدها ما يُريدهُ ويتبنّاه من موقفٍ ورأي، إلّا أنْ يستثمر وقت راحتهم وتناولهم وجبة الغداء، فكانت الصعقة غير المتوقّعة منهم بأنْ يتسمّروا في أماكنهم، ويسكنوا من دون تحريكٍ لأي عضوٍ من جسدهم، (كأنّ على رؤوسهم الطير) إلّا العقل، فحينها جعل يموج ويضطرب ويعيد كلُّ واحدٍ منهم النظر في هذه الدعوة الكريمة الموجّهة إلى أبرزهم، وهو (زهير

(١) الشعراء: آية ٢١٤.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٢، ص٣٢٠.

بـن القـين)، وهنا لا بدّ للعقل مـن صولةٍ يُعيد فيها ترتيب أفكـاره، ويُنظّمها بصورةٍ تتفـق والفطرة السليمـة. فالإنسان في هذه اللحظة حين تتنازعه الحيرة العقدية تكون في الوقـت نفسه دافعاً له صوب حلـول جديدة، «**فالتناقض في وجوده هو الذي يجعله يسـير قُدُماً في الطريق الذي ابتدأه، وعندما أضاع الإنسـان الفـردوس، وفقد الاتحاد مع الطبيعـة، أصبح المتجوّل الأبدي (أوديسـيوس، أوديب، إبراهيم، فاوسـت)، وهو مجبر على السـير قُدُماً إلى الأمام، بـاذلاً ذلك الجهد الدائم؛ ليجعل المجهـول معروفاً بأنْ يملأ ثغرات معرفته بالأجوبة، وعليه أنْ يُقدّم لنفسه حساباً عن نفسه، وعن معنى وجوده... يعذّبه الشـوق إلى (المطلق) وإلى ضربٍ آخر من الانسـجام، يستطيع أنْ يرفع اللعنة التي فصلته عن الطبيعة، وعن إخوانه البشر، وعن نفسه**»[1].

ويظهـر أنّ زهـير بن القين حين دُعـي للقاء الحسين عليه السلام كان يأبـى ذلك، وهذا ما يُؤيـده ابـن الأثـير (ت ٦٣٠هـ) بقوله إنّ زهيراً حين «**اسـتدعاه يوماً الحسـين فشُـقّ عليـه ذلـك، ثمّ أجابه على كُرهٍ**»[2]؛ فـراراً من تلك المواجهة التي سـتزلزل ثوابته التي اسـتقرّت في وعيه ولا وعيه، بما يصفه (داريوش شايغان) بالخوف من فقدان الهوية، فهل البقاء على المتبنّيات السالفة يعكس «**رغبة هوية ثقافية؟ أم هو خوف من الاحتواء في دائـرة الطـرق الفكرية الخطـرة؟**»[3]. وهنا يبدأ الرهان على فطرته واكتشـاف مقدار سـلامتها من أدران المادة، فهي بحاجة إلى «**تنبيـه معصومٍ عن الخطأ في تعريف قضايا، ومواقع دلالتها، وهو التنبيه المُتلقّى من الوحي الإلهي؛ ليعصمَ الفطرة من الميل عن الجادة السـليمة**»[4]. وهنا كان للزوجة الصالحة (دلهم بنت عمرو) التي رافقته في مسيره أثرٌ نفسي يكشف عن مقدار تمسّكها الصحيح بالإسلام ورسوله وآل بيته الطاهرين عليهم السلام؛ إذ دفعته إلى لقاء الإمام الحسين عليه السلام والاسـتماع إلى ما يُريد أنْ يقوله من كلامٍ، بقولها:

(١) فروم، إريك، الدين والتحليل النفسي: ص٢٧.
(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص١٥١.
(٣) شايغان، داريوش، النفس المبتورة (هاجس الغرب في مجتمعاتنا): ص٣٣.
(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر، أُصول النظام الاجتماعي في الإسلام: ص٢١.

«**أيبعث إليك ابنُ رَسُـول الله، ثمّ لا تأتيه؟! سبحان الله! لو أتيته فسمعت من كلامه. ثمّ انصرفت. قالت: فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه. قالت: فأمـر بفسـطاطه وثقله ومتاعـه، فقدم وحُمل إلى الحسـين، ثـمّ قال لامرأتـه: أنت طالق، الحقـي بأهلـك، فإنّي لا أحـبّ أن يُصيبك من سـببي إلّا خير**»[1]. وقد اسـتدرك السيد عـلي بن طاووس (ت٦٦٤هـ) قوله لها: «**وقد عزمتُ على صحبة الحسـين عليه السلام لأفديه بروحي، وأقيه بنفسي. ثمّ أعطاها مالها، وسلّمها إلى بعض بني عمّها ليوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وبكت وودّعته، وقالت: خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسـين عليه السلام**»[2]. وقـد ذكر ابن سـعد (ت٢٣٠هـ) في طبقاته خبراً تفـرّد به من دون الآخريـن، مـن أنّ زوجته بقيتْ مُرافقةً له إلى آخر استشـهاده، ولمّا «**قُتل مع الحسـين، فقالت امرأته لغلام له يقال له شـجرة: انطلقْ فكفِّنْ مولاك. قال: فجئتُ فرأيتُ حسـيناً مُلقىً، فقلت: أُكفّن مولاي وأدع حسـيناً! فكفّنت حسـيناً، ثمّ رجعت، فقلت ذلك لها، فقالت: أحسنت، وأعطتني كفناً آخر. وقالت: انطلق فكفّن مولاك. ففعلت**»[3].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٩٦.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٤٤ـ٤٥. علماً أنّ هذه الرواية لم تُذكر في المصادر السنية على اختلافها، أمّا كتب الحديث الشيعية فقد عوّلت على ما نقله ابن طاووس الذي لم يُشر إلى مصدر هذه الرواية، إلّا أنّ الباحث أخذ بها لاتّفاقها مع المضمون الاجتماعي الذي يفرض على الرجل حين يُطلّق امرأته من دون سببٍ خلافي سوى الالتحاق بركب الجهاد والتضحية، أنْ يُطمئنها ويبشّرها بأنّه لا ينساها في الآخرة.

(٣) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج١، ص٤٨٥. وهذا الخبر لا يراه الباحث المدقق صواباً؛ لعدم تواتر أهل الأخبار عليه، هذا من جهة الإسناد، ومن جهة النظر في المتن، فينبغي أنْ تكون زوجة ابن القين متأثّرة أشدّ التأثر بالإمام الحسين عليه السلام، فتكون أكثر غيرةً عليه من زوجها، وهي التي كان لها الفضل في تحريك عواطف زهير ليلتقي بالإمام الحسين عليه السلام، أمّا بعد اهتدائه للمنهج الحق، وتركه ذلك الهوى العثماني الذي عصف بأفكاره من قبلُ، بتلك الصولات الميدانية والخطابات المدوّية له مبيّناً لهم شرَّ عاقبة ما أقدموا عليه من فعل، وموضّحاً عظيم مكانة أهل البيت بعامة، والإمام الحسين عليه السلام بخاصة، وبعد ذلك تأتي زوجتهـالتي يفترض أنْ تكون أكثر الناس تأثُّراً بخطابهـبعد استشهاده بالمبادرة إلى تكفين زوجها قبل الإمام الحسين عليه السلام، فيبادر غلامها إلى تكفين الإمام الحسين عليه السلام قبل زهير بما يعكس ولاءه للإمام الحسين عليه السلام أكثر منه لمولاه زهير! فهو خبرٌ لا يمكن الركون إلى صحّته بما بيّنته من استدلال.

إنّ خطـاب المـرأة بوصفها زوجةً للرجـل، يُمثّل بصفة عامةٍ حافـزاً للتفاعل على اختـلاف نوعيـة هذا التفاعل تبعـاً لنوعية الخطاب، وفي قول (دلهـم) يظهر التعجّب من سـلوك زوجها زهير بـن القين، حين يُدعى من قِبَل ابن رسـول الله صلى الله عليه وآله باعتراف جميـع مذاهـب المسلمين، فـلا يُجيب له دعـوة، أو يعبأ بأهمية مثل هـذه الدعوة؛ ولذا يتبدّى الاسـتفهام المقرون بالتعجّب من سلوكه غير المنسجم واللائق مع ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فهـي تحثّـه ـ عبر مفهـوم هذا الاسـتفهام ـ على لقاء الإمـام والسماع لخطابه، وقـد مثّل خطابها دافعـاً للتحرّك النفسي قبل الجسدي؛ لكـون الرجل الزوج دائماً ما يرى نفسه أكثر معرفةً وإحاطةً من زوجته، فيدفعه الشـعور بكمال الذات إلى التغلّب عليهـا، وتدارك مـا فاته من موقف يثبّت تصـوّراً غير مرغوبٍ فيه، فكـان اللقاء مع الحسـين عليه السلام إيذاناً بإذابـة طبقات الفهم الخاطئ الراكدة على نفـس زهير، وتصوّراته التـي بُنيت عـلى ذلك الرُكام الجاثـم على مخيّلتـه، ولم ينقل التأريخ مـا دار بين الإمام الحسـين عليه السلام وبـين زهـير من كـلام، إلّا أنّ المتأمّل في تلـك الخلوة بينهـما لا يتوقّع إلّا مـا يُوحي بطمأنينـة نفس زهير التي بُشـّرت بالجنة من مولاهـا الحسين عليه السلام، فيما لو عدَلـت عـن موقفها السابق وعبرت إلى سـاحل النور والنجـاة بنصـرة الحسين عليه السلام، والوقوف معه في هذا المقام؛ ولذا وصفه الخبر بأنّه رجع إلى زوجته مستبشراً قد أسفرَ وجهـه، بـما يُنبئ عن حالتـه النفسية المضطربة فيـما قبل اللقاء، ممّـا جعل علائم ذلك الاضطراب تبدو على مُحيّاه، وبمقاربة نفسية تُشـخّص حالة زهير بن القين قبل لقائه بالإمـام الحسـين عليه السلام، تُبيّن لنـا أنّه كان منـذُ مسايرته وإلى ما بعد مجيء رسـول الإمام الحسـين عليه السلام له غير مرتاحٍ نفسيّاً، تمظهر على سـلوكه المضطرب بـأنْ يقف عند تحرّك الحسـين عليه السلام، ويتحرّك عندما يقـف، وإلى عدم موافقته لقـاء الإمام الحسين عليه السلام حين دُعي إلى ذلك من قِبل الرسول، وتأثير زوجته عليه حين وجّهت إليه الخطاب، فكأنّه كـان «**مُكرهاً على ممارسـة فعلٍ يعتقد بعبثيته، إلّا أنّه يظنّ بعدم اسـتطاعته التخلص من**

هيمنته»[1]، فوسواسه النفسي كان قد تجلّى على تصرفاته «**بصورة شك وتردد، وعدم إمكانية التركيز الذهني، وقرارات وتصرفات غير مألوفة، وبالطبع لا يلتفت الأفراد لهذا الأمر؛ لأنّه ليس بتلك الدرجة من الشدّة التي تصل إلى حدّ الحيلولة بين المرء وممارسته لأعماله ونشاطاته الاجتماعية**»[2].

أمّا الآن فقد استقرّ نفسيّاً حين التقى بالإمام الحسين عليه السلام، ووجد تلك الغلالة الفكرية التي تشرنق بها، لم يكن لها غير الوجود الوهمي في عقله، فرجع إلى صاحبيه اللذين كانا معه فأمر بفسطاطه ومتاعه أن يُقدّم إلى جوار فسطاط الإمام الحسين عليه السلام؛ وهذا الأمر يُبرز مكانته الاجتماعية فيما بينهم، إذ لا يُباشر أُموره بنفسه، بل هناك مَن يُعينه عليها، ثمّ التفت إلى زوجه، فأخبرها بأنّها طالقٌ لا لأنّه كره العيش معها، بل لأنّه عزم على أنْ يفدي نفسه، ويبذل مهجته في سبيل نصرة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما سيُعرّضها لشتى صور الألم والإيذاء فيما بعده، فهو من باب كفّ الأذى عنها، والخوف على ما ستقع فيه من مصائب ومحن فيما لو بقيت حليلته وقتذاك.

إنّ ثمرة ذلك اللقاء الذي خطّط له الإمام الحسين عليه السلام مع زهير، قد آتى أُكُله في إشاعة مفاهيم إنسانية كبرى، لها في عصرنا الحاضر أعظم الأثر في تقريب وجهات النظر بين الأفراد، ومن ثَمّ المجتمعات، إذ تؤكّد الدراسات الثقافية على ضرورة التلاقي بين الأفراد مهما كانت وجهات نظرهم مختلفة، «**فالتنوع الثقافي لا يعني التنافر الإنساني المُطلق، ولا يعني النفي الوجودي المتبادل، وإنّما يعني أنّه مع الإيمان بضرورة التعدد والتنوع ضماناً للحركة، فإنّ ثمّة ضرورة للفهم العقلاني لتأكيد تكامل عنصر، أو عامل التكافل الإنساني الأشمل، ووحدة الجوهر الإنساني**»[3].

---

(١) القائمي، علي، الوسواس والهواجس النفسية: ص١٠.

(٢) المصدر السابق: ص١٣.

(٣) كاريذس، مايكل، لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة ـ الثقافات البشرية.. نشأتها وتنوعها (مقدّمة المترجم): ص١٠.

ولنـأتِ إلى خطـاب زهير مع أصحابه، فقال لهم: «**مَن أحـبّ منكم أن يتبعني وإلّا فإنّـه آخر العهد، إنّي سـأُحدّثكم حديثـاً: غزونا بلنجر، ففتح الله علينـا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي**[1]**: أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم؟! فقلنا: نعم. فقال لنا: إذا أدركتم شـباب آل محمد فكونوا أشـدّ فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبتم من الغنائم، فأمّا أنا فإنّي أستودعكم الله. قال: ثمّ والله ما زال في أوّل القوم حتّى قُتل**»[2].

وهُنا أعلن زهير ـ عبر خطابه مع أصحابه الذين عرفوا توجّهه من قبل ـ أنّه ليس زهـيراً الـذي يعرفونه، فهو الآن عازمٌ على المُضيِّ في ركب الحسين عليه السلام إلى آخرِ المسير، «**فـما الـذي حصل عندما اجتمـع مع الإمام عليه السلام حتى صـار مريداً ومحبّـاً، ووليّاً وناصراً، بشـكلٍ أثار الاسـتغراب ممّن كانوا في صحبته، إذ كيف يتحوّل إنسان بمثل هذه السرعة ويبدّل موقفه؟**»[3]، فالجواب عن (ماهية) ذلك اللقاء، تبقى من الأسرار الإلهية، إلّا إنّه كـما أوضحت قبل قليل، كان لقاءً مُوحياً بالطمأنينة النفسية التي تعطّش إليها زهير، وتاقـت نفسـه إليها، ولا يبعد أنْ يكون في ضمن كلام المـولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام

---

(١) هو سلمان بن ربيعة بن زيد بن عمرو بن سهم بن عمرو بن ثعلبة بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر، صحابي، غزا الشام مع أبي أمامة الصدي بن عجلان الباهلي، فشهد مشاهد المسلمين هناك، ثمّ خرج إلى العراق فيمَن خرج من المدد إلى القادسية متعجلاً، فشهد الوقعة وأقام بالكوفة وقُتل ببلنجر سنة (٣٢هـ). أُنظر: ابن قانع، عبد الباقي، معجم الصحابة: ج١، ص٢٨٥. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٢١، ص٤٦٣. وقد ذكرت مصادر أُخرى أنّه سلمان الفارسي وليس الباهلي. أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ص٧٣. الطبسي، نجم الدين، وآخرون، مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة: ج٣، ص٢٠٤، كذلك في بعض مصادر التاريخ السنّية نقلت أنّه سلمان الفارسي. أُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص١٥١. وهو الراجح عند الباحث؛ لخصوصية صحبته للرسول الكريم صلى الله عليه وآله التي من شأنها أنْ تعزز العلاقة، فتفضي بالرسول أنْ يخصّه بأحاديث تشير إلى ما سيقع فيما بعده، فضلاً عن أنّ سلمان الباهلي لم يعرف بكثرة نقله للأحاديث والأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله، إلّا ما ورد في معجم الصحابة لابن قانع من كلام للرسول صلى الله عليه وآله أجاب به على عمر بن الخطاب. أُنظر: ابن قانع، عبد الباقي، معجم الصحابة: ج١، ص٢٨٦.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٩٦.

(٣) معهد سيد الشهداء للمنبر الحسيني، مواقف من كربلاء: ص٤٩ـ٥٠.

أنّـه ـ بوصيةٍ سـابقةٍ من أبيه، أو عن رسـول الله بالمباشرة ـ أخـبره بمضمون الحديث الذي نقله عنه سلمان المحمّدي رضي الله عنه، الذي بدوره تحدّث به حين كان فتح بلنجر أمام ثلّةٍ من الجُند المسلمين، وإلّا ما أدراه ـ أي: سلمان المحمدي ـ بما سيحدث على شباب آل محمد بعد تسعٍ وعشرين سنة، ومن ثَمّ يلتمس ممّن معه فيما لو أدرك ذلك الزمان أنْ يكونوا أشـدّ فرحاً ممّا هم فيه من فرحٍ لحصولهم على الغنائم الوفيرة، فنجزم أنّ ذلك الخـبر كان مصدرهُ نابعاً من رسـول الله صلى الله عليه وآله، ونفترض أنّه خصّ به اثنين هما: سـلمان المحمـدي الذي أفضـى به إلى مَن معه من جند يوم فتح بلنجر، والإمام الحسين عليه السلام؛ لكـي يكـون هذا الخبر علامةً على صدق دعواه حين يذكره لزهير بن القين، الشـاهد الوحيـد في هـذا الركب، ودليلاً على تنجيز الحُجّة عـلى زهير المُخالف ـ الآن ـ لتوجّه الإمـام الحسـين عليه السلام؛ ولذا رجـع زهير إلى أصحابـه يُحدّثهم عن هـذا الحديث، وكأنّ أحداً ذكّره بهذا الحديث حين ذهب للقاء الحسين عليه السلام، ويعتقد الباحث أنّه عليه السلام كان في ضمن كلامه الذي استمال به فكر زهير وخلب به عاطفته، أنّه ذكّره بهذا الموقف الذي غاب عنه الحسين عليه السلام حضوراً، إلّا أنّه لم يغب عنه وصيةً من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، أراد توصيلها لزهير في هذا اليوم. وأرى أنّ قول سلمان المحمدي الذي نقله ابن الأثير أكثر دقةً وتحديداً؛ إذ يقول في ضمن عرضه هذا الخبر: «**إذا أدركتُم سيّد شباب أهل محمدٍ، فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم، فأمّا أنا فأستودعكم الله!**»[1].

ولا أعلم هل سـقطت لفظة (سيد) من قول سلمان في نص الطبري عفواً أم قصداً؟!

ومـن الأدلة العقلية التي يراها الباحث قويّـةً في إثبات أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد ذكّر ابن القين بهذا الحديث، أنّ التذكير سُنّةٌ قُرآنية حثَّ الله عليها نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله؛ لتثبيت الحجة على الإنسان بعد قيامه بالفعل، فقال تعالى مخاطباً رسوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[2]، حيث بيّنت الآيتان أنّ وظيفة الرسول هي

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص١٥١.
(٢) الغاشية: آية ٢١ـ٢٢.

«**التذكـرة؛ رجاء أن يسـتجيبوا و يؤمنوا من غير إكراه وإلجـاء**»[1]. والأئمّة من آل بيت الرسول (صلوات الله عليهم) أولى الناس باتّباع هذه السنّة القرآنية.

ومن الأدلة النقلية التي حفظها التاريخ لنا في تذكير أئمّة أهل البيت عليهم السلام أعداءهم حـين النزال؛ لأجل إسـقاط حجّة الخصم الباغي عليهـم، ما ذُكِرَ عن الإمام علي عليه السلام في معركـة الجمـل، وذلك حين نازلـه الزبير، فقال له الإمام عليه السلام: «**يـا زبير، أتذكر يوم مررت مع رسـول الله (صلّى الله عيه وسـلّم) في بني غنـمٍ، فنظر إليّ فضحك وضحكت إليـه، فقلـت: لا يدع ابن أبي طالبٍ زهوه، فقال لك رسـول الله (صلّى الله عيه وسـلّم): صَـهْ، إنّـه ليس به زهو، ولتقاتلنّه وأنت له ظالم؟ فقـال: اللهمّ نعم، ولو ذكرت ما سرت مسـيري هذا، والله لا أقاتلك أبداً**»[2]. ومعلومٌ أنَّ الزبير فرَّ بعدها من المعركة وقُتل في وادي السباع[3].

ومن الطبيعي أنْ نجد هناك مَن يستفيد من ذلك التذكّر ومَن لا يستفيد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ * وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾[4]. فكان زهيرٌ مـن الصنف الأوّل الـذي يعكس نقاوة فطرتـه، مُضافاً إليها نـوع التربية والأخلاق التـي تحلّى بها، ولا بُدّ من القول إنّه تربّى في حضنٍ طاهرٍ أمدّه بأعالي القيم وأفاضلها التي تُسهم في بلورة الشـخصية وتحصينها مهما تأثّرت بعوارض البيئة التي تعيشـها، ومهما كانت الظروف التي تمرُّ بها، فالشـخصية التي تنشـأ في ظروفٍ صحّية يكون لها عظيـم الأثـر عاجلاً أم آجلاً، بما تتركه من قيم صالحة سـيظهر دورها الإيجابي فيما لو أُتيحـت لهـا الفرصة، أو اصطدمت بموقفٍ يُزيح عنهـا الركام الذي حال بين تفعيل هـذه القيم التربوية الأصيلة، ويُرشـدها إلى برّ الأمان، وعـن أثر هذه الظروف يقول (جون ديوي): «**إنّ الظروف الإيجابية التي تكوّن الثقافة كلّها أمرٌ مطلوب، فالتحرر من**

(١) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج٢٠، ص٣١٠ـ٣١١.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٥٠٢.
(٣) اُنظر: المصدر السابق: ج٤، ص٥١١.
(٤) الأعلى: آية٩ـ١١.

صنوف الظلم والقمع التي كانت فاشية من قبل؛ دليل على وجود حالة انتقال ضرورية، ولكن لا يخفى أنّ حالات الانتقال ليست سوى ذرائع ومعابر تتخذ رغبة في الوصول إلى شيءٍ آخر، قد يكون مختلفاً كل الاختلاف»[1]، فمثل هذه القيم لا تؤسس أصالتها بتأثير وازعٍ دينيٍّ فحسب، بل هي موجودة في صميم الفطرة الإنسانية، ولا يختلف على أنّها من أعالي القيم وأرقاها، وكلّ الناس إنّما يتباينون فيما بينهم بحسب تجذّر هذه القيم وتفعيلهم لها على مسرح الحياة، وهنا تظهر أصالة التربية التي كان عليها زهير بن القين، فقد عُرِف أنّه صحابيّ للرسول صلى الله عليه وآله، وقد أثبتت المواقف التي أظهرها يوم عاشوراء أنّه كان لا يعرف الدنايا، بل يستنكرها على الآخرين حين تظهر منهم، فالمعارك لها آدابها وأُصولها التي لا يتعدّاها إلّا مَن لؤم أصله وفسد محضنه، وما موقفه من الشمر (لعنه الله) يوم عاشوراء إلّا دليل على طُهر منبته ونجابته، فقد «**حمل شمر في المسيرة حتَّى طعن فسطاط الحُسَيْن برمحه، ونادى عليّ بالنار حتَّى أحرق هذا البيت على أهله. فصحن النساء وولولن وخرجن من الفسطاط. فقال الحُسَيْن: ويحك، أتدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي؟! وقال شبث بن ربعي (لشمر): يا سبحان الله! ما رأيت موقفاً أسوأ من موقفك، ولا قولاً أقبح من قولك. فاستحيى شمر منه، وحمل عليه زهير بن القين في عشرة، فكشفه وأصحابه عن البيوت»**[2].

وإذا عُدنا إلى خطاب زهير بن القين السابق مع أصحابه حين رجع من الحسين عليه السلام نجده مُفعماً بدلالات التهيُّؤ والحماس لنصرة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله والذبّ عن حُرَمه الطاهرات، بحيث جعل يُخبر أصحابه بأنّه سيفارقهم سواءً أكان الفراق عن التوجّه العقدي الذي كان عليه فيما سبق، أم كان الفراق عن الدنيا؛ وذلك باستعداده للقتال الذي يودي بصاحبه إمّا للنصر أو للشهادة، ولمّا كان أتباع الحسين وأنصاره لا يماثلون الأعداد التي تهيأت لقتاله من جيوشٍ مدجّجةٍ بالسلاح، كان احتمال الاستشهاد هو

(١) ديوي، جون، الحرية والثقافة: ص٨.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص١٩٤.

الوارد حصراً في ذهنه؛ لذا صدّر خطابه إلى أصحابه بقوله: «**مَن أحبّ مِنْكُمْ أن يتبعني وإلّا فإنّه آخر العهد**»، وختمه بقوله لهم: «**فأمّا أنّا فإنّي أستودعكم الله**». وفي وسطه كان استدعاءً مقصوداً لحادثة وقعت معه قبل تسع وعشرين سنة، حين غزا في جيش الفتوح الإسلامية في (بلنجر) مع الصحابي الجليل (سلمان المحمدي)، وقوله لهم بوجوب الذبّ عن سيد شباب آل محمد ونصرته، واستشعار الفرح والسرور بالقتال بين يديه؛ لأجل أنْ تكون هذه الحادثة وهذا الحديث، دافعاً لأصحابه في أنْ ينخرطوا في الدفاع عن الحسين عليه السلام والاستشهاد في سبيله.

المحطة الثانية: مع الحسين عليه السلام إلى كربلاء

بعد أنْ تبيّن لنا موقف زهير الذي اتّخذه بعد لقائه بالإمام الحسين عليه السلام، الذي عكس مقدار شفافيته ـ إنْ صحَّ الوصف ـ من تقبّل الحقيقة والمُضيِّ بها شعاراً يُنادي به ويُقدِّم نفسه قرباناً لأجل تثبيتها في المجتمع، وهي صفةٌ تكمنُ في المثقّف الأصيل الذي لا يتحجّر عند فكرةٍ أو يتقوقع على رأي، بل عليه أنْ يُصحّح مسيرته بما استجدَّ له من تفكيرٍ أعاد حساباته السابقة، وبهذا «**لم تُعد الأُمور قابلة لأن يقف الإنسان عند الآراء الشخصية، والمواقف المتشنجة، التي يتمكن الإنسان من خلال التفكير الهادئ والعقلانية الواضحة، أن يرى الفارق بين المسألة المبدئية والمسألة الشخصية، ويُقدّم ما هو الأهم والأخطر في نظره، ولهذا سرعان ما فكَّر واتَّخذ القرار ليكون إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام رفيقاً له في الدرب والشهادة**»[1].

بعد أنْ انضمَّ زهيرُ بن القين إلى قافلة الإمام الحسين عليه السلام وأتباعه، كان للحُرِّ ـ وهو قائدٌ عسكري أُرسِل من والي الكوفة عبيد الله بن زياد ـ مهمّة تنحصر في الجعجعة بالإمام الحسين عليه السلام، إلّا أنّه عليه السلام لم يكن منقاداً بالمرّة إلى كتيبةٍ عسكرية، فكان له أنْ يخطب في جماعته بحضور هؤلاء الجند في منطقة (ذي حسم)[2]، وقبلها منطقة

(١) معهد سيد الشهداء للمنبر الحسيني، مواقف من كربلاء: ص٥٠ـ٥١.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٠٣ـ٤٠٤.

(البيضـة)[1] آملًا أنْ تكون كلماته نوراً يشـقُّ دياجي بصيرتهم، وتتسبّب في هدايتهم، ففيهم مَن لا يعرف الحقَّ في أيِّ جهة فيُولّي وجهه شـطره، والشـاهد الذي سأذكره ما يتعلّق بخطبته في (ذي حسم) التي عقّب زهيرٌ بعدها بكلام أورده الطبري عن «**عقبة بن أبي العيزار**[2]: **قام حسـين**عليه السلام **بذي حسـم، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها، واستمرت جداً، فلـم يبقَ منهـا إلّا صبابة كصبابة الإنـاء... فإنّي لا أرى الموت إلّا شـهادة، ولا الحياة مع الظالمـين إلّا برماً. قال: فقام زهـير بن القين البجلي، فقال لأصحابه: تكلّمون أم أتكلّم؟ قالـوا: لا، بـل تكلّـم، فحمد الله فأثنى عليه، ثمّ قال: قد سـمعنا هداك الله يا بن رسـول الله مقالتـك، والله لـو كانت الدنيـا لنا باقية، وكنّا فيها مخلديـن، إلّا أنّ فراقها في نصـرك ومواسـاتك، لآثرنـا الخـروج معك عـلى الإقامة فيها. قال: فدعا له الحسـين، ثـمّ قال له خيراً**»[3].

يظهـر في الخطبتين اللتين تزامنتا في وقتٍ واحدٍ، دلالاتٌ تَنِمُّ عن تناغمٍ وانسجامٍ بينهـما، وكأنّهـما قطعةٌ واحـدة من حيث المضمون والشـكل، على أنّ ثمّة تشـكيلات بيانية وأُسلوبية تميّزت بها الأُولى، فجعلتها بمثابة المتن، أمّا الثانية، فكانت هامشاً لها، فالإمام الحسين عليه السلام قد بيّن عبر فقرات كلامه أنّ الدنيا منقطعة لا يبقى منها شيءٌ غير الذكـر الحسن والموقـف النبيل، وحين تلتبس القيم وتنقلـب المعايير الصحيحة التي بموجبهـا يجـد الإنسان نفسـه، ويُقيّم عمله بمنظـور تلك المعايـير، لا يبقى شيءٌ من الدنيا يستحقّ البقاء لأجله، فالسعادة تكون مقرونةً بالشـهادة، وفي قِبال ذلك يكون السـأم ـ بوصفه الداء الـدويَّ للإنسان الحرّ في اختياره مبادئه ـ مقروناً بالحياة، فيما لو كانـت محكومةً بقبضـة الحُكّام الظالمين، الذين يستلبـون إرادة غيرهم بالقهر والقوّة،

(١) المصدر السابق: ج٥، ص٤٠٣ـ٤٠٤.

(٢) عقبة بْن أبي العيزار الكوفي، مولى لبني أود من مذحج، سمع إبراهيم والشَّعبيّ وأباه، سمع منه عبد الواحد، منقطع. اُنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٦، ص٣٤٤.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٠٣ـ٤٠٤.

وهنا ينسجم الخطاب الثاني الذي أدلى به زهير مستدركاً خطبة الإمام الحسين عليه السلام من حيث المضمون، فهو يؤكّد على لسانه ولسان مَن جاؤوا لنصرة إمامهم، أنّه لو فُرِض أنّهم مخلّدون في دار الدنيا ـ على أنّه فرضٌ لا واقع له، ولكن كما قيل: فرض المحال ليس بمحال ـ إلّا أنّ هذا التخليد منوطٌ بعدم نصرتهم الإمام الحسين عليه السلام والخروج معه للقتال، لكان خيارهم في استئثارهم الخروج معه أنصاراً على البقاء فيها. وهنا يلتقي مضمون خطابه بمضمون خطاب الإمام الحسين عليه السلام، حين يجد الموت سعادة باقترانها بكلِّ غالٍ ورفيع من المبادئ والقيم التي تستحقّ النضال، وهو مضمونٌ سامٍ لا يستلذّه إلّا الأحرار في دنياهم، أمّا «**الذين لا يعرفون الخلود، لا يمكنهم مساعدة الآخرين على التخلص من الخوف من الموت، أولئك الذين لا يعيشون حياتهم بكلّيتها وبشغف**»[1].

ومن المزايا الشكلية التي اشتركت كلتا الخطبتين فيهما، أنّ كلتيهما ابتدأتا بحمد الله والثناء عليه، ودلالته أنّها تُعبّر عن رؤية إيمانية تبتدئ بذكر الله وتنتهي إلى رحمته، والرضا بقضائه وقدره، ولكي لا يُفهم مضمون الخطاب على أنّه نظرة سوداوية للحياة، وتشاؤمٌ مُطبق أودى بصاحبه إلى الانتحار، بل يُعتبر عقيدةً بالله وتسليماً بحكمه، وامتثالاً لحُكمه، بالابتعاد عن زينة الحياة الدنيا حينَ تُقرن بالتخلّي عن الدين والقيم الإنسانية الأصيلة، والتماس ما لا يفنى من نعيم الله وثوابه العظيم.

وفي موقف آخر لزهير بن القين: بعد أنْ حاصر الحر بن يزيد الرياحي ركْبَ الإمام الحسين عليه السلام ومنعه من الرجوع إلى حيث ما جاء، كان لا بُدّ للحُرِّ من تنفيذ أمر قائده الأعلى عبيد الله بن زياد، والإمام الحسين عليه السلام يطلب منه أنْ يُنزله إلى قُرى مُجاورة، في حين كانت الأوامر العليا تُلزم بإنزال الحسين عليه السلام ومَن معه في قرية لا ماءَ فيها ولا خضرة، توجّه زهير بن القين لمولاه الحسين مُشيراً عليه بالقول: «**بأبي وأُمّي يا بن رسول الله، والله، لو لم يأتنا غير هؤلاء لكان لنا فيهم كفاية، فكيف بمَن سيأتينا**

(١) أوشو، التسامح رؤيا جديدة تزهر الحياة: ص٤٩.

مـن غيرهـم؟ فهلّم بنا نناجز[1] هؤلاء، فإنّ قتال هؤلاء أيسر علينا من قتال مَن يأتينا من غيرهم»[2].

يبـدو جليّاً نسق الـولاء في خطاب ابن القين مع الإمـام الحسين عليه السلام؛ وذلك حين يبتـدأ كلامه بباء التفدية، ثمّ يُبدي رأيه الذي يعكس حرصه وخوفه على حياة إمامه، وكأنّـه ذلك الرحّال الذي تعـبَ من الضرب في المجهول، حتى وجـد ضالّته، فكان أشـدّ الحرص في الحفاظ عليهـا، فكان له أنْ ينطلق من صميم عواطفه المشـبوبة بنار الوجـد الحسينـي، فيطرح فكـرةً مفادُها المبـادرة إلى قتـال كتيبة الحرِّ، فهـم بعددهم يقتربـون من عـدد مَن جاء مـع الإمام الحسين عليه السلام من رجـال وشُـبّان، فالتمكّنُ من قتالهـم أكثـر احتمالاً ممّا لو جاءت أعدادٌ أُخر من جيوشٍ سيُرسِـلها طاغية الشـام إلى كربلاء.

ومن الدلالات التي يقتضيها مضمون كلام ابن القين، أنّه ذو رُؤيةٍ استشرافية لا تقف عند اللحظة الآنية، فترى موضع قدميها فحسب، بل ترمي بأقصى نظرها إلى ما هو أبعد، فهو يتوقّع ـ بحسب ما يقرأه من حراكٍ يجري وقعه على الساحة ـ أنّ أعداد الجيوش سوف تتزايد في الأيام المقبلة، فلو تمّ مناجزة هؤلاء العسكر؛ لكان الخلاص من قبضة الحاكم ونكال بطشـه أسـهل. أمّا الإمام الحسين عليه السلام فقد أبدى رأيه صريحاً واضحاً بقوله: «**إنّي أكره أن أبدأهم بقتال حتى يبدأوا**»[3]. وهو رأيٌ يعبّر بوضوح عن عصمة قائله؛ إذ كان الإمام عليه السلام يرى الأُمور بطريقةٍ أُخرى غير التي يراها زهير، فقد وصـف ابتـداءه قتال أعدائه بالكراهـة، ويعرّفها ابن فـارس (ت ٣٩٥هـ) ـ بحسب الرجـوع إلى أُصـول المادة اللغوية؛ للكشـف عـن دلالتها ـ بأنّها «**على خـلاف الرّضا**

(١) المناجَزة في الحربِ: أن يتبارز الفارسان حتى يقتل أحدهما صاحبه. أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٦، ص٧١، مادة (ن ج ز).

(٢) الدينوري، أحمد بن داوود، الأخبار الطوال: ص٢٥٢.

(٣) المصدر السابق: ص٢٥٢.

والمحبّة... [أو هو] المشقّة. والكره: أن تُكلّف الشَيء فتعمله كارهاً»[1]. ومعلومٌ أنّ هذه الكراهة من صميم الفطرة الإنسانية السليمة، وقد عبّر القرآن الكريم عن أصالة هذه النزعة عند الإنسان مبيّناً أنّ الخروج عنها لا يكون إلّا لأمرٍ واجبٍ فرضه الله، إلّا أنّه ـ بغضّ النظر عن المصالح المتحققة به والمفاسد المترتّبة على إهماله والتواني عنه ـ شعورٌ يعكس ميل الإنسان للسلام، إذ يقول تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]. ولما نعلم أنّ الإمام عليه السلام يعلم علم اليقين أنّه مقتولٌ بكربلاء، وأنّهم سوف لا يستثنون عن قتله، فهو بقوله هذا أراد أنْ يكشف زيف ادّعاء حكومة آل سفيان بأنّها تُقاتل مَن لا يبدأها بقتال، فهي إذن حكومة بعيدة عن القيم الإنسانية المتأصّلة في النفوس السويّة التي تنأى عن القتال ما جهدت إليه سبيلاً، كذلك أراد الإمام عليه السلام أنْ لا يترك عُذراً للذين يفكّرون بطريقة انتهازية، حيث يستغلون نقاط الضعف في الآخر، وغير ذلك من العبر التي بإمكان المتأمل أنْ يقف عندها.

إلّا أنّ زهير بن القين لم يكتفِ بهذا الردِّ؛ لكونه مخلصاً في ولائه للإمام، مُبالغاً في الحرص عليه من أنْ يُمسَّ بأدنى أذى، فأشار عليه بأن ينزل قريةً وُصِفت بأنّها حصينةٌ في عاقول[3]، وبالقرب منها شط الفرات الذي يحدق بها من وجه واحد. «**قال الحسين: وما اسم تلك القرية؟ قال: العقر**[4]. **قال الحسين: نعوذ بالله من العقر. فقال الحسين للحر: سر بنا قليلاً، ثمّ ننزل. فسار معه حتى أتوا كربلاء، فوقف الحر وأصحابه أمام الحسين ومنعوهم من المسير، وقال: انزل بهذا المكان، فالفرات منك قريب. قال الحسين: وما**

---

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٥، ص١٧٢.

(٢) البقرة: آية٢١٦.

(٣) «عاقول الوادي: ما اعوجّ منه، والأرض العاقول: التي لا يهتدى إليها». الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج١، ص١٦١، مادة (ع ق ل).

(٤) العَقْر: قَصْر يكون مُعْتَمَداً لأهل القَرْيَةِ يَلْجَأُونَ إليه، وهو مكان قرب كربلاء من نواحي الكوفة. أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج١، ص١٥٠، مادة (ع ق ر). الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج٤، ص١٣٦.

اسـم هذا المكان؟ قالوا له: كربلاء. قال: ذات كرب وبلاء، ولقد مرّ أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفّين، وأنا معه، فوقف، فسأل عنه، فأُخبر باسمه، فقال: هاهنا محطّ ركابهم، وهاهنا مهراق دمائهم. فسـئل عن ذلك، فقال: ثقـل لآل بيت محمد، ينزلون هاهنا»[1].

لنـأتِ إلى خطـاب ابن القـين أوّلاً؛ لمبادرته الكلام، فهي تعكس حرصه الشـديد وتخوّفـه من أنْ يطالَ الإمامَ الحسين عليه السلام سـوءٌ؛ فلذا كان يتمنّـى عليه أنْ ينزل في قريةٍ تحصّنه من جيوش الأعداء، فضلاً عن كونها أرضاً أشبه ما تكون بالوادي، فهي بهذا الوصف غير مستهدفة من قبل الآخرين؛ لعدم الاهتداء إليها بسرعة، والأمر الآخر الـذي يكشـفه لنا كلام ابن القين، أنّه على علمٍ بالطريـق ومنازله، والقرى المحيطة به مـن قريـب أو بعيد، بـما يُؤكّد أنّه يعلم بهـذه الأماكن عبر عمـره الطويل الذي قضاه بين معارك ورحلات، حيثُ تعكسُ استشـاراته مدى الخبرة العسكرية التي توفّرت عنـده عبر مسيرته الجهادية، فالمكان الـذي اختاره لنزول الإمام الحسين عليه السلام، توفّرت فيـه كـل المزايا الاسـتراتيجية التـي تؤهـل المتموقعين فيـه برجحان الكفّـة، ومن ثمّ التغلّـب على مناوئيهـم. إلّا أنّ الإمام الحسين عليه السلام أبى أنْ يختـار موضعاً يحملُ عنواناً موحيـاً بالاسـتئصال، والتحـوّل من حركـةٍ وديمومـة إلى توقّف وانتهـاء، فالأصل في مـادة (عقر) يُشـير إلى «**تحوُّلٍ في مسـير الحياة وتغيـير الحركة الطبيعيـة؛ بحيث يلغي جريانـه الأصيل، وهذا المعنى يختلف ويتفاوت بحسـب اختلاف الموضوعات: كتحوّل التوليـد في المرأة، فيقال: إنّهـا عاقر. وتغيير جريان الحياة في البعير بقطع قوائمه. وكذلك بعـض الجـروح إذا حوّلت مسـير الحيـاة. ومثله تغيير رحـل الدابـة أو سرجها للإتعاب في الحركـة والسـير. وقطـع رأس النخـل الموجـب لتحوّله في الحيـاة، وتعقّـر الغيث إذا توقّـف عـن الجريـان. وحـدوث النسـيان الموجـب توقـف اسـتمرار العلـم، وكذلـك القـصر إذا تحـوّل عن عمارتـه إلى التخرّب وخلا عن أهلـه وتوقّف جريـان عمرانه**»[2].

---

(١) الدينوري، أحمد بن داوود، الأخبار الطوال: ص٢٥٢.

(٢) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج٨، ص٢٣٥.

ومـن هـذه الدلالات التـي بيّنتها المعاجـم العربية لمادة (عقـر) نُدرك جليّـاً لماذا كان الإمام الحسين عليه السلام يقول: نعوذ بالله من العقر؟ الأمر الذي دفعه أن لا يختارها موضعاً ينـزلُ فيه، وقد اختار كربلاء على ما يُوحي اسـمها من دلالـة الكرب والبلاء، إلّا أنّه لا يوحي بالانتهاء والتحوّل كما توحيه دلالة مادة (عقر)، بل لما فيها من دلالة البلاء التي تكشـف صبر الإنسـان واجتيازه عقبات الاختبار الإلهـي وغيره، وهذه الدلالة لم تكـن غائبـة عن اللغويين ممّن أمعن في النظر في دلالـة المادة بحسب السياقات التي تـرد فيها، مثل ابـن فارس الذي يقول: «**ويكون البلاء في الخـير والشّرّ، والله تعالى يُبلي العبد بلاءً حسناً وبلاءً سيّئاً، وهو يرجع إلى هذا؛ لأنّ بذلك يُختبر في صبره وشُكره**»[1]. فضـلاً عن أنّها الأرض التي مـرَّ بها أبوه أمير المؤمنين عليه السلام بمعيّتـه إلى صفّين، فتوقّف عندهـا، واسـتشرف مـا يقـع فيها مـن أحداثٍ عليـه في يوم عاشـوراء، فهـي أرضٌ موعـودةٌ بـما سـيقعُ فيهـا مـن حـدثٍ جلـل، لا يمكن لـه أنْ يغـيّر زمانـه أو مكانه.

المحطة الثالثة: في كربلاء قبل المعركة ـ ممارسات ثقافية واعية

اسـتمرَّت وتيرة الحـماس عند زهير بن القين بالتصاعد، وقد نفذت أشـعة الولاء الحسيني إلى أعماق قلبه، فجعل يبوح بمودّته لمولاه غير مكترثٍ أو مُبالٍ لما سـيفرضه ولاؤهُ عليـه مـن ضريبـةٍ تُكلّفه حياتـه، فالخلود في الحيـاة الدنيا لا طعـم له ولا لون ولا رائحـة عنده حـين يكون دون نُصـرة الحسين عليه السلام، وها هو ينتفض مُجدّداً في اليوم التاسـع حين اقتربت صيحة الجيش مُحكمةً خناقهـا حول خيام الحسين عليه السلام ومَن معه مـن أنصار، فما كان للإمام الحسين عليه السلام إلّا أنْ يطلبَ من أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام أنْ يتوجه بمعية عشـرين فارساً ـ فيهم زهير وحبيب ـ إلى معسكر الأعداء، فيستفهم منهـم ما الذي يريدونه؟ ثـمّ يرجع إلى الإمام بمطلبهم الذي يستحيل على الإمام عليه السلام تنفيـذه، ألا وهـو النزول على حكمه؛ لما فيه من مهادنةٍ للظلـم وقبولٍ بدولة الباطل،

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج١، ص٢٩٣.

وما يصدر عنها من أفعال، وهنا حانت فرصةٌ ثمينة لحبيب بن مظاهر رضي الله عنه في أنْ يخاطب القوم الذين أزمعوا على قتال ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، «**فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين: كلّم القوم إنْ شئت وإنْ شئت كلّمتهم. فقال له زهير: أنت بدأت بهذا، فكن أنت تكلّمهم. فقال لهم حبيب بن مظاهر: أما والله، لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيّه صلى الله عليه وآله، وعترته وأهل بيته عليهم السلام، وعبّاد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار، والذاكرين الله كثيراً. فقال له عزرة بن قيس**[1]**: إنّك لتزكّي نفسك مَا استطعت. فقال له زهير: يا عزرة، إنّ الله قَدْ زكّاها وهداها، فاتق الله يا عزرة، فإنّي لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممّن لا يعين أهل الضلالة عَلَى قتل النفوس الزكية! قال: يا زهير، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنّما كنت عثمانياً. قال: أفلست تستدل بموقفي هذا أنّي منهم! أما والله، ما كتبت إليه كتاباً قطّ، ولا أرسلت إليه رسولاً قطّ، ولا وعدته نصرتي قطّ، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلمّا رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم، فرأيت أن أنصره، وأن أكون في حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه، حفظاً لِما ضيّعتم من حق الله وحق رسوله صلى الله عليه وآله**»[2].

في كلامِ ابن القين نلاحظُ التزامه الشديد بأُصول الحوار والمُحاججة؛ وذلك حين يطلب منه حبيب بن مظاهر أنْ يُدلي بما عنده من كلامٍ يوجّهه إلى هؤلاء الذين باعوا دينهم بدُنياهم، إلّا أنّه علمَ بمقتضى كلام ابن مظاهر رغبته في الحديث،

---

(١) عزرة بن قيس البجلي، من أحمس من بني دهن من أنفسهم، من قدماء التابعين بالكوفة، كُوفِي مَجْهُول، روى عن خالد بن الوليد وكان معه في مغازيه بالشام. أُنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٦، ص٢٣٩. وقال عنه ابن حبّان بأنّه «مُنكر الحديث على قلته لا يُعجبني الاحتجاج به إذا انفرد وإن اعتبر مُعتبر بما لم يُخالف الأثبات لم أرَ به بأساً على أن يحيى بن معين كان سيء الرَّأي فيه، سمعت الحنبلي يقول: سمعت أحمد بن زهير يقول: سُئل يحيى بن معين عن عزرة بن قيس، فقال: لا شيء». ابن حبّان، محمد، المجروحين من المحدّثين والضعفاء والمتروكين: ج٢، ص١٩٧ـ١٩٨.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤١٦ـ٤١٧.

فلم يتقدّمْه احتراماً لرغبته في الحديث معهم، ولمبادرته بهذه الفكرة قبله.

وحين نقف عند كلامه ـ بعد أنْ قاطع عزرة بن قيس كلام حبيب بن مظاهر ـ نجده يتكلّم بلغة الواثق من نفسه، ومن صفاء نوايا أصحابه، فقد دافع عن حبيب كما يدافع عن نفسه، وكأنّه مصداقٌ لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المُؤمن، يكفّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه**»[1]، إذ جسّد في ردِّه على عزرة السلوك الذي ينبغي للمؤمن أنْ يكون عليه، مدركاً أنَّ مُغالطة عزرة بن قيس لن تنطلي عليه، فهو وحبيب أكثر تمسُّكاً بقوله تعالى: ﴿... فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[2]، إلاّ أنّ حكم الكراهة بخصوص تزكية العبد لنفسه، قد يرتفع في بعض المواطن، حين تتطلب المصلحة أنْ يُظهِرَ المؤمن ما عنده من خصوصيةٍ، ولأجل تحذير الآخرين من انتهاك حرمته، أو استرخاص شأنه، فقد ورد أنّ سفيان الثوري[3] (ت ١٦١هـ) سأل الإمام الصادق عليه السلام: «**ما يجوز أن يزكّي المرء نفسه؟ قال: نعم، إذا اضطُر إليه، أمّا سمعت قول يوسف**: ﴿... ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[4]، **وقول العبد الصالح**: ﴿... وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٞ﴾[5]»[6]. فضلاً عن مواقف كثيرة للإمام علي عليه السلام وآل بيته الطاهرين حينَ بيّنوا عظيم مقامهم وعلوّ شأنهم عند الله عزّ وجلّ، فهل يحقّ لأحدٍ أنْ يُشكل عليهم بأنّهم يُخالفون أمر القرآن بكراهة تزكية العبد لنفسه؟!

---

(١) أبو داوود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود: ج٤، ص٢٨٠.

(٢) النجم: آية٣٢.

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، إمام المسلمين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. وِلد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى، وخرج من الكوفة، فسكن مكة والمدينة. ثمّ طلبه المهدي، فتوارى، وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً. له من الكتب (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير) كلاهما في الحديث. أُنظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج٣، ص١٠٤.

(٤) يوسف: آية٥٥.

(٥) الأعراف: آية٦٨.

(٦) الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: ص٢٧٤.

إنّ ردَّ ابن القين على عزرة كان مُفحماً له، حين استدلَّ بمضمون قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[1]، حيثُ بينّ أنَّ حبيب لم يُزكِّ نفسه، بالمعنى الذي قصده عزرة، بل كان جوابه بليغاً لا يفقهه إلّا مَن تأمّل في الآية، وأدرك بُعد مرماها الذي يشير إلى «**أنّ الدين ـ وهو الإسلام لله فيما يريده ـ فطريٌّ للنفس، فتحلية النفس بالتقوى تزكيةٌ وإنماء صالح وتزويدٌ لها بما يمدّها في بقائها**»[2]، فالذي تمسّك بدينه سلوكاً كان هو المُفلِح في تزكية نفسه بما ضمنه لها من ثوابٍ جزيل يوم الجزاء، وفوزٌ بالنعيم المقيم؛ ولذا كان ردُّهُ مستفِزّاً لعزرة الذي فُوجئ بشخصيّته التي لم تكن في يومٍ من الأيام على هذا التوجّه الحميم لآل بيت الرسول الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين)، فكلاهما ـ أي: زهير وعزرة ـ ابنا قبيلةٍ واحدة (بجيلة) ومِصرٍ واحد (الكوفة)؛ الأمر الذي دفعه أنْ يسأله متى أصبح شيعيّاً علويّاً وهو لم يعرفهُ إلّا عثمانيَّ الولاء؟ وكلا الاتّجاهين على طرفي نقيض!! إلّا أنَّ جواب ابن القين كان حكيماً إلى أبعد الحدود، فقد أدانه من لسانه، حين طلب منه أنْ يستدلَّ على موقفه الحالي وتبدّله العقدي برهاناً على صحّة هذا المنهج الذي تبنّاه، فهو لم يلتقِ بالإمام الحسين عليه السلام من قبلُ، أو يُحسَب على شيعته، أو ممّن كاتب له بضرورة القدوم إلى العراق، سوى المصادفة التي جمعته بالإمام الحسين عليه السلام التي كانت سبباً في هدايته، بعد أنْ كانت الصورةُ مُضبّبةً في ذهنه عن ابن رسول الله صلى الله عليه وآله نتيجة الإشاعات والافتراءات التي حيكت حول آل بيت الرسول (صلوات الله عليهم أجمعين)، أمّا بعد انقشاع غياهب التصوّرات الزائفة عن ذهنه؛ بلقائه الإمام وجهاً لوجه، وسماعه البيّنات من الحجج التي أخرجته لطلب الإصلاح في أُمّة جدّه، كان له وجوب التحوّل من جبهة الباطل إلى جبهة الحق، ومن ثمّ التصدّي للدفاع عن الحق وأهله ممثّلاً بالإمام الحسين عليه السلام، حتى وإنْ كلّف ذلك إزهاق النفس رخيصةً دون نفسه الزكيّة، تكفيراً لها عما قصّرت فيه من حقوق إزاءها

(١) الشمس: آية٩.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج٢٠، ص١٦٧.

فيما سبق من زمان.

وقد ذكر الطبسي أنّ كلام زهير الذي ينفي فيه أنّه ممّن كتب للإمام الحسين عليه السلام، كان على نحو التعريض ـ وهو « **نوع لطيف من الكناية، يطلق فيه الكلام مشاراً به إلى معنى آخر يُفهم من السياق، أو المقام الذي يتحدّث فيه**»[1] ـ بعزرة بن قيس الذي كتب إلى الإمام الحسين عليه السلام مع مَن كتبوا من رجالات الكوفة، يُعلنون نصرتهم له فيما لو جاء إلى العراق[2]، فهو يُشير إلى مخاطبه بأنّه هو الذي نكث العهد، وكان الأوْلى به أنْ يُلزم نفسه بما كتب؛ ولذا عرّض به في مقام الذم، ، ومعلومٌ أنّ التعريض لا يحسن إلّا ثلباً (ذماً)، وهو أخفى من الكناية[3].

إنّ ما تحقّق في هذه (المُناجزة) الفكرية ـ إنْ صحّ الوصف ـ يعكس مدى ثقافة زهير لا بوصفه مُندفعاً بعاطفته فحسب بل في حذقه[4] ومهارته إدارة الخطاب وجعله مُنتِجاً في إثبات ما يُريده على الخصم، وتوفير أكثر من نقطة ضعف في خطاب الخصم، وجعلها محاور تُعينه على إفحامه. والأمر الآخر أنّه لم يخشَ لومة لائم في طرح ما تبنّاه من رأي، والتزمه من موقف لم يكن عليه فيما سبق، وهذه سمة المثقف بحق، حين يطرح ما عنده من أفكار من دون تردّد؛ ابتغاء إقناع الآخر بصوابها أو إقناعهم له بصواب ما عندهم، وذلك لا يتحقق فيما لو أسدل المثقف على نفسه أستار السكوت، وأبى التصريح بما توصّل فكرهُ إليه، فالصواب هو أنْ يطّلع على الأفكار الأُخرى، وهذا الاطلاع إمّا أن يؤكّد له صحة فكرته، أو يكشف له عن صحة الفكرة الأُخرى، وأينما وجد الحق يجب أن يأخذه حتى لو كان عند غيره[5].

---

(١) قاسم، محمد أحمد، ومحيي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني): ص٢٤٨.

(٢) أُنظر: الطبسي، نجم الدين، وآخرون، مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة: ج٢، ص٣٤٢.

(٣) أُنظر: قاسم، محمد أحمد، ومحيي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني): ص٢٤٨.

(٤) من معاني الثقافة الرئيسة في معجمنا العربي هي الحذق والحصافة، يقول الفارابي: «الثَّقافة: مصدر قولك: رجل ثقف لقف، أي: حاذق خفيف. وهي الحصافة، يقال: رجل حصيف، أي: محكم العقل... والسَّخافة: رقّة العقل». الفارابي، إسحاق بن إبراهيم، معجم ديوان الأدب: ج٢، ص٢٧٥.

(٥) أُنظر: الصفار، حسن، أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع: ص٢٣١.

المحطة الرابعة: ليلة عاشوراء.. دروس من ثقافة الاستشهاد

إنّ الحديث عن أثر الثقافة الرسالية التي نشأ عليها أنصار الحسين عليه السلام لا تترجمه الكلمات، بل تترجمه المواقف العملية التي خلّدها التاريخ لهم، ومن نافلة القول أنْ نُؤكّد أهمية الثقافة الصحيحة في بناء المجتمع المتكامل فكريّاً قبل بنائه مادّياً، باعتبارها «**هوية ذلك المجتمع ووجوده، فإذا انحرفت الثقافة فإنّ المجتمع يكون أجوفاً فارغاً مهما حقق من القوة في الجوانب الاقتصادية والسياسية والصناعية**»[1].

إلّا أنّنا حين نقرأ تلك المواقف الشجاعة للإمام الحسين عليه السلام وأنصاره الأخيار، نتلمّس فيها صورةً لثقافةٍ ثوريّةٍ نابعة من جذور القرآن الكريم بوصفها مبدأً رساليّاً، تتقوّم على أساسه الدعوة الإسلامية، وتستقي من ينبوعه الثر، تلكم هي (ثقافة الاستشهاد) التي تنبني على استرخاص النفوس الزكية والمواجهة المباشرة للسلطة المنحرفة عن المسار الإسلامي؛ لأجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

ومن مواقف زهير بن القين التي أبرزت استعداده للاستشهاد، ما قاله من كلامٍ هو وجماعته حين نشرَ الظلامُ جناحيه ليلة العاشر من محرّم، ردّاً على طلب الإمام الحسين عليه السلام بأنْ يتّخذ كلُّ واحدٍ منهم الليل جملاً، ويتفرّقوا في المدائن والأمصار علماً منه بأنّ هؤلاء النفر الذين قَدِموا معه لم يكونوا هدفَ الجيوش المُرسلة من الشام، بل الهدف المطلوب تحقيقه كان في قتله حصراً إنْ أبى البيعة ليزيد (لعنه الله)، فلو حقّقوا غرضهم لانشغلوا به عن سواه، وهذا الطلب يعكس مدى احترام الإمام عليه السلام لرأي الآخرين وانفتاحه في الحوار مع أصحابه الذين قدموا لنصرته، وهو الآن يستميحهم الانصراف؛ لكي لا يُصيبهم ضررٌ بسببه، ولكي لا يلومه أحدٌ فيما بعد أنّه كان سبباً في توريطه في موارد الهلكة، وليستبين نوايا أنصاره وذلك حين يُخيّرهم بالبقاء ودونه، وقد كان الاستدراج لأنصاره سبيلاً ليعرضوا عليه ما استقرَّ في وجدانهم وهيمن في عقولهم من معتقدٍ راسخٍ في الدفاع عن الإسلام المتمثّل بشخص الإمام

(١) مركز الإمام الخميني، حركة التجديد والاستنهاض ـ قراءة في الفكر السياسي للإمام الخميني: ص٨٤.

الحسين عليه السلام، فقد انهمرتْ شلالاتُ مشاعرهم تصبُّ ولاءً منقطع النظير، بدءاً بأخيه العباس عليه السلام والهواشم من آل عقيل، وثمّ كان الأنصار يتهافتون عشقاً كالفراش على نور بصيرتهم، ولمّا آن دور زهير أبدى رأيه قائلاً: «**والله، لوددتُ أنّي قُتلت، ثمّ نُشرت، ثمّ قُتلت حَتَّى أُقتل كذا ألف قتلة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك**»[1].

هذا النص الذي ذكرته عن زهير ثابتٌ عند أكثر مُؤرّخي المقتل، إلّا أنّ ما ورد في زيارة الناحية المقدّسة أشار إلى نصٍّ آخر، يقول فيه الإمام عليه السلام ـ بعد اقتطاع سلام الإمام عليه وذكرنا محل الشاهد ـ: «**لا والله، لا يكون ذلك أبداً، أأتركُ ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أسيراً في يد الأعداء وأنجو أنا؟ لا أراني الله ذلك اليوم**»[2].

وكلاهما يُعبّران عن رسوخ المبدأ الحق وتجذُّره في عقل زهير؛ إذ لا يعبأ بالموت إنْ كان في سبيل الحفاظ على العقيدة الصحيحة، وفي سبيل إحياء تلك القيم الخالدة التي يرى المسلم بوجودها مُفعّلةً على أرض الواقع أنّه مسلمٌ، لا مُجرّد أنّه شخص يحمل هويّة الإسلام، فالقسم يُؤكّد رغبة قائله المُلحّة في تصديق ما يطرحه من كلام، وقد توزع ملفوظ خطابه المنقول عن الناحية المقدّسة بين أساليب الإنشاء غير الطلبية التي لا تستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب[3]. من قسمٍ سيق لتأكيد ما يُتوقّع خلافه عند المُخاطب، ومن استفهام خرج إلى معنى استنكار وقوع ما هو استفهام عنه في الظاهر[4]، وختمه بالدعاء الذي عُدّ أحد أساليب الإنشاء الطلبي؛ ليبثَّ دلالةً في ذهن المتلقي توحي بيقين النوايا الكامنة في ذهن المتكلّم، منتظرةً الإذنَ لها بأنْ تُترجمَ عمليّاً لتؤكّد صدق مضمونها.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤١٩.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٧١.
(٣) أُنظر: قاسم، محمد أحمد، ومحيي الدين ديب، علوم البلاغة: ص٣١٠.
(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٩٧.

وتجدر الإشارة أنّ كلامَ جميع أنصار الإمام الحسين عليه السلام قد اتّفق على مضمونٍ واحد، بل حتى في الأساليب الإنشائية، ما جعل راوي الخبر يقول: «**وتكلّم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد، فقالوا: والله، لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإذا نحن قُتلنا كنّا وفينا، وقضينا ما علينا**»[1].

إنّ قول زهير الذي استعرضناه آنفاً يُعزّز القيم الرسالية التي آمنَ بها زهير بوصفه رائداً للحقيقة ومُنتجِعاً لها، فقد انطلق والأنصار بوعيٍ وإرادةٍ يُعبّرون عن رغبتهم بالتضحية في سبيل أنْ يكونوا الفائزين في نصرة مولاهم الحسين عليه السلام من دون أي ضغوطاتٍ مُورِست عليهم، فقد أُتيح لهم الخيار أنْ يعودَ كلُّ واحدٍ منهم من حيثُ أتى، إلّا أنّ إيمانهم الصُلب، وعقيدتهم المشبعة بقيم العدل ونصرة الحق وأهله، جعلهم يتنافسون فيما بينهم على إظهار مودّتهم وولائهم لرمز الحقِّ والعدل الممثّل بشخص الإمام الحسين عليه السلام. ولعلَّ الباحث يميل إلى تضعيف ما رُوي من أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا رأى منهم تلك المواقف «**قال لهم: إن كنتم كذلك فارفعوا رؤوسكم وانظروا إلى منازلكم. فكُشف لهم الغطاء ـ بإذن الله ـ ورأوا منازلهم وحورهم وقصورهم، فقال لهم الحسين: يا قوم، إنّي غداً أُقتل وتقتلون كلكم معي، ولا يبقى منكم واحد. فقالوا: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك، وشرّفنا بالقتل معك، أو لا ترضَ أن نكون في درجتك يا بن رسول الله؟**»[2]؛ لندرة هذه الرواية في مصادر التاريخ والسيرة لدى مدرسة أهل البيت، كذلك لم تتناقلها مصادر التاريخ السُنّية، هذا من حيث السند، أمّا من حيث المتن، فهي تطرح جانباً إعجازيّاً لا يمكن أنْ يقبل منطق العصر به؛ لأنّه لو قبلنا هذه الرواية، لانطلقت الإشكالات على سائر موارد أخبار فاجعة الطفّ، ولكان السؤال: لماذا لم يكن المدد الغيبي حاصلاً بطريقة مباشرة لتحقيق

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٢٠.
(٢) القزويني، محمد كاظم، فاجعة الطفّ: ص٦.

النصر المباشر للإمام الحسين عليه السلام؟ وغيره من أسئلة، فضلاً عن أنّ أنصار الحسين عليه السلام ـ بحسب مضمون الخبر ـ لم يُشكّكوا أو يطلبوا علامةً لتضمن لهم الإقدام والتضحية في سبيل الإمام الحسين عليه السلام، بل بالعكس كانوا يدعون الله أنْ يقبل تضحياتهم، من دون أنْ يشترطوا على الإمام أن يكونوا في درجته في الجنة.

المحطة الخامسة: يوم العاشر.. البطولات والتضحيات

زحف اليوم العاشر بكلِّ ما يحمله من مآسٍ قُدّر للإمام الحسين عليه السلام أنْ يُقاسيها، إلّا أنّه لم يكن جازعاً قانطاً من رحمة الله، بل كان يوصي أهل بيته بالصبر الجميل، ويوصي كلَّ أصحابه أنْ يتأسّوا به، فضلاً عن التزامه الأخلاقي الرفيع بتلك المبادئ الإنسانية التي حثَّ الإسلامُ عليها، من كراهة ابتدائه القتال، إلّا أنْ يبدأوا، فهناك سيكون الخيار منحصراً بوجوب الدفاع عن النفس، وقد أشرف بنفسه الزكية على توزيع المهام القتالية لكلِّ واحدٍ من أهل بيته وأنصاره، فكان لزهير بن القين أنْ يكون قائداً على ميمنة الجيش، فيما كانت الميسرة تحت إمرة حبيب بن مظاهر، أمّا الراية فكانت بيد أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام، ولا يخلو اختيار الإمام عليه السلام من دلالةٍ تكشف عن مكانةٍ عظيمة لكلِّ واحدٍ من هؤلاء البررة، بحسب كفاءته القيادية التي يتحلّى بها، وكما علمنا أنّ زهيراً كان له منذُ شبابه مشاركاتٌ كثيرة في معارك وغزوات، احتفظ التاريخ بذكر واحدة (فتح بلنجر) وأسدل ستاره على أُخريات؛ الأمر الذي أهّله أنْ يكون عند حسن ظنِّ الإمام عليه السلام بقيادته ميمنة الجيش، فكان له بذلك تشريفٌ وتكريم بما حمله من عقيدةٍ صُلبة، فضلاً عن خبرته العسكرية التي استفادها طوال عمره.

وقد ذكر المؤرّخون أنّ الجيشين قبل أنْ يلتحما، كان لكبار قادتهما أنْ يتبارزا كلاميّاً، وهنا نقف عند كلام زهير بن القين ـ بعد أن أكمل الإمام الحسين عليه السلام كلامه مع الطرف الباغي؛ آملاً هدايتهم ونُصحهم على أنْ يزدجروا وينتهوا ممّا سيوقعون

أنفسهم به من عارٍ في الدنيا، وخزي وعذابٍ في الآخرة ـ الذي رواه كثير بن عبد الله الشَّعبي بقوله: «لمّا زحفنا قِبل الحسين خرج إلينا زهير بن القين على فرس له ذنوب[1]، شاك في السلاح، فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار[2]! إنّ حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتّى الآن إخوة، وعلى دين واحد وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منّا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنّا أُمّة وأنتم أُمّة، إن الله قد ابتلانا وإيّاكم بذرية نبيه محمد (صلّى الله عليه وسلّم) لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنّا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنّكم لا تدركون منهما إلّا بسوء عمر سلطانهما كله، ليسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقرّاءكم، أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهانئ بن عروة وأشباهه. قال: فسبوه، وأثنوا على عبيد الله بن زياد، ودعوا له، وقالوا: والله، لا نبرح حتّى نقتل صاحبك ومَن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سلماً. فقال لهم: عباد الله، إنّ وَلَد فاطمة (رضوان الله عليها) أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم... قال: فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم، وقال: اسكت أسكت الله نأمتك، أبرمتنا بكثرة كلامك! فقال له زهير: يا بن البوال على عقبيه، ما إيّاك أخاطب، إنّما أنت بهيمة، والله، ما أظنّك تحكم من كتاب الله آيتين، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم. فقال له شمر: إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة. قال: أفبالموت تخوفني! فو الله، للموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم. قال: ثمّ أقبل على الناس رافعاً صوته، فقال: عباد

(١) «الذَّنوب: الفرس الواسع هلب الذَّنب». الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٨، ص١٩٠، مادة (ذ ن ب).

(٢) لم تشر المعجمات إلى معنى كلمة (نذار) ولم توردها، إلّا أنّ التوحيدي شرح معناها بقوله: «وأمّا قوله: نذار، فمعناه النّذير والإنذار، وكأنّ الإنذار إعلامٌ إلّا أنّه مع تحذير، وليس كذلك التّبشير، فإنّه مقصورٌ على إعلام الخبر». أبو حيّان التوحيدي، علي بن محمد، البصائر والذخائر: ج٨، ص١٣٥.

الله، لا يغرّنكم من دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه[1]، فو الله، لا تنال شفاعة محمد (صلّى الله عليه وسلّم) قوماً هراقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم وذبّ عن حريمهم. قال: فناداه رجل، فقال له: إنّ أبا عبد الله يقول لك: أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء، وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ!»[2].

لعلَّ هذه الخطبة تمثّل أطول خطبة لأنصار الحسين عليه السلام، وفيها من العِبر والدلالات الثقافية التي تعكس قوة المهارة الخطابية التي حذقها ابن القين في تلقينه الخصم الحجج البليغة، التي تفضي بإفحامه والتنازل عن مدّعياته، أو إسقاطه في خلاف ما يدّعيه، ومن ثَمّ يُعرّيه ويُوقعه في تناقضٍ فاضح؛ الأمر الذي يؤكّد لنا بوضوح ثقافته اللغوية العالية، وتمكّنه من استمالة المخاطَب، فإمّا أنْ يذعن لمقتضى تلك الحجج والبراهين، أو يُنكر فيُظهره في صورته الحقيقية.

وحين تُحلّل مضامين تلك الخطبة نجدها على النحو الآتي:

١ ـ تحذير أهل الكوفة ونُصحهم، وهذا المضمون قد جعله زهير في بداية كلامه وانتهى إليه في الختام، إذ يُحذرهم مغبّة إقدامهم على قتل الإمام الحسين عليه السلام بوصفه ابناً لرسول الله صلى الله عليه وآله نبي المسلمين، وتنبيهاً للغافل منهم ممّن لا يعرف شخصية الإمام الحسين عليه السلام.

ولعل النسق المضمر في هذا التحذير، يوحي بالقدر الكبير من التشويه الإعلامي الذي مورس بحقّ الإمام الحسين عليه السلام وأبيه من قبلُ، فهو بهذا الكلام يكشف

(١) «الجلف: الأعرابي الجافي في خلقه وأخلاقه. وقال أبو حاتم، عن أبي عبيدة: الجلف: هو الجافي الخالي الجوف، مثل الدَّنّ الفارغ، ويقال للشَّاة المسلوخة بلا رأس ولا بطن: جلف، وغنما، وإنّما يقال لرجل: جلف، إذا وُصف بالجفاء، وقلَّة العقل، أي: جوفه هواء من العقل». السرقسطي، قاسم بن ثابت، الدلائل في غريب الحديث: ج٢، ص٥٨٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٢٦ـ٤٢٧.

ضلالات قد أُشيعت بين الناس من شأنها أنْ تعمي الحقائق بين الناس، وتدفعهم إلى تحقيق مآرب السلطة الحاكمة من دون وازعٍ من أنفسهم يردعهم على ذلك الفعل.

٢ ـ التزامه بأدب الحوار المنسجم وروح التعاليم السامية للدين الإسلامي، فهو يفترض ـ على ما نووا القيام به من جرمٍ شنيع بحق الإمام الحسين عليه السلام ـ أنّهم مُؤمنون، ورابطة الإيمان تفرض عليهم الشعور بالإخوة بمقتضى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]، وهذا الافتراض إنّما طرحه لأجل إلانةِ قناة موقفهم، وإرغامهم على محاسبة أنفسهم قبل أنْ يتورّطوا في قتل الإمام عليه السلام، فيكونوا في تلك الحالة أُمّةً خرجت عن ربقة الإسلام.

٣ ـ دعوته إيّاهم أنْ ينصروا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو أحقّ بالنصرة من ابن معاوية، وهي دعوة قائمة على روابط فكرية مشتركة؛ بوصفهم مسلمين يدينون بالإسلام، وعليه فهم مُلزمون بتطبيق أوامر هذه الشريعة، وإلّا كانوا خارجين عنها، وبهذا تظهر القيمة الحجاجية لهذا الاستدراج بالنتيجة التي يؤدي إليها[2].

٤ ـ تذكيره لهم بفساد النظام الحاكم الذي يدينون له بالسمع والطاعة، وذلك حين استعرض الجرائم البشعة التي ارتكبها زياد وابنه عبيد الله في حق القرّاء والأخيار، مثل: حجر بن عدي وأصحابه، وهانئ بن عروة، فهؤلاء إنّما يُشكّل مقتلهم وصمة عارٍ على حكومةٍ تدّعي الإسلام شعاراً لها، وهذا ما يُسمّى بحجة التمثيل التي عرّفها بيرلمان بقوله: «**هو طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائماً، وإنّما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان أن تكون مترابطة**»[3]. كذلك كان يُذكّر بأُصولِ كلٍّ من طرفي النزاع بين المعسكرين، فأحدهما

(١) الحجرات: آية ١٠.
(٢) أُنظر: العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج: ص٢٦.
(٣) المصدر السابق: ص٩١.

يوالي ابن فاطمة التي لا يشكُّ أحدٌ من المسلمين في طهارتها وقداسة نبعها، والآخر يوالي ابن سُميّة التي عرفها كلّ قاصٍ ودانٍ بشناعة فعلها، وما كانت عليه من دناءةٍ وخسّةٍ انعكس تأثيرها على ذرّيتها فيما بعد، وبهذا القياس الحجاجي الذي عرضه زهير في خطابه، أبان حقائق الأُمور وأوضحها لـمَن خفيت عليه ببهرجة الإعلام الأُموي المزيِّف.

٥ ـ أبرز جواب ابن القين على الشمر (لعنه الله) حقائق قد تخفى على آخرين من جنود المعسكر المُحارب للإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك بوصفه بالجلف الجافي، أو ابن البوال على عقبيه، وكلاهما أوصاف تعبّر عن بُعد هذا الإنسان عن التربية الإسلامية الصحيحة التي تفرض على أتباعها التحلّي بفضائل الأخلاق، والتزام السلوك المنسجم وروح القرآن الكريم، الذي أُنزل لرفع مستوى الأخلاق إلى ما هو أفضل وأحسن، أمّا مَن بقيَ جلفاً جافياً فهو أبعد ما يكون عن الدين الإسلامي وتعاليمه السمحاء؛ لعدم اتّصافه بأيِّ صفةٍ تدلُّ على إيمانه بتلك المبادئ الإسلامية الراقية، كذلك يُظهر قوله الآخر بشأن عدم إتقان الشمر إحكام آيتين، فراسته وحذقه الذي استفاده عبر محاورته الآخر المُعادي للحق وأهله، ويقتضي كلامه أنّ مَن يُحكم آيتين لا يكون في هذا الموقف المناوئ للحق وأهله؛ ولذا بشّره بالخزي في الآخرة والعذاب الأليم؛ لِما سيقترفه من ذنبٍ عظيم بقتل الإمام الحسين عليه السلام. وفي الوقت نفسه يقتضي كلامه معرفته العميقة بكتاب الله وفهم مراميه؛ إذ مَن يعيب الآخرين بعدم إتقانهم آيتين من القرآن، يُفترض أنْ يكونَ مُلمّاً بمعرفة آيات الله وفهم مدلولاتها، وهنا تتّضح شخصية زهير بن القين، التي جمعت بين الفهم العميق لمرامي القرآن الكريم، والالتزام العملي بمَن أمر القرآن باتّباعهم والاقتداء بسيرتهم.

وأخيراً، كان وصف الإمام الحسين عليه السلام له في هذه الحالة بأنّه كمؤمن آل فرعون حين تصدّى ناصحاً إيّاهم أنْ لا يحاربوا نبي الله موسى عليه السلام، يعبّر عن رضا الإمام عليه السلام

بـما صدر من زهير من نُصحٍ تـارةً، وتوبيخٍ لهم تارةً أُخرى، وتحذيرٍ لما سـيؤولوا إليه يوم الحساب من عذابٍ عظيم، ومن ثَمّ جعلهم أمام مفترق طرق إمّا أنْ يرعووا عن هذا الفعل وينضمّوا إلى معسكر الحق وأهله، أو يبقوا على ضلالهم فيبوؤوا بخُسـرانٍ عظيم في الدنيا والآخرة.

ثمّ كانت المعركة، فكان لزهير أنْ يرفع راية البطولة، بعد أنْ تقدّم وسعيد بن عبد الله الحنفي يقيان الحسين سهام القوم أن تصله وهو في الصلاة، ثمّ واصل حملاته على الجيـش، مُزمجراً بتلك الأهازيج الدالة على شـجاعته وثبـات عقيدته. كان في واحدةٍ منها يقول:

أنـــا زهـــير وأنـــا ابـــن القين ... أذودكـم بالسـيف عـن حسـين

إنّ حسـيناً أحـد السـبطين ... مـن عـترة الـبرّ التقـيّ الزيـن

ذاك رسـول الله غـير المـين ... أضربكـم ولا أرى مـن شـين

يا ليت نفسي قُسمت قسمين[1].

ومعلومٌ أنّ مَن يُعرّف نفسه أمام الآخرين إنّما ينطلقُ من ثقةٍ عاليةٍ بنفسه وبعقيدته وبمبادئـه، وفي سـائر أشـطر أرجوزتـه تجـد التعريف بوصفـه تقنية حجاجيـة تقوم بتوضيـح مـا التبس عند الآخرين فهمه، أو ما يُتصـوّر أنّ فهمه مُلبسٌ لديهم؛ لأنّه لا يُعقـل أنْ يقاتـل الإنسان من جاء لهدايته إلى الصـراط المستقيم، فلذا اسـتدعى الأمر أنْ يعرّف زهير بالإمام الحسين عليه السلام، وفي الوقت نفسه يُوصل رسـالةً أنّه سـيقاتل مَن يُقاتـل إمامـه، ويتمنى أنّـه لو كان أكثر من شـخص؛ لكي يكون دريئـةً يدفع بها شرَّ الأعـداء عن مولاه. وفعلاً قاتل حتّى قتل مائة وعشرين رجلاً، ثمّ رجع فوقف أمام الحسين، وقال له:

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٥.

فدتـك نفــسي هاديـاً مهديّـا اليـوم ألقـى جـدّك النبيّـا

وحسـناً والمرتضــى عليّـا وذا الجناحـين الشـهيد الحيّـا[٢]

فكأنّـه ودّعـه بهذيـن البيتـين اللذيـن يُفصحـان عن شـدّة تشـوّقه إلى لقـاء النبي والشـهداء الأبرار من آل بيت الرسـول الكريمﷺ، فعاد يقاتل، «فشـدّ عليه كثير بن عبد الله الشـعبي، ومهاجر بن أوس التميمي فقتلاه، ولمّا صُرع وقف عليه الحسـينعليه السلام، فقال: لا يُبعدنّك الله يا زهير، ولعن الله قاتلك لعن الذين مُسخوا قردةً وخنازير»[٢].

إنَّ تأبين الإمام الحسينعليه السلام يُمثّل تأميناً للعقيدة الصحيحة التي استُشهد زهيرُ بن القين عليها، كذلك دعاؤهعليه السلام يعكس عظم الشـخصية التي فقدها الإمام، فمَن قتله يستحـق اللعنة نفسهـا التي وقعت على بنـي اسرائيل الذين مُسخوا قِـردةً وخنازير؛ فنستنتـج إذن أنّ مقـامُ زهـير كمقام الأنبياء الكـرام الذين أُرسـلوا إلى بني إسرائيل؛ وذلـك لأنّ مناوئيهـم ومُقاتليهـم مُسخوا قردةً وخنازير، وبحسـب نظر الباحث أنّ زهـير ـ بمقتضى هذا الدعاء ـ كان عالماً كبيراً بوصفه مصداقاً لأحاديث كثيرة وردت عن الرسـول الكريمﷺ تُبيّن عظم المقام الذي يتبوّأه عالم الدين بمنزلةٍ تُحاذي منزلة النبي في الشرف[٣].

وبهذا القدر نكتفي علّنا وُفِّقنا في إظهار صورةٍ جديدة للمجاهد الشهيد زهير بن القين بين يدي الحسينعليه السلام، أَلا وهي ثقافته وحذقه وعلمه، وبيانه الكاشف عن مدى فقهه وقدرته على استشـراف الواقع إلى ما بعده، فسلامٌ عليه يوم وُلِد، ويوم استُشهِد مرضيّاً عند مولاه، ويوم يُبعث حيّاً.

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٧، ص٢٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥٤، ص٦٢.

(٣) اُنظر: الري شهري، محمد، ميزان الحكمة: ج٣، ص٣٦٣.

الخاتمة

من أهم النتائج التي توصل إليها البحث، هي:

١ـ طَرَق البحث صورةً جديدةً للمثقف تتفق والمباني الرسالية للدين الإسلامي، فضلاً عن أنّها رائجةٌ في الفكر الغربي، ولها أنصارها في داخل الوسط الأكاديمي وخارجه.

٢ـ توصّل البحث إلى أنّ زهيراً كان صحابيّاً؛ بدلالة معاصرته كبار الصحابة، مثل: سلمان الفارسي، والإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن روايته الحديث النبوي بحسب ما بيّناه، ويفترض البحث أنّه ـ بحسب سكناه في الكوفة ـ كان ممّن عاصر الإمام علي عليه السلام في مدّة خلافته في الكوفة.

٣ـ أظهر البحث بعض المسكوت عنه في مسيرة زهير بن القين، محلّلاً موقفه نفسيّاً وثقافيّاً واجتماعيّاً، ثمّ تأويل ذلك التحوّل الذي طرأ عليه بعد لقائه بالإمام الحسين عليه السلام.

٤ـ ناقش البحث بعض الروايات فضعّفها اعتماداً على ندرتها وعدم تواترها بكثرة في كتب التاريخ، فضلاً عن مناقشتها متناً، فهي لا تصمد والمنطق العام الذي بُنيت على أساسه الأحداث.

٥ـ أظهر البحث مدى الثقافة التي تمتّع بها زهير بن القين، والتي أهّلته أنْ يكون قائداً على ميمنة جيش الإمام الحسين عليه السلام في معركة يوم العاشر من محرّم؛ وذلك لمشاركاته في غزوات وفتوحات فيما سبق من مراحل عمره، فضلاً عن تقديمه المقترحات الاستراتيجية الميدانية للإمام الحسين عليه السلام في اتخاذه مكاناً دون آخر.

٦ـ كشف البحث عن ثقافة زهير القرآنية ورؤيته الثاقبة الدالة على عمق فهمه للنص القرآني؛ وذلك عبر تحليل كلامه والفهم الدقيق لمرامي آيات القرآن المجيد.

٧ـ أظهر البحث ـ عبر كلمات الإمام الحسين عليه السلام وزيارة الناحية المقدّسة ـ أنّ زهير بن القين كان عظيم الشأن من حيث الرتبة العلمية والشخصية الرسالية، بما يُوازي في الفضل والمكانة أنبياء بني إسرائيل.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١ ـ الآلهة التي تفشل دائماً، إدوارد سعيد، ترجمة: حسام الدين خضور، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م، بيروت ـ لبنان.

٢ ـ أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، حوار مع حسن الصفار، ط١، ١٤٢٢هـ، بيروت.

٣ ـ الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري (ت٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، ط١، ١٩٦٠م، دار إحياء الكتب العربي ـ عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة.

٤ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٧هـ، قم ـ إيران.

٥ ـ الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط١، ١٩٩١م، دار الجيل، بيروت ـ لبنان.

٦ ـ أُصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور، ط٢، ١٩٨٥م، الشركة التونسية للتوزيع ـ تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر.

٧ ـ الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، ط١٥، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين.

٨ ـ أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، ط١، ١٩٩٦م، دار الفكر ـ بيروت.

٩ ـ أنصار الحسين (دراسة عن شهداء ثورة الحسين عليه السلام.. الرجال والدلالات)، محمد مهدي شمس الدين، ط٣، ١٩٩٦م، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان.

١٠ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، د.ت.
١١ ـ البصائر والذخائر، أبو حيّان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق: د. وداد القاضي، ط١، ١٩٨٨م، دار صادر ـ بيروت.
١٢ ـ تاريخ الثقات، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت٢٦١هـ)، ط١، ١٩٨٤م، دار الباز.
١٣ ـ تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (ت٣١٠هـ)، ط٢، ١٣٨٧هـ، دار التراث ـ بيروت.
١٤ ـ تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.
١٥ ـ تجارب الأُمم وتعاقب الهمم، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت٤٢١هـ)، تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط٢، ٢٠٠٠م، سروش، طهران.
١٦ ـ تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (ت ق٤)، قدم له وعلّق عليه: حسين الأعلمي، ط٦، ١٩٩٦م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
١٧ ـ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، ط١، ١٣٩٣هـ، مركز نشر آثار العلّامة المصطفوي، طهران.
١٨ ـ التسامح رؤيا جديدة تزهر الحياة، أوشو، ترجمة: د. علي حداد، ط١، ٢٠١١م، دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.
١٩ ـ تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، صححه وأشرف على طباعته: الشيخ حسين الأعلمي، ط١، ١٩٩٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
٢٠ ـ تكوين المفكر.. خطوات عملية، عبد الكريم بكار، ط٢، ٢٠١٠م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ـ مصر.
٢١ ـ حركة التجديد والاستنهاض.. قراءة في الفكر السياسي للإمام الخميني، مركز

الإمام الخميني الثقافي، ط ١، ٢٠٠٠م.
٢٢ ـ الحرية والثقافة، جون ديوي، ترجمة: أمين مرسي قنديل، مطبعة التحرير، إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة، د.ت.
٢٣ ـ الدلائل في غريب الحديث، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي (ت٣٠٢هـ)، تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناص، ط١، ٢٠٠١م، مكتبة العبيكان، الرياض.
٢٤ ـ الدين والتحليل النفسي، إريك فروم، ترجمة: فؤاد كامل، مكتبة غريب، دار غريب للطباعة، القاهرة، د.ت.
٢٥ ـ رجال ابن داوود، ابن داوود الحلي (ت٧٠٧هـ)، منشورات المطبعة الحيدرية ـ النجف، ١٩٧٢م.
٢٦ ـ رجال الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٣٨٥ هـ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، ١٣٧٣هـ.
٢٧ ـ رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط١، ١٩٩١م، دار الجيل، بيروت.
٢٨ ـ سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السَّجِسْتاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، د.ت.
٢٩ ـ الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد الهاشمي بالولاء المعروف بابن سعد (ت٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، ط١، ١٩٩٣م، مكتبة الصديق، الطائف.
٣٠ ـ الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد الهاشمي بالولاء المعروف بابن سعد (ت٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣١ ـ علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، د. محمد أحمد قاسم، ود. محيي الدين ديب، ط١، ٢٠٠٣م، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس ـ لبنان.

٣٢ ـ فاجعة الطفّ، محمد كاظم القزويني، إعداد وإخراج: أُسرة موقع الحكمة للثقافة الإسلامية على موقع: *http://www.alhikmeh.com*، (ضمن كتب المكتبة الشاملة الشيعية).

٣٣ ـ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن الجزري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، ١٩٩٧م، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

٣٤ ـ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٠م.

٣٥ ـ اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، درب سيدنا، ط١، ٢٠٠٦م، الدار البيضاء.

٣٦ ـ لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة.. الثقافات البشرية (نشأتها وتنوعها)، مايكل كاريذس، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة (٢٢٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨م، الكويت.

٣٧ ـ اللهوف على قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني (ت٦٦٤هـ)، ط١، ١٩٩٣م، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٣٨ ـ المثقف والسلطة.. دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، محمد الشيخ، ط١، ١٩٩١م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

٣٩ ـ المجروحين من المحدّثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبّان بن أحمد الدارمي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط١، ١٣٩٦هـ، دار الوعي، حلب.

٤٠ ـ مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، ج٢، الشيخ نجم الدين الطبسي، وج٣، الشيخ محمد جواد الطبسي، مركز الدراسات الإسلامية لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية، ط٣، ١٤٢٨هـ، قم.

٤١ ـ معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، ط٢، ١٩٩٥م، دار صادر، بيروت.

٤٢ ـ معجم الصحابة، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع (ت٣٥١هـ)، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، ط١، ١٤١٨هـ، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة.

٤٣ ـ المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الدار الأثرية، الأردن، دار ابن عفان، القاهرة، ١٤٢٥هـ.

٤٤ ـ معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي (ت٣٥٠هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ٢٠٠٣م، القاهرة.

٤٥ ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٤٦ ـ مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دنيس كوش، ترجمة: منير السعيداني، ط١، ٢٠٠٧م، مركز دراسات الوحدة العربية.

٤٧ ـ مقتل الحسين عليه السلام وأنصاره، د. نجاح الطائي، ط٢، ٢٠١٠م، دار الهدى لإحياء التراث، بيروت.

٤٨ ـ مواقف من كربلاء، معهد سيد الشهداء للمنبر الحسيني، ط١، ٢٠٠١م، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت ـ لبنان.

٤٩ ـ ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ط١، ١٤١٦هـ، دار الحديث، قم.

٥٠ ـ نسب معد واليمن الكبير، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: د. ناجي حسن، ط١، ١٩٨٨م، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية.

٥١ ـ النفس المبتورة.. هاجس الغرب في مجتمعاتنا، داريوش شايغان، ط١، ١٩٩١م، دار الساقي.

٥٢ ـ الوسواس والهواجس النفسية، د. علي القائمي، ط١، ١٩٩٦م، دار النبلاء، بيروت ـ لبنان.

٥٣ ـ موقع ويكيبيديا على الرابط: *https://ar.wikipedia.org/wiki/*.

أبو مخنف ومحاولات الرواة والمصنِّفين والمتكلِّمين تزييف النهضة الحسينيّة

أ. م. د. كفاية طارش العلي*

المقدّمة

تعرّض البحث إلى ثلاثة محاور، أوّلها حقيقة الشخصية التي روت مقتل الحسين عليه السلام وروت أخباره، ألا وهو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي، متناولاً بعض سيرته الذاتية وأُسرته المعروفة بولائها لأهل البيت والإمام علي عليهما السلام، وإنّه لم يكن أعمى كما هو متعارف لدى عامّة الشيعة، بل يبدو أنّ لَبساً قد وقع بينه وبين معاصره وتلميذه عوانة بن الحكم الكلبي الكوفي الذي كان أعمى وراوياً كوفياً كذلك، لكنّه يروي وجهة نظر السلطة الأُمويّة، ومن ناحية أُخرى أثبتنا بالدليل القاطع ومن خلال معادلة حسابية أنّه وُلد بعد أحداث الطف، أي إنّه لم يعاصرها، بل يفصله عن الأحداث جيلان، مع هذا يُعتبر أوثق مَن روى أحداثها؛ لأنّه يتوخّى الحصول على المعلومة من مضانّها ومنابعها الأصيلة، أي: من شهود عيان ممّن شاركوا في المعركة شخصياً.

أمّا الشقّ الثاني فتناول ما تفعله الأقلام المأجورة لبني أُميّة ومَن شايعهم، ابتداءً بمَن عاصرهم أو كان قريب عهدٍ منهم، ممّن صنّف وروى لمصلحتهم، ولأنّ خصمهم هذه المرّة كبير وسامٍ ولا يمكن أن يُتّهم بشيء، ألا وهو الحسين عليه السلام، فقد انحصر ميدان كذب الرواة وتزويرهم في الدفاع المباشر عن يزيد، فضلاً عن

* جامعة البصرة / كلية التربية للبنات/ رئيس قسم التأريخ.

محاولاتهم النيل من صاحب الثورة ونبراسها الأبي، بأنّ الحسين عليه السلام اشترط الذهاب إلى الشام، وأن يضع يده بيد يزيد، لكنّ جيش عمر بن سعد رفض ذلك... ففنّدنا كلّ ذلك بالروايات التي نقلتها مصادرهم.

أمّا المبحث الأخير فتحدّثنا فيه عن محاولات أصحاب الكتب من المصنِّفين القدامى والمراجع الحديثة، سيّما بعض السلفيين وأساليبهم في محاولة النيل من النهضة الحسينيّة العظيمة وآثارها، مركِّزين على أهم هذه المحاولات وتزييف الحقائق الثابتة فيها، باعتبار الحسين عليه السلام خارجاً على سلطة ولي الأمر المفترض الطاعة، والمبايع له من قِبَل الأُمّة، وأنّ خروجه على السلطان مفسدة عظيمة (بزعمهم)، والبُعد الثاني هو محاولتهم تكذيب ونفي كلّ الشواهد التاريخية الثابتة بما يثبت إدانة يزيد ـ بشكل مباشر ـ وجيشه وحزبه في وقعة الطف، ابتداءً من رضِّ الصدر وحرق الخيام إلى ضرب الثنيتين والسبي، جاعلين من ابن تيمية أُنموذجاً لهؤلاء، وقد فنّدنا وأجبنا عن كلّ ذلك بالأدلّة والشواهد التاريخية وبالتحليل والاستنتاج التاريخي.

وقبل الدخول في الشق الثاني من هذا البحث، وهو محاولات الرواة والمؤلِّفين تزييف أحداث هذه الثورة العظيمة كلٌّ حسب الفائدة التي يرجوها لخدمة أهدافه ومصالحه، لا بدّ لنا من الوقوف عند الشخصية التي أحسنت صُنعاً بنقلها تفاصيل هذه الحادثة، حادثة الطف الأليمة التي أقضّت مضاجع الأُمّة، وكانت سبباً في تغيير مسار أحداثها السياسية، في ذات الوقت اتّخذها جميع الثائرين والأحرار مناراً ومنهاجاً للسير على نفس الخطى، واتّباع نفس النهج.

المبحث الأول: حقيقة راوي المقتل الأصلي (أبو مخنف)

ذلك هو راوينا أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة الدؤل بن سعد بن

غامد الأزدي الغامدي الكوفي[1]، من أزد شنوءة من القبائل القحطانية الجنوبية[2].

ينحدر من أُسرة عربية عريقة لها إسهامات سياسية واضحة في سبيل إعلاء راية الإسلام والدفاع عن رسوله محمد صلى الله عليه وآله، ثمّ آله الكرام عليهم السلام، لا سيّما قائد الغرّ المحجّلين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) أُنظر: ابن الكلبي، هشام بن محمد، نسب معد واليمن الكبير: ج٢، ص١٩٤. ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٦، ص٣٥. ابن معين، يحيى، تاريخ ابن معين: ج٤، ص٢٨٦، ص٣٦٧، ص٥٠٠. البخاري، محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير: ق١، ج٤، ص٢٥٢. ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، المعارف: ص٥٣٧. اليعقوبي، أحمد، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٤٠٣. ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن، الجرح والتعديل: ج٧، ص١٨٢. ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب، الفهرست: ص٩٣. النجاشي، أحمد بن علي، فهرست أسماء مصنفي الشيعة (الرجال): ص٢٤٥. الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال: ص٥٧، ص٧٠، ص٧٩، ص٢٧٩. الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ص٥٥. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب: ص٥٠٣ـ٥٠٤. الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم الأُدباء: ج٦، ص٢٢٠ـ٢٢٢. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة: ج٤، ص٣٣٩. الذهبي، محمد بن أحمد، تجريد أسماء الصحابة: ج٢، ص٧١٣. الذهبي، محمد بن أحمد، المغني في الضعفاء: ج٢، ص٥٣٥. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٧، ص٣٠١ـ٣٠٢. الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ج٣، ص٤١٩. الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام: ج٦، ص١٩٢. الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات: ج٣، ص٢٢٥. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج٤، ص٤٩٢. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة: ج٣، ص٣٩٢. الاسترآبادي، محمد بن علي، منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال: ص٢٦٩. المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال في أحوال الرجال: ج٢، ص٤٣. البغدادي، إسماعيل، هدية العارفين في أسماء المصنفين: ج١، ص٨٤١. القمي، عباس، الكنى والألقاب: ج١، ص١٥٥. آغا بزرك الطهراني، محمد محسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج١، ص٣٤٨. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ج١، ص٢٥٣. مرجليوث، دراسات عن المؤرخين العرب: ج٩٦. مدني، أمين، التاريخ العربي ومصادره: ج٢، ص٤٧٤. سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي: مج١، ج٢، ص١٢٧. جواد علي، موارد تاريخ الطبري: ج١، السنة الأولى (١٩٥٠)، ص١٤٨، ص١٨٥، مج٨، سنة (١٩٦١): ص٤٢٩.

(٢) أُنظر: العصفري، خليفة بن خياط، طبقات خليفة: ص١١٣. القلقشندي، أحمد، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: ص٣٠٨، ص٣٨٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٤. ابن حزم، علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب: ص٣٧٧. الأسيوطي الشافعي، عبد الرحمن، لب اللباب في تحرير الأنساب: ص١٨٤.

فقـد كان جدّه مخنف بن سـليم صحابياً[1]، وبعد فتح الكوفـة انتقل للسكن فيها مع قبيلته، ثمّ شـارك في الفتوحات الإسـلامية أيام الخليفة الثاني، لا سـيما اسـتكمال فتـح العـراق[2]، ليكون أحـد أخلص الأعوان لعـلّي بن أبي طالب عليه السلام هـو وأخواه: الصقعب وعبد الله، فقد شـاركوه في حرب الجمل وصفّـين[3]، ولكفاءته وإخلاصه ولّاه الإمام عليّ على أصبهان[4]. وكانت لهم في الكوفة جبّانة (مقبرة) خاصّة سميت باسم جدِّهم (جبّانة مخنف)[5].

ولمخنف أبناء أشـهرهم سـعيد بن مخنـف (جدّ لوط بن يحيـى)، وحبيب ومحمد، الـذي شـهد صفِّين مع والـده وعمره (١٧) سـنة، فضلاً عن عبـد الرحمن بن مخنف الـذي امتدت أدواره السياسـية إلى واقعة الطف، حيث اسـتغاث عبد الله بن عفيف الأزدي الأعمـى، ونادى بشـعار القبيلة، ليخلّصوه مـن عبيد الله بن زياد، الذي أراد قتلـه لـردِّه الشـجاع عليه لـمّا رآه ينكت ثنايا الحسـين عليه السلام بقضيبه، وكـان ابن مخنف جالساً، فأبت الحمية القبلية إلّا تلبية النصرة وتخليصه من براثن الجلاوزة[6].

---

(١) أُنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات: ج١، ص٢٧٩، وج٦، ص٣٥. ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، المعارف: ص٧٣٧. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة: ج٤، ص٣٣٩. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج٣، ص٣٩٢ـ٣٩٣. القمي، عباس، الكنى والألقاب: ج١، ص١٥٥.

(٢) أُنظر: اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، البلدان: ص٣١٠ـ٣١١. البراقي، حسين بن أحمد، تاريخ الكوفة: ص١٣٩.

(٣) ابن الكلبي، هشام بن محمد، نسب معد واليمن الكبير: ج٢، ص١٩٤. الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص١٤٦. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٢، ص٢٣٦. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٥٢١. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٢، ص٣١٨. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب: ج٣، ص٥٠٣.

(٤) المنقري، نصـر بن مزاحم، وقعة صفّين: ص١١. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٢، ص٤٤٩. الذهبي، محمد بن أحمد، تجريد أسماء الصحابة: ج٢، ص٧١٣. الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٣٨، ص٤٨.

(٥) ماسينيون، خطط الكوفة: ص٧٣. البراقي، حسين بن أحمد، تاريخ الكوفة: ص١٤٣.

(٦) المنقري، نصـر بن مزاحم، وقعة صفّين: ص١٨٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٥٧. ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١، ص٥٧٥.

ناهض عبد الرحمن بن مخنف الخوارج، وحاربهم مع المُهلّب بن أبي صفرة، وقُتِل في إحدى الغزوات معه سنة (٧٥هـ/ ٦٥٤م)، فدفنه المهلّب[١] وصلّى عليه، ورثاه صديقه حميد بن سليم بشعر قال فيه:

إن يقتلوك أبا حكيم غدوة ... فلقد تشدّ وتقتل الأبطالا

أو يشكلونا سيّداً لمسود ... سمح الخليفة ماجداً مفضالا

فلمثل قتلك هدّ قومك كلّهم ... قد كان يحمل عنهم الأثقالا[٢]

ووالد أبي مخنف (لوط) هو يحيى بن سعيد، وقد كان من أصحاب الإمام علي عليه السلام[٣].

أمّا عن ولادة لوط بن يحيى (أبو مخنف) فلا تسعفنا المصادر بذلك، سوى ما ذكره فلهاوزن من أنّ أبا مخنف كان قد بلغ سن الرجال في حركة ابن الأشعث، وقد استدلّ على ذلك من موارد أبي مخنف في روايته لهذه الحركة، سيّما الذين سمع منهم مباشرة، وبعملية حسابية بسيطة نستدلّ على أنّ ولادته يمكن أن تكون محصورة بين (٦٥ـ ٧٠هـ)؛ إذا عرفنا أنّ ثورة ابن الأشعث حدثت سنة (٨٢هـ)، وبهذا يصبح عمره ـ حتى وفاته عام (١٥٧هـ) ـ اثنين وتسعين سنة[٤].

من ناحية أُخرى يؤكِّد هذا الاستنتاج حقيقة مهمة بعكس ما عُرف عنه من أنّه

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٢٦١، ص٤٥٩. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٣٨٨. فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، المقدمة.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١١ ـ٢١٣. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل: ج٤، ص٣٨٩. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٩، ص١٠.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٣ـ٢١٤.

(٤) المصدر السابق: ج٦، ص٣٤٢، ص٣٥٧ـ٣٥٩، ص٣٦٣ـ٣٦٨، وغيرها. فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها (المقدمة). الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم الأُدباء: ج٦، ص٢٢١. الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج٦، ص١٦٢. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٧، ص٣٠١. الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات: ج٣، ص٢٢٥. آغا بزرك الطهراني، محمد محسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج١، ص٣٤٨. هرنشو، علم التاريخ: ص٥٣.

وضع كتاب مقتل الحسين عليه السلام وهو أعمى، وكان يتسقّط أخبار الحسين عليه السلام بباب الكوفة، فكان يجمع ما يسمعه حتى اجتمع منه كتاب مقتل الحسين عليه السلام[1].

وقد أكّد أحد الباحثين بطلان هذا القول، وأنّه لم يعثر له على أساس يعتمد عليه[2]، فضلاً عن دليل مهم آخر، وهو أنّه من خلال متابعة أسانيد روايات أبي مخنف عن ثورة الطف نجد أنّه يفصله عن الحدث جيلان؛ لأنّ أكثر أسانيده كانت عن رجل عن آخر شهد الحدث وشارك في المعركة، كسليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، الذي كان ضمن جيش عمر بن سعد، أو عبد الله بن عامر، عن الضحاك المشرقي[3]، هذا من ناحية. ومن ناحية أُخرى لا بدّ لنا أن نبيّن أنّه لم يكن رجلاً أعمى وفقيراً كما نسمع من أفواه خطباء المآتم الحسينية، بل على العكس كانت عائلته ميسورة الحال، وهو كذلك، ولعلّ الرواية التالية تؤكّد هذا فقط، روى أبو مخنف نفسه: «**أكثر ما يرويه الناس من شعر سيّدنا أبي عبد الله الحسين إنّما هو ما تمثّل به، وقد أخذتُ شعره من مواضعه، واستخرجته من مظانّه وأماكنه، ورويته على ثقاة الرجال، ومنهم عبد الرحمن بن نخبة الخزاعي، وكان عارفاً بأمر أهل البيت عليهم السلام، ومنهم المسيب بن رافع المخزومي، وغيره رجال كثيرون، ولقد أنشدني يوماً رجل من ساكني سلع هذه الأبيات، فقلت له: أكتبنيها. فقال لي: ما أحسن رداءك هذا! وكنت اشتريته يومذاك بعشرة دنانير، فطرحته عليه، فأكتبنيها**»[4].

إنّ هذه الرواية تؤكّد لنا مضامين كثيرة منها:

١ـ إنّه دقيق النقل، وحريص على أخذ مادته التاريخية من مضامينها ومن ثقاة الرواة.

---

(١) أُنظر: الخليلي، جعفر، القصة العراقية قديماً وحديثاً: ص٢٦.

(٢) المصدر السابق: ص٢٦.

(٣) أُنظر أسانيد الروايات عن أبي مخنف في: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤١٢، ص٤١٤، ص٤١٩، ص٤٢١، ص٤٣٨، ص٤٤٤، ص٤٤٦، ص٤٤٧، ص٤٥١، ص٤٥٢، ص٤٥٦، ص٤٥٧، وغيرها كثير.

(٤) الخليلي، جعفر، القصة العراقية قديماً وحديثاً: ص٢٦.

٢ـ إنّـه لم يكتفِ بنقل معركة الطف التاريخية، بل انبرى يؤلِّف ديواناً للحسين عليه السلام في شعره الذي ذكره في كلّ المعركة.

٣ـ إنّـه كان غنيّاً ميسور الحـال، يبذل ماله للعلم واسـتحصال الحقائق التاريخية، فلم يكن يبخل بردائه الثمين البالغ قيمته عشرة دنانير في ذلك العصر ثمناً لبيتي شعر قالها الحسين عليه السلام.

٤ـ إنّه يؤكِّد شيعيته وهواه العلوي، ابتداءً من كلمة (سيّدنا أبي عبد الله)، ومروراً بحرصه على تدوين أقوال الحسين عليه السلام وأشـعاره؛ خشيةً عليها من الضياع، وحفظها للتاريـخ، ونحن اليوم مدينون له بذلك، علماً بأنّ ذلك الديوان مفقود اليوم، ولم يبقَ منه إلّا ما تناثر في بطون أُمّهات الكتب المعتبرة.

ولعلّ سهواً أو تصحيفاً أو تشابهاً وقع بين هذه الشخصية ونظيره وتلميذه عوانة بن الحكم الكلبي، الذي كان معاصراً له، ومن المدرسـة الكوفية في التدوين التاريخي أيضاً، لكنّه يروي وجهة النظر الأُمويّة المناهضة للرواية الكوفية، فقد كان أحد أقلام السلطة الأُمويّة، وتوفّي في سنة (١٥٨هـ)[1] ـ أي: في سنة مقاربة لسنة وفاة أبي مخنف ـ وكان أعمى؛ ولهذا ربما اشـتبه على الرواة والناقلين عنهما، فتصوروا أنّ أبا مخنف هو الراوي الأعمى.

وقد آثرنا الشروع بإلقاء الضوء على أهم شخصية روت لنا تفاصيل حادثة الطفّ التـي أقضّت مضاجع الأُمّـة، وأوردتها الموارد والفتـن، وفي ذات الوقت كانت نوراً يُستضاء به، ومرجعاً يرتكز عليه مَن أراد الإباء والوقوف بوجه الظلم والجبروت.

ولأهمّيـة روايـات أبي مخنـف لمعركة الطف وأثرهـا البالغ، فقد اسـتغلّتها الأقلام المصطنعـة، صاحبـة الغايات المختلفة، سـبيلاً لتزييف نهضـة الحسين عليه السلام، من خلال

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٥٦، ص٤٠٩، ص٤٦٣، ص٤٦٥، ص٤٦٧. عبد الرحمن محمود أحمد، عوانة بن الحكم الكلبي (كتابة في التاريخ ومنهجه)، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، (١٩٨٨م)، الفصل الأوّل.

أقلام الرواة المأجورة للسلطة أو للهوى أو لغايات دنيويّة مختلفة.

إنّ نهضة الحسين عليه السلام لهي أبلغ خطاب على أنّ انحراف المسار السياسي قد بلغ الحد الذي لا يمكن معه سكوت، نهضة رسمت خارطة الإسلام في أصدق لوحة تاريخية، فهي صراع أبدي بين التوحيد والوثنية، أيّاً كانت صورها وتعبيراتها، وأيّاً كان الإله الذي يعبده الإنسان، وثنياً أم مسلماً، لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ... فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1].

نهضة أظهرت الأُمّة بسبب ركونها وخنوعها للجبروت، وأكّدت أنّها قادرة على قتل أولاد نبيِّها لا باسم الأوثان هذه المرّة، بل باسم الإسلام الذي تقمّصه الحاكمون...

أمّا يزيد (لعنه الله) فقد أظهر وثنيته الصريحة، وكفره بالإسلام، برواية مَن لا يمكن أن يُتّهم فيه، كابن أبي الدنيا وابن سعد لـمّا تمثّل بأبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل[2]

المبحث الثاني: محاولات الرواة لتزييف النهضة الحسينيّة

يستخدم السلطان الجائر كلّ الوسائل اللازمة لتحقيق غايته، لعل أهمّها أقلام الرواة، سيّما مَن تتوافق أهواؤه ومصالحه الذاتية مع السلطة والسلطان، لكنّ الخصم هذه المرّة كبير وسامٍ، لا يمكن أن يُتّهم بشيء ـ نعني به الحسين عليه السلام ـ لهذا انحصر ميدان الكذب والتزوير عند الرواة في الدفاع عن يزيد وتبرير موقفه.

أمّا الشق الثالث من البحث فسنسلط الضوء فيه على المتكلّمين، ممّن يعتقد بلزوم

(١) الجاثية: آية ٢٣.

(٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن، الرد على المتعصب العنيد: ص٤٥ـ٤٨. ابن الجوزي، عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج٥، ص٣٤٣.

الطاعة للسلطان الفاجر، فانبروا يدافعون عنه، ويحرمون الخروج عليه، حتى فاضت أقلامهم بكلام اجترأوا فيه على الحسين عليه السلام، حتى يُخشى عليهم أن يكونوا شركاء في دمه الشريف، ولكي تكون الصورة أوضح سنشرع بتناول المبحثين تباعاً وكالتالي:

أولاً: تزييف الرواة

لعل أهم ما وضعه الرواة وتمسّك به المدافعون عن يزيد قضيتان، الأُولى ما ذكرهُ الطبري نقلاً عن أبي مخنف بإسناده، من أنّ الحسين عليه السلام لم يكن يرفض البيعة ليزيد، وذلك من خلال دسّهم ووضعهم رواية على لسانه الشريف لدى حواراته مع أمير المعسكر الأُموي عمر بن سعد بقوله: «**اختاروا منّي خصالاً ثلاثاً: إمّا أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه، وإمّا أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية، فيرى ما بيني وبينه من الرأي، وإمّا أن تسيروني إلى أي: ثغر من ثغور المسلمين شئتم، فأكون رجلاً من أهله، لي ما لهم، وعليّ ما عليهم**»[1]. ورغم وضوح الكذب والزيف في هذه الرواية المفتراة على سيد الإباء والشموخ، لكن لا بدّ لنا من تعريتها ودحضها بالأدلّة التاريخية وكالتالي:

١ـ اعتمدوا في نقل الرواية على أبي مخنف دون غيره؛ لأنّه لم يروها أحد غيره، واعتبروه حجّة وثقة هذه المرّة فقط، بينما هو عندهم مجروح الرواية، بل تالف ومتروك وساقط، وغير ذلك من ألفاظ التجريح[2]، بل قالوا فيه أيضاً: «**أخباري تالف لا يوثق به**»[3]، بينما هو عند النجاشي والطوسي: «**شيخ الأخبار بالكوفة ووجههم، وكان يُسكَن إلى ما يرويه**»[4].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤١٣ـ٤١٤.

(٢) ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد، الجرح والتعديل: ق٢، ج٣، ص١٨٢. الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج٦، ص٣٧١. الذهبي، محمد بن أحمد، المغني في الضعفاء: ج٢، ص٥٣٥. الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال: ج٣، ص٤٢٠.

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال: ج٣، ص٤١٩. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج٤، ص٤٩٢.

(٤) النجاشي، أحمد بن علي، فهرست أسماء مصنفي الشيعة (الرجال): ص٢٤٥. الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ص١٥٥.

٢ـ من خلال الرواية يتبيّن لنا أنّ ذلك الحديث جرى في موضع لم يحضره أحد من الناس، ولم يسمع ما دار بين الحسين عليه السلام وابن سعد، فتناقلوه من غير أن يكونوا سمعوا ذلك، فمن أين أتى لهم اليقين بشروط الحسين عليه السلام الثلاثة، سيّما شرطه أن يضع يده بيد يزيد؟!

٣ـ الغريب أنّ الطبري أردف هذه الرواية بروايات أُخرى عن أبي مخنف تناقض هذه الرواية تماماً، وتثبت زيفها وبطلانها، منها ما ذكره عن أبي مخنف عن أشياخه أنّ الحسين عليه السلام طلب من ابن سعد الالتحاق به، وترك المعسكر الأُمويّ، والسير معاً لقتال يزيد، فلمّا رأى التردد من ابن سعد، وأنّه مُنّيَ بالولاية وبالأموال، أكّد له الحسين عليه السلام أنّه سيعوضه أضعاف ذلك، ويمكننا أن نرجّح هذه الرواية ونقبلها؛ لأنّها أقرب إلى أهداف الحسين عليه السلام وإلى واقع الحال، وهي أقرب إلى المنطق والعقل في القبول.

٤ـ ثمّة رواية أُخرى لأبي مخنف عن عبد الرحمن بن جندب عن عقبة بن سمعان مولى الرباب زوج الحسين عليه السلام تؤكّد بطلان هذه الرواية قال: «**صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى العراق، ولم أفارقه حتى قُتِل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكّة ولا في الطريق ولا في العراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلّا وقد سمعتها، ألا والله، ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنّه قال: دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة، حتى ننظر ما يصير أمر الناس**»[1].

---

(١) أُنظر الروايات التالية:

أ ـ طلب الحسين وابن سعد من أصحابه التنحّي عنهم، وبالتالي لم يسمع أحد ما دار بينهم.

ب ـ طلب الحسين عليه السلام من ابن سعد الانضمام إليه ليحاربا يزيد معاً.

ج ـ رواية عقبة بن سمعان من أنّ الحسين لم يشترط وضع يده بيد يزيد. أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤١٣ـ٤١٤. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص١٩٠.

٥ـ الأهمّ مما تقدّم السؤال الذي يطرحه العقل والمنطق، والذي يؤكّد على كفر يزيد وكفر جنده وأميره على الكوفة، فإن كان الحسين عليه السلام أراد أن يضع يده بيد يزيد فبأي حجّة قتلوه وقتلوا أصحابه وأهل بيته؟!

وإن كان قد اشترط الذهاب إلى يزيد ليبايعه ويضع يده بيده، فلأيّ سبب ثار بثلّة قليلة من المدينة إلى مكّة ومن مكّة إلى العراق، وأبى إلّا أن يسفك دمه ودماء الطاهرين من آله وصحبه عليهم السلام، متحمّلاً المشاق، راضياً وعالماً بسبي العيال والنساء؟! أيّ عقل ومنطق يقبل هذا الزيف وهذا الافتراء؟! فلا مبرّر لذلك سوى النيل من هذا العملاق الأبي ونهضته الحرّة الأبية!

٦ـ ولئن كان ذلك ردّنا ففي كلام الشيخ ابن تيمية الحجّة والبرهان القاطع على عدم جواز تلك الرواية، وأنّ الحسين عليه السلام لا يمكن أن يصدر منه ذلك تحت أيّ ظرف بعدما صمّم على الأمر بالمعروف والنهي عن منكر وجور يزيد، والوقوف بوجه ظلمه وسلطانه الجائر، فقد ذكر في كتابه منهاج السنة: «**وطلب من الحسين يستأسر ليُحمل إلى يزيد مأسوراً، فلم يُجِب إلى ذلك، وقاتل حتى قُتل مظلوماً شهيداً**»[1].

والقضية الثانية هي الرواية التي جاءت مدافعة عن يزيد (لعنه الله)، والتخفيف من الإثم الذي ارتكبه، واللوم الذي وقع عليه؛ لما نقل الطبري عن أبي مخنف أيضاً في مقتل الحسين عليه السلام قول يزيد للسبايا لما دخلوا عليه: «**لعن الله ابن مرجانة ـ يعني عبيد الله بن زياد ـ فلقد كنت أرضى منه بدون قتل الحسين**»[2]، ثمّ طلبه من زوجته هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز لما ندبته، ودخلت مجلسه حاسرة الرأس، نائحة على الحسين، سائلة إيّاه عن الرأس، وأن يقمن العزاء في بيته ثلاثة أيام على صريخة قريش[3]، فكان من عجائب القدر أن يُقام أوّل عزاء على الحسين عليه السلام في بيت خصمه وعدوّه من حيث لا يشعر، وليت شعري كم هو مخجل دفاع الرواة عن يزيد بهذا الشكل؟! وهم

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة: ج١، ص١٦٤.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٦٠. سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص٣٣٠ـ٣٣١.

(٣) اُنظر: المصدر السابق: ج٥، ص٢٦٢ـ٢٦٥.

يظنّـون أنّ العقول ترضى وتقبل به، والحقيقة في أقـلام كثير من مصنِّفيهم الآخرين، ممّـن يعتدّون بهم، مَن يأبى إلا دحض هـذا الزيف، وبيان خلاف ذلك، فقد ذكر ابن الجوزي: «**ليس العجيب من فعل عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد قيامهم برضِّ الصدر الشريـف وحرق الخيام وسـبي العيال والنسـاء، وإنّما العجب من خـذلان يزيد وضربه بالقضيب على ثنية الحسـين**عليه السلام**، وإعادته الرأس الشريف لبلوغ الغرض الفاسد أفيجوز فعـل هذا بالخوارج؟! أَوَ ليس في الشرع أنّهم يُصلّى عليهم ويدفنون**»[1]. وإن قبلنا ذلك فكيـف نقبـل حواراته مع السيدة زينـب عليها السلام لـمّا أكّد لها في أكثر من مـرّة أنّه من حقّه سـبيهم واسـتخدامهم في البيـوت، فردّت عليه بكـلام أفحمـه: «**لا، إلّا أن تخرج من ملّتنا، وتُدين بغير ديننا!**»[2]، أليس هذا ما يدحض الروايات المدافعة عن يزيد.

والدليـل الثالث على بطلان تلك الرواية التي تظهـره حزيناً لقتل الحسين عليه السلام هو استشـهاده بالأبيات الشـعرية التي تقدّمت، والتي أظهر فيها التشفّي من الحسين عليه السلام وجدّه صلى الله عليه وآله، بل كفره بالرسالة المحمدية: «**لا خبر جاء ولا وحي نزل...**».

لسـت مـن خنـدف إن لم أنتقـم ... مـن بنـي أحمـد مـا كان فعـل[3]

والتـي أكّد فيهـا الأحقاد الجاهلية التي غذّاه إيّاها جدّه أبو سـفيان الذي لا يبعد موقفـه يوم فتح مكّة، وقوله للعبّاس عمّ النبـيّ: «**أصبح مُلك ابن أخيك عظيماً. فقال له: ويحك يا أبا سفيان! هي النبوّة لا الملك. فقال: أمّا هذه ففي النفس منها شيء**»[4]؛ ثمّ

---

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن، الرد على المتعصب العنيد: ص٤٩، ص٥٢، ص٥٣. سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص٣١٢ـ٣١٣.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٦١.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص١٩٢. سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص٣٣١، وأورد قائلاً: «إن صح ذلك من يزيد فقد فسق»، وهو بنص رواياتهم قد صح منه ذلك؛ إذن؛ هو فاسق بقولهم.

(٤) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٨، ص١٢. البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة: ج٥، ص٣٤. ابن هشام، سيرة ابن هشام: ج٤، ص٢٤. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٢، ص٣٣١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٤، ص٣٣١. ابن عساكر، عليّ بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٢٤، ص٤٤٩. ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١٧، ص٢٦٩.

موقفه الثاني يوم استخلاف عثمان بن عفان، وقوله لبني أُميّة: «**تلقفوها تلقف الكرّة، فو الله، ما من جنّة ولا نار!**»[1].

إذن؛ هي الوثنية والنفاق الأُموي الذي ما محاه إسلام، ولا غيّر فيه شيء!!

المبحث الثالث: تزييف المصنِّفين والمتكلِّمين

للمتكلِّمين أُسلوب آخر في محاولة النيل من ثورة الطفّ العظيمة، تلك الثورة التي انتصرت للعدل والحرّية، بذات الوقت هو انتصار لموقع الإمامة الذي حاول الأُمويون إهانته والنيل منه، فتمثّلت مواجهتهم لها في بُعدين:

١ـ تخطئة الإمام الحسين عليه السلام بخروجه وبثورته.

٢ـ تكذيب كلّ ما ذكرته أقلام الرواة من شواهد تاريخية تثبت إدانة يزيد بشكل مباشر.

ولنحاول الوقوف عند كلّ بُعدٍ، وتناوله بشيء من المنطق والعقل والحجج التاريخية.

البُعد الأوّل: أنّ الحسين عليه السلام أخطأ في نهضته خطأً عظيماً[2]، و«**أنّ خروجه هذا رأي فاسد، وأنّ مفسدته أعظم من مصلحته! وقلّ مَن خرج على إمام ذي سلطان إلّا كان ما تولّد من فعله من الشرّ أعظم ممّا تولّد من الخير**»[3].

---

(١) البلاذري، البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٥، ص٩. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج٢، ص٣٤٣. أبو الفداء، إسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر: ج٢، ص٥٧. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب: ج٤، ص١٧٩.

(٢) دروزة، محمد عزة، الجنس العربي: ج٨، ص٣٨٣ـ٣٨٤. الخضري بك، تاريخ الأُمم الإسلامية (الدولة الأُموية): ج٢، ص١٣٠. ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: ص٢٤٢ـ٢٤٤. أحمد شلبي، الدولة الأُمويّة: ج٢، ص١٩٢ـ٢٠٢. العش، يوسف، الدولة الأُمويّة والأحداث التي سبقتها: ص١٦٧. عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية: ج٢، ص٦٧، ص٦٨، ص٧١، ص٧٧، ص٧٨.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة: ج٤، ص٢٤٥.

والحقّ أنّ هذا كلام لا يجوز خروجه من أشخاص يدينون بدين الله، بل هو أبعد شيء عن رجل يفقه مناهج الأديان، سيما وأنّ كلامه موجّه لأشرف مخلوق على وجه البسيطة آنذاك، سيِّد شباب أهل الجنّة، وخامس أصحاب الكساء المطهّرين؛ لأنّ ذلك تسفيه لا لشهادة الحسين عليه السلام فحسب، بل لكلّ الأنبياء والصالحين الذين دعوا بدعوة الحقّ، وأكذبوا أُحدوثة سلاطين الجور والظلم، فقُتلوا على أيديهم أبشع قتلة، سيّما النبي يحيى عليه السلام، كما قُتل الحسين عليه السلام. فهل قرأنا أنّ القرآن الكريم وبّخهم وسفّه تضحياتهم، أو وصفها بالفساد؟! أو أنّه اعتذر للسلاطين، وبرّر فعلهم بأنّه حفاظ على الملك والمصلحة العامة، كما يحاول هؤلاء المرتزقة من الكتّاب والمؤلِّفين الاعتذار لمرتكبي جريمة الحسين عليه السلام بقتلهم إياه وآله وأصحابه وسبي عياله وحريمه؟!

وفاتهم في خضم دفاعهم عن يزيد وحزب ـ لما دانوا بفلسفة (الغلبة) للسلطان ـ أنّ الانتصار للحسين عليه السلام أمانة في أعناقهم قد تركها جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله إن كانوا مؤمنين به حقّاً.. وذلك لا يحتاج منّا مجهوداً في ذكر الأحاديث النبويّة الشريفة في فضل الحسين عليه السلام، ومحبّة النبي صلى الله عليه وآله له ولأخيه الحسن عليهما السلام، والوصية بالبر والحبّ لهما خصوصاً، ولأهل بيته عليهم السلام عموماً، فهم القربى الذين أوجب الله تعالى على محبّتهم الأجر بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ...﴾[1].

لقد ركّز ابن تيمية على اعتماد رواية البغوي لمقتل الحسين عليه السلام، لكن الأخير من جهة أُخرى هو الذي أكّد حديث الصحابي الكبير أنس بن الحارث عن النبي صلى الله عليه وآله: «**إنّ ابني الحسين سيُقتل بأرض يُقال لها كربلاء، فمَن شهد منكم ذلك فلينصرهُ**»، فنصره وهو معصوب الحاجب بعصابته لكبر سنّه، فنال الشهادة والسعادة[2].

لقد حاول هؤلاء المتكلِّمون أن يعزّزوا أُكذوبتهم وأُحدوثتهم بتخطئة الحسين عليه السلام

(١) الشورى: آية ٢٣.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص٣١٧. الكليدار، مصطفى، مختصر تاريخ كربلاء: ص٤٣.

مـن خلال اسـتعراض كلمات الناصحـين الذين رجوا من الحسـين عليه السلام عدم الخروج للعراق، أو على الأقل عدم ترك مكّة[1].

والمفارقة أنّ ما يكشف خداع هؤلاء هو أنّه في مصنّفاتهم وسردهم لأحداث ثورة الطـف وكلمات (الناصحين) لا ينقلون ردود الحسـين عليه السلام على أولئك الذين حاولوا ثنيه عن عزمه بالخروج، بل لا يذكرون كلامه ابتداءً من مسيرته حتى استشهاده عليه السلام، لتكون الصورة واضحة للقرّاء في معرفة الأسـباب الحقيقية لخروج هذا الإمام الثائر عـلى الظلـم[2]، والأغرب أنّهم لم ينقلوا إلّا رواية أن يضع يـده بيد يزيد[3]؛ لأنّ ذلك يخـدم مصالحهم الدنيوية، وهذا هـو منهاج التزييف في التاريخ الذي لا يقوم إلّا على بتر الروايات أو حذفها، ثمّ تكذيبها والتذكر لها بعدئذٍ.

البُعـد الثـاني: تكذيـب مـا يثبـت إدانة يزيـد باعتبـاره المسـؤول الأوّل عـن قتل الحسين عليه السلام وآله وأصحابه وسـبي حريمه وعياله، تكذيـب مَن لا يهمّه إلّا الانتصار ليزيد وحزب الشيطان من أتباعه بأيّ ثمن، ولو كان ذلك على حساب دينهم والبوء بإثمهم في الآخرة.

فمثلاً كذّبوا سبي أهل البيت عليهم السلام، ونقل الرأس الشريف إلى يزيد، ونكت الأخير (عليـه اللعنـة) لثنايا الحسـين عليه السلام وتمثّله بالشـعر المشـهور لابن الزبعـرى[4]... ليت شعري لا أعرف كيف اقتنعوا بذلك؟! مع أنّ مَن نقل تلك الفضائع أوثق مصنّفيهم

---

(١) أُنظر روايات الناصحين للحسين عليه السلام بعدم الخروج في: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٨٢ـ٣٨٨، والتي اعتمد عليها مرتزقة الأقلام المأجورة لبني أُميّة في مصنّفاتهم، كابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: ص٢٣٧ـ٢٣٨. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة: ج٤، ص٢٤١. الجبري، عبد المتعال، حوار مع الشيعة: ص٢٤٧.

(٢) أُنظر أقوال الحسين عليه السلام في: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٨٣، ص٣٨٦، ص٣٨٨، ص٤٠٢، ص٤٠٧، ص٤٢١، ص٤٢٣، ص٤٢٤، ص٤٣٠، ص٤٣٩، ص٤٤٦، ص٤٥٠.

(٣) أُنظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة: ج٤، ص٢٣٧. أحمد شلبي، الدولة الأُموية: ج٢، ص١٩٨. العش، يوسف، الدولة الأُمويّة والأحداث التي سبقتها: ص١٧٠، وغيرهم.

(٤) أُنظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة: ج٤، ص٢٥١ـ٢٥٢، ص٢٥٦.

ومؤلِّفي مصادرهم المعتبرة من أصحاب المصادر الأولية، فقد نقل حوادث السبي والسلب ونقل الرأس وتشفّي يزيد: ابن أبي الدنيا، وابن سعد، وابن الجوزي، وابن كثير، وغيرهم[1]، سيّما أنّ ابن تيمية يعتمد كلّ الاعتماد في مصنّفاته سواء أكان رأس الحسين أو منهاج السنّة على ابن سعد وابن أبي الدنيا وابن الجوزي.

لكن يأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون، فنرى أنّ هؤلاء يقعون في الخطأ من حيث لا يشعرون، ويظهر للناس زيف ادعاءاتهم بلسان حالهم الذي يدينهم، فابن تيمية من حيث لا يشعر يذكر ويؤكِّد على حمل أهل البيت عليهم السلام إلى يزيد بن معاوية لما حاول أن يُبرّئ ويخفّف من ذنب يزيد؛ وذلك لما أظهر الحزن والجزع لاستشهاد الحسين عليه السلام لـمّا دخلت السبايا عليه، وأنّه طلب من زوجته والموجودين إظهار الحزن والجزع والبكاء على الحسين عليه السلام بقوله: «**وإنّ يزيد ظهر في داره الندب لقتل الحسين، وإنّه لـمّا قدم عليه أهله وتلاقى النساء تباكين، وأنّه خيّر ابنه عليّاً بين المقام عنده أو السفر إلى المدينة، فاختار السفر إلى المدينة، فجهّزه إلى المدينة جهازاً حسناً**»[2].

فالسؤال الذي يطرح نفسه بعد هذه الرواية: يا تُرى كيف كان مقدمهم على يزيد؟ هل كان باختيار ورغبة منهم في رؤية وجهه، أم حُملوا إليه قهراً، وعلى غير رغبة منهم كما تُحمل السبايا؟!

والدليل نجده في مصادرهم التي يعتمدون عليها، فابن سعد وابن حبان يقولان: «**إنّ ابن زياد دعا نصر بن قيس، فبعث معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد**»[3]،

---

(١) ذكرنا تلك المصادر في الهوامش السابقة ومنها: الجوزي، عبد الرحمن، الرد على المتعصب العنيد: ص٤٥ـ٤٧. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٠٩ـ٢٢٢. الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج٥، ص١٨ـ١٩، وغيرها كثير.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، رأس الحسين: ص٢٠٧. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة: ج٤، ص٢٤١، ص٢٥٦. الجبري، عبد المتعال، حوار مع الشيعة: ص٢٥٥.

(٣) ابن الجوزي، عبد الرحمن، الرد على المتعصب العنيد: ص٤٩ـ٥٠. ابن حبان، محمد، الثقات: ج٢، ص٣١٢ـ٣١٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٥٩، إلّا أنّه جعل حامل الرؤوس زجر بن قيس، وهو الأرجح.

ولا أعرف كيف يمكنهم تكذيب ذلك والروايات متواترة، وذكرتها كلّ المصادر الأولية والمتأخرة!!

وإن كذبوا ونفوا تلك الروايات، فهل ينكرون بقية الأحداث التي جرت في قصر يزيد أو في مسجد الشام، أو خطبة الإمام السجاد عليه السلام، أو حواره مع يزيد، أو لـمّا طلب أحد الشاميين من يزيد أن يهبه فاطمة بنت الحسين عليه السلام ظنّاً منه أنّهم من سبي الترك أو كابل[1]، فلمّا علم بحقيقة نسبها لعن يزيد، وانضم إلى فريق الإمام السجاد عليه السلام، فما كان من يزيد إلّا قتله (رضوان الله عليه)[2].

والحقيقة أنّ ابن تيمية وأحمد شلبي والخضري وسهيل طقوش، وغيرهم كثيرون، جُبلوا منذ بدايات تكوينهم الثقافي ووعيهم الديني على أنّ يزيد مؤمن، وأنّ بني أُميّة نصروا الإسلام، وأنّ الشيعة كذّابون روافض، فكلّما سمعوا أو قرأوا شيئاً يحطّ من قدر يزيد ازدادوا له حماساً، فكذّبوا بكلّ نقل لأجله، وإن كان في ذلك هلاكهم، حتى كذّبوا أنفسهم وهم لا يشعرون!!

ولا نعلم على أيّ ملّة هم، وما الأساس الذي اعتمدوه في أقاويلهم! فتارة يعتمدون مصادرهم الأولية كابن سعد وابن الجوزي والعماد الإصفهاني، وتارة يكذبونها إن حاول الآخرون تأكيد ذم يزيد، وأنّه ملام بحادثة الطف، بل يجوز لعنه كما ذكر العماد الحنبلي: «**وقال التفتازاني في شرح العقائد النسفية: اتّفقوا على جواز اللعن على مَن قتل الحسين، أو أمر به، أو أجازه، أو رضي به. قال: والحق أنّ رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك وإهانته أهل بيت رسول الله ممّا تواتر معناه، وإن كان تفصيله**

(١) اُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٥٩ـ٤٦٥.

(٢) اُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٦٢. المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٣٢٨. العلي، كفاية طارش، ردود الأفعال الشعبية للمجتمع الكوفي والشامي أثناء وبعد الطف وانعكاساتها السياسية على الدولة الأُموية، مجلة دراسات تاريخية، العدد تحت الطبع: ص٩.

آحـاداً. قـال: فنحن لا نتوقف في شـأنه، بل في كفره وإيمانه، لعنـة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه»[1].

أفبعـد هذا تثبت لهم حجّـة ويُقام لهم دليل ويعتمد على مصادرهم، وهم أساسـاً يتخبّطون فيما ينقلون، لا يثبتون على رأي ولا دعامة؟! وهل بعد تلك الحادثة التي لا تُغطّـى بغربال يقبل عقل أو يصدق فكـر أنّ يزيد بريء من دم الحسين عليه السلام وأصحابه وعياله، وأنّه ليس المسؤول عمّا حصل أثناء وبعد المعركة؟!

النتائج والخاتمة

وفي ختام هذا البحث ومن مجمله يتّضح الآتي:

١ـ لقـد كـان فضـل أبي مخنـف (راوي مقتل الحسـين عليه السلام) على البشريـة والمكتبة العربيـة عظيماً بنقلـه وقائع ثورة الطف العظيمة، ولعلّ إرثه وهواه العلوي الممتد من أجداده الأوائل، كمخنف بن سـليم وإخوة وأبناء جدّه مخنف، سـاعده في ذلك، فقد شارك كلّ هؤلاء في حروب الإمام علي عليه السلام في الجَمَل وصفِّين.

٢ـ لم يكـن أبـو مخنف فقيراً أعمى معاصراً لمعركة الطـف، وقد نقل أحداثها وهو جالـس ببـاب مسجـد الكوفة كـما يُروى على ألسـن العامّة، بـل كان غنيّـاً ومبصراً، ويفصلـه عـن أحـداث المعركـة جيـلان؛ لأنّ ولادتـه عـلى الأغلب انحـصرت بين السنوات (٦٥- ٧٠هـ).

٣ـ حـاول الـرواة مـن أصحاب الأقـلام المأجورة لمصلحـة السلطـة الأُمويّة، أو الذيـن يدفعهـم الهوى أو المصالـح الذاتية، التقليل من شـأن خروج الحسين عليه السلام على الظـالم يزيد من خلال محاولتهم دس روايات مفادها أنّه عليه السلام أراد مبايعته، وقد أثبتت الروايات والتحليل التاريخي أنّه من غير المنطقي قبول ذلك وصحته.

---

(١) ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب: ج١، ص٦٨ـ٦٩. سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص٢٦٥.

٤ـ دفاع هؤلاء الرواة والمتكلّمين والمصنفين من أصحاب المصادر التاريخية عن يزيد (عليه اللعنة) وتبرئته من ذنب هذه الثورة، وأنّه لم يكن المسؤول المباشر عن قتل الحسين عليه السلام، ودليلهم على ذلك إقامته لمأتم الحداد عليه في قصره، كلّ هذا مخجل، وكأنّ ذلك يقنع أصحاب العقول، متناسين أنّ الروايات المتواترة الثابتة تثبت خلاف ذلك، سيما وأنّ أحد أسباب خروج الحسين عليه السلام سرّاً من مكّة إلى العراق يوم التروية (٨ ذي الحجة) قول الحسين الفصل لما سُئل عليه السلام ما أعجلك قال: «**لو لم نعجل لأُخذنا**»؛ لأنّ يزيد (عليه اللعنة) أراد قتله سرّاً، فضلاً عن محاولاتهم دفع التّهمة عن يزيد بنفيهم من الأساس كلّ حوادث الطف الأليمة، ابتداءً من رضّ الصدر الشريف إلى ضرب الثنيتين، مروراً بحرق الخيام والسبي.

٥ـ لا بدّ لهؤلاء المتكّلمين وهم يدافعون عن يزيد أن ينالوا من الحسين عليه السلام وثورته من خلال تخطئته في الخروج على الحاكم الشرعي المبايع له بالولاية، وأنّ خروجه مفسدة عظيمة؛ لأنّ نفعه أقل من ضرّه، سيما وأنّ الكفّة العسكرية والاستراتيجية كانت راجحة للخصم، وبالتالي لم يكن يتميّز بتقديره للأُمور (وحاشاه عليه السلام من ذلك)، وقد فنّدنا كلّ ذلك بالبحث.

أثر شعائر عاشوراء في نشر الفكر الحسيني في أُوروبا
دُول شمال أُوروبا أُنموذجاً

م. د. حيدر عبد الجليل عبد الحسين الحربية*

مقدّمة تاريخية

وفقاً لمركز الأرشيف الألماني للإسلام معهد (دي)، يبلغ عدد المسلمين في أُوروبا حوالي (٥٣ مليون، ٢ , ٥٪)، يشمل الرقم كلّاً من روسيا والقسم الأُوروبي لتركيا، ويبلغ عدد المسلمين في دول الاتحاد الأُوروبي حوالي (١٦مليون، ٢ , ٣٪) وفقاً لآخر إحصائية من عام (٢٠١٠م)، قام بها معهد (بيو)، وصل عدد المسلمين في كلّ أُوروبا عدا تركيا، إلى (٤٤) مليون نسمة، أي ما يُشكّل حوالي (٦٪) من إجمالي سكّان أُوروبا، وقد جاء الإسلام إلى أجزاء من الجزر والسواحل الأُوروبية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السابع الميلادي، عن طريق الفتوحات الإسلامية، كما ظهرت في شبه الجزيرة الأيبيرية دول إسلامية في الأندلس، وذلك قبل حروب الاسترداد، كما انتشر الإسلام في دول البلقان وجنوب شرق أُوروبا خلال التوسّع العثماني، علاوةً على ما تقدّم فقد تواجدت جاليات تاريخية مسلمة في روسيا، وفي الأعوام الأخيرة هاجر مسلمون خاصّة من المغرب العربي وتركيا إلى أُوروبا، وهم من المهاجرين والسكّان والعمال المؤقتين[1].

---

* جامعة ذي قار/ كلّية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ.

(١) أُنظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة، الدين في أُوروبا، النسخة العربية، ١٩ يوليو ٢٠١٦.
https://ar.wikipedia.org/wiki/الدين_في_أوروبا#.

ومـن ضمن الطقـوس المهمّة التـي يؤدّيها المسلمـون هي الشـعائر الحسينية التي يحـرص المسلمون في أنحاء العالم على أدائها[1]، والتي في مقدّمتها مراسـم عاشـوراء التـي تجسّدها مواكب شـعبية، وفعاليات خيريـة، ومجالس دينية، وقـد باتت ظاهرة سـنوية في الكثـير مـن المـدن الأُوروبية، يشـترك فيها حتى غـير المسلمـين، ويتآلف عندهـا أبناء الطوائـف والمذاهب المختلفة، لتشـكّل فسيفساء متجانسـة من التفاهم والتسامـح، معبّرة عن القيم الأخلاقية والإنسانية التـي تفرض احترامها على العالم، ليـس عـبر الفعاليات الاحتفالية الخالصة بمناسـبة واقعة الطف، التي استُشـهد فيها حفيد رسـول الله صلى الله عليه وآله أبو عبد الله الحسين عليه السلام في أرض كربلاء، بل عبر ما يرافقها من فعّاليات اجتماعية، كإطعام الفقراء، والتكافل الاجتماعي، والحوارات البنّاءة، فضلاً عـن الجوانب الثقافيـة والإعلامية في صور من الخطابة والشـعر، وإقامة الماراثونات والمواكـب الراجلـة، وتنظيم الندوات الدينيـة والثقافية، واسـتنهاض اللغة والثقافة الأُم لدى الأجيال الناشئة.

ويـرى الكاتـب العراقـي هـادي الحسنـي المقيـم في بروكسل في حديـث لجريدة (الصباح) أنّ «**مجالس عاشـوراء المشتركة أثبتت جدارتها كظاهرة أُوروبية بارزة، قائمة عـلى التسـامح وعدم إلغـاء الآخر، بل مشـاركته والانسـجام معه**»، مؤكّـداً «**أنّ أغلب المواكب الحسـينية في أُوروبا باتت مَعلَماً حضارياً يتطلّع إلى مشاهدته وفهم أبعاده الكثير من الأُوروبيين**»[2].

---

(١) للتفصيل حول فلسفة الشعائر الحسينية أُنظر: الفضلي، إحسان، فلسفة الشعائر الحسينية، مراجعة وتدقيق حيدر السلامي، مكتبة الإمام الحسين عليه السلام:
http://iraq.iraq.ir/islam/5/book19/fehres.htm.
الحلّي، عبد الحسين، الشعائر الحسينية في الميزان الفقهي، مكتبة الإمام الحسين عليه السلام:
http://iraq.iraq.ir/islam/5/book08/index.htm.

(٢) أبو زيد، عدنان، عاشوراء في أُوروبا (يوحد الشعوب ويُعرّف العالم بالإسلام)، جريدة الصباح، الموقع الإلكتروني، شبكة الإعلام العراقي، بغداد (١٣ / ١١ / ٢٠١٣م).
http://www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=58321.

وفي ضوء ذلك سوف يتناول هذا البحث صوراً من تلك الشعائر مع أهمّ المؤسّسات الدينية المعنية في عدد من الدول الأُوروبية، لاسيما تلك التي تقع في شمال القارّة.

المملكة المتحدة

إنّ أوّل مجلس عزاء حسيني أُقيم في بريطانيا كان في العام (١٩٦٢م)، وذلك في (ريجنت موسك) القديم، قبل أن يُهدم ويُبنى من جديد، وكان قبل ذلك قصراً لأحد اللوردات، ولم تكن هنالك مراكز إسلامية أو حسينيات، حتى المسلمون الشيعة كانوا أقلّية، حيث كان بعضهم ينضم إلى البعض لقلّة العدد، ويُذكر أنّ أوّل مَن قرأ واقعة عاشوراء هو البريطاني عبد الله هوبت، ولهذا الرجل قصّة: حيث كان كولونيلاً في الجيش البريطاني، وعاش في العراق لمدّة خمس سنوات، وفي أثناء إقامته هناك تعرّف على مراسم العزاء الحسيني التي كانت تُقام في المدن العراقية، ولاحظ أنّ كثيراً من المسلمين الشيعة يذهبون لزيارة المشاهد المقدّسة في النجف وكربلاء والكاظمية؛ ممّا أثار حبّ الاستطلاع لديه؛ الأمر الذي دفعه لدراسة الإسلام، وانتهى إلى اعتناق الإسلام على المذهب الإمامي الاثني عشري، وهو ما جعله محطّ اهتمامه فيما بعد، ولذلك عندما عاد إلى بريطانيا حرص أن تُقام هذه المجالس، وكان أوّل مَن قرأ رواية مصرع الحسين في العاصمة البريطانية[1].

في الواقع لقد أولى الكتّاب الإنجليز اهتماماً كبيراً بحادثة عاشوراء، فقد «**جاء في الصفحة (٢٨٠) من (موسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء) ما نصّه: إنّ الكاتبة الإنجليزية القديرة (فرايا ستارك) كانت قد كتبت فصلاً صغيراً عن عاشوراء في كتابها**

(١) الشمري، سوزان، في قلب أُوروبا (كلّ أرضٍ كربلاء)، موقع حزب الدعوة الإسلامية تنظيم العراق: *http://aldaawa-io.org/index.php/our-libraries/3048.html*.

المعروف باسم (صور بغدادية)، وتبدأ هذا الفصل بقولها: إنّ الشيعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي يحيون ذكرى الحسين ومقتله، ويعلنون الحداد عليه في عشرة محرم الأُولى كلّها، حتى يصل بهم مدّ الأحزان البطيء الذي يستولي على أنفسهم إلى أوجه بمواكب العزاء التي تخرج في اليوم الأخير حاملةً النعش بجثّته المذبوحة. ثم تشير الكاتبة إلى مواكب العزاء والسبايا التي تمثّل فيها وقائع معركة كربلاء كلّها، وهي تقول: إنّ هذه المواكب التي تقام في بغداد والمدن المقدسة يُعرف مجيؤها من بعيد، بصوت اللطم على الصدور العارية».

كما «جاء في الصفحة (٢٩٧) من الموسوعة سالفة الذكر/ قسم كربلاء، نقلاً عن رحلة (جون أشر) الإنجليزي منقولاً عن المؤرخ (غيبون) بعد سرد مجزرة كربلاء، فيقول: إنّ الشيعة من المسلمين في العالم يقيمون في كلّ سنة مراسيم العزاء الأليمة؛ تخليداً لبطولة الحسين واستشهاده، فينسون أرواحهم فيها من شدّة ما ينتابهم من الحزن والأسى»[1].

بالإضافة إلى ذلك، فقد «جاء في الصفحة (٣٨١) من (موسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء)، ما نصّه: في سنة (١٩٤٣م) كتب المستر ستيون لويد ـ خبير الآثار القديمة في بغداد لعدّة سنوات ـ كتابه الموجز عن تاريخ العراق، باسم (الرافدان) [عن مقتل الإمام الحسين في كربلاء]... وهو يقول: إنّ الفظاعة التي اقتُرفت في المعركة، والفزع الذي أصاب المسلمين بقتله، يكوّنان أُسس المسرحية الأليمة التي تثير الطوائف الشيعية في العالم الإسلامي كلّه إلى حدّ الحنق الديني في عشرة عاشوراء من كلّ سنة.

وبعد أن يستطرد الكاتب في سرد حادث استشهاد الإمام الحسين وآله وصحبه يقول: وتُعدّ قبورهم ـ أي: قبور الأئمّة الأطهار عليهم السلام ـ في الفرات الأوسط وخراسان نماذج بديعة للفن الإسلامي الرفيع، كما يُعدّ كلّ واحد منها حججاً للزوار الشيعة.

---

(١) الشهرستاني، صالح، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام: ج٢، ص٣٢ـ٣٣.

والخلاصة: فإنه أينما وجدت الأُسر الشيعية على اختلاف قومياتها ومِللها، ولغاتها؛ وُجدت معها مراسيم العزاء الحسيني، ومآتمه، وشعائره، ومواكبه، ومجالسه، ونياحاته بصورها المختلفة، وأنواعها المتعددة، وبمظاهرها الموسعة أو تشكيلاتها المحدودة، وبصورة خفية أو علنية، حسب ظروف تلك الأُسر الاجتماعية. وتقام هذه المناحات على الحسين عليه السلام من قبل الشيعة على الغالب في العشرة الأولى من المحرم، وبالأخص يوم العاشر منه في كل سنة، وحين يهل هلال شهر محرم يستعد المسلمون الشيعة في مختلف أنحاء المعمورة للتعبير عن شعورهم إزاء هذه الذكرى الدامية، حيث يحتفلون بهذه المناسبة الأليمة، متذكرين مصارع آل النبي صلى الله عليه وآله في مجزرة الطف، في حزن عميق، وشجن عظيم، ومستعرضين مواقف الحسين ومن استشهد معه بما يناسبها من الإشادة والتكريم»[1].

وتأسيساً على ذلك؛ يقول الناشط المدني العراقي في بروكسل (حسين كاظم)، في حوار مع جريدة (الصباح) العراقية: «**إنّ الفكر الإسلامي بات حلقة في سلسلة الثقافة الدينية العالمية بفعل العولمة ووسائل الاتصال الحديثة، فترى (المحلّي) يذوب في العالمي، ومن ذلك؛ أنّ أبناء الجالية العراقية بأطيافهم المختلفة، لا يؤدّون مراسيم عاشوراء لوحدهم، بل بمشاركة مسلمين وغير مسلمين من بلدان أُخرى، في ظلّ فعاليات احتفالية حضارية، وفعاليات فكرية وفلسفية يحرص الجميع على متابعتها وفهمها لزيادة الوعي وتحصين الذات**»[2].

وفي لندن تقوم المراكز الإسلامية والجوامع والحسينيات كلّ عام برعاية تجمّعات المسلمين الضخمة في عاشوراء، حيث تقام مجالس العزاء والمواكب الحسينية، لا سيّما في (مآربل آرتش) في (الهايد بارك) في العاصمة لندن، تشارك فيها الجالية العراقية إلى جانب الجاليات العربية والإسلامية في المملكة المتّحدة، من لبنان والبحرين

(١) المصدر السابق: ص٣٧ـ٣٨.

(٢) أُنظر: موقع العتبة الحسينية المقدسة، نافذة الأخبار، دول عالمية وعربية تُقيم مراسيم عاشوراء وكأنها في أرض كربلاء المقدسة. على الرابط: https://imamhussain.org/arabic/news-1/3995/.

والسعودية وسوريا وإيران وباكستان وأفغانستان وتركيا والهند، كما يشترك فيها مواطنون إنكليز وأُوروبيون من أديان ومذاهب مختلفة، وتطوف في شوارع المنطقة المسيرات التي تحمل الشعارات المكتوبة، والأعلام والرايات السود والحمر والخضر، فضلاً عن الرموز الدينية الدالّة على معركة الطف.

واعتاد المسلمون في بريطانيا على إقامة مجالس عاشوراء كلّ عام، في مساجد مهيّأة لاستقبال المناسبة منذ فترة، وتنطلق في الغالب المواكب الحسينية باتّجاه وسط لندن، مروراً بمنطقة (ادجور رود) إلى أن تنتهي عند (ماربل أرتش) في منطقة (هايد بارك)، ويقول الناشط الاجتماعي جعفر الياسري إنّ: «**المسلمين يحيون أيضاً كل عام عبر المسيرات ذكرى أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء في العراق سنة (٦١) للهجرة، الموافق (٦٨١) ميلادية**».

ويضيف: «**دأبت المجتمعات البشرية على إحياء وقائع من الماضي، حيث تُضفي عليها الاحترام والتقدير؛ لما لها من تأثير على الحاضر من ناحية تعزيز قيم المجتمع وتقوية انتمائه، لاسيما تلك المتعلّقة بشخصيات لها دور استثنائي في تحرير الأُمم والشعوب**».

ويتابع القول: «**تُوزّع الكرّاسات والكتيبات لتعريف الناس لاسيما من غير المسلمين بالدين الإسلامي، وسيرة أهل البيت عليهم السلام، وحرص الدين الإسلامي على العدالة وطاعة الله تعالى، والتحلّي بالأخلاق الحميدة**»[1].

وفي ظاهرةٍ متميّزة حملت باصات الركّاب الإنكليزية الحمراء في عام (٢٠١٣م)، يافطات وملصقات إعلانية تحمل شعار: (لبيك يا حسين)، و(اليوم العاشر)، و(يوم وقف الحسين لأجل حقوقك)، حيث مُوّلت بأموال جمعها المسلمون بالتبرعات في هذه المناسبة. كما شرعت فعاليات إسلامية في حملة ترويجية لتفسير قصة عاشوراء؛ وذلك عبر موقع باللغة الإنجليزية يحمل اسم: (*The10 thday.com*) بالتعاون مع

(١) المصدر السابق.

موقع: (*Whoishussein.com*).

ويقول الباحث الإسلامي حيدر حسين لـ(الصباح): إنّ «**الاستعانة بوسائل الاتصال الحديثة، وأساليب الإعلام المتطورة، أسهمت كثيراً في توضيح معنى اليوم العاشر ورموز عاشوراء، ونشر الثقافة الإسلامية في أنحاء العالم**»، ويُلفت سعيد الخزرجي المقيم في بريطانيا منذ عقدين، متحدّثاً إلى (الصباح) إلى أنّ «**شوارع مدينة مانشستر شهدت رفع شعارات الحسين عليه السلام، كما وضعت لوحات توضيحية حول المناسبة على عواميد الإنارة، وفي محطّات الباصات، والأماكن العامّة، ووزّعت بين الجمهور الكتيبات التي تشرح واقعة الطف**»[1].

وتوجد في بريطانيا العديد من المؤسّسات المعنية بمنهج آل البيت الأطهار عليهم السلام، ومن بينها: مجلس علماء الشيعة في أُوروبا، وهذا المجلس يقوم بالأنشطة والفعّاليات، مثل تأسيس المراكز الإسلامية والحسينيات والجوامع، والتي بلغ عددها أكثر من سبعين مركزاً وحسينية، حسب ما ذكره السيد علي رضا رضوي رئيس المجلس، في حوارٍ أجرته معه مؤسّسة الحكمة للثقافة الإسلامية في عام (٢٠١٣م)، مشيراً إلى أنّ كلّ هذه المراكز والحسينيات تهتمّ بعموم المجتمع، وخصوصاً الشباب والنساء، وتولي الأطفال اهتماماً خاصّاً، لاسيما من الذين بلغت أعمارهم خمس سنوات من البنين والبنات، وجرى تعليمهم الفقه والعقائد والأخلاق، وتولّى تعليمهم معلّمون أكفاء، وتصدر عن المجلس مجلّة ناطقة باللغة الإنجليزية بعنوان (المجلس) تتناول أخبار المسلمين عموماً، وأتباع أهل البيت عليهم السلام خصوصاً، وفعّاليات وأنشطة المجلس[2].

---

(١) أبو زيد، عدنان، عاشوراء في أُوروبا (يوحد الشعوب ويُعرّف العالم بالإسلام)، جريدة الصباح، الموقع الإلكتروني، شبكة الإعلام العراقي، بغداد (١٣ / ١١ / ٢٠١٣م): *http://www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=58321*.

(٢) أُنظر: إعلام مؤسّسة الحكمة للثقافة الإسلامية، رئيس مجلس العلماء الشيعة في أُوروبا، يوجد في بريطانيا أكثر من ٧٠ مركزاً وحسينية: *http://www.alhikmeh.org/news/archives/9812*.

ولا يقتصر دور (مجلس علماء الشيعة في أُوروبا) على المسلمين فحسب، بل نشاطه يطال كافّة أطياف المجتمع الأُوروبي من غير المسلمين وحتى غير الكتابيين، بهذه العبارة يلخّص الأمين العام للمجلس السيد علي رضا رضوي الدور الذي يلعبه المجلس في الدول الأُوروبية، فالمجلس الذي يعدّ من أكبر المنظمات الشيعية في أُوروبا، يتشارك في الكثير من نشاطاته مع جميع المنظمات الإسلامية والمدنية، فالنشاطات المشتركة لا تقتصر على تلك التي تكفلها الدولة، والتي يمثّل فيها المجلس جزءاً من المسلمين، بل تتعدّاها إلى حوارات ومشاورات ولقاءات مع الجمعيات المسيحية والسيخية والهندوسية وغيرها.

المجلس الذي حاز منذ (٣ أعوام) على ترخيص رسمي من المملكة المتّحدة، يضمّ أيضاً فروعاً للشباب تحت اسم: (إماميّة شباب)، وفروعاً للنساء (إماميّة نساء)، ويشارك الإعلام البريطاني في مجلّة شهرية وعبر موقع إخباري.

السيد رضوي يؤكّد في مقابلة خاصّة مع موقع (العهد الإخباري) أنّ المجلس أراد لنفسه أن ينفتح على كلّ أوروبا، فأخذ مبادرات عدّة في الذهاب إلى مجلس النواب ومجلس الشيوخ البريطاني، ونقل إلى السياسيين وجهة نظر المجلس في الكثير من القضايا، خصوصاً الشرق أوسطية.

ويلفت إلى أنّ المجلس بصدد المشاركة في اتحاد جديد لكافّة المنظمات والفرق الإسلامية في أُوروبا تحت اسم (مسلمة لينز *Muslim Lines* اتحاد المسلمين في أُوروبا)، وفي حين يؤكّد السيد رضوي أنّ تطلّعات المجلس استراتيجية، وتهدف إلى إظهار الدين الإسلامي الأصيل في أُوروبا والعالم، يبدي سماحته تخوّفاً من الصورة السلبية التي يعكسها بعض المتطرّفين عن حقيقة صورة الدين[1].

---

(١) أُنظر: سلمان، علي عبد، مجلس علماء الشيعة في أُوروبا، التكفيريون لا يمثّلون الإسلام الأصيل ورسالتنا للغربيين أنّهم حالة شاذّة، وكالة أنباء براثا (٢١ / ٣/ ٢٠١٤م).
http://burathanews.com/arabic/islamic/232403.

ألمانيا

وجنوباً إلى ألمانيا، وتحديداً في بريمن، أصغر ولايات ألمانيا الاتحادية مساحةً، يتحدّث الحاج فضل رعد لـ(الصباح) عن الاحتفال في ذكرى عاشوراء، حيث تُحيي جمعية (المصطفى) المجالس الدينية، كما تُقيم الفعّاليات التي تُعرّف الناس بها.

وفي ألمانيا أيضاً، ينظّم مركز (الحسنين) في برلين احتفالات سنوية في ذكرى عاشوراء في مجالس عزاء حسينية، بحضور عددٍ غفيرٍ من المسلمين[1]، فوفق دراسة ميدانية، فإنّ عدد المسلمين في ألمانيا يتراوح نحو (٣,٤) ملايين نسمة، يشكّلون نسبة (٥٪) من تعداد سكان ألمانيا.

ويقول العراقي المقيم في المانيا فائز حسن لـ(الصباح): إنّ الكثير من الألمان يتشوّقون إلى معرفة كُنْه المناسبة، فنسعى إلى تعريفهم بتأريخها والظروف التأريخية التي عاصرتها.

يتابع فائز: لا تجد أي أثر للتعصّب الديني والمذهبي لدى الكثير من المسلمين من مختلف الطوائف، حيث يحضرون المجالس الدينية، التي تتضمّن قراءة القرآن الكريم، إضافةً إلى تعريف بالمناسبة باللغة الألمانية، كما يتلو السيد حسين الموسوي تفاصيل الفاجعة المؤلمة لواقعة الطف.

وعلى المنوال نفسه يجتمع المسلمون في هانوفر ـ عاصمة ولاية سكسونيا السفلى، إحدى ولايات ألمانيا، وإحدى أكبر مدن البلاد ـ لإحياء مراسيم عاشوراء عبر تلاوة آيات من القرآن الكريم، والقصائد الشعرية في المناسبة، وتنظيم موائد الإطعام للمدعوين، إضافةً إلى حملات التبرّعات للمعوزين والمحتاجين، وتمويل الفعّاليات الدينية والاجتماعية.

---

(١) أُنظر: العكيلي، دلال، عاشوراء في أُوروبا، طقوس وقيم تفرض احترامها على العالم: شبكة النبأ المعلوماتية، مؤسّسة النبأ للثقافة والإعلام (١٧/ ١٠/ ٢٠١٥م): *http://annabaa.org/arabic/ashuraa/3873*.

يقول الشيخ علي الخفاجي لـ(الصباح): إنّ عاشوراء أصبح فرصة يجتمع عندها أبناء الشعوب المقيمين في ألمانيا، فتجد العراقي إلى جانب التركي والإيراني والمصري والألماني والمغربي، يؤدّون جميعهم ذات الطقوس، ويتبادلون ثقافات الاحتفال المختلفة من شعبٍ إلى آخر.

وبحسب عبد الوارث عمر، المصري المقيم في ألمانيا في حديثه إلى (الصباح)، فإنه يشعر بحقيقة الوحدة الإسلامية، وهو يشارك في مراسم عاشوراء التي يديرها عراقيون، مضيفاً أنّ هذا المهرجان في ألمانيا يجمع السني مثلما الشيعي، والعراقي مثلما المصري، وأبناء الشعوب الأُخرى، مستلهمين من الذكرى العِبر والدروس في الصبر والشجاعة والوقوف بوجه الظلم[1].

أمّا في العاصمة برلين، فقد كشف المعزّون عن ولائهم لأئمّة أهل البيت عليهم السلام من خلال حضورهم في المساجد والحسينيات بمختلف مدن ألمانيا، وإقامة العزاء، وقراءة المراثي في ذكرى استشهاد سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام وصحبه الأبرار.

كما شهدت مدن برلين، وهامبورغ، واخن، حضوراً لافتاً في مراسم العزاء التي أُقيمت تخليداً لذكرى واقعة الطف، وقد بدأت مراسم العزاء في مختلف المدن بإقامة صلاة الجماعة، وقراءة زيارة عاشوراء، ومن ثمّ سرد الأشعار والمراثي التي تكشف عن خفايا جانب من حوادث كربلاء.

أمّا مدينة أسن، فقد شهدت مراسم انطلاق إحياء ذكرى واقعة الطف باستعدادات ضخمة، تضمّنت المراسم يومياً: محاضرة إسلامية قبل صلاة المغرب والعشاء، تلاوة لآيات من الذكر الحكيم، وقراءة زيارة عاشوراء المباركة، المجلس الحسيني مع عروض مستوحاة من واقعة الطف، أراجيز حسينية شعبية، مع قصائد

(١) أبو زيد، عدنان، عاشوراء في أُوروبا (يوحد الشعوب ويُعرّف العالم بالإسلام)، جريدة الصباح، الموقع الإلكتروني، شبكة الإعلام العراقي، بغداد (١٣ / ١١ / ٢٠١٣م).
http://www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=58321.

إلقائية لشعراء المنبر الحسيني، قصائد لطمية للشاعر ثامر السراج الكاظمي، الذي أخذ على عاتقه إدارة الموكب مع ثلّة من الشباب الحسيني، العشاء على مائدة سيّد الشهداء عليه السلام.

وفي مدينة بون ـ بالغرب الألماني ـ تُقام فيها كلّ عام مراسم عاشوراء من قبل المسلمين، وهي فرصة للتلاحم، هذا ما قاله الشيخ أبو علي الأنصاري المشرف على الجمعية العراقية التي تنظّم هذه المراسم.

ويضيف: إنّ النظر إلى ثورة كربلاء على أنّها حدثٌ تاريخي كغيره من الوقائع التي سجّلها التاريخ، والتي نتجت عن تضافر ظروف سياسية وفكرية، لتعبّر عن موقف أُمّة اقتضت تغييراً بهذا الأُسلوب الفريد، الذي لم تشهده كلّ تجارب الأُمم والشعوب السابقة، والذي لن يتكرّر بكلّ عناصره وخصوصياته؛ ذلك أنّ هذه النظرة ستخرج قضية كربلاء عن كونها منهجاً كاملاً وأُسوة صالحة للاقتداء بها واتباعها في كلّ وقت[1].

ويظهر أنّ مأساة الإمام الحسين عليه السلام قد شغلت اهتمام الباحثين الألمان، الذين أولوا هذه المسألة عنايةً كبيرة من البحث والتقصّي عن حقيقتها، ومدى ما تركته من آثار على المسلمين، وهذا ما ظهر، على سبيل المثال لا الحصر، في كتاب (المجالس السنية)، وتحديداً في صفحة ٢٠٠، «**نقلاً عن رسائل الحكيم والفيلسوف الألماني في رسالته عن النهضة الحسينية وتأثيرها على العالم الإسلامي، قول هذا الفيلسوف عن تأثير إقامة المآتم الحسينية على حياة المسلمين وتقدمهم، قوله: وليس لواحدة من الروابط الروحانية التي بين المسلمين اليوم تأثير في نفوسهم كتأثير إقامة مآتم الحسين، فإذا دام انتشار وتعميم هذه المآتم بين المسلمين مدّة قرنين آخرين لا بدّ أن تظهر فيهم حياة سياسية جديدة، وأنّ الاستقلال الباقي للمسلمين اليوم نصف أسبابها هو اتباع هذه**

(١) الجابري، فاتن، عاشوراء في ألمانيا يوحد العراقيين: جريدة الصباح، الموقع الإلكتروني، شبكة الإعلام العراقي، بغداد (١/ ١١/ ٢٠١٤م): *http://www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=80156*.

النكبة، وسنرى اليوم الذي يتقوّى فيه سلاطين المسلمين تحت ظلّ هذه الرابطة، وبهذه الوسيلة سيتّحد المسلمون في جميع أنحاء العالم تحت لواءٍ واحد؛ لأنّه لا يُرى في جميع طبقات الفرق الإسلامية مَن ينكر ذكر مصائب الحسين وينفر منها بسبب ديني، بل للجميع رغبةٌ طبيعية بشكلٍ خاصّ في أداء هذه المراسيم المذهبية، ولا يُرى في المسلمين المختلفين في العقائد سوى هذه النكبة الاتحادية.

الحسين أشبه الروحانيين بحضرة المسيح، ولكنّ مصائبه كانت أشدّ وأصعب، كما أنّ أتباع الحسين كانوا أكثر تقدّماً من أتباع المسيح في القرون الأُولى، فلو أنّ المسيحيين سلكوا طريقة أتباع الحسين، أو أنّ أتباع الحسين لم تمنعهم من ترقياتهم عقبات من نفس المسلمين، لسادت إحدى الديانتين في قرون عديدة جميع المعمورة، كما أنّ من حين زوال العقبات عن طريق أتباع الحسين أصبحوا كالسيل المنحدر يحيطون بجميع الملل وسائر الطبقات»[1].

فرنسا

«نقلت مجلّة (العلم) النجفية عن جريدة (حبل المتين) الفارسية، التي كانت تصدر في الهند مقالاً كتبه الدكتور جوزيف الفرنسي، عن المسلمين في أنحاء العالم وتقسيمهم إلى فرقتين: شيعية وسنية، وما اتصف به الشيعة من التقية، قال فيه: ويقيم الشيعة المآتم تحت الستار، يبكون فيها على الحسين، فأثرت هذه المآتم في قلوب هذه الطائفة إلى حدّ أنه لم يمرّ عليها زمنٌ طويل حتى بلغت الأوج في الشرق، ودخل في هذه الطائفة بعض الوزراء وكثيرٌ من الملوك والخلفاء، فبعضهم أخفى ذلك تقيّةً، وبعضهم أظهره جهاراً.

ويستطرد الكاتب الفرنسي، فيقول: ويمكن القول: بأنّه لا يمضي قرن أو قرنان حتى يزيد عدد الشيعة على عدد سائر فرق المسلمين، والعلّة في ذلك هي إقامة هذه المآتم التي جعلت كلّ فرد من أفرادها داعيةً إلى مذهبه.

---

(١) الشهرستاني، صالح، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام: ص٣٦ـ٣٧.

اليوم لا توجد نقطة من نقاط العالم يكون فيها شخصان من الشيعة إلّا ويقيمان فيها المآتم، ويبذلان المال والطعام. رأيت في ميناء (مارسال) في الفندق شخصاً واحداً عربياً شيعياً من أهل البحرين، يقيم المأتم منفرداً، جالساً على الكرسي، بيده الكتاب يقرأ ويبكي، وكان قد أعدَّ مائدةً من الطعام فرّقها على الفقراء.

هذه الطائفة تصرف في هذا السبيل الأموال على قسمين:

فبعضهم يبذلون في كلّ سنة من أموالهم خاصّة في هذا السبيل بقدر استطاعتهم ما يقدّر بالملايين من الفرنكات.

والبعض الآخر من أوقاف خُصّصت لإقامة هذه المآتم، وهذا المبلغ طائلٌ جداً.

ثمّ يواصل الكاتب الفرنسي كلامه ويقول: فلهذا ترك جمعٌ غفيرٌ من عرفاء هذه الفرقة أسباب معاشهم واشتغلوا بهذا العمل، فهم يتحمّلون المشاق ليتمكّنوا من ذكر فضائل كبراء دينهم، والمصائب التي أصابت أهل هذا البيت، بأحسن وجه وأقوى تقرير على رؤوس المنابر وفي المجالس العامّة، وبسبب هذه المشاق التي اختارتها هذه الجماعة في هذا الفن يفوق خطباء هذه الفرقة على جميع الطوائف الإسلامية.

ويستطرد الكاتب فيقول: إنّ العدد الكثير الذي يرى اليوم في بلاد الهند من الشيعة هو من تأثير إقامة هذه المآتم. فرقة الشيعة حتى في زمن السلاطين الصفوية لم تسعَ في ترقي مذهبها بقوّة السيف، بل ترقّت هذا الترقي المحيّر للعقول بقوّة الكلام، الذي هو أشدّ تأثيراً من السيف، ترقّت اليوم هذه الفرقة في أداء مراسيمها المذهبية بدرجة جعلت ثلثي المسلمين يتبعونها في حركاتها، جمٌّ غفير من الهنود والفرس وسائر المذاهب أيضاً شاركوهم في أعمالهم.

ويواصل الكاتب قوله بهذه العبارة: ومن جملة الأُمور السياسية التي ألبسها رؤساء فرقة الشيعة لباس المذهب منذ عدّة قرون، وصارت مؤثّرة جدّاً لجلب قلوبهم وقلوب غيرهم، هي أُصول التمثيل باسم المأتم والتعزية في مأتم الحسين.

ويقـول الكاتـب بعد ذلـك: فرقة الشـيعة حصلت من هـذه النكبة على فائـدة تامّة، فألبسـت ذلـك لباس المذهب. وعـلى كلّ حال فالتأثير الذي يلـزم أن يحصل على قلوب العامّـة والخاصـة في إقامة العـزاء والمأتم قد حصل، فمن جهة يذكـرون في مجالس قراءة التعزية المتواصلة وعلى المنابر المصائب التي وردت على رؤساء دينهم، والمظالم التي نزلت على الحسـين، مع تلك الأحاديث المشوقة إلى البكاء على مصائب آل الرسول عليهم السلام، فبيان تلك المصائب للأنظار أيضاً له تأثيرٌ عظيم، ويجعل العام والخاص من هذه الفرقة راسخ العقيدة فوق التصوّر، وهذه النكات الدقيقة أصبحت سبباً في أنّه لم يسمع بأحد من هذه الفرقة من ابتداء ترقّي مذهب الشـيعة أنّه ترك دين الإسـلام، أو دخل في فرقةٍ إسـلاميةٍ أُخرى.

هـذه الفرقـة تقيم المآتم بأقسـام مختلفة، فتـارةً في مجالسَ مخصوصـة ومقامات معيّنة، وحيـث إنّـه في أمثال هـذه المجالس المخصوصـة والمقامات المعينة يكون اشـتراك الفرق الأُخرى معهم أقل؛ أوجدوا المآتم بوضع خاصّ، فعملوا في الأزقّة والأسـواق، وداروا به بين جميع الفرق، وبهذا السبب تتأثّر قلوب جميع الفرق منهم ومن غيرهم بذلك الأمر الذي يجب أن يحصل من البكاء.

ولم يزَل هذا العمل شيئاً فشيئاً يورث توجّه العام والخاص إليه، حتى أنّ بعض الفرق الإسـلامية الأُخـرى وبعض الهنود قلدوا الشـيعة فيه، واشـتركوا معهـم في ذلك، وهذا العمـل في الهنـد أكثـر رواجاً منه في جميع الممالك الإسـلامية، كما أنّ سـائر فرق الإسـلام هناك أكثر اشـتراكاً مع الشـيعة في هذا العمل من سـائر البلاد. ويظن أنّ هذا العمل بين الشـيعة قد جاء من ناحية سياسة السلاطين الصفوية، الذين كانوا أوّل سلسلة استولت على السلطة بقوّة المذهب، ورؤساء الشيعة الروحانيون أيّدوا هذا العمل، وأجازوه شيئاً فشيئاً.

ومن جملة الأُمور التي صارت سبباً في ترقي هذه الفرقة وشهرتها في كلّ مكان، هو إزادة أنفسـهم بالرأي الحسـن، بمعنى أنّ هذه الطائفة بواسـطة مجلس المآتم واللطم والدوران

وحمل الأعلام في مأتم الحسين جلبت إليها قلوب باقي الفِرق، بالجاه والاعتبار، والقوّة.

ويختم الكاتب كلامه بقوله: لهذا نرى أنّه في كلّ مكان ولو كانت جماعة من الشيعة قليلة، يظهر عددها في الأنظار بقدر ما هي عليه مرتين، وشوكتها وقدرتها بقدر ما هي عليها عشرات المرات، وأكثر أسباب معروفية هؤلاء القوم وترقيهم هي هذه النكبة، ومصنّفو أُوروبا الذين كتبوا تفصيل مقاتلة الحسين وأصحابه وقتلهم ـ مع أنّه ليس لهم عقيدة بهم قط ـ أذعنوا بظلم قاتليهم وتعدّيهم، وعدم رحمتهم، ويذكرون أسماء قاتليهم بالاشمئزاز، وهذه الأُمور طبيعية لا يقف أمامها شيء، وهذه النكبة من المؤيّدات الطبيعية لفرقة الشيعة»[1].

بلجيكا

لم تمنع الأمطار المنهمرة بغزارة في العاصمة البلجيكية بروكسل الجالية العراقية، ومعها جاليات عربية ومسلمة، من المواكب والمسيرات التي تحيي ذكرى عاشوراء، وما يرافقها من مجالس دينية ونشاطات ثقافية ودعائية.

وفي مسجد الإمام الرضا عليه السلام في العاصمة البلجيكية، يجتمع سنوياً المئات من المسلمين لإحياء مراسم عاشوراء الحسين عليه السلام، وتبدأ المراسم منذ الأوّل من محرم، حيث يتّشح المكان بالسواد ورايات الحسين عليه السلام والشعارات الدينية حول معركة الطف، إضافةً إلى آيات من القرآن الكريم. وتُزيّن جدران المسجد بالسجاد الذي رسمت عليه مكّة المكرمة والآيات القرآنية، في حين يكلَّل المنبر الحسيني بالسواد، ويُزيّن المكان بالأعلام والرايات.

ومنذ نحو الساعة السابعة مساءً بعد الانتهاء من إقامة صلاتي المغرب والعشاء، ومن ثمّ تلاوة آيات بيّنات من القرآن الكريم، وأبيات من الشعر الحسيني، يبدأ مجلس العزاء بأبيات من شعر الرثاء، وينتهي الاحتفال الديني في الساعة الحادية

(١) المصدر السابق: ص٣٣ـ٣٦.

عشرة مساءً، حيث يتناول الحاضرون طعام العشاء.

وتشير إحصائيات إلى أنّ المسلمين يشكلون نحو (٦٪) من سكان بلجيكا، حيث يبلغ عددهم أكثر من نصف مليون مسلم من مختلف المذاهب والطوائف، يعيش أغلبهم في المدن الكبرى، مثل: أنتويرب، بروكسل، وشارلوروا. واعتُرِف بالإسلام ديناً رسمياً في هذه البلاد، عام (١٩٧٤م)، كما تأسّست جمعية (المسلمون التنفيذيون) في بلجيكا عام (١٩٩٦م)، ويبلغ عدد المساجد (٣٨٠ مسجداً)[١].

هولندا

لقد شكّلت الطلائع الأُولى من الأيدي العاملة التركية نواة التواجد الشيعي في هولندا، كانوا يقيمون شعائرهم ومواسمهم الثقافية في بيوتهم ويقيمون صلواتهم مع إخوانهم المسلمين، ويتنقلون من مكان إلى آخر، ولم يكن لديهم أيّ مؤسّسة أو مسجد خاصّ بهم حتى بداية عقد الثمانينات، وبالتحديد عام (١٩٨١م)، حينما قدم عليهم الشيخ (حمزة كل علي) الذي كان له الدور البارز في توجيه وتحفيز الناس وجمع الأموال، وبمساعدة المحسنين والوجهاء وضع نواة أوّل مسجد للشيعة في مدينة (لاهاي)، إلّا أنّ الخطوة لم تكتمل إلّا عام (١٩٨٢م)، فقد تمّ افتتاح مسجد (أهل البيت) للأتراك، ثمّ أُنشئ بعد ذلك مسجد ثاني يسمّى مسجد الـ(١٤ معصوم)، وثالث للشيعة الباكستانيين والهنود باسم (حسينية محفل علي)، أو (المركز الإسلامي).

وحسينية مشن للباكستانيين، وفي مدينة روتردام (*Rotterdam*) يوجد مسجد الهجرة للأتراك، وفي ذات المدينة يوجد مركز الإيمان الثقافي للأفغان، وفي مدينة آيندهوفن (*Eindhoven*) يوجد مسجد أهل البيت للأتراك.

أمّا في العاصمة أمستردام (*Amsterdam*)، فتوجد إدارة جعفرية للباكستانيين،

---

(١) اُنظر: أبو زيد، عدنان، عاشوراء في أُوروبا (يوحد الشعوب ويُعرّف العالم بالإسلام)، جريدة الصباح، الموقع الإلكتروني، شبكة الإعلام العراقي، بغداد (١٣ / ١١ / ٢٠١٣م).
http://www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=58321.

ويمتلك الشيعة اليوم عشر مؤسّسات ومساجد، خمس منها في دنهاخ، واثنان في روتردام، وواحد في أيندهوفن، ومسجد في مدينة آسن، وواحد في أمستردام، والعاشر في مدينة دوردرخت، هذا بالإضافة إلى عشرات الجمعيات الثقافية والاجتماعية المنتشرة في جميع المدن الهولندية، وهي لمختلف الجاليات الشيعة في هولندا.

ويوجد هنالك تشكيلان رئيسيان يضمّان كلّ هذه الجمعيات والمؤسّسات، وهما المجلس الإسلامي الشيعي (*COV*)، والبرلمان الشيعي الهولندي (*SIR*)، وفيما يتعلّق بالأوّل، فقد أُسّس هذا المجلس في (٨/ أيلول/ ٢٠٠٤م)، وهو مسجّل رسمياً لدى كاتب العدل في المملكة الهولندية، ويعتبر بمثابة خيمة لكلّ الجمعيات الشيعية ومن مختلف الأعراق، فهو يضمّ الجمعيات العراقية والتركية والأفغانية والباكستانية، وكذلك العلويون الأتراك، وقد أُسّس لكي يُعنى بالجوانب الاجتماعية والثقافية والقانونية وحقوق الإنسان لأتباع أهل البيت عليهم السلام، ويتكوّن من لجنة تأسيسية وعددها (١٢عضواً)، وهم من الناشطين الإسلاميين، ووكلاء المرجعيات الدينية، والمبلّغين، ولجنة إدارية. في حين أُسس البرلمان الشيعي (٢٠٠٤م) ليكون مظلّة لعدد من الجمعيات الشيعية في هولندا، وقد قام بنشاطات وفعّاليات لتعريف المجتمع الهولندي بالتشيّع، وهو من الكيانات البارزة على الساحة الهولندية، ويحظى باحترام الدولة، ويعتبر البرلمان الوجه الرسمي للشيعة العراقيين في هولندا[1].

وقد شكّل تواجد جالية عراقية كبيرة ـ لا سيما في كبرى المدن الهولندية ـ أثر كبير في إحياء مراسم عاشوراء المقدسة، حتى صار احتفال عاشوراء تقليداً سنوياً يمارسه المئات من المسلمين، ففي مدينة لاهاي تُنظّم المسيرات والاحتفالات الأكبر بالمناسبة، يقصدها المسلمون من مختلف أنحاء هولندا.

---

(١) الخطيب، علاء، المسلمون الشيعة في هولندا، وكالة أنباء براثا (٣١/ ٥/ ٢٠٠٧م): *http://ftp.burathanews.com/arabic/reports*.

وإلى جانب ذلك، تقام في مثل هذه المناسبات الدروس الدينية، إضافة إلى حملات التبرع بالدم. واعتادت مدينة لاهاي على استقبال المواكب الحسينية التي تمثّل مدناً ومقاطعات مختلفة، حيث تشترك مؤسّسة الكوثر الثقافية في مدينة لاهاي، والجمعية الثقافية في مدينة دوردرخت، إضافةً إلى جمعيات اجتماعية ودينية، في تأمين سير احتفالات عاشوراء على أحسن ما يرام[1].

وفي (٢٠١٣م)، شهد الاحتفال حضور أعداد غفيرة من أبناء الجالية العراقية والمسلمة، وشهدت مجالس العزاء اليومية، تلاوة آيٍ من الذكر الحكيم بصوت فارس الساعدي، كما قرأ الشيخ أبو علي الرمّاحي زيارة عاشوراء، واعتلى المنبر الباحث عامر الحلو كلّ يوم، حيث ألقى على الحضور الخطب الدينية التي تناول فيها علوم أهل البيت عليهم السلام، والقيم الإسلامية التي يحثّون عليها، واستمر الاحتفال طيلة فترة عاشوراء بإلقاء قصائد الرثاء، حيث تناوب الرادود محمد الشرع ومحمد الكيشوان على ذلك.

وفي مدينة أوترخت الهولندية، أحيى المركز الثقافي الإسلامي ليالي عاشوراء كلّ عام، و أُلقيت خلالها المحاضرات الدينية، وقصص معركة الطف، إلى جانب فعاليات اجتماعية حيث يلتقي الناس بعضهم ببعض، كما تُقدّم أيضاً للحاضرين وجبات الطعام.

وفي مدينة أيندهوفن في الجنوب الهولندي، اعتادت هيئة الصادق عليه السلام إحياء ذكرى عاشوراء، وتعظيم الشعائر الإسلامية في شهر محرم الحرام عبر جلسات دينية يومية، تتضمّن تلاوة القرآن الكريم، ومحاضرات دينية باللغتين العربية والهولندية، ومجالس تعزية يومية، حيث أداها الخطيب أبو عمار الكعبي، فضلاً عن مراثي حسينية لأبي

(١) أُنظر: العكيلي، دلال، عاشوراء في أُوروبا، طقوس وقيم تفرض احترامها على العالم، شبكة النبأ المعلوماتية، مؤسّسة النبأ للثقافة والإعلام (١٧/ ١٠/ ٢٠١٥م).
http://annabaa.org/arabic/ashuraa/3873.

زهراء الأعسم.

ويقول الحاج أبو حسن الحيدري لـ(الصباح) إنّ «**الاحتفال السنوي لم يعدّ مناسبة دينية فحسب، بل فرصة للتواصل بين أبناء الجالية العراقية والمسلمة، كما أنّها بالنسبة للأجيال الناشئة في هولندا الوسيلة الضرورية لإدامة التواصل مع الثقافة الإسلامية والعربية، وتوثيق العلاقة مع أُصول الدين، واكتساب المعلومات الضرورية حول التاريخين العربي والإسلامي**»[1].

وتعتبر الجالية العراقية من أكبر الجاليات الشيعية في هولندا، وتمتلك الكثير من الكوادر العلمية والمثقفة، ويُعزى ذلك إلى السبب الذي دفعهم إلى التواجد في هولندا، وهو الاضطهاد السياسي والتمييز الطائفي الذي مُورس بحقّهم في العراق، فمنذ تواجدها في مطلع الثمانينيات راحت تحثُ الخُطى لتأسيس إطار يضمّ الطاقات والكفاءات الوطنية والإسلامية، وفي ظلّ وضع قانوني كفل للأقلّيات حقّ الحفاظ على هويتها، وممارسة طقوسها وشعائرها؛ لذا مُورس هذا الحق بإنشاء الجمعيات والمؤسّسات التي أصبحت إطاراً عامّاً لأبناء هذه الجالية، والتي من بينها التجمّع الإسلامي العراقي في مدينة خروننكن الذي تأسّس في عام (١٩٨٩م)، أمّا الجمعية الثقافية العراقية، فقد تأسّست في عام (١٩٩١م) في مدينة برخن اوب زووم (*Bergenop zoom*)، ثمّ انتقلت إلى مدينة دوردرخت، والمركز الثقافي الإسلامي في هولندا (*CCIN*) تأسّس في تموز عام (١٩٩٥م)، وسجّل رسمياً في مدينة أُوترخيت (*Utrecht*).

كما ظهرت منظمة شباب أهل البيت عليهم السلام في هولندا (*Ahlalbait Jongeren Organisatie*)، وتأسّست جمعية الهدى في دوردرخت في عام (١٩٩٥م)، وقد

(١) أبو زيد، عدنان، عاشوراء في أُوروبا (يوحد الشعوب ويُعرّف العالم بالإسلام)، جريدة الصباح، الموقع الإلكتروني، شبكة الإعلام العراقي، بغداد (١٣ / ١١ / ٢٠١٣م).
http://www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=58321.

شـهد عـام (١٩٩٨م) ظهـور ثلاث جمعيـات عراقية هي كـلّ من: الجمعيـة الثقافية العراقيـة في مدينـة ايـماودن (*Ijmuiden*)، وجمعية آل البيـت عليهم السلام في مدينة روتردام، وجمعيـة ومدرسـة المصطفى الثقافيـة في مدينة لايسخندام، وتأسّـس عام (١٩٩٩م) المجمع الثقافي العراقي، وقد شـهدت مدينة آسـن(*Assn*) في (١٨/ آذار/ ١٩٩٩م) إنشاء مسجد ومؤسّسة الإمام الحسين عليه السلام.

علاوةً على ما تقدّم، فقد احتضنت العاصمة أمستردام في عام (٢٠٠٠م) مؤسّسة فاطمة الزهراء عليها السلام، وشـاركتها في نفس العام مدينة لاهاي بتأسـيس مؤسّسة الإمام المهـدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، في حين شـهد عـام (٢٠٠٢م)، وتحديداً في مدينة دنهاخ ظهور نشـاط جمعيـة السـلام، رافقه في ذات العام نشـاط مماثل من قبل مؤسّـسة أهل البيت عليهم السلام في مدينة ارنهيم.

عـلاوةً عـلى ما تقدّم، فقـد كان هنالـك اتّحاد المنظـمات العراقيـة في هولندا وهي مؤسّـسة وطنية هولنديـة، وهي عبارة عن مظلّة تجمع تحت سـقفها إحدى وعشرين منظمة ومؤسّسة وجمعية عراقية، وهي مسجّلة رسمياً لدى المملكة الهولندية، أُسّست في (٢٩/ أبريـل/ ٢٠٠٣م)، بجهود العديد من العاملين في المؤسّـسات والجمعيات العراقية، من أجل هدفين رئيسيين هما:

١ ـ خدمة الجالية العراقية المقيمة في هولندا.

٢ ـ تقديم المساعدة والدعم لشعبنا العراقي في كلّ أرجاء العراق.

وكانت المؤسّـسات الأعضاء في اتّحاد المنظمات العراقية: مؤسّـسة أهل البيت عليهم السلام الإعلامية ـ ألميرا (مؤسّـسة وطنيـة)، معية الهدى العراقيـة ـ دوردرخت، جمعية أهل البيت ـ آرنهم، جمعية الرسول الأعظم ـ آيماودن، مؤسّسة فاطمة الزهراء ـ أمستردام، جمعيـة أهـل البيت ـ سـبايكنس، جمعية دار الهـادي ـ دوردرخت، مؤسـسة المهدي ـ دوردرخـت، جمعيـة الإسراء ـ دنهـاخ، جمعية الصـادق الثقـافي ـ آيندهوفن، التجمع

الإسلامي العراقي ـ لايدسخندام، جمعية المصطفى ـ لايدسخندام، المنظمة العالمية للدفاع عن حقوق الإنسان (منظمة وطنية)، جمعية الزهراء ـ كاتفايك، الجمعية الثقافية العراقية ـ زوترمير، جمعية ذوي الشهداء العراقيين ـ دوردرخت، الجبهة الوطنية لجنوب العراق ـ آيماودن، مكتب السيد المدرسي ـ روتردام، المجمع الثقافي العراقي ـ دوردرخت، منظمة الشباب العراقي (منظمة وطنية)، منظمة حقوق الإنسان (منظمة وطنية)، الهيئة الإدارية العاملة تتكون من رئيس وناطق رسمي وسكرتير وأمين صندوق.

اللجان هي: لجنة السكرتارية، لجنة الإغاثة، لجنة التنسيق، اللجنة الإعلامية، اللجنة النسوية واللجنة الشبابية، الهيئة العامّة تتكون من ممثّلي المنظمات والجمعيات الأعضاء في الاتحاد كافّة. وتجدر الإشارة أنّ هناك العديد من المراكز والجمعيات التي مارست نشاطها في فترات محدودة، ولم تتمكّن من الاستمرار بسبب التمويل أو لأسباب أُخرى، وفي نهاية الأمر، فقد ظهرت واحدة من الجمعيات المعنية بنشاط الجالية العراقية في هولندا، متمثّلةً بمؤسّسة الكوثر الثقافية التي تأسّست عام (٢٠٠٦م) في مدينة دنهاخ[١].

السويد

عملت الجمعيّات الدينية والمراكز الإسلامية في مدينة كريستيانستاد السويدية على الاحتفال الموحّد في عاشوراء، عبر الاتحاد في تجمّع واحد تحت شعار (يا حسين)، حيث يغطّي في نشاطاته الدينية والاجتماعية أغلب المناطق الاسكندنافية، ويقوم المغتربون العراقيون كلّ عام برفع الرايات السود والخضر في الأماكن التي يُنظّم فيها العزاء الحسيني.

(١) للتفصيل أُنظر: الخطيب، علاء، المسلمون الشيعة في هولندا، وكالة أنباء براثا، ٣١/ ٥/ ٢٠٠٧. *http://ftp.burathanews.com/arabic/reports*.

وممّا يجدر ذكره، أنّ أول أذان رُفِع في السويد كان في (٢٦/ ٤/ ٢٠١٣م)، من جامع في منطقة (فيتيا) جنوب ستوكهولم، ويقدّر عدد المهاجرين المسلمين بنحو ثلاثمائة ألف مسلم، أي: بنسبة (٣٪) من سكّان السويد. وربما هذا النجاح الذي سجّلته هذه المدينة (*Kristianstad*) سيكون دافعاً لبقية المدن في السويد أو أُوروبا للمّ الشمل ووحدة الصف الشيعي.

وهناك دور مهم وفعّال لتوجيهات المرجعيات الدينية، وفي آخر زيارة لسماحة السيد مرتضى الكشميري ممثّل سماحة السيد علي السيستاني في أُوروبا، وعلى هامش المؤتمر العام الرابع للإمامين جعفر بن محمد الصادق وحفيده الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام في مؤسّسة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف بمدينة مالمو السويدية (١٤/ ٩/ ٢٠١٣م)، طلب وحثّ الجميع على إقامة مجلس عزاء موحّد بعد تلقّيه اتّصالات من المقيمين في المدينة، ووجود رغبة حقيقية بالتجمّع، ومنذُ تلك اللحظة برهن الجميع من كبار وصغار، رجال ونساء أنّهم أبناء المرجعية والسائرون على دربها وتوجيهاتها[١].

الدنمارك

وفي الدنمارك، حيث تمكّنت الجاليات الإسلامية من الحصول على موافقة السلطات لبناء مسجد (الإمام علي عليه السلام)، بقبّة زرقاء ومئذنتين، يتجمّع العراقيون ومعهم أبناء الجاليات الأُخرى لتنظيم مراسم عاشوراء، الذي أضحى ليس احتفالية دينية فحسب، بل مناسبة اجتماعية وثقافية يلتقي فيها الآباء الذين يحرصون على تواصل الأبناء من الأجيال الجديدة، مع دينهم وثقافتهم ولغتهم الأُم، ويقدّر عدد المسلمين في الدنمارك بنحو ثلاثمائة ألف، وبنسبة (٥٪) من السكان[٢].

---

(١) الياسري، عمران، جنوب السويد تستقبل عاشوراء بموكب عزاء موحّد لجميع المراكز الإسلامية والجاليات الأُخرى، موقع كتابات في الميزان. *http://www.kitabat.info/subject.php?id=38679*.

(٢) أُنظر: أبو زيد، عدنان، عاشوراء في أُوروبا (يوحد الشعوب ويُعرّف العالم بالإسلام)، جريدة الصباح، الموقع الإلكتروني، شبكة الإعلام العراقي، بغداد (١٣ / ١١ / ٢٠١٣م). *http://www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=58321*.

النرويج

أمّا في النرويج، فإنّ التعريف بقضية الإمام الحسين عليه السلام وصل إلى مراحل متقدّمة، فبالإضافة إلى المجالس الحسينية التي يحرص البعض من غير المسلمين على دراسة معانيها، نجحت الجالية العراقية المسلمة في إقناع السلطات بإضافة منهج دراسي يُعرّف بالإسلام، حيث تَقرّر لطلاب مرحلة الرابع الابتدائي دروس في حياة الإمام الحسين عليه السلام، في فصل مستقل بعنوان: (ثورة الحسين)، واعتاد المسلمون في النرويج ـ إضافةً إلى ذلك ـ على إعداد برامج دينية تتضمّن محاضراتٍ ودروساً في اللغة والدين، وتفسير القرآن وتلاوته[1].

فنلندا

وفي فنلندا لا تُفوّت الجالية العراقية المسلمة بمشاركة أبناء الجاليات الأُخرى فرصة حلول شهر محرّم الحرام، ذكرى استشهاد الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، فتحتفل في مركز وحسينية (أصحاب الكساء) عبر إعداد برنامج عاشوراء الذي يبدأ من الليلة الأُولى من شهر محرم الحرام، ويستمرّ حتى صباح يوم العاشر من المحرم، حيث تشهد المجالس الدينية اليومية تلاوة آيٍ من الكتاب العزيز، وقراءة زيارة عاشوراء، ومحاضرات إسلامية ومراثي حسينية.

إنّ عاشوراء ـ في الواقع ـ فرصة تاريخية يجب أن تُستثمر للتعبير عن وحدة المذهب والدين، وإنّ الحسين عليه السلام لم يكن حصّة طائفة معينة، بل للمسلمين والإنسانية كافّة[2].

---

(١) أُنظر: العكيلي، دلال، عاشوراء في أُوروبا، طقوس وقيم تفرض احترامها على العالم، شبكة النبأ المعلوماتية، مؤسّسة النبأ للثقافة والإعلام (١٧/ ١٠/ ٢٠١٥م):
http://annabaa.org/arabic/ashuraa/3873.

(٢) أُنظر: موقع المسلّة الإلكتروني، دول عربية وأجنبية تُحيي مراسيم عاشوراء بلغاتها المختلفة:
http://almasalah.com/ar/news/40903.

الخاتمة

وفي نهاية البحث يتّفق الباحث مع رأي الأُستاذ إحسان الفضلي في أنّ العلّة الرئيسية التي لأجلها كانت الشعائر الحسينية هي الممارسة الإعلامية الواضحة والمشيرة إلى الحقّ المسلوب، وأنّ جميع الغايات والأهداف الأُخرى تتفرّع منها.

ويمكن إجمال تلك الأهداف بالنقاط التالية[1]:

١ ـ نشر تاريخ وعلوم أهل البيت عليهم السلام وبيان فضلهم، ولا يخفى عظيم الحاجة إلى ذلك؛ لما تعرض له هذا التاريخ من تشويهٍ ودسّ، لا سيما في العصرين الأُموي والعباسي، وما عملته وتعمله الأقلام المأجورة والضالّة إلى يومنا.

٢ـ خلق الترابط العاطفي مع أهل بيت العصمة عليهم السلام، والذي هو نصٌّ صريح في القرآن الحكيم: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ...﴾[2].

٣ ـ تربية وتوعية الجيل الجديد، وبناء أساس فطري عقائدي متين يستند إليه.

ونستطيع تلمّس الحاجة إلى ذلك من خلال مناهج الدراسة في المدارس الأكاديمية، ووسائل الإعلام المرئية على وجه التحديد، التي تفتقر إلى ذكر أهل البيت عليهم السلام، وما تخلّفه من تأثيرات أساسية في التشكيل العقائدي للجيل الصاعد، ومن هذه النقطة ندرك مدى الحاجة إلى التمسّك الشديد بهذه الشعائر وتوجيه أجيال المستقبل نحوها.

٤ ـ تربية النفوس وإعدادها لنصرة إمام العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف من خلال ترسيخ القيم والمبادئ السامية، مثل التضحية والمواساة ونصرة الحق وغيرها، والتحقير والتنفير للصفات المذمومة، مثل الطمع والظلم وقسوة القلب وغيرها.

٥ ـ مخاطبة البشر كافّة، بغض النظر عن الاختلاف والتباين الثقافي بينهم.

---

(١) أُنظر: الفضلي، إحسان، فلسفة الشعائر الحسينية، مراجعة وتدقيق حيدر السلامي، مكتبة الإمام الحسين عليه السلام: *http://iraq.iraq.ir/islam/5/book19/fehres.htm.*

(٢) الشورى: آية٢٣.

ومن المعلوم أنّ الأُمّة الإسلامية ـ على سبيل المثال ـ تضمّ العديد من القوميات والأعراق والجنسيات التي هي بدورها تختلف من حيث الموروث الحضاري والثقافي، ومخاطبتهم بالإعلام المكتوب لا تتيسر للجميع حتى في عصر العولمة، أمّا الشعائر فإنّها أشبه ما تكون في خطابها باللوحة الفنية التي يستطيع الجميع أن يدرك مدى روعتها وجمال تعبيراتها، وإن كان هذا الإدراك يختلف بالدرجة وفقاً للوعي الثقافي.

٦ ـ خلق عامل وحدوي من خلال المشاركة الجماهيرية في المواساة لأهل البيت عليهم السلام.

ولعل هذا العامل من أهم العوامل المستبطنة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام التي تحث على المواساة والحزن في مصابهم، فمن المعلوم في علم النفس أنّ الإنسان عندما يكون في حالة الحزن، يصبح تأثره العاطفي سريعاً، فيكون على سبيل المثال سريع الرضا والحب والانفعال، وكذلك أنّ وجود شخص آخر يشاركه المصاب معه يؤدّي مع ما ذكرناه إلى زيادة الأُلفة والمحبة والتودّد بين المشاركين في الشعائر الحسينية، وتقوية أنفسهم على تحمّل أعباء الحياة، وهذا ما يخلق جوّ الوحدة بين المشاركين، الوحدة في المصاب، والوحدة في الهدف، والوحدة في التسابق لتحصيل الأجر والثواب في المواساة.

ومن هنا؛ كانت هذه الشعائر تمثّل أحد الأعمدة التي يقوم عليها المذهب جنباً إلى جنب مع المرجعية التي تمثّل الإدارة والعقل الموجه، في حين أنّ الشعائر تمثّل العنصر الجامع والموحّد بين أبناء المذهب على اختلاف جنسياتهم وقومياتهم.

وعليه؛ ندرك أنّ المُحارب لهذه الشعائر لا يخلو من أحد أمرين:

إمّا جاهل مغرور، أو طامع معادٍ يهدف إلى تمزيق وحدة أبناء المذهب.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**قصم ظهري رجلان، جاهلٌ متنسّك وعالم متهتّك**»[1].

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٢٠، ص٢٨٤.

خلاصة المقالات

باللغة العربية والانجليزية

المقاييس الفلسفية في تقويم ثورة الإمام الحسين عليه السلام
من منظور نظرية علم النقطة

أ. م. د. تومان غازي الخفاجي
أ. م. د. خالد كاظم حميدي

شكّل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وذويه وأصحابه ـ الذين لم يتجاوز عددهم الاثنين والسبعين شخصاً ـ قضية اختلف في تقويمها الباحثون قديماً وحديثاً، ولمّا كان عمر هذه الواقعة تجاوز الألف والثلاثمائة عام، فإنّنا نتوقّع استمرار الخلاف إلى يوم القيامة، ما لم يتصدَّ بحثٌ فكري هدفه الرئيس هو الكشف عن المبادئ الفكرية التي سبّبت كثرة الجدل الطويل، الذي أوضح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بأنّه يدلُّ على الجهل، بقوله: «**العلمُ نقطةٌ كثّرها الجاهلون**».

من هنا جاء النظر إلى هذا الموضوع تحت اسم (علم النقطة) كمنهجية مقترحة لحلّ مشكلة الجدل العقيم الطويل، وقوام هذه المنهجية أنّها تفترض عمل ملكات الإدراك الثلاث: (العقل، والقلب، والحس) معاً؛ لتكوين مثلث الإدراك الذي يحصر الحقيقة بنقطة وسط مثلث الإدراك، الذي يعتقد البحث أنّه يُمثّل الإدراك السليم الذي يقلّل الجدل العقيم إلى أقصى حدّ.

توصّل البحث إلى جملةٍ من النتائج، أهمّها:

١ـ كان للإمام الحسين عليه السلام منطقٌ خاصّ يختلف عن المنطق المألوف، وهو منطق أخلاق القلب الثائر بالحق، حين تتدخّل إرادة الإنسان القائمة على أهواء مبدأ (اللذة× الألم)، الذي يشترك فيه الإنسان مع الحيوان، وتغيّر وجهة التطلّع للمُثل العليا التي ناضل من أجلها الإسلام، وهنا تقف أخلاق الثائر الشهيد عائقاً بوجه

عودة العصبية الجاهلية، وهي نظرية ابن خلدون وغيره.

٢ـ إنَّ اختلاف الباحثين من القدماء والمحدثين في تقويم ثورة الإمام الحسين عليه السلام بين مؤيدٍ لها وآخر رافض؛ سببه اختلاف المناهج ضيّقة النظر، التي ترى الحقائق من وجهة نظرٍ واحدة وتهمل وجهات النظر الأُخرى.

PHILOSOPHIC STANDARDS OF EVALUATING IMAM AL-ḤUSAYN'S REVOLUTION IN THE VIEW OF DOTOLOGY

Asst. Professor. Tūmān Ghāzī al-Khafājī

Asst. Professor. Khālid Ḥamīd

The martyrdom of Imam al-Ḥusayn, together with some of his family members and companions, whose number was not more than twenty-two, has created an issue that ancient and modern researchers have largely disagreed about evaluating it. In view of the fact that this issue took place about thirteen hundred years ago, it must logically be expected that disagreement about estimating this event will continue to the last day of human existence on the earth unless a logic-based research, mainly aiming at revealing the actual intellectual principles that caused this time-consuming dispute, emerges and solves the problem. Generally speaking, science is one, but it is branched when ignorant people intrude therein. This idea has been emphasized by Imam ʿAlī ibn Abī-Ṭālib who stated, "Knowledge is one dot, but the ignorant multiplied it." Derived from this golden aphorism, the writers of the current essay have studied the issue of the scholarly controversial arguments through founding a new methodology that they entitled dotology, meaning: the science of dots. The writers have thus proposed a new methodology for solving the problem of fruitless, lingering disputes, basing this methodology on combining the three faculties of cognition; namely, reason, heart, and sense, in one field of activity, thus drawing a triangle of cognition that restricts the truth in one point lying in the middle of that triangle, which, in the conception of the writers, represents a sound cognition that reduces fruitless disputes to the smallest amount possible.

The research surmises a set of conclusions, the most important of which are the following:

1. Imam al-Ḥusayn followed a private logic, adopted by him exclusively, that was distinct from all other ordinary and familiar logics. His

logic can be described as logic of the morals of the heart that revolts in support of the truth. This logic raises the following slogan: When man's volition that is founded on the whimsical principle of lust plus pain, which is common to human beings and animals, is activated and put into practice to deform the direction of looking forward to the supreme moral idealities that Islam has striven for putting them into effect, the morality of the revolutionary martyr stands in the face of that tide in order to impede all sorts of ignorance-based fanaticism. This is the theory adopted by Ibn Khaldūn and other Muslim sociologists, too.

2. The dispute of ancient and contemporary researchers about Imam al-Ḥusayn's revolution, some approving of it while others objecting, is traced back to the divergence of courses, most of which can be described as narrow-minded, since they see the facts from one viewpoint and prospect and neglect all other viewpoints.

لاهوتية الموقف في فاجعة الطف

د. طالب حسين

يتناول البحث موقف الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء وتحديد طبيعته، فهل هو موقف دنيويّ يتعلّق بالمجال السياسي؟ أم إنّه موقف ديني غيبي يختص به الإمام الحسين عليه السلام بحسب ظروف الموقف زماناً ومكاناً؟ وانتهى البحث إلى أنّه موقف ديني غيبي، وليس موقفاً سياسياً، وإنّما كانت السياسة ظرفاً لتحقّقه وليس جزءاً منه.

وهذه النتيجة كانت مقتضى تحليل الموقف نفسه، وما يتبنّاه مؤلف كتاب (فاجعة الطف)، الذي يُعد أحد مصاديق مفهوم (جماعة الخبرة) التي تُمثّل مُرجّحاً لقراءةٍ ما عندما تتقاطع مع قراءة أُخرى.

DIVINITY OF ATTITUDE IN THE TRAGIC SAGA OF AL-ṬAFF

Dr. Ṭālib Ḥusayn

Analyzing and identifying the nature of Imam al-Ḥusayn's attitude on the ʿĀshūrā' Day; i.e. the day of his martyrdom, the writer of the essay discusses whether the Imam adopted an attitude founded on mundane and political fundaments, or he only based his attitude on purely Divine and religious fundaments that no one was qualified enough to recognize except Imam al-Ḥusayn himself, in his capacity as one of the Divinely commissioned leaders of the Muslim nation. Therefore, the Imam's attitude was modified in observation of the time and space circumstances. The writer then proves that the Imam's attitude was purely religious and Divine-based, while politics had nothing to do with what he chose, although the political conditions of that time acted only as a circumstance for adopting that attitude but they were never part of it.

This result was necessitated by an adequate analysis of the attitude itself, while the ideas adopted by the author of the book: Fājiʿat al-Ṭaff, which is considered an example of the conception held by the group of the experienced who decided on certain courses of perusing Imam al-Ḥusayn's revolution, were no more than other courses of analyzing the Imam's attitude, although they may disagree with other analyses.

المبادئ والأُسس القرآنية للقضية الحسينيّة

أ. م. د. خولة مهدي الجراح

لا بدّ لكلّ قضية من مبادئ تُؤسَّس عليها ـ على اختلاف تلك المبادئ في الأصالة والعلمية والأحقّية ـ كي تكون قضية بحقّ. ولا شكّ في أنّ القضية الإسلامية ذات مبادئ شرعية وعقلية لاعتماد الإسلام عليهما، ولا بدّ أن تكون هذه المبادئ من القرآن والسنّة الشريفة والمدركات العقلية.

لذلك كان اختيارنا للمبادئ والأُسس القرآنية للقضية الحسينيّة؛ حيث توصل البحث إلى أنّ للقضية الحسينيّة مبادئ قرآنية انطلقت من خلالها، وهذه المبادئ هي:

المبدأ الأوّل: الارتباط بالله

إنّ الارتباط بالله تعالى ذو أهمّية بالغة في كلّ القضايا، فهو الهدف الأساس لكلّ قضية، خصوصاً إذا كانت تغييرية من منظور إسلامي؛ لأنّ التغيير فيها يكون على أساس موازين الحقّ والعدل والمصالح الإنسانية الواقعية، وتجنّب المفاسد والأضرار التي يمكن أن تلحق الإنسان في مسيرته الفردية أو الجماعية.

والارتباط بالله يكون بعدّة طرق، منها:

١ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وهذا ما ابتنت عليه القضية الحسينيّة في أحد أُسسها في قول الإمام الحسين عليه السلام في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية: «... **أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر...**».

٢ـ إصلاح الأُمّة، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، وهو ركيزة خروج الإمام عليه السلام كما جاء في الوصية نفسها لأخيه محمد بن

الحنفية بقوله: «... **وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي**صلى الله عليه وآله...».

المبدأ الثاني: المعاني الفطرية والوجدانية للإنسان

والتـي تتمثّل بالحرية والكرامة الإنسانية، ورفض الظلم والاضطهاد، فهي معانٍ تُمثّل عنصراً ثابتاً في حياة الإنسان وفي مختلف الظروف.

والمتأمِّـل في تاريـخ الأنبيـاء وحركتهم يجـد أن هناك خصوصيتـين موجودتين في تحرّكهم في المجتمع، وهما:

١ـ رفض الظلم ومقارعته، والدعوة إلى الحقّ والعدل.

٢ـ كرامة الإنسان وعزّته وحرّيته الحقيقية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾، وقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وهـذا ما أكّد عليه الإمام الحسين عليه السلام في خُطَبـه وكلماتـه التـي تُجسِّد هذا المعنى بشـكل واضـح، منها: قولـه عليه السلام لقيس بن الأشـعث بعـد أن عـرض عليه النـزول على حكـم يزيـد: «**لا والله، لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد**»، وغيرها من الخُطَب في ذات المعنى التي سيتناولها البحث في مضامينه.

وهنـاك مبـدآن آخـران تناولهـما البحـث، إلّا أنّـه لا مجـال للتفصيل فيهـما في هذا الملخّص، وهما:

١ـ مبدأ التخطيط بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢ـ مبدأ الجهاد في سبيل الله.

QUR'āNIC FUNDAMENTS AND PRINCIPLES OF IMAM AL-ḤUSAYN'S ISSUE

Dr. Khawlah Mahdī al-Jarrāḥ

In order for any issue to be true and truth-based, there must be a set of principles on which that issue is based, although such principles may differ in degrees of genuineness, scientificity, and reliability. Undoubtedly, the Islamic issue is founded on legal and reasonable principles, because Islam generally adopts legality and reasonability as the basis of its movement. Hence, all issues that are related to Islam must derive their principles from the Holy Qur'ān, the Prophetic traditions, and the reasonable facts. In its capacity as one, if not the most important, of the issues of Islam, the issue of Imam al-Ḥusayn's revolution must have been based on principles derived from the Holy Qur'ān. The current essay is an attempt to point out these Qur'ānic fundaments and principles by which the issue of Imam al-Ḥusayn's revolution is characterized. Hence, Imam al-Ḥusayn's revolution adopted a set of Qur'ānic principles, the most important of which are as follows:

1. Principle of connection with God: Owing to its ultimately significant role in all issues, connection with God is the basis of all activities, especially those aiming at changing the conditions of the masses as is required by Islam. In fact, changing in Islam-related issues must be based on the standards of truth, justice, and actual interests of Muslims, on condition that disadvantages and damages that may be faced by man in his social and individual progresses should be evaded. There are many methods through which connection with God can be achieved. For example, the method of enjoining the right and forbidding the wrong has taken the form of a religious duty in Islam, as is understood from Qur'ānic texts. Imam al-Ḥusayn's revolution was based on this very method, which was adopted by the Imam as one of the basic goals of his uprising. Declaring this goal, the Imam said, "I want to enjoin the right and forbid the wrong." Another method of carrying out practically the principle of connection with God is the exertion of all possible efforts

for reforming the conditions of the Muslim community. This method can also be found in many texts of the Holy Qur'ān. In fact, Imam al-Ḥusayn chose this method to be the basis of his uprising against the tyrannical ruler. He thus declared, "I only revolted to seek reformation of the community of my grandfather, the Prophet of God."

2. Principle of man's natural and sentimental dispositions: Presenting man's freedom, dignity, and refusal of wrongdoing and persecution, man's natural dispositions stand for an unchangeable element of man's life under all circumstances. A close contemplation on the history and movements of the prophets reveals that their social activities are characterized by these two distinctive features:

A. Denial of and resisting wrongdoings, and inviting to the truth and justice, and

B. Maintaining man's dignity, integrity, and freedom in its true significance. In the Holy Qur'ān, there are several indications of this feature.

The essay also discusses two more principles; namely, the principle of planning through wisdom and nice preaching, and the principle of striving for the sake of God.

نظريات النهضة الحسينية

نظرية ذات الأهداف المتعدّدة أُنموذجاً

أ. م. د. بلاسم عزيز شبيب

الباحث: صلاح عوده عبد الأمير الدعمي

أصبح من المهمّ معرفة أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام في الوقت الحاضر، وكذلك بيان أيّ نظرية كانت هي هدف الإمام الحسين عليه السلام، فإنّ معرفة هدف الإمام الحسين عليه السلام يترتّب عليه جملة من الأُمور؛ لأنّها حافلة بموضوعات متعدّدة؛ لذا يجب تحديدها وتشخيص مباحثها، فإذا ما أُجريت دراسة دقيقة يمكن من خلالها أن تزول الكثير من الاختلافات، وتقريب وجهات النظر داخل المجتمع الإسلامي، وزيادة الوعي بالواقع، ومن خلال هذه الدراسة تبرز الصورة الواقعية لأهل البيت عليهم السلام، وكيف وقفوا بوجه الطغيان والظلم، وكيف استقبلت الأُمة الحدث، وكيف أثارت الجدل بين الباحثين، بين مشروعيتها أو عدمها، والكثير من مسائلها، كعلم الإمام عليه السلام بشهادته أو عدمه، وما هو هدفه من القيام، أهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أو إقامة حكومة إسلامية؟ أو هي خاصة بهِ عليه السلام؟ أو هو تكليف شرعي لا يقف عند زمان ومكان؟ أو هي انقلاب عسكري؟ أو هي حركة لهزّ ضمير الأُمّة؟ أو هناك عدّة أهداف تجمعها نظرية واحدة؟ أو أنّها لا هذه ولا تلك؟ حيث نجد في مصادرها بعض الاختلافات، التي أثارها الحكام الظلمة، وفقهاء الجور، كقولهم: ما جدوى الاستمرار بهكذا نهضة لم تنجح عسكرياً؟

ورغم الاختلافات التي أثارتها فإنها ميّزت بين فقهاء الجور ومَن يقف وراءهم من الحكام الظلمة، وبين فقهاء العقل والدليل.

THEORIES OF IMAM AL-ḤUSAYN'S UPRISING:
THE MULTI-GOALS THEORY AS A MODEL

Dr. Balāsim ʿAzīz Shabīb

Ṣalāḥ Odah ʿAbd al-Amīr al-Daʿmī

In the present day, it has become necessary to recognize the goals of Imam al-Ḥusayn's uprising in order to identify the actual purposes of his revolution, since this issue, which is full of loads of topics, is the basis of making out a set of relevant subjects. For this reason, it has become imperative to perceive the very goals intended by Imam al-Ḥusayn when he led his universal uprising against tyranny. A keen and analytical study for recognizing these goals can put an end to many disagreements about this topic, create proximity between the different viewpoints inside the Muslim community about this issue, and increase the awareness of the actual state of affairs. The current essay is an attempt to bring into light the actual situations adopted and followed by the Ahl al-Bayt (i.e. the Holy Prophet's family members). It thus discusses their method of standing bravely against tyranny and wrongdoing, gives a detailed picture of the Muslim masses' reaction to the martyrdom of Imam al-Ḥusayn and his family members, and reveals the reasons for the disputes of researchers about this issue, since a group of them deemed legal the Imam's uprising while others objected to it and deemed illegal any revolution against the ruling authorities.

The essay also gives answers to many relevant questions like whether Imam al-Ḥusayn had or had not already known that he would be martyred, as well as other questions about the goals of the Imam's revolution, since some researchers identified the Imam's purpose behind his revolution to be carrying out the religious duty of enjoining the right and forbidden the wrong, others claimed that he wanted to establish a truly Islamic government, others stated that the goals are not known by anyone except Imam al-Ḥusayn himself, others confirmed that the Imam only carried out a religious duty that is beyond the boundaries of time and place, others said that the Imam wanted to lead a military

coup, others affirmed that the Imam's uprising was an attempt to shake the conscience of the Muslim community, and others verified that the Imam moved according to a theory that included a number of goals… etc.

Some of these differences in identifying the actual goals of Imam al-Ḥusayn's uprising were deliberately invented by the tyrannical ruling authorities and their wicked spokesmen who pretended religiosity in order to create confusion and arouse spurious arguments against the Imam's reformative revolution. They therefore claimed falsely that an uprising that failed militarily is useless. However, these false claims, even though they succeeded to implant disputes among Muslims, at least discriminated the wicked and fake scholars sponsored by the tyrannical ruling authorities from the virtuous and truth-abiding scholars who adopted good reason and evidence as their course.

البناء الفكري التربوي عند الإمام الحسين عليه السلام

دراسة في التأثير والتأثر

أ.م. د. نعمة عبد الصمد الأسدي

أ.م. د. محمد كاظم الفتلاوي

إنّ الأُمّة الإسلامية إنْ كانت فقدت التقدّم التقني حالياً، فإنّها تملك المنهجَ الربانيَّ الأقومَ المتمثِّل بنصوص القرآن المجيد، الذي يُعيد لها مكان الصدارة والريادة. ومحور ارتكاز الشهود الحضاري ينبثق من الأخلاق، ونتائج ذلك لا تأتي في يوم وليلة، بل تحتاج إلى مجاهدة وصبر والتزام حقيقي.

والإمام الحسين عليه السلام مصباح الإنسانية الباهر الذي أضاء بالنور في ليل من لياليها الحالكة، ليصنع لها نهارها المشرق الوضّاح، وما ذاك إلّا لارتباطه الوثيق بالمصدر الإلهي وينبوع الحياة القرآن المجيد؛ ولهذا كان هذا البحث لبيان ذلك التأثّر العظيم في نهج الإمام عليه السلام، والأثر البالغ للقرآن العظيم فيه، وليكون في ذلك دلالة دامغة على الترابط والكينونة الواحدة بين الثقلين العظيمين: (القرآن الكريم والعترة المطهرة).

تتمثل أهمّية هذا البحث في بناء الشخصية المتوازنة التي تجمع بين مكونات التربية الإسلامية، وتُوازن بين الأُصول والقوانين الثابتة لهذه التربية وبين ما أنتجته المعاصرة والحداثة؛ ممّا تسبب باختلال حركة الأُمّة وانحرافها نحو تيارات الفكر التربوي الغربي وتقليده ونسيان الذات، ممّا طبع تربيتها بالجفاف الروحي، وطبع مجتمعنا بالتمزّق الداخلي والاضطراب الخُلقي والتبعية الفكرية، ممّا أدّى إلى تغريب الإنسان المسلم وتشويه فكره وروحه.

وقـد كان منهـج البحث الذي اعتمـده الباحثان هو المنهج التحليـلي، مضافاً إليه سـائر المناهج البحثيـة بحسب ما تطلّبه مقـام البحث، مع التعويـل في فهم نصوص القرآن الكريم وتوجيهها على المصادر التفسيرية وذلك التزاماً بعنوان البحث.

أمّـا خطة البحـث فكانت من مقدّمة ومطلبـين: الأوّل منهما كان عن نصوص في القـرآن الكريم تُوضّح منهج القرآن الكريم في البنـاء التربوي، وكان بعنوان: (الأثر القرآني في بناء الفكر التربوي للإمام الحسين عليه السلام).

والمطلـب الثـاني فقد كـان عن ملامـح الفلسفيـة العمليـة التي تجسّدت في سـنّة الإمام الحسين عليه السلام (التقريرية والقولية والعملية)، وبعنوان: (بعض جوانب الفلسفة التربوية للإمام الحسين عليه السلام)، متلواً بخاتمة وقائمة بالمصادر.

INTELLECTUAL AND EDUCATIONAL CONSTRUCTION IN IMAM AL-ḤUSAYN'S VIEW;

A STUDY IN CAUSES AND EFFECTS

Dr. Niʿmah ʿAbd al-Ṣamad al-Asadī

Dr. Muḥammad Kāẓim al-Fatlāwī

Despite the fact that it has in the present day lacked technological progress, the Muslim nation still holds the most upright Divine methodology, embodied by the texts of the Glorious Qur'ān, which will eventually grant this nation its pioneering and forefront position over all nations. Ethical values are the basis upon which any cultural presence is founded. Of course, the sought after results cannot be achieved in a short time; rather, it requires strife, patience, and real commitment.

Imam al-Ḥusayn has always been the brilliant lantern of humanity, since he lit up the dark nights of human life and succeeded to turn it into a bright morning, and that was for no other reason than his firm connection with the Glorious Qur'ān, which is the rope between God and His creatures and the fountain of real life.

The following research is dedicated to explaining Imam al-Ḥusayn's complete passivity to the Holy Qur'ān that affected his life and course forcefully. Thus, this interaction between Imam al-Ḥusayn and the Holy Qur'ān stands for additional, yet overwhelming, evidence on the interrelation and existential unity between the Holy Qur'ān and the Holy Prophet's immaculate family members, both of whom were introduced by the Holy Prophet as the two weighty things.

The significance of the research lies in its attempt to build a balanced character that combines all elements of Islamic education and creates an equilibrium between the unchangeable principles and laws of the Islamic education and the products of modernity that has caused disorder in the progress of the Muslim nation, resulted in many inclinations towards the tendencies of the Western education, persuaded Muslims into emulating the West, and pushed them towards self-oblivion. As a result, the education of Muslims has become characterized by spiritual

drought and the Muslim society has had to suffer from internal disunity, moral confusion, and intellectual dependency. Of course, these factors contributed greatly to westernizing the Muslims and deforming their ways of thinking and spirits.

Basically, the writers of this article adopt analysis as their research method, but they also apply the other familiar research methods throughout the article whenever that was seen necessary, depending totally on the reference books of Qur'ānic exegesis in explaining and elucidating the Qur'ānic texts, out of their commitment to the title of the research.

As a research plan, the article comprises a foreword and two chapters. The first chapter is dedicated to presenting Qur'ānic texts regarding educational construction and the Qur'ān's proposals in this regard. Thus, this chapter holds the title: Effects of the Qur'ān on Imam al-Ḥusayn's Construction of an Ideology of Education.

The second chapter-which is entitled: Some Aspects of Imam al-Ḥusayn's Philosophy of Education-speaks of the features of applied philosophy of Imam al-Ḥusayn, represented by his words, deeds, and approvals.

Finally, the article is sealed with an epilogue and a bibliography.

الضبط النفسي للإمام الحسين عليه السلام في معركة الطف

أ. د. حاتم جاسم عزيز

م. مريم خالد مهدي

يرشد الإمام الحسين عليه السلام الإنسان من خلال واقعة الطفّ إلى معرفة نفسه، ورصد حركاتها، وتصحيح مسارها، وضبط توجهاتها؛ كي لا تقع في مصائد الهوى، وحيرة الشك، وذلّ المعصية، فتتكالب عليها الغرائز، وتسوقها الأحاسيس، وتتقاذفها المشاعر هنا وهناك؛ لذا كان عليه السلام قد بدأ بحركة النفس من التوحيد متوجهاً للإصلاح والعمل بما أمر به الله تعالى وترك ما نهى عنه.

كان الإمام الحسين عليه السلام محيطاً بالأجواء النفسية، ومطلعاً على النفس البشرية وخلجاتها، فأراد أن يقدّم درساً لكلّ المجاهدين والأحرار، ولكلّ مَن آمن بالله واليوم الآخر، في كيفية مواجهة الحالات التي تضعف فيها النفس، فتندفع للبحث عن المعين الذي يُعينها على ضعفها عن طريق ضبط النفس، وزيادة العزيمة والإرادة، والثبات بوجه كلّ مَن يريد الحطّ من هيبة الإسلام والمسلمين مهما كانت الظروف والأحوال.

لذا عمد الباحثان إلى كتابة البحث الحالي المتمثّل بـ(الضبط النفسي للإمام الحسين عليه السلام في معركة الطفّ) والوقوف على الأهداف الآتية:

١ـ التعرف على شخصية الإمام الحسين عليه السلام والمكونات التي ساهمت في بناء شخصيته.

٢ـ التعرف على الممارسات السلوكية التي صدرت من الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة أعدائه أثناء معركة الطفّ.

٣ـ تأشير الدروس المستنبطة من معركة الطفّ كمحددات سلوك.

ولتحقيق أهداف البحث اتبع الباحثان المنهج التحليلي الاستقرائي، كونه المنهج الأكثر ملاءمة لبحثهما.

أمّا أهم ما استنتجه الباحثان من بحثهما: فهو ثبات الإمام الحسين عليه السلام واتزانه وصموده في معركة الطفّ حتى آخر لحظة من حياته، رغم المآسي التي دارت في المعركة، ورغم معرفته بالنهاية الحزينة والموجعة التي انتهت بأهل بيته، مستلهماً هذا الصمود من جدّه وأُمّه وأبيه عليهم السلام، الذين تعلّم على أيديهم أسمى معاني الصبر والشجاعة والبسالة.

IMAM AL-ḤUSAYN'S SELF-CONTROL IN THE BATTLE OF AL-ṬAFF

Dr. Ḥātam Jāssim ʿAzīz

Maryam Khālid Mahdī

Through his situations in the Battle of al-Ṭaff, Imam al-Ḥusayn guides to and teaches man the most accurate method of self-recognition, self-discipline, correcting the courses, and controlling over one's self in order to prevent man from being preyed by fancies, trapped by whims, overpowered by doubts, and humiliated by disobedience to God; lest lusts hold sway over him, emotions drive him wherever they want, and feelings throw him hither and thither. Imam al-Ḥusayn, in his mission of stimulating self-control, adopted monotheism as his starting point and then headed for reformation through carrying out God's directives and avoiding God's prohibitions.

Owing to his full acquaintance with the psychological surroundings and full familiarity with human self along with all of its instincts, Imam al-Ḥusayn was set to give the strivers for God's sake, the freedom-seekers, and those who believed in God and in the Hereafter, lessons in the most appropriate method of facing the conditions under which man may lack willpower and self-discipline and then advance violently to seek any one who may help him regain strength of mind through self-control, raising the spirits of resolution, and standing firmly in the face of every one who intends to degrade Islam and Muslims, regardless of all conditions and circumstances.

Based on the aforesaid, the writers of the current essay about Imam al-Ḥusayn's self-control dedicate their research to discussing the following points, regarding them as the goals of the study:

1. Introducing Imam al-Ḥusayn's personality and the components that contributed to the construction of his unique character.

2. Understanding the behaviors practiced by him whilst facing his enemies throughout the chapters of the Battle of al-Ṭaff.

3. Highlighting the lessons deduced from the events of the Battle of al-Ṭaff and presenting them as behavioral bearings.

In order to achieve the goals of the study, the writers follow the analytic-deductive method, considering it to be the most suitable with the nature of the study.

Finally, the most important conclusion made by the writers of the study is that Imam al-Ḥusayn was amazingly and unprecedentedly firm, steadfast, and unwavering since the first moment of the Battle of al-Ṭaff and to the last spark of his honorable life, although the battle witnessed excruciating tragedies that had never taken place elsewhere on the earth throughout the history of humankind, and although the Imam had already known the grief-stricken and harshly heartbreaking end of his family members and him; yet, he derived steadfastness from his grandfather the Holy Prophet, his father Imam ʿAlī, and his mother Lady Fāṭimah al-Zahrā', from whom he also learnt the most supreme ranks of patience, courage, and bravery.

كربلاء والتفاعل المجتمعي وفق متباينة المعرفة والعاطفة

قراءة في المواقف ومسارات التقييم

م. د. شهيد كريم محمد

حاول هذا البحث رصد متباينة المعرفة والعاطفة، بما يشكلانه من قاعدة ارتكاز وخط شروع؛ لتبني موقفاً ما دون غيره بعد استكمال قيمهما الذاتية، على أنّ المواقف المتخذة تتراوح بين السلب والإيجاب، تبعاً لنوعية وفاعلية المعرفة والعاطفة وتوظيفهما. وقد انطوت ثورة كربلاء على أصدق مواطن متباينة العاطفة والمعرفة، ففيها أبعدت المعرفة غير المتكاملة، والعاطفة الفارغة، أقرب الأشخاص من الإمام الحسين عليه السلام عن الاشتراك معه، كبعض إخوته وأبنائهم، وأكثر بني هاشم، في حين اجتذبت العاطفةُ الحقيقية الممتلئة بصدق الإحساس، والمعرفة المتكاملة، أُناساً من خارج حضيرة الإسلام كوهب النصراني وعائلته، كما جعلت العاطفة التي ارتقت إلى مرتبة المودّة والمعرفة المتكاملة أصحاب الإمام عليه السلام يذوبون في شخصه، ويتسابقون للموت بين يديه، في حين اتجه الميل العاطفي المتذبذب والمعرفة الفارغة لأغلب أهل الكوفة بمجرد اصطدامهم بالموقف الحاسم، نحو التراجع والضمور وصولاً للتلاشي، فغدروا بالإمام عليه السلام، وجرّدوا السيوف بوجهه وقتلوه، وفي أفضل الأحوال الوقوف بمنطقة الحياد السلبي. كما أنّ أعداء الإمام الحسين عليه السلام على الرغم من أنّهم مسلمون ظاهراً، ولكن معرفتهم بحقيقة الإسلام، ومَن يمثله كانت معرفة مشوّهة ناقصة سلبية، فانحدرت بهم بالاتجاه المعاكس حتى أوصلتهم إلى الضلالة والجهل، كما أنّ ميلهم العاطفي نحو بني أُميّة جعلهم كمثل مَن اتخذ إلهه هواه، على أنّنا نجد أنّ هذه المتباينة ما زالت فاعلة وحاضرة بتفصيلاتها السابقة في واقعنا اليوم،

فـما زالـت المعرفة الشـوهاء السلبيـة، والجهل بحقيقة الإسـلام، والفطـرة السليمة، وعبـادة الهوى، تدفع بالوهابية والإرهاب والتكفـير الأعمى، إلى القتل والتخريب، ونـشر الدمـار والعنـف؛ بدعـوى الجهاد والديـن! وبالمقابـل تبقى المعرفـة المتكاملة تشـحذ همم أتباع أهـل البيت عليهم السلام وغيرهم، للوقوف بوجه هـذه البربرية الهمجية في سـوح الجهـاد والقتال. كما يبقى الميـل العاطفي يتباين بين الإيجـاب والسلب، فيقود لتكامـل المعرفـة تارةً، ويظل تـارةً أُخرى مجرد ميل عاطفي أجـوف تصرعه أو تضله البـدع والأكاذيب، كما نلحظها في الساحة اليـوم، أو يبقى قاصراً عن تفعيل مستوى الاستجابة في حالات أُخرى.

KARBALā' AND SOCIAL INTERACTION ACCORDING TO KNOWLEDGE -EMOTION CONTRAST;

A PERUSAL IN ATTITUDES AND COURSES OF EVALUATION

Dr. Shahīd Karīm Muḥammad

The current essay is an attempt to investigate the contrastive relationship between knowledge and emotion, because these two factors correspond to a foundational basis and a starting point for adopting the most accurate attitude after integrating their objective values. However, attitudes are varying positively and negatively according to the quality, effectiveness, and employing of knowledge and emotion.

Imam al-Ḥusayn's revolution and the different attitudes towards it comprised the most manifest examples of knowledge-emotion contrast. Disintegrated knowledge and blank emotion led some of the closest persons to Imam al-Ḥusayn to refrain from participating with him in that revolution, such as some of his brothers, nephews, and clansmen, while, on the other hand, true emotion, which is full of honest sentiment, and integrated knowledge attracted some people from outside the circle of Islam and made them follow Imam al-Ḥusayn and fight in defense of him, such as Wahab the Christian and his family members. Likewise, emotion, which advanced to find itself a place in the highest rank of affection and perfect recognition of the Imam, made his companions love him to the degree that they dedicated whatever they owned, including their lives, to the Imam and vie with one another for sacrificing their lives for him.

However, the vacillating emotional tendency and the vacant knowledge of the people of Kūfah led them to retreat, recoil, and finally shrink as soon as they were forced to make a decisive situation; therefore, they betrayed Imam al-Ḥusayn, unsheathed their swords against him, and participating in slaying him, or at least detained themselves in the zone of negative nonalignment, failing to support the Imam.

Although the enemies of Imam al-Ḥusayn were apparently Muslims, they failed to realize the reality of Islam due to their deformed, deficient, and negative image of the true representatives of Islam; so, their lack of true knowledge drove them to the wrong direction and cast them in the abyss of deviation and ignorance. Besides, their emotional inclination to the Umayyad tyrannical ruling authorities made them take their fanciful lusts for deities.

The current essay, after proving all these facts in details, draws attentions to the fact that the same knowledge-emotion contrast is being applied in the present day with the same ancient details. Thus, the same deformed knowledge, unfamiliarity with the truth of Islam, negative nature, and worship of personal whims are driving the extremist Wahhābis and terrorists into judging the others as miscreants and thus killing them, blasting their territories, spreading destruction, and practicing violence under the false pretext of carrying out the religious duty of fighting the mischief-makers and applying religiosity. Conversely, the integrated knowledge is encouraging the followers of the Ahl al-Bayt and other unbiased Muslims to stop firmly in the face of those barbarian and uncivilized terrorists and to form a front for fighting against them. Similarly, emotional inclination is still wavering between positivity and negativity, leading some people towards integrated knowledge and driving others into considering it to be no more than hollow feelings easily knocked down and deceived by heresies and fabrications, or too short to respond positively to the truth.

المنظومة القيمية للنهضة الحسينة

د. راغدة محمد المصري

يُعدّ هذا المقال وجهاً استثمارياً لما تضمنته النهضة الحسينية من آفاقٍ في كل مفاصل الحياة؛ إذ تطرّقت الباحثة هنا في المنظومة القيمية الحسينية، واستهلّت البحث بأركان المنظومة القيمية الحسينية، وذكرت عدة مؤشرات لها، ففي المؤشّر الأول ذكرت أن الإمام الحسين عليه السلام حدّد أسباب حراكه، فإنه قد شخّص أفعال الحاكم الظالم وأعوانه. وأيضاً ـ من أسباب حراكه ـ طلبه من أصحابه وأهل بيته التحلّي والالتزام بالمظاهر العبادية التي أعطت بدورها دلالات واضحة لدرجة الإيمان، من خلال: الصلاة، وقراءة القرآن، والمناجاة، وغيرها.

وتكلّم في المؤشّر الثاني عن العدل والقسط؛ حيث ركَّز الإمام عليه السلام على دعم سيادة القانون لتحقيق العدالة وذكر معايير جعلها مقياساً لقيمة الحاكم.

وفي المؤشّر الثالث تطرّق إلى إصلاح المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حيث إن الإصلاح شمل جميع الجوانب: الاجتماعية، الاقتصادية، الحقوقية، الإرشادية، وغيرها.

وذكرت الكاتبة أن المنظومة الحسينية حملت معطيات فكرية وأخلاقية استهوت الضمائر الحرة ولهذه اللحظة عبر عنصرَي الاستمرار والتجدد، وكانت منطلقاً لكثير من القيم بكل تفرّعاتها. وقد أشّرت الكاتبة هنا عدة مؤشرات كذلك، فهي ثورة من أجل الإنسان، بعيدة عن القومية والعنصرية، فنزعتُها إنسانية قبل أن تكون أيّ شيء آخر! وأيضاً هي ثورة لنبذ العنف ومنع سفك الدماء، فقد سعى جاهداً عليه السلام لحقن الدماء قدر الامكان.

وكذلـك تطرّقت إلى مـؤشّر الحرية؛ الذي ظهـر جلياً من النهضـة الحسينية؛ فقد سعى عليه السلام إلى نبذ العبودية والذلّة، ونصح القوم بالحرية مراراً.

واعتمد عليه السلام الحوار والنصيحة كأداة سلمية لعلاقته مع الآخر.

وتطرّقت أيضاً إلى مؤشّر الرحمة؛ فقد عمل عليه السلام على ترسيخ مبدأ الرحمة حتى وإن اتضحت نوايا الطرف الآخر جلياً. وأيضاً فقد حرص الإمام الحسين عليه السلام على صيانة المرأة، ومراعاة مشاعر الأُمومة، عبر مواقف عديدة. وكذلك فقد ركّز عليه السلام على السلم والتعايـش عـبر الوفاء بالعهـود والمواثيق حتى مع العدو! وأخـيراً فقد ختم الكاتب مقاله بعدة توصيات من شأنها أن تُعيد إحياء النهج الحسيني.

SYSTEM OF VALUES OF IMAM AL-ḤUSAYN'S UPRISING

Dr. Rāghidah Muḥammad al-Miṣrī

Considered as an investment of all life aspects contained in the multi-horizon uprising of Imam al-Ḥusayn, the essay discusses the system of values expressed and practiced by Imam al-Ḥusayn through his reformative revolution. The writer thus begins the essay with discussing the pillars of this system of values and mentions a number of its indicators. He thus affirms that Imam al-Ḥusayn had already made out the reasons for his revolutionary movement by identifying the misconducts of the tyrannical ruler and his ruling authorities; the Imam therefore asked his family members and companions to observe devotional features, such as prayer, recital of the Qur'ān, and supplications, which clearly reflected the high level of faith they enjoyed.

As another indicator, the writer refers with discussion to justice and fairness, confirming that Imam al-Ḥusayn concentrated on the fact that the law should be supported as long as it would materialize justice and put it into action. Hence, the Imam mentioned a set of standards as the criteria of the value of a ruler.

The third indicator to which the writer refers was concentrated on social reformation, which can be achieved through carrying out the religious duty of enjoining the right and forbidding the wrong. In this manner, reformation would include all such aspects like society, economy, law, and guidance… etc.

The writer thus proves that Imam al-Ḥusayn's system of values held many intellectual and ethical guidelines that succeeded to attract the attentions of all those who enjoyed free consciences up to the present moment through the two elements of continuation and regeneration. Thus, the Imam's system of values has been the starting point of a great number of values along with all of their branches and secondary issues. In this regard, the writer counts another set of indicators, pointing out that Imam al-Ḥusayn's reformative revolution targeted humanity in

general, away from tribalism, nationalism, or ethnicity, since his revolution was mainly and before anything else characterized by universality and humanity. It was thus a revolution for casting away violence and preventing bloodshed, since Imam al-Ḥusayn endeavored to stop bloodshed, exerting all efforts for achieving this goal.

Freedom was another indicator of this revolution. Imam al-Ḥusayn, through the different aspects of his revolution, aimed at annihilating slavery and humiliation and frequently and on many occasions advised his rivals to act free and release themselves from subordination to others.

The Imam also adopted the means of dialogue and advice as a peaceful tool of communicating with the others.

Mercy was another indicator of the Imam's reformative revolution, since he worked hard for strengthening the principle of mercy even if the intentions of the other party manifested themselves obviously.

Within the values that the Imam included in the system he adopted were protecting women and caring very much for the feelings of motherhood. The features of these two values could clearly be seen in many situations of the Imam.

Finally, the Imam, through his revolution, focused on peace and peaceful coexistence through such channels as fulfillment of promises and covenants made with not only friends but also foes.

The writer concludes the essay with a number of recommendations that may contribute to the revivification of Imam al-Ḥusayn's system of values and course.

ثقافة الثورة عند الامام الحسين عليه السلام

د. نابلس صلال التميمي

تتطلع مختلف الديانات إلى المدونة العلوية على أنّها منهج ثوري، والتزام نادر بالمبدأ؛ لذا كانت الثورة الحسينية على الظلم ثورةً ثقافية، برهنت للعالم أنّ الموت بداية للحياة، ومشروع للبقاء، فقد مهدّت الثورة لانتصار أعظم، عمره بعمر التاريخ؛ لأنّ السلام الذي حققته الثورة فيما بعد سلام متفرّد، لا يتحقق إلّا بحل شفرة الموت، تلك الشفرة التي كانت مع ثورة الإمام عليه السلام وأصحابه ممّن رفضوا معادلة الموت (السلطة).

لهذا جاء البحث رحلة امتنان وانتماء إلى أصل الحياة مع سيدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام، كما أعدّه خطوة في طريقي الطويل نحو معركة الطفّ عبر زمن رمزي سمح لي بالمشاركة في رحلة البحث عن الحقيقة؛ لأنّ الموت فيها ـ معركة الطفّ ـ يُعدّ عاملاً متكاملاً في وجود الحياة؛ لأنّه كان متوقعاً ومقبولاً بأمانة ورغبة.

لذا؛ جاء البحث على ثلاثة مباحث، اختص الأوّل بمعنى الثورة الإصلاحية، أمّا المبحث الثاني فقد عرض التمثّل والاستدماج الديني في معركة الطفّ. أمّا المبحث الثالث فقد وقف على البعد الاستشرافي للثورة.

THE CULTURE OF REVOLUTION IN THE VIEW OF IMAM AL-ḤUSAYN

Dr. Nābuls Ṣallāl al-Tamīmī

Religions, despite their diversity, believe the Record of Imam ʿAlī to be a revolutionary course and a unique commitment to the principles. Thus, Imam al-Ḥusayn's revolution against tyranny is presented as a cultural revolution that proved to the whole world that death is nothing but a new start of life and a project of survival, since the revolution paved the way for a greater victory that is as old as history, because peace achieved by Imam al-Ḥusayn's revolution in later stages has been the only one of its kind and there was no other way to achieve it than decoding death. Of course, the tool of decoding death was owned only by Imam al-Ḥusayn and his followers who rejected the death-power equation (i.e. submit to the ruling power or die).

The current essay is tantamount to a journey of appreciation and affiliation with the origin of life with Imam al-Ḥusayn and a step in the long path leading to the Battle of al-Ṭaff through a symbolic time that allows the writer to have a part in that truth-seeking journey. The writer thus proves that death in the Battle of al-Ṭaff is an integrating factor of survival, since it had already been expected and accepted with full desire and honesty.

The current essay comprises three topics, the first of which is dedicated to explaining the meaning and denotation of reformative revolution, while the second topic discusses the religious representation and affiliation during the Battle of al-Ṭaff. The third topic thrashes out the anticipative aspect of Imam al-Ḥusayn's reformative revolution.

ثورة المثقّف

دراسة ثقافية تحليلية في سيرة زهير بن القين ومواقفه مع الحسين عليه السلام

د. وسام حسين جاسم

يستعرض البحث المواقف التي سجّلها زهير بن القين رضوان الله عليه مع الإمام الحسين عليه السلام منذ أن صادفه متوجّهاً إلى العراق وإلى كربلاء، بشيءٍ من التحليل الثقافي الذي يتوسّل بمجمل أدوات البحث المعرفية التي تعارفَ عليها الدرس الثقافي؛ لأجل قراءة المسكوت عنه، فضلاً عن المعلن في الخطاب التاريخي باعتباره مكوّناً من ملفوظات لغوية لها مرجعيّاتها الدلالية، والنفسية، والاجتماعية، والدينية، والثقافية، بوصفها أبعاداً تُنتِج اللغة، فمن الطبيعي أن تترك بصمتها على ذلك الخطاب، وهنا يأتي التحليل الثقافي مُتسلّحاً بأدوات البحث الثقافية التي من شأنها تقشير الظاهر والوصول إلى اللباب، فضلاً عن تقديرها الظروف المحيطة، المُنتجة لمحمولات ذلك الخطاب، وعلى هذا كان للباحث أن يُصاحب رحلة ابن القين، كاشفاً عن أبعاد شخصيته، مهتمّاً بمسار التحولات العقدية التي مرّ بها، مُحلّلاً تارةً أسباب ذلك التحول، ومُؤوّلاً تارةً أُخرى ما تمّ السكوت عنه، فملأ فجوات ذلك الخطاب، متّكئاً في ذلك كلّه على خيطٍ من الأحداث والإشارات هنا وهناك، تساعد المتلقي على فهمٍ ومن ثمّ تأويل تلك المناطق المسكوت عنها في فجوات التاريخ، وقد توصّل البحث إلى عدّة نتائج كان من أبرزها أنّ زهيراً كان عالماً كبيراً ومُجاهداً في الوقت نفسه؛ الأمر الذي أهّله أنْ يكونَ قائداً لميمنة جيش الإمام الحسين عليه السلام، لما تميّز به من حنكة وخبرة في حروب وغزوات سابقة، كذلك لم يفت الباحث أنْ يناقش بعض المرويات، ويفتش مضمونها بحسب الفهم المعاصر الذي يتّفق ومضمون الفهم القرآني، الذي عوّدنا الأخذ بالأسباب الطبيعية من دون اللجوء إلى الأسباب الغيبية، وهناك نتائج أُخرى أشار إليها في موضعها.

REVOLUTION OF THE EDUCATED:
A CULTURALLY ANALYTIC STUDY OF ZUHAYR IBN AL-QAYN'S BIOGRAPHY AND SITUATIONS WITH IMAM AL-ḤUSAYN

Dr. Wissām Ḥusayn Jāssim

The current research is a review of the brave and principled situations that Zuhayr ibn al-Qayn practiced with Imam al-Ḥusayn and history recorded them for him since the moment he met the Imam accidentally when the Imam was on his way to Iraq and Karbalā'. These situations of Zuhayr, the unique personality, are discussed in this essay with some cultural analysis that employs generally the tools of epistemological research familiarly used in any cultural study in order for researchers to read not only what is easily readable and openly declared, but also what lies between lines. In this way, a researcher can read all the details of historical addresses that are normally composed of lexical idioms holding conceptual, psychological, social, religious, and cultural backgrounds. Since these backgrounds are the very aspects that produce language, it is natural that they have their own impacts on any text or address.

In this manner, cultural analysis is equipped with all the tools of cultural research without which shells cannot be filed and cores cannot be explored. Such tools can also estimate the surrounding circumstances that contribute greatly to understanding the purposes of any address.

Depending on these tools, the writer of the current essay follows up the journey of Zuhayr ibn al-Qayn, reveals the aspects of his character, underscores the course of his creedal switch through which he passed, and sometimes analyzes the reasons for such switch and at other times interprets the points that were left unexplained. Thus, the writer fills in the gaps of the historical address with elaborate explanation, leaning on a string of events and indications from here and there that may help the recipient understand and then evaluate the hidden points in the folds of history.

The writer thus arrives at a number of conclusions, the most significant of which was that Zuhayr ibn al-Qayn was not only a dignified scholar but also a heroic combatant. For this reason, as well as Zuhayr's distinctive features of skillfulness and warfare experience due to his participations in recent military campaigns, he was qualifiedly appointed the commander of the right wing of Imam al-Ḥusayn's army.

The writer does not miss arguing some narrations and searching into their contents, analyzing these contents according to the contemporary way of thinking that is compatible with the Qur'ānic understanding of things, since the Holy Qur'ān has always encouraged on looking at things from their natural aspects and away from unseen aspects except when necessity requires so. Other conclusions are arrived at by the writer and recorded in the essay.

أبو مخنف ومحاولات الرواة والمصنِّفين والمتكلِّمين تزييف النهضة الحسينيّة

أ. م. د. كفاية طارش العلي

عقدت الباحثة الموضوع هنا حول قضية مهمة ومفصل من مفاصل النهضة الحسينية، ألا وهو نقل الرواية لواقعة الطف المؤلمة عبر ناقلها وراويها الذي طالما اهتم العلماء به كثيراً وبمقتله، ولأجل أنّه كان من الشخصيات المهمة والدقيقة، انهال عليه وعلى رواياته لواقعة الطف الكثير من التحريف والتزييف، حتى انشغل الكثير من العلماء والمحققين بإعادة الحق إلى أهله، وردع الباطل، وإعلانه والتصدي له. ويُعتبر هذا المقال من الإضافات التي تضاف إلى سلسلة المقالات والكتب والأبحاث التي تحاول الذب عن الراوي، وفضح المحرّفين والمزيّفين.

عقدت الباحثة المقال في ثلاثة مباحث، أوّلها: حقيقة الشخصية التي روت مقتل الحسين عليه السلام وروت أخباره، ألا وهو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي، وقد تناولت بعض سيرته الذاتية وأُسرته المعروفة بولائها لأهل البيت والإمام علي عليه السلام، وأنّه لم يكن أعمى كما هو متعارف لدى عامّة الشيعة، بل يبدو أنّ لَبساً قد وقع بينه وبين معاصره وتلميذه عوانة بن الحكم الكلبي الكوفي الذي كان أعمى وراوياً كوفياً كذلك، ومن ناحية أُخرى أثبتت الباحثة بالدليل ومن خلال معادلة حسابية أنّه وُلد بعد أحداث الطف، أي: إنّه لم يعاصرها، بل يفصله عن الأحداث جيلان، ومع هذا هو أوثق مَن روى أحداثها؛ لأنه توخّى الحصول على المعلومة من مضانّها ومنابعها الأصيلة، أي: من شهود عيان وممّن شاركوا في المعركة شخصياً.

أمّا المبحث الثاني فتناول ما فعلته الأقلام المأجورة لبني أُميّة ومَن شايعهم،

ابتـداءً بمَـن عاصرهم أو كان قريب عهدٍ منهم ممّن صنّـف وروى لمصلحتهم، ولأنّ خصمهم هذه المرّة كبير وسـامٍ ولا يمكن أن يُتّهم بشيء ـ ألا وهو الحسين عليه السلام ـ فقد انحصر ميدان كذب الرواة وتزويرهم في الدفاع المباشر عن يزيد.

أمّـا المبحـث الأخير فتحدّثـت فيه عن محـاولات أصحاب الكتب مـن المصنِّفين القدامـى والمراجـع الحديثـة، سـيّما مـن السلفيـين، وأسـاليبهم في محاولـة النيل من النهضـة الحسينيّة العظيمة وآثارها، ومن أهم هذه المحاولات: أن الحسين عليه السلام خارج عـلى سـلطة ولي الأمر المفترض الطاعـة، والمبايَع له من قِبَل الأُمّـة، وأنّ خروجه على السلطـان مفسدة عظيمـة (بزعمهـم)، وحاولوا أيضـاً تكذيب ونفي كلّ الشـواهد التاريخية الثابتة بما يثبت إدانة يزيد ـ بشـكل مباشر ـ وجيشـه وحزبه في وقعة الطف. وقـد فنّدت الباحثة وأجابت عن كـلّ ذلك بالأدلّة والشـواهد التاريخية، وبالتحليل والاستنتاج التاريخي.

ABū-MIKHNAF AND ENDEAVORS OF NARRATORS، WRITERS، AND THEOLOGIANS TO FALSIFY IMAM AL-ḤUSAYN'S REFORMATIVE MOVEMENT

Asst. Professor. Kifāyah Ṭārish al-`lī

The writer of the essay embarks upon one of the most important and basic issues of Imam al-Ḥusayn's reformative uprising; namely، the issue of transmitting and reporting the events of the tragic Battle of al-Ṭaff on the authority of the major reporter of these events; that is، Abū-Mikhnaf، since historians and historio-analysts paid very much attention to his personality in general and his written account of the events that accompanied Imam al-Ḥusayn's martyrdom، which is terminologically known as maqtal. For the reason that Abū-Mikhnaf was one of the dignified personalities and was known for his accuracy in recounting historical events، many showers of distortion and falsifications were poured down upon his narrations، making a big number of master scholars of historical analysis take upon themselves the mission of revealing the truth and encumbering the falsity. The current essay is one of these attempts that can be added to the series of essays، researches، and books written on the topic of defending Abū-Mikhnaf and exposing the endeavors of those distorters and falsifiers who tried to deform his accounts.

The essay is thus divided into three main chapters، the first of which studies the truth about the personality of Abū-Mikhnaf who recounted the details of the events of Imam al-Ḥusayn's martyrdom. Abū-Mikhnaf's full name is Lūṭ ibn [son of] Yaḥyā ibn Sa'īd ibn Sulaym al-Azdī. The author thus deals with some features of Abū-Mikhnaf's biography as well as his family whose members were known for their loyalty to the Holy Prophet's family in general and to Imam 'Alī ibn Abī-Ṭālib in particular، proving that Abū-Mikhnaf was not sightless، as was circulated amongst some ordinary Shī'ah Muslims; rather، he must have been confused with his student and contemporary، 'Uwānah ibn al-Ḥakam

al-Kalbī, because both of them were transmitters of narrations from the city of Kūfah while the latter was sightless but Abū-Mikhnaf was not.

Through overwhelming evidence and a mathematical equation, the writer of the essay proved that Abū-Mikhnaf did not eyewitness the event of al-Ṭaff, since he was born at least two generations after that event. Nevertheless, he is considered to be the most trustworthy of all those who reported these events, because he worked painstakingly and most carefully for receiving the details from their reliable sources and from eyewitnesses who participated in that battle.

The second chapter of the essay deals with the fake pens that were hired by the Umayyad ruling authorities in order to forge the facts and falsify the history for the interest of these authorities—a policy that was followed by the Umayyad ruling authorities who seduced some weak-willed writers to write whatever they wanted, hiding many facts and inventing many forgeries. However, because their opponent; namely, Imam al-Ḥusayn, was such an outstanding and infallible personality that they could not find any weak point in his personality to criticize, their forgeries were restricted to inventing glorious acts for Yazīd and defending his unjustifiable acts through illogic and unreasonable points of discussion.

The third chapter of the essay is concentrated on some miserable attempts made by ancient and recent books, especially those written by extremists, aiming at finding faults with Imam al-Ḥusayn's great reformative movement and the outcomes resulting therefrom. For example, they claimed that Imam al-Ḥusayn revolted against the legal ruler while, as they claim, it was obligatory to pay homage to that ruler because the masses paid homage to him. They also claimed falsely that Imam al-Ḥusayn's revolution against the ruling authority brought about an enormously bad consequence to the religion. They also tried desperately to deny all the historically proven facts that Yazīd and his troops committed astounding horrible crimes against Imam al-Ḥusayn and his family members and followers in the Event of al-Ṭaff.

Refuting all these false claims, the writer of the essay provides a big set of proofs and overwhelming points of evidence which he derived from authentically reported historical events as well as logical and historical analysis.

أثر شعائر عاشوراء في نشر الفكر الحسيني في أُوروبا

دُول شمال أُوروبا أُنموذجاً

م. د. حيدر عبد الجليل عبد الحسين الحربية

في هـذا المقال رسـم لنـا الباحث صورة جميلـة وعظيمة للأثـر الحسيني في نفوس وشخوص الكثير من الناس في أُوروبا ودول الاتحاد الأوروبي من المسلمين وغيرهم، وبخاصة أثر شعائر عاشوراء، حيث انطلق من خلال نقل إحصائيات معتمدة لعدد المسلمين في أُوروبا لبيان أن الإسلام جاءهم خلال القرن السابع الميلادي عن طريق الفتوحات الإسـلامية، وعند انتشـار الإسـلام هناك تم توارث الطقوس الإسلامية بينهم جيلاً بعد جيل، وكان من بين هذه الطقوس الشـعائر الحسينية، حيث تجسّدت بمواكب شـعبية ومجالس دينيـة ورثاء واحتفالات عدة، رافقتهـا فعاليات اجتماعية، كإطعام الفقـراء ونحوها من أجواء التكافل الاجتماعي، فضلاً عن الجوانب الثقافية والإعلامية. وقد لفت ذلك انتباه الكثير من المحققين والكتّاب الغربيين والعرب أن مجالس عاشوراء المشتركة أثبتت جدارتها كظاهرة أُوروبية بارزة.

وفي ضـوء ذلـك تنـاول الباحث صـوراً عدّة مـن تلـك الشـعائر في دول الاتحاد الأوروبي، وتعامُل أهل تلك الشـعوب مع الشـعائر والواقـع الحسيني؛ ففي المملكة المتحـدة ذكر الباحث أن أول مجلس أُقيـم في بريطانيا عام (١٩٦٢م) في وقت لم تكن فيـه هناك مراكز إسـلامية، حتى تمت قراءة واقعة عاشـوراء من قبـل البريطاني (عبد الله هوبـت)، كـما أنهـم كانوا يحيون هذه الشـعائر بكل سـلمية، بعيداً عـن التعصّب والتطرّف في كل أنحاء بريطانيا والعالم، وكانت الكراسات والكتيّبات توزع لتعريف الناس بالإسلام وسيرة أهل البيت عليهم السلام والأخلاق الحميدة، حتى أصبحت الباصات

في بعـض مناطـق بريطانيا تحمل الملصقـات واليافطـات مكتوباً عليهـا (يا حسين)، وغيرها من الشـعارات. وقد لفت ذلك اهتمام الكتّاب الإنجليز بصورة بالغة لحادثة عاشوراء، وتمت كتابة الكثير من المقالات حول واقعة كربلاء.

ونفسـه الحال في المانيا؛ فكانـت المراكز في برلين وغيرها من المدن تقيم احتفالات سـنوية في ذكرى عاشـوراء، حتى بات الكثير من الألمان يتشـوّقون إلى معرفة حقيقة هذه المناسبة، بعيداً عن العصبية الدينية، وكانت المجالس والمحاضرات تقام بصورة متكررة.

وكذلك في: فرنسا، وبلجيكا، وهولندا، والسويد، والنرويج، والدنمارك، وفنلندا و... حتـى وصـل الحـال في النرويـج إلى مراحـل متقدمـة؛ فبالإضافـة إلى المجالس الحسينيـة نجحت الجالية العراقية هناك بإقناع السلطات بإضافة منهج دراسي يُعرِّف بالإسـلام، وتقرّر لطلاب الابتدائية أن يكون هناك فصل مستقل باسـم (دروس في حياة الإمام الحسين عليه السلام).

THE EFFECTIVE ROLE OF THE ’ĀSHūRā RITUALS IN PROMULGATING FOR IMAM AL-ḤUSAYN’S REVOLUTIONARY CONCEPT IN EUROPE;

NORTH EUROPEAN COUNTRIES AS A MODEL

Dr. Ḥaydar Abd al-Jalīl A. al-Harbiyah

The writer of this essay depicts a great and beautiful portrait of the impact of Imam al-Ḥusayn’s revolutionary course in general and the rituals of commemorating his martyrdom in particular on the mentalities and personalities of a big number of Muslim and non-Muslim people of Europe. The essay thus starts with quoting some formal statistics of the number of Muslims living in the countries of the EU, demonstrating that Islam reached these countries in the seventeenth century via the Islamic conquests. When Islam spread amongst these peoples, they began receiving the Islamic rituals from one generation to another. Amongst these rituals were the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn’s martyrdom, represented by popular processions, religious sessions, and a good number of elegiac festivals and celebrations accompanied by such social activities like serving the people with food under an atmosphere of social solidarity, not to mention the other cultural and informational aspects and marathons. This phenomenon attracted the attentions of many Western and Arab intellectuals and writers who admitted that these shared processions and rituals proved themselves as an eminent phenomenon in Europe.

In light of this fact, the writer of the essay discussed several pictures of such rituals in the countries of the EU as well as the reaction of the peoples of these countries to the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn’s martyrdom and the truth about his reformative revolution and attitude towards the states of affairs of his time. In the UK, for example, the writer maintained that the earliest gathering for commemorating Imam al-Ḥusayn’s martyrdom held in Britain was in 1962 when there was not any official Islamic center; therefore, the story of the Imam’s

martyrdom was read publicly by the British 'Abdullāh Hobbit. In the same manner, Muslims living in the different regions of Britain, as well as the other parts of the globe, used to commemorate this anniversary so peacefully that their celebrations did not contain any form of extremism or fanaticism. During these celebrations, they used to distribute for free brochures to introduce Islam, the biographies and high moral standards of the Holy Prophet and his holy family members and descendants to people to the degree that buses in some regions of Britain carried stickers and labels on which the statement 'yā Ḥusayn', as well as other slogans of the same goal, was written. This fact attracted the attentions of some English writers to the event of 'Āshūrā', making them investigate the details of this tragic event and write many essays about it.

The same thing is applicable to Germany where many Islamic centers situated in Berlin and other major cities of Germany commemorated Imam al-Ḥusayn's martyrdom annually on the 'Āshūrā' Day so appealingly and without any sort of fanaticism that many people of the country, led by curiosity, wanted to know more about that anniversary and its details. Thus, processions and sessions of introducing the truth about Imam al-Ḥusayn and his reformative revolution were held frequently.

In such other European countries as France, Belgium, the Netherlands, Sweden, Norway, Denmark, Finland and many others, similar processions and sessions were held for commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom. Yet, in Norway, the matter reached further levels than mere processions and sessions. The Iraqi community living in that country succeeded to convince the Norwegian authorities to add to the schools a curriculum about Islam and to add to the preliminary schools some courses under the title: Lessons from Imam al-Ḥusayn's biography.

Second: Particular critical views, such as his belief that al-Kulaynī made a mistake when he quoted narrations that restricted the interpretations of some Qur›ānic verses to a certain meaning; therefore, the author decided as invalid and inauthentic a big number of such narrations, although the rule of "application and usage," which is a general rule adopted in the science of evaluating the authenticity of the narrations reported from the Holy Prophet (s), support the restriction mentioned in these narrations. Another example is that the author used already decided accusations against the Shī'ah, such as exaggeration and its likes.

In the current essay, the writer makes good attempts to criticize and disprove these accusations.

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتعنى بالدراسات الدينية